



حياة الإمام

علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية

والسياسية للإمام زين العابدين عليه السلام

(٣٨ - ٩٥ هـ / ٦٥٩ - ٧١٣ م)

الشيخ الدكتور

عبدالله أحمد اليوسف

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الأخيار وبعد:

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليه السلام (٣٨-٩٥هـ / ٦٥٩-٧١٣م) هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وقد برز الإمام زين العابدين عليه السلام في فترة إمامته إماماً للمسلمين، ومرجعاً في الدين، ومبيناً للأحكام الشرعية، ومنازعة في العلم، ومفسراً للقرآن الكريم، وحافظاً للحديث النبوي، ومعلماً للناس، ومربيّاً للنفوس.

وكان مثلاً أعلى في الإيمان والعبادة والزهد والتقوى والورع حتى لُقّب بسيد الساجدين، وزين العابدين، وإمام المتقين، ومنار القانتين.

وقد واجه الإمام عليه السلام في حياته كثيراً من المحن والمآسي، وكان أعظمها واقعة كربلاء المأساوية بكل تفاصيلها المؤلمة، وما أعقبها من تداعيات ومفاعيل كبيرة عاشها الإمام بصبر وتجلد عظيمين، وتحمل للمسؤولية، وحنكة في الإدارة، وبصيرة ثاقبة تجاه المتغيرات التي حدثت في زمانه.

وقد تقلّد الإمام زين العابدين عليه السلام مقاليد الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في فترة زمنية عصيبة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ومارس دوره الديني والقيادي بوعي وحكمة وأفق واسع مع حساسية المرحلة وصعوبة الواقع.

وقد رأى الإمام عليه السلام أن الأمة تواجه أخطاراً عظيمة، من أبرزها تأثر الأمة بالثقافات المتنوعة الوافدة والتي أثّرت على شخصية الإنسان المسلم، وعلى مسار الأمة الإسلامية ومستقبلها.

والأمر الآخر ضمور القيم الدينية والأخلاقية، وشيوع المفاصد والمحرمات نتيجة الرخاء في العيش، والإسراف في ملذات الدنيا وشهواتها؛ وذلك بهدف إشغال الناس بالدنيا وملهياتها، وإبعادهم عن روح الإسلام ومقاصده وأهدافه العليا.

ومن هنا، اهتمَّ الإمام زين العابدين عليه السلام بعد مأساة كربلاء ببناء الإنسان وتربيته تربية دينية وعلمية محكمة من أجل تأهيل صفوة مؤمنة تقود مسيرة الأمة، وتصحح مسارها الخاطيء، وتساهم (فيما بعد) في نشر العلم والمعرفة في الحواضر العلمية الكبرى.

وبالفعل، فقد أولى الإمام عليه السلام التربية والتعليم اهتمامه الكبير سواء بالأدعية أو إلقاء الدروس العلمية في المسجد النبوي أو التركيز على القيم الأخلاقية بهدف بناء شخصية الإنسان المسلم؛ لأنه المحور الرئيس في بناء الأمة وتقديمها ونهوضها الحضاري.

وقد بدأت هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بذكر هويته الشخصية، وما يتعلق بحياته بصورة مجملة، فذكرتُ نسبه الشريف، وتاريخ مولده وشهادته، واسم أمه الطاهرة، وحياته مع جده وعمه وأبيه، وكنيته وألقابه، وأزواجه وأولاده، وشاعره وبوابه، ومدة إمامته وقيادته للأمة وغيرها.

ثم بيّنتُ بالتفصيل الأدلة النقلية والعقلية على ثبوت إمامته من عدة وجوه وطرق، وأنه الإمام الواجب الطاعة بعد شهادة أبيه الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام، ثم نقلتُ بعض أقوال الأعلام وكلماتهم من معاصريه وغيرهم من الأعيان والمؤرخين ممن ترجم أو كتب أو دوّن شيئاً عن

سيرته المباركة وحياته العظيمة، وقد اتفقت كلها على عظيم فضله وشرفه، ومقامه الرفيع، ومكانته العالية، ومنزلته العظيمة.

ثم تطرقت بالتفصيل إلى سيرته الروحية والمعنوية التي قلّ نظيرها؛ إذ أجمع المؤرخون والرواة على أنه عليه السلام كان من أعبد الناس في زمانه بلا منازع، فكان في أعلى درجات العبادة والاجتهاد في الطاعة، معروفًا بين الخاصة والعامة بكثرة عباداته، وكثرة صلاته وقيامه، وطول سجدياته، وكثرة بكائه، وشدة خشيته وخوفه من الله تعالى، وقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد من العباد؛ وقد فصلنا الكلام حول ملامح عبادته واجتهاده في الانقطاع إلى الله تعالى.

ثم عرجتُ على اهتمامه الكبير بفريضة الحج؛ لأنه ركن من أركان الإسلام، ودعامة رئيسة من دعائمه الكبرى؛ ولذا كان الإمام عليه السلام يحج في كل عام تقريبًا، وقد ذكر بعض الرواة أنه حج أربعين حجة قربة إلى الله تعالى. ثم أشرتُ إلى كثرة اهتمامه بالدعاء والمناجاة، واستخدم ذلك وسيلةً للتربية والتعليم، ومنهجًا لصناعة الوعي عند الإنسان المسلم، ولذا استطاع عليه السلام أن يربي جيلاً من أصحابه ورواته ومحبيه على فضائل الأخلاق ومكارمها.

واحتوت الصحيفة السجادية على أهم أدعيته، والتي لم تقتصر على المناجاة والدعاء والتضرع والخشوع لله تعالى وحسب، بل احتوت أيضًا على كنوز من العلوم والمعارف الإسلامية الثرية، وذكرت نماذج من جواهر أدعيته الماثورة، وحظيت أدعيته بالشهرة والانتشار الواسع لما تميزت به من أسلوب بلاغي جميل، وأدب عربي فصيح، ويكفي المرء أن يقرأ بتمعن ما ورد عنه من أدعية ماثورة؛ لأنها تأسر القلوب، وتؤثر في النفوس، وتغير في السلوك. وبعد ذلك بينتُ بشيء من الإسهاب سيرته الأخلاقية والإنسانية النبيلة، وذكرت بعض القصص والشواهد والأمثلة من مكارم أخلاقه الفاضلة، وسيرته الأخلاقية العظيمة، فتحدثتُ عن زهده في الدنيا، وحلمه

وتغافله عن المسيئين إليه، بل والإحسان إليهم، وصبره تجاه البلى والمحن والخطوب، وكرمه وجوده مع كافة الناس، واهتمامه الخاص بالفقراء والأيتام والمحتاجين، ورأفته بأعدائه وخصومه ورحمته بهم، وتربيته للعبيد وتعليمهم، والتسامح تجاه أخطائهم وزلاتهم.

ثم تناولتُ في هذه الدراسة التحليلية سيرته العلمية والفكرية التي أثرت العلوم الإسلامية، وأغنت المعارف الدينية، وساهمت في إنماء الثقافة الإسلامية الأصيلة وترسيخها، وتبين أحكام الإسلام ومسائله، وبيان مفاهيم الدين ومقاصده العليا، وتوضيح معالمه وقيمه ومثله الكبرى.

وتطرقْتُ إلى أهم الآثار العلمية التي خلفها الإمام للأمة الإسلامية، ومنها الصحيفة السجادية، والتي لا نظير لها في باب الأدعية والمناجاة، وحظيت باهتمام كبار العلماء والباحثين، وقاموا بدراساتها وشرحها، والاستفادة مما احتوته من معارف وعلوم وكنوز معرفية مهمة. ومنها: رسالة الحقوق؛ وهي سفر عظيم، ووثيقة علمية وحقوقية مهمة، تناولت الحقوق والواجبات، وهي أول وثيقة مدونة في حقوق الإنسان قبل أن يتحدث العالم بمئات السنين عن هذه الحقوق.

ثم ذكرتُ مجموعة من مناظرات الإمام العلمية، ونقلْتُ أشهر مناظراته مع قادة وعلماء الفرق والتيارات والمذاهب المختلفة، وامتاز الإمام زين العابدين - كسائر أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام - بالتفوق في فن المناظرة، وكان على أتم الاستعداد والجاهزية لمناظرة من أراد من أهل المذاهب والفرق والأديان المختلفة، وما ناظر إمام معصوم أحدًا إلا أفحمه بالرد العلمي القوي؛ إذ كان الإمام يتبع في مناظراته واحتجاجاته الأدلة والبراهين والحجج العلمية الدامغة في مواجهة الخصوم والرد على شبهاتهم وإشكالياتهم بالدليل القاطع والبرهان الساطع.

ثم فصلتُ الكلام حول إسهامات الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية في المعارف الدينية والعلوم الإسلامية المهمة مثل: علم العقائد والكلام، وعلم

التفسير والتأويل، وعلم الحديث الشريف وتدوينه، وعلم الفقه ومسائله؛ وهو الأمر الذي ساهم في إثراء هذه العلوم وإغناء المعارف الدينية، وتوضيح المباني والمرتكزات الفكرية والمعرفية في الإسلام.

ثم تحدثتُ عن جانب آخر من معالم سيرته العلمية المتميزة وهو التركيز على التربية والتعليم، فكان يعتني أشد العناية ويهتم أشد الاهتمام ببناء صفوة علمية متميزة من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين وغيرهم، وتأهيل كوكبة من أصحابه الثقات وطلابه وتلامذته المتميزين علمياً ومعرفياً وفكرياً وأخلاقياً، بهدف بناء كوادِر رسالية مؤهلة وكفاءات علمية عالية المستوى في مختلف حقول العلم والمعرفة قادرة على نشر ثقافة الإسلام وأحكامه، وتغيير المجتمع وإصلاحه.

ثم تطرقتُ في هذه الدراسة العلمية السيرة السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام، حيث عاصر عدداً من الأحداث السياسية الكبرى، ومن أبرزها واقعة كربلاء بكل تفاصيلها المؤلمة؛ فشاهد بأُمر عينيه وقائعها الدامية، إذ كان موجوداً فيها وشاهداً على مجرياتها، وعانى بعدها معاناة شديدة أيام الأسر والمحن، وقاد مع عمته السيدة زينب عليها السلام الركب الحسيني حتى عودته إلى المدينة المنورة، ثم عاش أيام إمامته في ظل ستة من حكام الجور والظلم، وكانت حافلة بالأحداث السياسية والحروب الداخلية والثورات والتقلبات السياسية الحافلة بالمتغيرات والأزمات السياسية.

وتناولتُ بشيء من التفصيل سمات وخصائص هؤلاء الحكام الذين عاصرهم الإمام، والنظر في سياساتهم الداخلية والخارجية، وكيفية تعاملهم مع الإمام زين العابدين عليه السلام وتعامله معهم؛ لأن ذلك يكشف جانباً مهماً من حياته ومسيرته، وطبيعة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي عاصرها.

وبالإضافة إلى الدور الديني والروحي والعلمي الفاعل الذي قام به الإمام عليه السلام أيام إمامته، فقد كان له دور سياسي بارز تمثل في موقف المعارض للحكم الأموي الظالم،

ورفض الاعتراف بشرعية حكمهم، وعدم إظهار التأييد لهم، وتحذير شيعته وأتباعه من التعامل الإيجابي معهم، أو الركون إليهم، أو الإتيان بأي عمل فيه معاونه لهم على ظلمهم، أو الاقتراب منهم إلا بمقدار ما تقتضيه التقية أو المصلحة العامة أو الضرورة والتي تقدر بقدرها.

ثم تطرقتُ إلى مجموعة من المواقف السياسية المهمة للإمام عليه السلام في ظل الحكم الأموي الظالم، وكان من أبرزها موقفه من الثورات والانتفاضات التي اندلعت أيام إمامته، والتي اتخذ الإمام عليه السلام منها موقف عدم الانخراط المباشر أو التأييد العلني لأية ثورة أو انتفاضة شعبية حتى لو كانت أهدافها حقّة وصحيحة كثورة المختار؛ لأن ظروفه لم تكن تسمح له بمثل ذلك العمل. وكان من مواقفه السياسية البارزة أيضاً موقفه الشديد من علماء البلاط الأموي، ومن سار على نهجهم؛ لأن علماء السوء يشكّلون خطراً على سمعة الدين، ومن أشدهم سوءاً الذين يكونون في خدمة حكام الظلم والجور، ويزيّنون لهم أعمالهم الظالمة، ويفتون لهم بحسب طلباتهم ورغباتهم، ويعينونهم على ظلمهم وجورهم للناس.

ثم بيّنتُ أهم الخطوات العملية التي اتبعها الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة المرحلة السياسية التي عاصرها، وكان أبرزها التأكيد على مظلومية أهل البيت الأطهار عليهم السلام، خصوصاً مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا معه في كربلاء، وإيصال رسالة النهضة الحسينية للناس، والحفاظ على أهدافها ومبادئها، وحمايتها من التشويه والتحريف والتزييف، والتعريف بأهدافها وقيمها ومبادئها، وبث الوعي في الأمة لمواجهة سياسة التجهيل التي اتبعها النظام الأموي لتضليل الرأي العام، وتحريف الحقائق الدينية والسياسية، ورعاية الجماعة المؤمنة، والحفاظ على وجودها وسلامتها عبر حثهم على اتباع التقية والكتمان والمهادنة السياسية، وكذلك الاهتمام بأمور الاقتصاد والمعيشة لأصحابه وأتباعه، وتفقد أحوالهم وقضاء

حوائجهم، والعمل على إصلاح المجتمع، ونشر القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية، والدعوة إلى الفضيلة والتدين، ومواجهة الفساد الأخلاقي، والتفكك الاجتماعي.

وبعد حياة حافلة بالعبادة والدعاء والعطاء والعلم والعمل والآمال والآلام والنشاط والفاعلية، وبناء الإنسان بناءً قوياً وإعداد صفوة علمية مؤمنة، وتأهيل كفاءات علمية رسالية في مختلف المجالات، وتشيد نهضة دينية وأخلاقية شاملة، وبعد معاناة شديدة وابتلاءات وخطوب ومحن عظيمة من طغاة عصره، بعد كل ذلك قُبِضَ الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، لينتقل إلى كرامة الله تعالى ورحمته بنفس مطمئة وقلب سليم في سنة خمس وتسعين للهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة.

وحاولتُ في هذه الدراسة استيعاب أهم الأبعاد الرئيسة في حياة وسيرة هذا الإمام العظيم من مختلف أبعادها وجوانبها الأساسية من الميلاد حتى الشهادة، وركزتُ على أهم الأبعاد في سيرته المباركة وأبرزها: الجانب الروحي والأخلاقي، والجانب الديني والعلمي، والجانب السياسي والإنساني.

واتبعتُ في هذه الدراسة عن حياة وسيرة الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار منهج التحليل والاستقراء والاستنباط في قراءة الأحداث التاريخية البارزة، كما سلكتُ المنهج العلمي الأكاديمي في كتابة البحوث العلمية الرصينة بهدف تقديم السيرة والمسيرة المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام بلغة عصرية، ومنهج جديد، وأسلوب حديث للأجيال الناشئة والقادمة للتعريف بسيرة وحياة ونهج أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

متمنياً أن أكون قدمتُ للمكتبة العربية والإسلامية شيئاً مفيداً ونافعاً عن حياة إمام عظيم من أئمة أهل البيت الأطهار، وقائد كبير من قادة الإسلام العظام؛ وهو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

وراجياً من سيدي ومولاي الإمام زين العابدين عليه السلام أن يتفضل عليّ بقبول هذه الصفحات القليلة في حقه عن سيرته المباركة؛ فهذا جهد المقل المعترف بالتقصير والعاجز عن إدراك أبعاد شخصيته العظيمة ومكانته السامية ومقامه الرفيع.

وختاماً... أبتهلُ إلى الله عز وجل أن يجعلَ هذا الكتاب في كتابي، وأن يثقلَ به ميزانَ أعمالي، وأن ينفعني به في آخرتي ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

إنه (تبارك وتعالى) محط الرجاء وغاية الأمل وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف

القطيف

الأحد غرة رمضان المبارك ١٤٤٣ هـ

٣ أبريل ٢٠٢٢ م

منهج الدراسة

إن أي دراسة تاريخية بمنهج علمي يستلزم اتباع الأدوات والآليات والقواعد العلمية في البحث والتحليل والاستنتاج، وبذلنا جهدنا في كتابة هذه الدراسة عن حياة وسيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حسب المنهج العلمي المرتكز على التحليل والاستنتاج والاستنتاج بعيداً عن السرد التاريخي المجرد، واستنطقنا الروايات والأخبار والنصوص التاريخية التي وردت عن سيرة هذا الإمام العظيم من المصادر والمراجع الأصلية، وتتبعنا -بقدر المستطاع- ما ورد في المصادر التاريخية والمجاميع الحديثية حول محاور هذه الدراسة كي نصل إلى التحليل الدقيق والاستنتاج المنطقي والاستنتاج العلمي للسيرة العطرة والحياة المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام، مع عمل خلاصة مركزة لكل باب، بما يخدم البحث والدراسة، ويفيد القراء والباحثين عن سيرة وحياة الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية دراسة السيرة العطرة والمسيرة المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام من عدة أبعاد مختلفة، نشير إلى أهمها في النقاط الآتية:

١- التركيز على الأبعاد المهمة من حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام؛ كالبعد الروحي والمعنوي والأخلاقي، والبعد العلمي والفكري والمعرفي، والبعد التربوي والتعليمي، والبعد القيمي والإنساني، والبعد الاجتماعي والسياسي... وغيرها.

٢- دراسة حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة علمية تحليلية وفق القواعد والأدوات والآليات العلمية وفق المنهج العلمي الرصين، بما يفيد في الوصول إلى النتائج الصحيحة التي يتوصل إليها الباحث في نهاية البحث والدراسة.

٣- بيان الأبعاد المختلفة في حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بما يشكل بمجموعها الصورة الكاملة لشخصيته، وعدم اختزال سيرته المباركة في بُعد واحد كعبادته وأدعيته وأخلاقه أو كثرة بكائه وشدة زهده كما يفعل بعض الكتّاب وبعض المؤرخين عند الحديث عنه، بل تسليط الأضواء على جوانب متعددة من حياته المباركة.

٤- استعراض ومناقشة كل الآراء المطروحة من قبل المؤرخين والكتّاب، ثم ترجيح الرأي المختار وفق الأدلة والبراهين العلمية في المسائل الخلافية أو الآراء المختلفة.

٥- الاستفادة من سيرة الإمام عليه السلام في الجانب العلمي والجانب التربوي والجانب الأخلاقي والجانب الإنساني والجانب الاجتماعي، وغيرها من الجوانب في حياتنا المعاصرة؛ لأن في سيرته أسوة حسنة لكل المسلمين.

٦- تبصير الأجيال المعاصرة والقادمة بالدور القيادي الرائد والنشاط العلمي المتميز الذي قام به الإمام زين العابدين عليه السلام، بهدف تعميق الارتباط بأئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وزيادة مستوى الوعي بسيرتهم الأخلاقية والإنسانية والعلمية والفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة العلمية عن السيرة العطرة للإمام زين العابدين عليه السلام وحياته المباركة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة، أبرزها الآتي:

١- إبراز الجانب الروحي والمعنوي والأخلاقي والقيمي والتربوي والسلوكي والإنساني في حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وتعريف الناس بهذا الجانب المهم من سيرة الإمام وحياته، لما لشخصيته من موقعية متقدمة في الوجدان الشعبي، ولما يتركه ذلك من أثر فاعل في تحفيز العمل بالقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية.

٢- التركيز على إبراز العطاء العلمي والإثراء المعرفي والكلامي والفقهية والتفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام، وما قدّمه في هذه العلوم الدينية والمعارف الإسلامية من إضافات ومساهمات وإبداعات مهمة، ساهمت في إنماء العلم وإغناء المعرفة وترسيخ العقائد الحقّة وتنمية الوعي بالمفاهيم الإسلامية والقيم الإنسانية والأخلاقية.

٣- ضرورة التركيز على التربية والتعليم في إعداد كوادر علمية رسالية مؤهلة علمياً وعملياً، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام عبر تربية وتعليم صفوة مختارة من خُلص رواته وأصحابه الثقات، وقد كان لهؤلاء - فيما بعد - الفضل الأكبر في نشر التراث الديني والعلمي للإمام زين العابدين عليه السلام، وتعريف الناس بأصول الإسلام وفروعه.

٤- أهمية التصدي للفرق والتيارات والاتجاهات المنحرفة والضالة والفاصلة، فقد تصدى الإمام زين العابدين عليه السلام بكل حزم وقوة للغلاة والجبرية والمرجئة والقدرية وغيرهم، مبيّناً للمسلمين فساد معتقداتهم وبطلان أفكارهم، ومحدّراً إياهم من اتباعهم أو الافتتان بأفكارهم الضالة ومعتقداتهم الفاسدة، أو مجالستهم ومصاحبتهم، أو معاشرتهم ومصادقتهم؛ ففي كل عصر تبرز على الساحة الفكرية تيارات وفرق منحرفة وضالة تحتاج لمن يتصدى لفكرها المنحرف، ويوقف انحرافاتهما حتى لا تتمدد في جسد الأمة وفكرها.

٥- بيان قيمة العلم وفضل العلماء، وأن تطور الأمم والشعوب وتحضرها إنما يكون بالعلم والمعرفة، وتشجيع الشباب على طلب العلم في مختلف مجالاته، وأهمية التخصص في الدراسات العلمية الدقيقة والمتميزة.

٦- التأكيد على أهمية تعريف الناس بحقوق الإنسان، والاستفادة من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، وضرورة إدراج مادة لـ «حقوق الإنسان» في مناهج التعليم؛ لنشر ثقافة الحقوق بين الطلاب والطالبات، لما لذلك من آثار إيجابية على السلوك الفردي والاجتماعي بما يؤسس لثقافة التسامح والتعايش الاجتماعي، وضمان الحق في الاختلاف مع الآخر المختلف مذهبياً ودينياً.

٧- نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع، والتركيز على أخلاقياته ودوافعه الإنسانية، اقتداءً بسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجال الإنساني المهم؛ فقد عرف بتعامله الإنساني النبيل مع الفقراء والأيتام والمساكين وغيرهم، وكان يحتفي ويرحب بهم ويكرمهم، وكذلك تنمية قيمة العمل الخيري، وتقوية التراحم الاجتماعي، وتعزيز ثقافة العطاء وفعل الخير في المجتمع.

تساؤلات الدراسة

يحاول الباحث في هذه الدراسة عن الإمام زين العابدين عليه السلام الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المهمة، وهي:

السؤال الأول: كيف استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يقوم بمهامه ومسؤولياته الدينية والقيادية بوصفه إماماً مفترض الطاعة في ظل ظروف سياسية بالغة التعقيد؟ ويتفرع من هذا التساؤل المهم مجموعة من الأسئلة الفرعية، وهي:

- ما الأدلة العلمية على ثبوت إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام؟ وما الأدلة العقلية والعقلية على ذلك؟

- هل يمكن أن يقوم الإمام المعصوم بمهام ومسؤوليات الإمامة وهو تحت القهر والقمع والتخويف والوعد والوعيد؟

- كيف استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن ينشر أديته وعلومه وأفكاره إذا كان يخضع لمضايقات السلطة السياسية في زمانه؟

السؤال الثاني: ما أبرز ملامح السيرة الروحية والأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام؟ ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة فرعية، وهي:

- ما أبرز معالم العبادة والتهجد والمناجاة والعلاقة مع الله عز وجل عند الإمام زين العابدين عليه السلام؟ ولماذا كان يتغير لونه وترتعد فرائضه عند قيامه للصلاة؟

- لماذا ركّز الإمام زين العابدين عليه السلام على الدعاء؟ ولماذا كان كثير البكاء والحزن؟

- ما أهم خصائص وسمات الإمام زين العابدين عليه السلام الشخصية؟ وما أبرز صفاته الأخلاقية والإنسانية المتميزة؟

- كيف كان ينظر معاصرو الإمام زين العابدين عليه السلام من الصحابة والتابعين إليه؟ وكذلك أهل العلم والفضل والرأي لسيرة الإمام عليه السلام الروحية والأخلاقية؟

السؤال الثالث: ما أبرز الأدوار والأعمال الدينية والعلمية والفكرية التي قام بها الإمام زين العابدين عليه السلام؟ ويتفرع من هذا السؤال المهم الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما عطاءات ومساهمات الإمام زين العابدين عليه السلام في العلوم الإسلامية والمعارف الدينية الأساسية؟

- ما الأمور المهمة التي ركّز عليها الإمام زين العابدين عليه السلام في الجانب الديني والعلمي والفكري والمعرفي؟

- ما دور الإمام زين العابدين عليه السلام في تربية وتعليم أصحابه وتلامذته وثقاته ورواته؟ وما أثر مدرسته العلمية في تأهيل صفوة علمية متميزة؟

- كيف ساهم الإمام زين العابدين عليه السلام في بناء العقائد الحقّة وهدم العقائد الفاسدة؟ وكيف واجه الشبهات والإشكاليات الكلامية والتفسيرية التي أثارها التيارات والفرق المنحرفة كالمرجئة والجبرية والقدرية؟

السؤال الرابع: ما المبادئ والقيم التي أصّل لها الإمام زين العابدين عليه السلام؟ ولماذا؟ ويتفرع من هذا السؤال مجموعة من التساؤلات المهمة، وهي:

- لماذا ركّز الإمام زين العابدين عليه السلام على حقوق الإنسان؟

- ما الدوافع التي دفعت الإمام زين العابدين عليه السلام إلى التركيز على فعل الخير والعمل التطوعي؟

- لماذا اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام بالعبيد والإماء؟ ولماذا تزوج منهن رغم علو نسبه الشريف وموقعيته الرفيعة؟

السؤال الخامس: كيف كانت علاقة الإمام زين العابدين عليه السلام بحكام عصره؟ ويتفرع من هذا السؤال مجموعة من التساؤلات المهمة، وهي:

- لماذا لم يُقتل الإمام زين العابدين عليه السلام في معركة الطف مع أنه لم ينجُ أحد من الرجال فيها؟

- كيف واجه الإمام زين العابدين عليه السلام حكام عصره الذين قتلوا أباه ومن معه من العترة النبوية؟ وكيف تعامل مع بني مروان وابن الزبير؟

- كيف تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع حكام عصره بعد استقراره في المدينة المنورة؟ وكيف تعاملوا معه؟

- ما موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من الثورات والانتفاضات التي حدثت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام؟

- كيف واجه الإمام زين العابدين عليه السلام متطلبات المرحلة السياسية التي عاصرها؟ وما أبرز المواقف السياسية التي اتخذها؟

السؤال السادس: كيف توفي الإمام زين العابدين عليه السلام؟ ويتفرع من هذا السؤال مجموعة أسئلة فرعية، وهي:

- هل مات الإمام زين العابدين عليه السلام حتف أنفه؟ أم أنه مات مسموماً؟ وما الدليل على ذلك؟

- بناء على فرضية وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام مسموماً، ما الدوافع التي انطلق منها الحكم الأموي لفعل ذلك؟

- هل توجد أدلة أو قرائن قوية على اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام بالسم؟
هذه الأسئلة وغيرها، يحاول الباحث الإجابة عنها بالتفصيل والتحليل والاستنتاج، واستعراض مختلف الآراء، والجمع بين الأخبار والروايات والوثائق التاريخية وصولاً إلى معرفة النتائج العلمية الدقيقة.

الدراسات السابقة

مع المكانة العظيمة والمقام الرفيع للإمام زين العابدين عليه السلام، ومع ما سجّله كتب الحديث والسيرة والتاريخ عن حياته وسيرته الحافلة بالعبادة والعلم والعمل، إلا أن ما كُتب عنه من مؤلفات ومصنفات وكتب تحليلية ومفصلة ليست بالمستوى المطلوب سواء من حيث الكم أو الكيف.

وبحسب ما دوّنه الدكتور عبد الجبار الرفاعي حول عدد المؤلفات عن رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فأصدر موسوعة بليوغرافية بعنوان: «معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت» وتقع في أحد عشر مجلداً، فقد بلغت المؤلفات عن الإمام زين العابدين عليه السلام ثلاث مئة وتسعة وتسعين كتاباً فقط، وهو ما يجب أن يدفع بالباحثين والكتاب إلى مضاعفة الكتابة عن حياة وسيرة هذا الإمام العظيم لتعريف الأمة بمكانته وموقعيته ومقامه وشرفه وفضله في الإسلام.

ومما لا شك فيه أن عدد المؤلفات عن حياته وسيرته المباركة قد زاد الآن عن ذلك العدد؛ لأن هذه الإحصائية مرّ عليها عدة سنوات، لكن تبقى الكتابات الجادة والتحليلية والإبداعية قليلة جداً.

وبالرغم من العدد المتزايد للدراسات والمؤلفات التي كتبت عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، إلا أن معظمها تركز على المناقب والفضائل والمعجزات للإمام، أو تنحو منحى السرد التاريخي بعيداً عن التحليل والاستنتاج، وربطها بالواقع المعاصر.

وشخصية بحجم ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام بحاجة للمزيد من الدراسات التحليلية والتخصصية لمعرفة أبعاد شخصيته العظيمة، والظروف التي عايشها في حياته، وما تركه من آثار أخلاقية وعقائدية وعلمية وتربوية واجتماعية وفكرية وسياسية ثرية.

ويمجد المتتبع لهذه المؤلفات والمصنفات أنها لا تخلو من بعض الملاحظات المنهجية، كما يعترى أكثرها غياب المنهج العلمي الحديث في كتابتها، ما أثار في استنباط النتائج العلمية الدقيقة، وإن كان بعضها لها قيمة علمية مهمة. وقد اطلعتُ على بعض تلك المصنفات والمؤلفات عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، ومن أهمها ما يأتي:

١ - الإمام زين العابدين عليه السلام:

ومؤلفه الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)، وهو صادر عن دار المعروف للطباعة والنشر في قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م ضمن موسوعة «سيرة أهل البيت»، ويقع في مجلدين. عدد صفحات الجزء الأول ٤٦٤ صفحة، وعدد صفحات الجزء الثاني ٤٣٨ صفحة من الحجم الكبير.

ولهذا الكتاب أفضلية سبق في الكتابة عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام (وباقى الأئمة الأطهار) بطريقة أكثر علمية وموضوعية وتحليلية مما سبق تأليفه من كتب عنهم عليهم السلام.

لكن هذا الكتاب القيم لم يتناول كل الأبعاد والجوانب عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، كما أنه ركّز على جوانب وأهمل جوانب أخرى، فمثلاً أفاض وأجاد في المجلد الثاني في الحديث عن أصحابه ورواة حديثه^(١)، ومن الواضح أنه بذل جهداً كبيراً يُشكر عليه في هذا الجانب المهم، ولكن حديثه عن فقه الإمام زين العابدين عليه السلام كان مختصراً جداً ولم يتجاوز الثماني صفحات فقط^(٢).

وفي الجانب السياسي اكتفى المؤلف بالحديث عن حكام عصره وصفاتهم وأفعالهم المستنكرة، ولكنه لم يتطرق إلى المواقف السياسية للإمام، ولم يشير إلى

١- راجع: ج ١٦، ص ٢١٤ - ٢٨٨.

٢- راجع: ج ١٥، ص ٣٤٨ - ٣٥٥.

الخطوات العملية التي اتبعها الإمام لمواجهة حالة الظلم والجور التي عانى منها مع شيعته وأصحابه إلا نادراً^(١).

ومع تلك الملاحظات المنهجية يبقى هذا الكتاب من أهم ما كُتب عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، ولا يلغي ما ذكرناه أهميته وقيمه العلمية؛ فقد اتخذ مصدرًا ومرجعًا كل من كتب عن الإمام زين العابدين عليه السلام ممن جاء بعده، واستفدنا منه في بحثنا ودراستنا في بعض الموضوعات، وأشرنا إلى ذلك في هوامش الكتاب.

٢- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

يقع هذا الكتاب ضمن موسوعة أعلام الهداية، وهو من إعداد وتصنيف لجنة التأليف بالمجمع العالمي لأهل البيت بقم المقدسة. صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٢ هـ، ويقع في ٢٢٨ صفحة من الحجم الكبير.

ومع أهمية هذا الكتاب وقيمه العلمية وصياغته الحديثة، لكنه لم يتطرق إلى بعض المواضيع المهمة في حياة الإمام عليه السلام إلا لماً كإسهاماته في الفقه الإسلامي، إذ تطرق إلى ذلك في خمس الصفحات فقط^(٢)، وكذلك مساهماته في التفسير إذ لم يتجاوز سبع الصفحات^(٣)، وأما التراث الحديثي فاختره في أقل من صفحتين^(٤)، وفي في أصول العقيدة ومباحث الكلام اختصره في أربع صفحات فقط^(٥)؛ في حين أن ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه العلوم والمعارف الدينية تراث كبير جداً، واختصاره في بضع صفحات قليلة يضر بالبحث العلمي في هذه الأبحاث المهمة. كما أن هذا الكتاب لا يخلو من خلل في المنهجية العلمية، فنراه (مثلاً) يبدأ في الفصل

١- راجع: ج ١٦، ص ٢٩٩ - ٣٨٩.

٢- راجع: ص ١٧٣ - ١٧٧.

٣- راجع: ص ١٦١ - ١٦٧.

٤- راجع: ص ١٦٧ - ١٦٨.

٥- راجع: ص ١٦٩ - ١٧٢.

الثاني من الباب الأول بذكر الانطباعات عن شخصية الإمام، وفي الفصل الذي يليه يتحدث عن مظاهر من شخصيته، وبعد ذلك يتحدث في الفصل الأول من الباب الثاني عن أمه وكناه وألقابه، وكان المفترض أن يبدأ بها أولاً للتعريف بهوية الإمام والمعلومات الشخصية عنه قبل الحديث عن أخلاقه وانطباعات الآخرين عنه.

كما أن هذا الكتاب يفتقر إلى فهرسة المصادر والمراجع التي تُدَوَّن في نهاية الكتاب، كما ينقصه الفهارس العامة المهمة كفهرس الأعلام، وفهرس الآيات والأحاديث، وفهرس الأماكن والبلدان وغيرها من الفهارس المهمة والتي هي من مقتضيات المنهج العلمي الحديث.

٣ - الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

ومؤلفه الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ). صادر عن دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ويقع في ١٧٧ صفحة من الحجم الكبير، ومطبوع في ضمن المجلد الأول مع ثلاثة من الأئمة الطاهرين وهم: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والإمام الحسن بن علي عليه السلام، والإمام الحسين بن علي عليه السلام تحت عنوان: «سيرة الأئمة الاثني عشر» والذي يضم في أجزائه الثلاثة الأئمة الاثني عشر.

ويتميز الكتاب بأسلوب أدبي بليغ، مع تركيز على بعض الجوانب المهمة من حياة الإمام زين العابدين عليه السلام كتراث الإمامة ويقع في ٥٤ صفحة^(١)، ولكنه أغفل جوانب مهمة أخرى من حياته، فلم يتحدث عن رواة الإمام زين العابدين عليه السلام ومدرسته العلمية، واقتصر في الحديث عن علمه على أقل من صفحة واحدة^(٢)؛ ولأن الكتاب كان موجزاً جداً كما أراده المؤلف، لم يفصل في جوانب مهمة من حياة الإمام، كسيرته الروحية والأخلاقية، فاختصرها في أقل من ست صفحات^(٣).

١- راجع: ص ٤٥٤ - ٥٠٨.

٢- راجع: ص ٤٠٣.

٣- راجع: ص ٤٠٤ - ٤٠٩.

أضف إلى ذلك أنه لم يتبع المنهجية العلمية في التأليف، فهو غير مقسم إلى فصول، كما أنه ينتقل من موضوع إلى آخر من دون كتابة عنوان للموضوع الذي انتقل إليه، ومع ذلك فإن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب وأهميته؛ نظراً لاحتوائه على معلومات قيمة وموثقة مع إيجازه واختصاره.

٤ - حياة الإمام زين العابدين عليه السلام:

ومؤلفه السيد عبدالرزاق المكرم (ت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م). صادر عن العتبة الحسينية المقدسة في كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ويقع في ٦٠٧ صفحة من الحجم الكبير.

ويتميز هذا الكتاب بالتحليل والمقارنة والفحص والنقد، فلا يقبل الروايات التاريخية قبول المسلمات، بل يخضعها للمناقشة والتمحيص والنقد العلمي، كما أن المؤلف يستعرض الآراء المختلفة حول بعض المسائل محل البحث، ويرجح رأياً على آخر، أو يوضح رأيه المختار.

ويمتاز أيضاً بإشباع المواضيع التي كتب فيها بحثاً وتتبعاً؛ ما يدل على سعة اطلاعه، وبذله الوسع والجهد لتحقيق ذلك، وفي الكتاب لفتات وملاحظات مهمة جديرة بالتأمل والتفكير، ومحفزة على البحث والتمحيص.

ولكن ما يؤخذ على الكتاب هو عدم اتباعه المنهجية العلمية في التأليف، فلم يقسّمه إلى أبواب أو فصول، ولم يضع عناوين فرعية لأكثر المواضيع، كما أن بعض النقول لا نجد لها توثيقاً في الهامش. أضف إلى ذلك أن الكتاب يخلو من فهرسة المصادر والمراجع التي تدون في نهاية الكتاب مع ذكر رقم الطبعة ومكانها وتاريخها وناشرها، والتي هي من مقتضيات المنهج العلمي في التأليف والتصنيف. ولكن هذا لا ينفي أهمية هذا الكتاب من الناحية العلمية، وما احتواه من آراء وأفكار قيمة، ويبقى من أهم الكتب التي كتبت عن الإمام زين العابدين عليه السلام، واستفدت منه في بعض المواضيع من بحثنا، وقد أشرتُ إلى ذلك في الهامش.

٥ - جهاد الإمام السَّجَّاد عليه السلام:

ومؤلفه السيد محمد رضا الحسني الجلاي. صادر عن دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ويقع في ٣٥٧ صفحة من الحجم الكبير. وامتاز هذا الكتاب بأسلوب سلس وجذاب، وبمنهجية علمية دقيقة؛ ولذا فاز بالمرتبة الأولى في المباراة الفكرية الكتابية عن الإمام السَّجَّاد عليه السلام في عام ١٤١٤ هـ.

وقد بدأ المؤلف بحثه بتمهيد، وفيه بحثان:

البحث الأول: عن الإمامة، وتعريفها، وما تستلزمه من شؤون.

البحث الثاني: عن إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام وإثباتها^(١).

وأراد المؤلف من كتابه - كما أوضح في مقدمته - إثبات أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم ينعزل عن الحياة السياسية، ولا عن شؤون الأمة، بل كان يعيش همومها، ويناضل من أجل تحقيق العدل والحقوق، والحفاظ على مصالح العباد والبلاد؛ فعنون الفصل الأول من كتابه: «أدوار النضال في حياة الإمام»، وكان الفصل الثاني موسومًا بـ «النضال الفكري والعلمي»، والفصل الثالث كان بعنوان «النضال الاجتماعي والعملي»، وأما الفصل الرابع فكان يحمل عنوان «التزامات فذة في حياة الإمام»، وأما الفصل الخامس والأخير فحمل عنوان «مواقف حاسمة للإمام»، وختم كتابه بنتائج البحث والدراسة^(٢).

وامتاز هذا الكتاب بتدوين الفهارس العامة في آخر الكتاب، فذكر فهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأحاديث الشريفة والآثار، وفهرس الأعلام، وفهرس المواضيع والأيام والقبائل والمصطلحات، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتوى.

١- راجع: ص ١٥ - ٣٨.

٢- راجع: ص ٧.

وهذا الكتاب وإن لم يتناول كل أبعاد حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام وإنما ركّز على جانب معين كما هي خطة البحث كما أوضحها المؤلف في مقدمته، فهو يعد من أفضل الكتب في باب أسلوباً ومضموناً وتوثيقاً ومنهجية، واستفدت منه في بعض المواضع من بحثنا، وقد أشرتُ إلى ذلك في الهامش.

٦- موسوعة الإمام زين العابدين عليه السلام:

ومؤلفه الشيخ محسن الحسيني. صادر عن دار المحجة البيضاء في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ويقع في ثلاثة مجلدات من الحجم الكبير، ويقع الجزء الأول في ٤٦٨ صفحة، والجزء الثاني في ٣٣٢ صفحة، والجزء الثالث في ٣٢٣ صفحة.

وهذا الكتاب يحتوي على فصول عديدة، وتناول معظم أبعاد حياة الإمام زين العابدين عليه السلام برؤية تحليلية، وامتاز باستخدام اللغة المعاصرة، مع وضع عناوين فرعية لكل موضوع، ومن الواضح أن المؤلف بذل جهداً كبيراً في تأليف هذه الموسوعة عن الإمام عليه السلام.

لكن المؤلف لم يوفق في ترتيب الفصول من الناحية المنهجية، فنراه (مثلاً) يبدأ عن الحياة السياسية للإمام عليه السلام في الجزء الأول من موسوعته^(١)، في حين يتحدث عن أخلاقه وعبادته وحياته المعنوية في الجزء الثاني منها^(٢)، وكان الأفضل أن يبدأ بها أولاً؛ لتكون الحياة السياسية في النهاية، كما أنه لم يتبع المنهج العلمي في كتابة المصادر والمراجع، فاكتمى بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه دون الإشارة إلى رقم الطبعة ومكانها وتاريخها كما هو مقتضى المنهجية العلمية في ذلك. كما تفتقر هذه الموسوعة إلى الفهارس الفنية المهمة كفهرس الأعلام، وفهرس الآيات والأحاديث، وفهرس الأماكن والقبائل والبلدان، وغيرها من الفهارس المهمة.

١- راجع: ج ١، ص ٤٤٦ ١٩٣.

٢- راجع: ج ٢، ص ١٨٣ - ٣٢٣.

٧- موارد الاعتبار في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام):

ومؤلفه السيد محمد حسين الحسيني الجلاي، تحقيق السيد رحيم الحسيني، وصادر عن العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، الطبعة المحققة الأولى ١٤٣٥ هـ، ويقع في ٥٢٠ صفحة من الحجم الكبير.

ويستعرض فيه المؤلف أهم ما يرتبط بتاريخ الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) في ٥٧ عامًا، بدءًا بولادته (عليه السلام) في سنة ٣٨ هـ حتى وفاته في سنة ٩٥ هـ، في عدة فصول، مُفردًا في آخر كل فصل عنوانًا خاصًا باسم «موارد الاعتبار» يسرد فيه النقاط التي يمكن الاعتبار بها مما ورد في ذلك الفصل، وإذا كان مورد الاعتبار واحدًا فيذكره بعد الانتهاء من سرد النصوص وذكر القضايا بدون عنوان^(١).

ومن الواضح أن المؤلف بذل جهدًا كبيرًا في تجميع النصوص التاريخية من مختلف المصادر والمراجع، وخصوصًا من مصادر العامة وكتبهم، وهو ما يسهل على الباحثين والكتاب مؤونة البحث عنها، ثم يُبين رأيه فيها، وقراءة ما بين السطور، ويُبدى وجهة نظره في مختلف الموضوعات في الكتاب ضمن نقاط محددة ومركزة.

والكتاب وإن لم يشمل مختلف الجوانب في حياة الإمام، وركز على سيرته ما قبل إمامته، إلا أنه مفيد في بابه، وغني في مصادره، ونافع في نظراته واعتباراته وتأملاته.

٨- الإمام زين العابدين: القائد، الداعية، الإنسان:

ومؤلفه الدكتور محمد حسين علي الصغير، وصادر عن العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، والتنفيذ الطباعي مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ويقع في ٣٨٣ صفحة من الحجم الكبير.

١- راجع: مقدمة المحقق للكتاب، ص ٩.

وهذا الكتاب يغلب عليه الأسلوب الأدبي والاستطراد في المواضيع التي تناولها بالبحث دون وضع عناوين فرعية لها، كما أنه ركّز على جوانب من حياة الإمام كرسالة الحقوق التي تناولها في الفصل الثالث في ٩٨ صفحة^(١)، في حين لم يتناول جوانب مهمة أخرى كسيرته الأخلاقية إلّا لمأماً، واكتفى بالحديث عن دعاء «مكارم الأخلاق» المروي عنه.

ومن مميزات هذا الكتاب أنه ذكر نتائج البحث في نهايته، كما أنه يحتوي على الفهارس العامة للكتاب كفهرس المصادر والمراجع وفهرس الآيات وفهرس الأعلام وفهرس الموضوعات، ولكنه لم يذكر فهرس الأحاديث، ولا فهرس الأماكن والبلدان.

الدراسات المشتركة والمختصرة

بالإضافة إلى هذه الكتب والدراسات وغيرها مما تيسّر لنا الاطلاع عليها، هناك مجموعة من المؤلفات والدراسات التي تناولت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام باختصار شديد ضمن الحديث عن حياة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام أو سيرة الأئمة الاثني عشر، وغالباً ما يكون التركيز على بعد واحد من حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وإغفال بقية الجوانب والأبعاد، لسبب بسيط أنها ليست دراسات مستقلة عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وأشرنا إلى بعضها في طوايا البحث وهوامشه.

ومع وجود هذه المؤلفات والمصنفات عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام إلا أن هناك بعض الجوانب من حياته الشريفة لم تُحظْ بالكتابة فيها، أو لم تُكَلِّم بصورة عميقة، كما أن بعض ما كتب عن الإمام عليه السلام يمتاز بالتجميع والسرديات التاريخية المجرد، والتركيز على جوانب محدودة ومعينة. أما الكتابة التحليلية والإبداعية عن حياة الإمام عليه السلام؛ فهذا ما نحتاج إليه في القراءة التاريخية،

وقراءة السيرة الذاتية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، والاستفادة من حياتهم وسيرتهم في حياتنا المعاصرة؛ لأنهم القدوة الحسنة للناس. وقد حاولتُ بكل جهدي واستطاعتي أن أجدد في هذه الدراسة المتواضعة عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام سواء في الأسلوب أم المحتوى، في اللغة أم المنهج، وأن أتناول أبحاثاً مهمة عن سيرته العظيمة كالتركيز على سيرته المعنوية والأخلاقية والإنسانية، ودوره العلمي الثري، واهتمامه بالقرآن والحديث والفقه، وتوعية الأمة بحقوق الإنسان، والإشارة إلى مدرسته العلمية، وترجمة أبرز أصحابه وخواصه وتلامذته، والحديث عن مواقفه السياسية البارزة ومنهجه السياسي العام.

مميزات هذه الدراسة

تمتاز هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام عن غيرها من الدراسات السابقة - والتي قد استفدنا من بعضها كما أشرنا لذلك في طوايا البحث وهوامشه - بعدة مميزات رئيسة أهمها:

١- اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج العلمي في كتابة البحوث الأكاديمية، وهو الأمر الذي لم يُلاحظ في معظم الدراسات السابقة، بل إن بعضها يفتقر إلى أبسط قواعد البحث العلمي ومنهجيته.

٢- اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهج التحليل والاستقراء والاستنباط في قراءة الأحداث التاريخية المهمة، ومنهج الرفض والإثبات في تحليل النصوص وقراءتها، واستعراض الآراء المختلفة، ثم تبني الرأي المختار، أو ترجيح رأي على الآراء الأخرى في المسائل الخلافية.

٣- ركزت هذه الدراسة على جوانب من البحث افتقرت إليها تلك الدراسات السابقة - التي اطلعنا عليها - أو لم تركز عليها تركيزاً وافياً، أو كانت تفتقر إلى الأبعاد المختلفة للمحاور محل البحث، كمبحث الدور

العلمي الفعال للإمام زين العابدين عليه السلام، ومبحث العناية بالقرآن الكريم وتفسيره، ومبحث نشر الحديث النبوي وتدوينه، ومبحث رسالة الحقوق وثقافة حقوق الإنسان، ومبحث بناء الصفوة العلمية، ومبحث التصدي للتعصب المذموم بكل أشكاله، ومبحث المنهج السياسي الذي اتبعه الإمام... وغيرها.

٤- التركيز على السيرة الروحية والأخلاقية والعلمية للإمام زين العابدين عليه السلام، وإظهار الجوانب الإنسانية والمعنوية والأخلاقية والعلمية والتربوية والسلوكية والتي لم تحظَ بالقدر الكافي في الكتابة والتحليل.

٥- عمل خلاصة في نهاية كل باب، وبيان النتائج والآراء والتوصيات التي توصل إليها الباحث عبر بحثه في نهاية هذه الدراسة عن سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو الأمر الذي لم نراه في معظم الدراسات التي اطلعنا عليها.

٦- اتبع الباحث في صياغته لهذه الدراسة العلمية الأسلوب الحديث في لغة الكتابة، وتجنب استخدام الألفاظ والمصطلحات القديمة التي يعسر فهمها على الأجيال المعاصرة، بما يجعل البحث أكثر جذباً للأجيال الجديدة. كما شُرحت الألفاظ الصعبة الواردة في خطب وأقوال الإمام زين العابدين عليه السلام وأُضحت معانيها استناداً إلى معاجم وكتب اللغة العربية لبيانها وتبسيطها حتى تصبح مفهومة للأجيال المعاصرة والقادمة^(١).

١- أشرنا إلى هذه النقاط؛ لأنها من مستلزمات المنهجية العلمية الحديثة.

هيكلية الدراسة

تتكون هيكلية هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام من خمسة أبواب، في كل باب عدة فصول، وهي كالآتي:

تبدأ الدراسة في بابها الأول والذي عنوانه بـ «شخصية ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام»، ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثاني: الأدلة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثالث: شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات الأعلام.

أما الباب الثاني فعنوانه بـ «السيرة الروحية والأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام»، وفيه فصلان، وهما:

الفصل الأول: السيرة الروحية للإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثاني: السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام.

وكان عنوان الباب الثالث «السيرة العلمية والفكرية للإمام زين العابدين عليه السلام»، وتضمن هذا الباب ستة فصول، وهي:

الفصل الأول: علم الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثاني: البناء العقائدي عند الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثالث: العناية بالقرآن الكريم عند الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الرابع: جهود الإمام زين العابدين عليه السلام في نشر الحديث.

الفصل الخامس: فقه الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل السادس: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية.

أما الباب الرابع لهذه الدراسة التحليلية عن الإمام زين العابدين عليه السلام فجاء موسومًا بـ «السيرة السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام»، واحتوى على

ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين عليه السلام وحكام عصره.

الفصل الثاني: المواقف السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثالث: خطط الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة الاستبداد الأموي.

وكان الباب الخامس نهاية هذا الكتاب، وهو بعنوان «الإمام زين العابدين عليه السلام شهادة وخلود» ويتكون من فصلين، وهما:

الفصل الأول: شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثاني: حكم ومواعظ بليغة للإمام زين العابدين عليه السلام.

وختم الباحث هذه الدراسة العلمية عن حياة الإمام عليه السلام ببيان نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث في بحثه، ثم ذكر مجموعة من التوصيات التي يوصي بها، وبهذا تتضح خلاصة البحث ومرئيات الباحث.

وكان هذا مسك الختام لهذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار: علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

الباب الأول

شخصية ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الأول: البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: الأدلة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثالث: شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات الأعلام

الفصل الأول

البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام

- نسبه الشريف
- أمه الطاهرة
- كنيته وألقابه
- أزواجه وأولاده
- مدة إمامته
- قبره الشريف
- ولادته المباركة
- حياته مع جده وعمه وأبيه
- نقش خاتمه
- شاعره وبوابه
- وفاته



البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام

نسبه الشريف

هو الإمام علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(١)، القرشي الهاشمي العلوي، السيد الإمام، زين العابدين، وسيد الساجدين، وإمام المتقين، رابع أئمة أهل البيت الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

والإمام علي زين العابدين عليه السلام إمام من أئمة المسلمين الكبار، وعملاق من عمالقة الفكر الإسلامي الأصيل، وقائد من أكابر القادة الإلهيين، وعظيم من أعظم رجال التاريخ، له بصمات واضحة وعميقة في التاريخ الإسلامي، وإثراء وإغناء العلوم والمعارف الدينية والإنسانية.

وكانت حياته مفعمة بالعبادة والدعاء والمناجاة لله عز وجل، وحافلة بالعلم والعمل، ونشر أحكام الإسلام وقيمه، وتجسيد مكارم الأخلاق وفضائلها.

ولادته المباركة

ولد عليه السلام بالكوفة^(٢)، وقيل: بالمدينة المنورة^(٣)، في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة أمير المؤمنين عليه السلام بستتين على الرأي المشهور بين المؤرخين،

١- كشف الغمة: الإربلي، ج ٢، ص ٢٥١. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٣.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، دار المسرة، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١، ص ١٠٤.

٣- تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج ٦، ص ٦٣. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩. نور الأبصار: ص ٣٢٦. إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦.

وإليه ذهب الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ)^(١)، والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)^(٢)، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)^(٣)، والفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)^(٤)، والطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)^(٥)، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ)^(٦)، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ)^(٧)، وابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ)^(٨)، وغيرهم من المحدثين والمؤرخين.

وهذا الرأي (بأن ولادته كانت قبل شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بستين) يرجح أن ولادته عليه السلام كانت بالكوفة وليست بالمدينة، وإن كانت أكثر المصادر أشارت إلى أن ولادته كانت فيها؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام وأفراد عائلته كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة طيلة خلافته؛ وعليه فمن المستبعد جداً أن تكون ولادته في المدينة المنورة. وأما زمان ولادته فقد اختلف المؤرخون في يوم وشهر وسنة ولادته إلى أقوال، وأهمها هي:

- ١- ولد عليه السلام في يوم الخميس الخامس من شعبان في سنة ثمان وثلاثين^(٩).
- ٢- ولد عليه السلام في يوم الجمعة لتسع خلون من شعبان في سنة ثمان وثلاثين^(١٠).
- ٣- ولد عليه السلام في النصف من جمادى الأولى في سنة ثمان وثلاثين^(١١). وقيل:

-
- ١- أصول الكافي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٥٣٩.
 - ٢- الإرشاد، الشيخ المفيد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ص ٢٤٣.
 - ٣- تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٦٣.
 - ٤- روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ص ٢٢٢.
 - ٥- إعلام الوري بأعلام الهدى، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٩٨٥ م، ص ٢٩٦.
 - ٦- تذكرة الخواص، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٤.
 - ٧- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٤٧٧، رقم الترجمة: ٦٠٤.
 - ٨- الفصول المهمة، دار الحديث للطباعة والنشر، قم إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، ج ٢، ص ٨٥٥.
 - ٩- الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٥٤. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٣٨. نور الأبصار: مؤمن الشبلنجي، ص ٣٢٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧، ح ١٨.
 - ١٠- روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص ٢٢٢. إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩.
 - ١١- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٤٦٢.

في سنة ست وثلاثين يوم فتح البصرة ونزول النصر على أمير المؤمنين ﷺ وغلبته على أصحاب الجمل^(١).

٤- ولد ﷺ في يوم الجمعة، ويقال: يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة في سنة ثمان وثلاثين^(٢).

٥- النص على سنة ولادته ﷺ في سنة ثمان وثلاثين من دون الإشارة إلى يوم ولادته كما فعل الكليني^(٣). إلى غير ذلك من الأقوال في تاريخ ولادته^(٤). والرأي الأول هو الأرجح، وهو ما عليه العمل في الاحتفالات البهيجة التي تقام في ذكرى مولده المبارك في كل مكان عند أتباع مدرسة أهل البيت. وقد اختلف المؤرخون في سنة ولادته أيضًا، فذهب معظم المؤرخين إلى أن ولادته كانت في سنة ثمان وثلاثين كما ذكرنا. وقيل: ولد في سنة سبع وثلاثين^(٥)، وقيل: في سنة ست وثلاثين من الهجرة^(٦). وقيل: غير ذلك^(٧)، لكن القول الأول هو الأشهر والأرجح.

أمه الطاهرة

أمُ الإمام ﷺ تُدعى «شهر بانو» وهي ابنة يزجرد ملك الفرس، وذكر ابن شهر آشوب أنها أم علي الأصغر أيضًا^(٨)، وقيل أيضًا: إنها أمُ لزينب وأمُ كلثوم اللتين ماتتا صغيرتين^(٩).

١- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي، ص ٩٢.

٢- إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩.

٣- أصول الكافي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٥٣٩.

٤- رجع كتاب: بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٢ - ١٥.

٥- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨.

٦- روضة الواعظين: ص ٢٢٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٤. أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٦٢.

٧- عمدة الطالب: ابن عنبه، ص ٢٥٠. النفحة العنبرية: ص ٤٦.

٨- المناقب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٥.

٩- موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ: ج ١، ١٩٨.

وقد أدرجت في المصادر أسماء أخرى غير شهر بانو من قبيل:

شهر بانوا^(١)، شهر بان^(٢)، شهر بانويه^(٣)، شاه زنان^(٤)، شه زنان^(٥)،
غزالة^(٦)، سلامة^(٧)، سلافة^(٨)، جهان بانويه^(٩)، جهان شاه^(١٠)، جيهان شاه^(١١)،

١- الإرشاد: ص ٢٤٣ وفيه «يقال». عمدة الطالب: ص ٢٤٩، وفيه «وقيل».

٢- مجموعة نفيسة: ص ١١٢ (تاج المواليد).

٣- كمال الدين: ص ٣٠٧، عيون المعجزات: ص ٧٣. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٩٧، دلائل الإمامة: ص ١٩٥، رجال ابن داود: ص ٢٠٢، مجموعة نفيسة: ص ٢٤ (تاريخ الأئمة)، إعلام الوري: ج ١ ص ٤٨٠، تاريخ قم: ص ٤٩٦، الشجرة المباركة: ص ٧٣، الفخري: ص ٢٣٢، لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٤٧ وفي الثلاثة الأخيرة «قيل».

٤- الإرشاد: ص ٢٤٣. تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٧٧. روضة الواعظين: ص ٢٢٢. إعلام الوري: ج ١ ص ٤٨٠، عمدة الطالب: ص ٢٤٨ وفيه «فالمشهور»، كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٨٦. تذكرة الخواص: ص ٣٢٤ وفيهما «قيل». النفحة العنبرية: ص ٤٦.

٥- مجموعة نفيسة: ص ٢٤ (تاريخ الأئمة) عن الفريابي، و ص ١٧٩ (تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم) وفيه «وسماها علي عليه السلام شه زنان»؛ مطالب السؤول: ص ٧٧ وفيه «قيل».

٦- الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢١١. صفة الصفوة: ج ٢ ص ٥٤. تذكرة الخواص: ص ٣٢٤. مطالب السؤول: ص ٧٧ وفيها «أم ولد»، واسمها غزالة، المعارف لابن قتيبة: ص ٢١٤، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٨٦ وفيهما «قيل»، سر السلسلة العلوية: ص ٣١؛ لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٤٧، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٤٧ و ص ٣٠٣ وفيهما «وكان الحسين سماها غزالة»، كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٣٨ وفيه «أم ولد واسمها غزالة».

٧- الكافي: ج ١ ص ٥٣٩. لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٤٨ عن إبراهيم الجندي. شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٦٦. سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٧٧ وفيه «أم ولد»، اسمها سلامة، بنت ملك الفرس يزدجرد». حياة الحيوان: ج ١ ص ١٢٧ نقلاً عن ابن خلكان، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٤١٧ وفيه «فتاة يقال لها سلامة». الأئمة الاثنا عشر لابن طولون: ص ٧٥ وفيه «سلمة» ويحتمل إنها نفس سلامة وكذلك في البداية والنهاية: ج ٩ ص ١٠٤ نقلاً عن ابن خلكان و تذكرة الخواص: ص ٣٢٤ وقيل: «أم سلمة».

٨- تاريخ الطبري: ج ١١ (المنتخب من ذيل المذيّل) ص ٥٢٠ وفيه «أم ولد»، قال علي بن محمد: كانت تُدعى سلافة»، وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٢٦٧. ربيع الأبرار: ج ١ ص ٤٠٢. الكامل للمبرّد: ج ٢ ص ٦٤٥ وفيهما «من ولد يزدجرد»، المعارف لابن قتيبة: ص ٢١٤. تذكرة الخواص: ص ٣٢٤ وفيه «قيل»؛ لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٤٧ عن العيني، و ص ٣٤٨ عن أبي عبيد.

٩- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦. بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٧١.

١٠- الكافي: ج ١ ص ٤٦٧. إثبات الوصية: ص ١٧٠. بصائر الدرجات: ص ٣٣٥.

١١- عيون المعجزات: ص ٦٧. شرح إحقاق الحق: ج ١٢، ص ٦.

حلو^(١)، خولة^(٢)، بَرَّة^(٣)، حرار^(٤)، سندية^(٥)، جيدة^(٦)، جيداء^(٧)، سارة^(٨)، فاطمة^(٩)، مريم^(١٠)، سيّدة النساء^(١١).

ويمكن ذكر عدّة وجوه في تبرير كثرة هذه الأسماء وتبيينها، وإليك بعضها:

١- إنّ بعض هذه الأسماء يرجع إلى اسم واحد، لكنّه يُلفظ بلهجات مختلفة.
٢- إنّ بعضها قد جرى عليه التصحيف أو التخفيف، مثل: شاه زنان وشه زنان، جهان شاه وجيهان شاه، شهر بان وشهر بانو، شهر بانوا وشهر بانويه، سلافة وسلامة، خلوة وخولة وحلوة.

٣- إنّ بعض هذه الأسماء سمّاها بها الإمام عليّ (ع)، أو الإمام الحسين (عليه السلام) بعد أسرها، وهو ما أشارت إليه بعض المصادر، ويمكن أيضاً أن يكون بعضها ألقاباً^(١٢).

وتزوجها الإمام الحسين (عليه السلام) بعد أن أُسرت بيد المسلمين بعد هزيمة الجيوش الفارسية، قال الشيخ المفيد: «وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَلَّى حُرَيْثَ

١- لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٤٨ عن عبدالله بن مصعب بن الزبير، مجموعة نفيسة: ص ٢٤ (تاريخ الأئمة) وفيه «خلوة، وكان يقال... ابنة النوشجان».

٢- مجموعة نفيسة: ص ١٧٩ (تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم).

٣- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

٤- تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٤٧ وص ٣٠٣.

٥- المعارف لابن قتيبة: ص ٢١٤؛ شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٦٦.

٦- شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٦٦.

٧- تاريخ الطبري: ج ١١ (المنتخب من ذيل المذيل) وفيه «يقال» ص ٥٢٠.

٨- الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٣٥.

٩- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

١٠- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

١١- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

١٢- موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) في الكتاب و السنة و التاريخ: محمد الري شهري، دار الحديث، قم، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٠.

بَنَ جَابِرُ الْحَنْفِيِّ جَانِبًا مِنَ الْمَشْرِقِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَنَتِي يَزْدَجَرْدَ بْنَ شَهْرِيَارَ بْنَ كِسْرَى فَنَحَلَ ابْنَهُ الْحُسَيْنَ عليه السلام شَاهَ زَنَانَ مِنْهُمَا فَأَوْلَدَهَا زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام وَنَحَلَ الْأُخْرَى مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَوْلَدَتْ لَهُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ^(١).

لقد كان ثمرة هذا الزواج الميمون للإمام الحسين عليه السلام من ابنة ملك العجم، والتي كانت تسمى سيدة النساء شروق شمس الإمام زين العابدين عليه السلام على هذه الدنيا.

كانت والدته الإمام زين العابدين عليه السلام «من خيرات النساء» كما جاء في رواية المبرد^(٢)، وقال عنها ابن شدقم: «كانت شاه زنان ذات فضل كثير»^(٣)، وقال عنها الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي: «جعل الله تبارك وتعالى الأئمة المهديين من نسل الحسين عليه السلام من بنت كسرى دون سائر زوجاته»^(٤).

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسين عليه السلام بها خيرًا، قائلاً: «احتفظ بها، وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك، وهي أم الأوصياء، الذرية الطيبة؛ فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام»^(٥).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول عنها: «إنها مرضية»^(٦)، وحسبها شرفاً وفضلاً وكرامة أن جعلها الله تعالى أمّاً زكية طاهرة للإمام زين العابدين عليه السلام، وجدة طيبة كريمة للأئمة الطاهرين الذين هم أئمة المسلمين وأعلام الدين وسادات المؤمنين.

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. عمدة الطالب: ص ٢٤٩.

٢ - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج ٣، ص ٢٠.

٣ - زهرة المقول: ص ١٦.

٤ - كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، دار إحياء تراث أهل البيت، طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ، ص ٤٥٤.

٥ - الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٥١. إثبات الوصية: ص ١٧٠ نحوه. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١١، ح ٢١.

٦ - عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب ص ٧٣.

حياته مع جده وعمه وأبيه

نشأ وتربى الإمام زين العابدين عليه السلام في بيت النبوة، ومهبط الوحي، وفي دار الإمامة والإيمان، والعلم والحكمة، فمنذ الأيام الأولى لحياته كان جده أمير المؤمنين عليه السلام يتعاهده بالرعاية والتربية والاهتمام، فهو الحفيد المبارك الذي عمّت الفرحة بمولده واستبشرت به العترة النبوية الطاهرة.

كما عاش الإمام زين العابدين عليه السلام في كنف عمه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الأول عقداً من الزمن أيام إمامته (٤٠-٥٠ هـ) فكان يغدق عليه من عطفه وحبه وحنانه، ويغرس في شخصيته المباركة قيم الدين وأخلاق الإسلام.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتمتع طوال الوقت برعاية خاصة من والده الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يرى في ولده الامتداد الذاتي له مادياً ومعنوياً؛ فأولاه برعايته الخاصة، وصاحبه في أكثر أوقاته، وعاش معه ثلاثاً وعشرين سنة^(١).

قال الشيخ المفيد: «بَقِيَ مَعَ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَتَيْنِ، وَمَعَ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَعَ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَبَعْدَ أَبِيهِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(٢).

وذكر ابن شهر آشوب ما نصه: «بَقِيَ مَعَ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَمَعَ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَعَ أَبِيهِ عَشْرَ سِنِينَ، وَيُقَالُ: مَعَ جَدِّهِ سَتَيْنِ، وَمَعَ عَمِّهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَعَ أَبِيهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَقَامَ بَعْدَ أَبِيهِ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(٣).

١- روضة الواعظين: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ص ٢٢٢. الإرشاد: الشيخ المفيد،

ص ٢٤٣. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٥.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣.

٣- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩.

وقريب منه ما قاله الشيخ الإربلي بما نصه: «فَبَقِيَ مَعَ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَتَيْنِ، وَمَعَ عَمِّهِ الْحَسَنِ عليه السلام اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَعَ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَبَعْدَ أَبِيهِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(١).

كنيته

كانت كنيته عليه السلام: أبو محمد^(٢)، وقيل: أبو الحسن^(٣)، وقيل: أبو الحسين^(٤)، وقيل: أبو بكر^(٥)، وقيل: أبو عبد الله^(٦). والأول أشهر كناه.

ألقابه

اشتهر الإمام زين العابدين عليه السلام بألقاب متعددة، وكان من أبرزها:

١- زين العابدين: وقد لقب بذلك لكثرة عبادته، حتى صار اللقب اسماً يُعرف به، ولا ينصرف إلى غيره عند الإطلاق. وقد ورد أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أطلق هذا اللقب عليه، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ؟ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَلَدِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَخْطُو بَيْنَ

١- كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٦.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٢. عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب، ص ٧٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ٦٣. إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦.

٣- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩. الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٥. تذكرة الخواص: ص ٢٧٣. إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦. أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٦٢.

٤- صفة الصفوة: ابن الجوزي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ١، ص ٣٢٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٤٧٧، رقم الترجمة: ٦٠٤.

٥- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩. نور الأبصار: ص ٣٢٦. الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٥. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٣٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٤. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٤٦٢.

٦- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٤٧٧، رقم الترجمة: ٦٠٤.

الصُّفوف»^(١). وهذا من علامات نبوته، فقد ذكر حفيده وسأه باسمه، ولقبه بزين العابدين قبل ولادته بعدة سنين، فتأمل.

وكان الزهري إذا حدّث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيّب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يُنادي مُنادٍ: أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظرُ إلى ولدي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ يُحطّرُ بين الصُّفوف»^(٢).

٢- السَّجَاد: ولقب بذلك لكثرة سجوده، وإطالته في السجود، وأوضح ولده الإمام الباقر ﷺ العلة التي من أجلها لُقّب الإمام بـ «السَّجَاد»، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ أبي عليّ بن الحسين ﷺ ما ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا سُجُودٌ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سُوءًا يَحْشَاهُ أَوْ كَيْدَ كَايِدٍ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا وُفَّقَ لِإِصْلَاحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا سَجَدَ، وَكَانَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِ سُجُودِهِ فَسُمِّيَ السَّجَادَ لَذَلِكَ»^(٣).

٣- ذو الثَّفَنَات: ولُقّب بذلك لما كان في وجهه من أثر السجود^(٤)، وأشار إلى ذلك ولده الإمام محمد الباقر (ت ١١٤ هـ) بقوله: «كَانَ لِأَبِي ﷺ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ آثَارٌ نَاتِيَةٌ، وَكَانَ يَقْطَعُهَا فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ خَمْسَ ثَفَنَاتٍ، فَسُمِّيَ ذَا الثَّفَنَاتِ لَذَلِكَ»^(٥).

١- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٣٠ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٤١٠ ح ٥٣٢ عن عبدالله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفِيهِ «يَخْطُرُ» بدل «يَخْطُو»، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٧، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٣ ح ٣.

٢- علل الشرائع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ج ١، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٣، ح ١.

٣- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٢٧، ح ١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢١، ح ٨٥٩٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٦، ح ١٠.

٤- تاريخ يعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ٢، ح ٢، ص ٢١٢. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٥، ح ٦.

٥- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٨، ح ١.

٤ - سيد العابدين: لقب بهذا اللقب^(١) لكثرة عبادته، فلم يكن أحد أعبد منه في زمانه، إذ كان كثير العبادة، وكان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة^(٢).

٥ - الزكي: لقب بالزكي^(٣) لأن الله تعالى طهره وزكاه من كل دنس أو رجس، كما طهر وزكى آباءه الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٦ - الأمين: من الألقاب التي عرف بها عليه السلام الأمين^(٤)، وذلك لشدة أمانته، فقد كان معروفاً بالأمانة كجده رسول الله ﷺ الذي عرف بالصادق الأمين حتى قبل البعثة.

٧ - ابن الخيرتين: اشتهر بهذا اللقب بين المؤرخين والمحدثين؛ لأنه ينتمي لبني هاشم من قبل الأب وهم خير العرب، وأمه من فارس وهم خير العجم، وكانت من بنات ملك الفرس كسرى، وكان الإمام عليه السلام يعتز بهذا اللقب، لما ورد في ربيع الأبرار عن الزمخشري: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لله من عباده خيرتان: فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس، وكان يقول علي بن الحسين: أنا ابن الخيرتين؛ لأن جدّه رسول الله ﷺ وأمه بنت يزددجرد الملك»^(٥).

وله ألقاب أخرى، وقد عدّها ابن شهر آشوب بما نصه: «لقبه: زين العابدين، وسيد العابدين، وزين الصالحين، ووارث علم النبيين، ووصي الوصيين، وخازن وصايا المرسلين، وإمام المؤمنين، ومنار القانتين والخاصين، والمتهجّد، والزاهد، والعابد، والعدل، والبكاء، والسجاد، وذو الثفّات، إمام الأمة، وأبو الأمة»^(٦).

- ١ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ٤، ص ١٨٨.
- ٢ - إثبات الوصية: المسعودي، ص ١٧٠. إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٣٠٠. الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٤، ح ٦٢. مناقب أهل البيت: المولى حيدر علي الشرواني، ص ٢٥٦.
- ٣ - الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٥ - ٨٥٦. تذكرة الخواص: ص ٢٧٣.
- ٤ - الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٥ - ٨٥٦. تذكرة الخواص: ص ٢٧٣.
- ٥ - ربيع الأبرار: الزمخشري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج ١، ص ٣٣٤. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٧. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٤، ح ٤.
- ٦ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ٤، ص ١٨٨.

وقال ابن الصباغ المالكي: «وأمَّا لقبه عليه السلام فله ألقاب كثيرة كلها تطلق عليه أشهرها: زين العابدين عليه السلام، وسيّد الساجدين عليه السلام، والزكي، والأمين، وذو الثنات»^(١).

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه عليه السلام: «وما توفيقى إلّا بالله»^(٢).
وفي قرب الأسناد: ورد أن نقش خاتمه بلفظ: «العزّة لله»^(٣).
وفي الكافي: أن نقش خاتمه هو «الحمد لله العليّ العظيم»^(٤).
وورد في كتاب عيون أخبار الرضا^(٥)، والأُمالي للصدوق^(٦)، والبحار^(٧): أن
نقش خاتمه كان بلفظ: «إنّ الله بالغ أمره».
والأرجح أن الإمام عليه السلام كانت له عدة خواتيم، ولكل خاتم نقشه الخاص به.

زوجاته

تزوج الإمام زين العابدين عليه السلام بعدة زوجات، وكانت أشهرهم ابنة عمه
السيدة الزكية الجليّة الطاهرة فاطمة بنت الحُسن بن عليّ بن أبي طالب
(عليهم السّلام)^(٨). وكانت تكنى أم عبد الله^(٩)، وقيل: أم الحسن^(١٠).

١- الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٥٥ - ٨٥٦.

٢- الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٥٧.

٣- قرب الأسناد: ص ٣١. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧، ح ١٥.

٤- الكافي: ج ٦، ص ٤٧٣، ح ٢.

٥- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥٦، ح ٢٠٦.

٦- الأُمالي للصدوق: ص ٣٧١، ح ٥.

٧- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٦، ح ١٤.

٨- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٢٢٧. إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ص ٣٠٥.
كشف الغمة: الإريلي، ج ٢، ص ٢٧٤. عمدة الطالب: ابن عنبه، ص ٢٥١. النفحة العنبرية في أنساب
خير البرية: السيد محمد كاظم اليفاني، ص ٥٠.

٩- إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ص ٣٠٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢١٥، ح ١٣.
تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٨٣. المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٢٢٧. سير أعلام
النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٤٨٦.

١٠- كشف الغمة: الإريلي، ج ٢، ص ٢٧٤. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٤٩٣.

وكانت جليلة القدر، عظيمة الشأن، من خيار سيدات بني هاشم، وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يسميها الصديقة^(١)، وكذلك قال عنها حفيدها الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث روي عنه قوله: «كَانَتْ صَدِيقَةً، لَمْ تُدْرِكْ فِي آلِ الْحَسَنِ امْرَأَةً مِثْلَهَا»^(٢). وحسبها فخراً وشرفاً وُسْموها أنها بضعة من سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وأن أباه إمام، وزوجها إمام، وعمها إمام، وولدها إمام، وقد تربى ابنها الإمام الباقر عليه السلام في حجرها الطاهر، فغذته بالقيم والمثل والآداب الإسلامية حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصيته الطاهرة. كما تزوج الإمام زين العابدين عليه السلام بعد ذلك بعدد من أمهات الأولاد (أي الإماء^(٣))، وقد أنجب منهن عدداً من الأولاد الذكور والإناث.

أولاده

كان للإمام زين العابدين عليه السلام خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى - بحسب ما رواه الشيخ المفيد^(٤) - وهم:

- ١ - أبرزهم وأشهرهم: الإمام محمد الباقر عليه السلام خليفة أبيه ووارثه ووصيه، وأمه فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكان به يكنى.
- ٢ - عبد الله^(٥): والملقب بالباهر، كان فاضلاً فقيهاً، وكان يلي صدقات رسول الله ﷺ وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام^(٦)، وروى عن آبائه عن رسول الله ﷺ أخباراً كثيرة، وحديث الناس عنه، وحملوا عنه الآثار^(٧).

٣- الحسن.

- ١ - إثبات الوصية: المسعودي، ص ١٧٦.
- ٢ - الكافي: الشيخ الكليني، ج ١، ص ٥٤١ - ٥٤٢، ح ١.
- ٣ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥١.
- ٤ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥١.
- ٥ - ذكر ابن شهر آشوب في مناقبه: ج ٤، ص ١٨٩، أن أم عبد الله الباهر هي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.
- ٦ - كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٨٤. إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ص ٣٠٤.
- ٧ - كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٨٤.

٤- الحسين. وأمه محررة. وكان الحسين بن علي بن الحسين فاضلاً ورعاً، وروى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، وعمته فاطمة بنت الحسين، وأخيه أبي جعفر عليه السلام ^(١).

٥- أبو الحسين: زيد الشهيد. وكان عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، فظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام ^(٢).

٦- عمر. وأمه محررة. وكان فاضلاً ورعاً، وروى أخباراً كثيرة عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، وعن أخيه أبي جعفر، وعن عمته فاطمة بنت الحسين عليها السلام ^(٣). وقال عنه المفيد: «وكان عمر بن علي بن الحسين فاضلاً جليلاً، ووليّ صدقات النبي صلى الله عليه وآله، وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ورعاً سخيّاً» ^(٤).

٧- الحسين الأصغر.

٨- عبدالرحمن.

٩- سليمان. وأمه محررة. توفي صغيراً.

١٠- علي، وكان أصغر ولد علي بن الحسين عليهما السلام.

١١- خديجة، وأمه محررة.

١٢- محمد الأصغر، وأمه محررة.

١٣- فاطمة.

١٤- عليّة.

١٥- أم كلثوم، وأمه محررة.

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه: «بُنُوهُ أَثْنَا عَشَرَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ إِلَّا اثْنَيْنِ: مُحَمَّدَ الْبَاقِرِ وَعَبْدَ اللَّهِ الْبَاهِرَ، أُمُّهُمَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ،

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٦٠. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٨٦.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٨ - ٢٥٩. إعلام الوري: ص ٣٠٣. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٨٤.

٣- إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ص ٣٠٤.

٤- الإرشاد: ص ٢٥٨. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٨٤.

وَأَبُو الْحُسَيْنِ زَيْدُ الشَّهِيدِ بِالْكُوفَةِ وَعُمَرُ تَوَّامٌ، وَالْحُسَيْنُ الْأَصْغَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَلْيَمَانُ تَوَّامٌ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبِيدُ اللَّهِ تَوَّامٌ، وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ فَرْدٌ، وَعَلِيٌّ وَهُوَ أَصْغَرُ وَلَدِهِ وَخَدِيجَةُ فَرْدٌ، وَيُقَالُ: لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنْتُ، وَيُقَالُ: لَهُ وَلَدٌ: فَاطِمَةُ وَعُلَيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ^(١).

وقال الإربلي: «كَانَ لَهُ تِسْعَةُ أَوْلَادٍ ذُكُورٍ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ أُنْثَى، وَأَسْمَاءُ أَوْلَادِهِ: مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ، وَزَيْدُ الشَّهِيدِ بِالْكُوفَةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعَبِيدُ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ»^(٢).

وقد أَعْقَبَ مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْبَاهِرُ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْحُسَيْنُ الْأَصْغَرُ^(٣).
وقيل: غير ذلك، مع الاختلاف في عددهم وأسمائهم^(٤).

ومهما يكن عدد أولاده، فإن الشيء المؤكد أن ذرية السادة الحسينيين تكاثرت من ذريته الطاهرة، فأصبح عددهم بالملايين، وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن شهر آشوب بقوله: «ووجدنا ولد علي بن الحسين اليوم على حداثة عصره، وقرب ميلاده أكثر عددًا من قبائل الجاهلية وعمائر القديمة حتى طبقوا الأرض، وملؤوا البلاد، وبلغوا الأطراف»^(٥).

وقال القندوزي الحنفي ما نصه: «إن الله (تبارك وتعالى) خلق من صلب الإمام زين العابدين (رضي الله عنه) من شاء من أهل بيت النبوة، وبسطهم شرقًا وغربًا، ولم يبق من يزيد وأهل بيته ديار، بل نافخ نار»^(٦).

١- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩.

٢- كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٥.

٣- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٩. عمدة الطالب: ابن عنبه، ص ٢٥٠.

٤- راجع: النفحة العنبرية في أنساب خير البرية: ص ٤٧.

٥- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٤٤.

٦- ينابيع المودة: القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٤٣٩.

شاعره

قال ابن الصباغ المالكي وغيره: إن «شاعره الفرزدق»^(١) وكثير عزة^(٢)»^(٣).

بوابه

كان بابه عليه السلام أبو جيله^(٤). وقيل: بابه أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم طويل المطعمي، قتله الحجاج بواسط، ودفن بها^(٥).

مدة إمامته

تولى الإمام زين العابدين عليه السلام مقاليد الإمامة بعد استشهاد والده سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام سنة (٦١ هـ) ونهض بتكاليدها ومسؤولياتها، وعمل بصبر وثبات على نشر مبادئ الإسلام وقيمته الخالدة. وكانت مدة إمامته أربعاً وثلاثين سنة^(٦).

وعاد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة المنورة - بعد واقعة الطف الذي كان حاضراً فيها وشهد تفاصيلها - واستقر فيها، وكانت المدينة حاضرة الإسلام الأولى، ومهد العلوم، ومأوى العلماء، وكان يعيش فيها ثلثة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين.

١- هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمي التميمي، ولد في البصرة نحو سنة (٦٤١ م) وتوفي سنة (٧٣٢ م) وهو من شعراء العهد الأموي، اشتهر شعره بالمدح والهجاء، وله نفس شعري قوي، ولغة وافرة الألفاظ والتعابير، وقد هجا جريراً منذ سنة (٦٨٢) إلى آخر حياته. انظر هامش الفصول المهمة رقم ٦، ج ٢، ص ٨٥٦.

٢- هو شاعر أموي أقام في المدينة، تغزل بعزة بنت حميد بن وقاص المتوفاة سنة (٧٠٤ م) فسمي بها، توفي سنة (٧٢٣ م). انظر هامش الفصول المهمة رقم ٧، ج ٢، ص ٨٥٦.

٣- الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٦. أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٦٢.

٤- الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٧.

٥- تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ص ١٤٨. أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٦٢.

٦- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٨٩. روضة الواعظين: ص ٢٢٢. إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٢٩٦.

وقد أصبح الإمام زين العابدين عليه السلام مطمح الأنظار، ومهوى الأفئدة، وحديث الألسن، وملء المسامع والعيون؛ لما عرف عنه من قوة إيمانه، وشدة عباداته، وكثرة سجوده، وسعة علمه ومعرفته، وعظمة أخلاقه وآدابه، وتعدد مناقبه وفضائله، ولأنه البقية الباقية من سلالة عترة أهل البيت الأطهار بعدما استشهدوا في واقعة كربلاء الأليمة.

وفاته

وبعد حياة حافلة بالعبادة والدعاء، ومليئة بالعلم والعمل، ومزدحمة بالآمال والآلام، قُبِضَ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالمدينة المنورة في سنة خمس وتسعين للهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة على أرجح الأقوال، كما ذهب إلى ذلك معظم المؤرخين^(١)، وقيل: تُوفي في سنة أربع وتسعين للهجرة^(٢)، وقيل: غير ذلك^(٣). وكانت وفاته في شهر محرم الحرام في الثاني عشر^(٤)، أو الثامن عشر^(٥)، أو الخامس والعشرين منه^(٦)، والقول الأخير هو المعمول به في ذكرى وفاته.

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. أصول الكافي: ج ١، ص ٥٣٩. مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٨٩. روضة الواعظين، ص ٢٢٢. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٦٣.. إعلام الوري: الشيخ الطبرسي، ص ٢٩٦. مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٣.

٢- كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٥. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٨٠. سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ج ٣، ص ٤٨٤. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٦، ص ٤٧٤. مناقب أهل البيت: المولى حيدر علي الشرواني، ص ٢٥٥. الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥م، ج ٤، ص ٢٧٧.

٣- تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٠١٢. البداية والنهاية: ابن كثير، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج ٦، ص ٤٧٤. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٤، رقم الترجمة: ٦٠٤. مناقب أهل البيت: المولى حيدر علي الشرواني، ص ٢٥٥.

٤- مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٨٩. إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ص ٢٩٦.

٥- كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٥.

٦- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار المعارف للطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٤٦٢.

وأما ما قيل بأن وفاته كانت في رابع عشر من ربيع الأول^(١) فهو قول شاذ.

قبره الشريف

وبعد تجهيز الإمام زين العابدين عليه السلام تمت مواراة جسده الشريف الثرى في مقبرة البقيع الزاهر إلى جوار عمه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام^(٢)، وقبره معروف، ويزوره المؤمنون عند زيارتهم للمدينة المنورة، وقد تشرفتُ بزيارته مرات عديدة، نسأل الله لنا ولكم القبول والتوفيق.

١ - سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٤، رقم الترجمة: ٦٠٤.

٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٨٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص

٦٣. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٨٠.

الفصل الثاني

الأدلة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام

أولاً- الأئمة اثنا عشر إماماً.

ثانياً- النصوص الخاصة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام.

ثالثاً- صفات الإمام مفترض الطاعة.



أولاً - الأئمة اثنا عشر إماماً

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار، وقد تسلم مقاليد الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء سنة ٦١ هـ، واستمر حاملاً راية الإسلام ومتحملاً أعباء الإمامة حتى قبض عليه السلام سنة ٩٥ هـ.

وذكر الشيخ المفيد عدة دلائل تدل على ثبوت إمامته، فقد قال ما نصه:
وَتَبَيَّنَتْ لَهُ الْإِمَامَةُ مِنْ وَجْهِهِ: أَحَدُهَا أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَبِيهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَالْإِمَامَةُ لِلْأَفْضَلِ دُونَ الْمَفْضُولِ بِدَلَالِ الْعُقُولِ.
وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَى بَابِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَأَحَقَّهُمْ بِمَقَامِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَضْلِ وَالنَّسَبِ، وَالْأَوَّلَى بِالْإِمَامِ الْمَاضِي أَحَقُّ بِمَقَامِهِ مِنْ غَيْرِهِ بِدَلَالَةِ آيَةِ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَقِصَّةِ زَكْرِيَّا عليه السلام.

وَمِنْهَا: وَجُوبُ الْإِمَامَةِ عَقْلًا فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَفَسَادُ دَعْوَى كُلِّ مُدَّعٍ لِلْإِمَامَةِ فِي أَيَّامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَوْ مُدَّعَى لَهُ سِوَاهُ، فَتَبَيَّنَتْ فِيهِ لِاسْتِحَالَةِ خُلُوفِ الزَّمَانِ مِنْ إِمَامٍ.

وَمِنْهَا: ثُبُوتُ الْإِمَامَةِ أَيْضًا فِي الْعِتْرَةِ خَاصَّةً بِالنَّظَرِ وَالْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَفَسَادُ قَوْلِ مَنْ ادَّعَاهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِتَعْرِيبِهِ مِنَ النَّصِّ عَلَيْهِ بِهَا، فَتَبَيَّنَتْ أَنَّهَا فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام؛ إِذْ لَا مُدَّعَى لَهُ الْإِمَامَةُ مِنَ الْعِتْرَةِ سِوَى مُحَمَّدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَخُرُوجُهُ عَنْهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ.

وَمِنْهَا: نَصُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْإِمَامَةِ عَلَيْهِ فِيمَا رُويَ مِنْ حَدِيثِ اللَّوْحِ الَّذِي رَوَاهُ جَابِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ^(١) وَنَصُّ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي حَيَاةِ أَبِيهِ

١ - للاطلاع على حديث اللوح انظر: إثبات الوصية: ١٤٣، ٢٢٧، ٢٣٠، الكافي: ١ / ٤٤٢ / ٣، إكمال الدين: ١ / ٣١١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٤٠ / ١، غيبة النعماني: ٦٢، أمالي الطوسي: ١ / ٢٩٧، غيبة الطوسي: ١٤٣ / ١٠٨، ألقاب الرسول وعترته صلى الله عليه وآله: ١٧٠، فرائد السمطين: ٢ / ١٣٦ - ٤٣٢ - ٤٣٥، المصنّف في الاختصاص: ٢١٠، ونقله العلامة المجلسي في البحار: ٣٦ / ١٩٢ / ٢٠٣.

الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ^(١)، وَوَصِيَّةُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ، وَإِدَاعُهُ أُمَّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مَا قَبَضَهُ عَلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ كَانَ جَعَلَ التَّيَّاسَةَ مِنْ أُمَّ سَلَمَةَ عَلَامةً عَلَى إِمَامَةِ الطَّالِبِ لَهُ مِنَ الْأَنَامِ^(٢)، وَهَذَا بَابٌ يَعْرِفُهُ مَنْ تَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ وَلَمْ نَقْصِدْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الْقَوْلِ فِي مَعْنَاهُ فَتَسْتَفْصِيهِ عَلَى التَّمَامِ^(٣).

ولتفصيل ما تقدم من دلائل وأدلة، نشير إلى أنه يستدل على ثبوت إمامته، والبرهنة عليها بعدة وجوه أحدها: أن الأئمة اثنا عشر إمامًا، كلهم من قريش.

وقد نَصَّ رسول الله ﷺ على الأئمة المعصومين تارة بأسمائهم ابتداءً بأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام وانتهاءً بالمهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وتارة ثانية بأسمائهم واحدًا بعد الآخر، وتارة ثالثة بصورة إجمالية، وأنهم اثنا عشر إمامًا، كلهم من قريش.

وقد استفاضت كتب الحديث بذلك، فمن الأحاديث التي تشير إلى أنهم من أهل البيت وأن أولهم علي وآخرهم القائم ما أخرجه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْأَئِمَّةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُمْ خُلَفَائِي وَأَوْصِيَائِي وَأَوْلِيَائِي، وَحُجَجُ اللَّهِ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي، الْمُقَرَّرُ بِهِمْ مُؤْمِنٌ، وَالْمُنْكَرُ لَهُمْ كَافِرٌ»^(٤).

وروى الصدوق أيضًا بإسناده عن الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَخْبِرْنِي بِعَدَدِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَكَ؟

١- من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٣٩ / ٤٨٤.

٢- الكافي: ١/ ٢٤٢ / ٣، غيبة الطوسي: ١٩٥ / ١٥٩.

٣- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

٤- كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طبع عام ١٤٠٥ هـ، ص ٢٥٩، رقم ٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٨٠ ح ٥٤٠٦. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٤٥ ح ٥٧.

فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، هُمْ اثْنَا عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ أَنْتَ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ»^(١).

وروى الشيخ الطوسي في الغيبة بسنده: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَلِيُّ، الْأَثَمَةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ - الْمَغْصُوبُونَ حَقُّوْقَهُمْ - مِنْ وَلَدِكَ أَحَدُ عَشَرَ إِمَامًا وَأَنْتَ، وَالْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ»^(٢).

وروى الخزاز القمي في كفاية الأثر بإسناده عن الحسين بن علي عن أخيه الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْأَثَمَةُ بَعْدِي عَدَدُ نُقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَوَارِي»^(٣) عَيْسَى، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَهُوَ مُنَافِقٌ، هُمْ حُجَجُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَعْلَامُهُ فِي بَرِّيَّتِهِ»^(٤).

وروى الشيخ الطوسي في الاستبصار بسنده عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام زين العابدين عن الإمام الحسين عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنِّي وَاثْنِي عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَوْتَاذُ الْأَرْضِ الَّتِي أَمْسَكَهَا اللَّهُ بِهَا أَنْ تَسِيخَ»^(٥) بِأَهْلِهَا، فَلِذَا ذَهَبَتْ الْإِثْنَا عَشَرَ مِنْ أَهْلِ سَاخَتِ الْأَرْضِ بِأَهْلِهَا»^(٦).

وروى الصدوق بإسناده عن عبدالله بن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَنَا سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ، وَإِنَّ أَوْصِيَائِي بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ عليه السلام»^(٧).

١- الأُمالي للصدوق: ص ٧٢٨ ح ٩٩٨ عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٣٢ ح ١٥.

٢- الغيبة للطوسي: ص ١٣٥ ح ١٩ عن عبد خير، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٥٩ ح ٧٩، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥٤٧ ح ٣٧١ نحوه.

٣- الحواريون: أصحاب المسيح عليه السلام، أي خلصانه وأنصاره (النهاية: ج ١ ص ٤٥٨ «حور»).

٤- كفاية الأثر: ص ١٦٦ عن إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٠ ح ٢٠٣.

٥- ساخت في الأرض: دخلت فيها وغابت (الصحاح: ج ١ ص ٤٢٤ «سوخ»).

٦- الاستنصار: ص ٨.

٧- كمال الدين: ص ٢٨٠ ح ٢٩. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٦٦، ح ٣١. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٤٣ ح ٥١.

وفي الأمالي للصدوق بإسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام): قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَدَدِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَكَ؟

فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، هُمْ اثْنَا عَشَرَ، أَوْ هُمْ أَنْتَ، وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ»^(١).

وفي كمال الدين، عن ثابت بن دينار، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن سيّد الشهداء الحسين بن عليّ، عن سيّد الأوصياء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَئِمَّةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، أَوْ هُمْ أَنْتَ يَا عَلِيُّ، وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ الَّذِي يَفْتَحُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدَيْهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا»^(٢).

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين بإسناده عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجَلَسَنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَأَجَلَسَ أَخِي الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ قَبَّلَنَا وَقَالَ: «بِأَيِّ أَتَمَّا مِنْ إِمَامَيْنِ صَالِحَيْنِ اخْتَارَكُمَا اللَّهُ مِنِّي وَمِنْ أَيْكُمَا وَأَمْكُمَا، وَاخْتَارَ مِنْ صُلْبِكَ - يَا حُسَيْنُ - تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ تَأْسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ، وَكُلُّكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزَلَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءٌ»^(٣).

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين بإسناده عن الحسين بن عليّ عليه السلام: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي»، مَنْ الْعِترَةُ؟

١ - الأمالي للصدوق: ص ٧٢٨ ح ٩٩٨. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٣٢ ح ١٥.

٢ - كمال الدين: ص ٢٨٢ ح ٣٥، عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ٦٥ ح ٣٤، الأمالي للصدوق: ص ١٧٣ ح ١٧٥ كلّها عن ثابت بن دينار عن الإمام زين العابدين عن أبيه عن جدّه عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٢٦ ح ١، إثبات الهداة: ج ١ ص ٤٧٩.

٣ - كمال الدين: ص ٢٦٩ ح ١٢، دلائل الإمامة: ص ٤٤٧ ح ٤٢٣ وفيه «يا ابني، أنعم بكم» بدل «بأي أتتم»، كشف الغمّة: ج ٣ ص ٣٠١، إعلام الوري: ج ٢ ص ١٩١ كلّها عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عن أبيه عليهما السلام، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٩، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٥٥ ح ٧٢.

فَقَالَ: «أَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ التَّسْعَةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ، تَسِيعُهُمْ مَهْدُهُمْ وَقَائِمُهُمْ، لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْضَهُ»^(١).

وروى الشيخ الصدوق في أماليه بإسناده: عن أبي حمزة، عن الإمام زين العابدين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي ﷺ في حديث: قَالَ ﷺ: «أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَتِسْعَةُ مَنْ وَلَدَ الْحُسَيْنِ حُجِّجُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ أَعْدَاؤُنَا أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَأَوْلِيَاؤُنَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ»^(٢).

وورد في طائفة ثانية من النصوص ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد بالترتيب، ومنها:

ما جاء في كفاية الأثر للخزاز القمي عن إسماعيل بن عبد الله عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾^(٣) سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا عَنَى غَيْرَكُمْ، وَأَنْتُمْ أُولُو الْأَرْحَامِ، فَإِذَا مِتُّ فَأَبُوكَ عَلِيٌّ أَوْلَى بِي وَبِمَكَانِي، فَإِذَا مَضَى أَبُوكَ فَأَخُوكَ الْحَسَنُ أَوْلَى بِهِ، فَإِذَا مَضَى الْحَسَنُ فَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَنْ بَعْدِي أَوْلَى بِي؟

فَقَالَ: «ابْنُكَ عَلِيٌّ أَوْلَى بِكَ مِنْ بَعْدِكَ، فَإِذَا مَضَى فَابْنُهُ مُحَمَّدٌ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى فَابْنُهُ جَعْفَرٌ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِمَكَانِهِ، فَإِذَا مَضَى جَعْفَرٌ فَابْنُهُ مُوسَى أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى مُوسَى فَابْنُهُ عَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ مُحَمَّدٌ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى

١ - كمال الدين: ص ٢٤٠ ح ٦٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٥٧ ح ٢٥، قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٦٠ ح ٤٣٥، إعلام الوری: ج ٢ ص ١٨٠ كلها عن غياث بن إبراهيم عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام)، كشف الغمة: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٧٣ ح ٢.

٢ - الأمالي للصدوق: ص ١٩٤ ح ٢٠٥، بشارة المصطفى: ص ٢٤، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٦ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٢٧ ح ٥، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥٢٧.

٣ - الأنفال: ٧٥.

مُحَمَّدٌ فَابْنُهُ عَلِيٌّ أَوَّلِي بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ الْحَسَنُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِذَا مَضَى الْحَسَنُ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ فِي التَّاسِعِ مِنْ وَلَدِكَ، فَهَذِهِ الْأَئِمَّةُ التَّسْعَةُ مِنْ صُلْبِكَ، أَعْطَاهُمْ عِلْمِي وَفَهْمِي، طَيَّبْتُهُمْ مِنْ طَيِّبِي. مَا لِقَوْمٍ يُؤْذُونِي فِيهِمْ؟ لَا أَنَاهُكُمْ اللَّهُ شَفَاعَتِي! ^(١).

وعن طاووس اليماني، عن عبدالله بن عباس، عن النبي ﷺ في حديث أنه قال في حقِّ الحسين عليه السلام والأئمة من ولده:

فقلت: يا رسول الله، فكم الأئمة بعدك؟

قال: «بعددِ حواري عيسى وأسباطِ موسى ونقباءِ بني إسرائيل».

قلت: يا رسول الله، فكم كانوا؟

قال: «كانوا اثنا عشر، والأئمة بعددي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة».

قال ابن عباس، فقلت: يا رسول الله، أسامي لم أسمع بهنَّ قطُّ.

قال لي: «يا ابنَ عباس، هم الأئمة بعددي وإنْ نُهروا ^(٢)، أمناء معصومون نجباء أخيار...» ^(٣).

وورد في كتاب كفاية الأثر عن يحيى بن يعمر: كُنْتُ عِنْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مُتَلَثِّمًا أَسْمَرُ شَدِيدُ السُّمَرَةِ، فَسَلَّمَ وَرَدَّ الْحُسَيْنُ عليه السلام، فَقَالَ: ... أَخْبِرْنِي عَنْ عَدَدِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

١ - كفاية الأثر: ص ١٧٥، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٥٥، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٤ ح ٢٠٩.

٢ - وفي هامش المصدر: «قهروا».

٣ - كفاية الأثر: ص ١٧، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٨٦ ح ١٠٧، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥٧٢.

قال: اثنا عشر؛ عددُ نُقباءِ بني إسرائيل.

قال: فسَمِّهم لي.

قال: فَاطَرَقَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: نَعَمْ أَخْبِرْكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ، إِنَّ الْإِمَامَ وَالْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَسَنُ وَأَنَا وَتِسْعَةٌ مِنْ وَلَدِي، مِنْهُمْ عَلِيُّ ابْنِي، وَبَعْدَهُ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ جَعْفَرُ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ مُوسَى ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ عَلِيُّ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ عَلِيُّ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ الْحَسَنُ ابْنُهُ، وَبَعْدَهُ الْخَلَفُ الْمَهْدِيُّ هُوَ التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِي، يَقُومُ بِالدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ^(١).

وفي كفاية الأثر، عن عطا، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلِّي: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أنت -يا علي- أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعدك الحسنُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده الحسينُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده محمدٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده جعفرٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده محمدٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم بعده الحسنُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والحجةُ بنُ الحسنِ؛ أئمةُ أبرارٍ، هم مع الحقِّ والحقُّ معهم»^(٢).

ونقل الحر العاملي في إثبات الهداة بسند صحيح: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: دخلتُ على مولاي علي بن الحسين عليه السلام وفي يده صحيفةٌ كان ينظر إليها ويبكي بكاءً شديداً، فقلتُ: ما هذه الصحيفة؟

قال: «هذه نسخةُ اللوح الذي أهداه الله تعالى إلى رسولِ الله ﷺ فيه اسمُ الله تعالى، ورسولِ الله، وأميرِ المؤمنين عليٍّ، وعمِّي الحسنِ، وأبي، واسمي،

١ - كفاية الأثر: ص ٢٣٢، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٨٤ ح ٥.

٢ - كفاية الأثر: ص ١٧٧، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥٩٤.

واسم ابني محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه عليّ الرضا، وابنه محمد التقي، وابنه عليّ النقي، وابنه الحسن العسكري، وابنه الحجة القائم بأمر الله المنتقم من أعداء الله الذي يغيب غيبة طويلة، ثم يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال لي: «يا كابلي، إن أولى الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة الناس، وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن ثم الحسين ابنا عليّ بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا»، ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي، روي عن أمير المؤمنين [علي] عليه السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة الله - جلّ وعزّ - على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمد، واسمه في التوراة باقر، يقر العلم بقرًا، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق...»^(٢).

وروى الحر العاملي في إثبات الهداة بسند صحيح عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا عليّ، أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أنت - يا عليّ - أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عليّ بن الحسين، ثم محمد بن عليّ، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم عليّ بن موسى، ثم

١ - إثبات الهداة: ج ١ ص ٦٥١ نقلاً عن إثبات الرجعة لفضل بن شاذان. والرواية صحيحة السند.

٢ - كمال الدين: ص ٣١٩ ح ٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٨٦ ح ١، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥١٥.

محمَّد بن عليٍّ، ثمَّ عليُّ بن محمَّد، ثمَّ الحسنُ بن عليٍّ، ثمَّ الحجَّةُ بن الحسنِ الذي تنتهي إليه الخلافةُ والوصايةُ، ويغيبُ مدَّةً طويلةً، ثمَّ يظهر ويملاً الأرضَ عدلاً وقسطاً كما مُلِّتَ جوراً وظلماً»^(١).

وفي طائفةٍ ثالثةٍ من النصوص جاء النصُّ على أن الأئمةَ بعد رسول الله ﷺ اثنا عشر إماماً، أو أميراً، أو خليفة بصورة مجملة من دون ذكر أسماء محدَّدة، ومنها: ما جاء في كتاب كفاية الأثر بسنده عن الإمام الحسن عليه السلام في خطبة بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لقد حدَّثني جدِّي رسولُ الله ﷺ أَنَّ الأَمْرَ يَمْلِكُهُ اثنا عشر إماماً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَفْوَتِهِ»^(٢).

وفي كتاب الصراط المستقيم عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «عَهْدَ إِلَيْنَا نَبِيْنَا كَوْنِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَهُ عَدَدُ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٣).

وورد في كفاية الأثر بإسناده عن الحسين بن عليٍّ عن أخيه الحسن بن عليٍّ (عليهما السلام): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الْأَئِمَّةُ بَعْدِي عَدَدُ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحَوَارِيَّ عِيسَى، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَهُوَ مُنَافِقٌ، هُمْ حُجَجُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَعْلَامُهُ فِي بَرِّيَّتِهِ»^(٤). وروى ابن شهر آشوب عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ مِنَّا اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ»^(٥)، وَلَا يَضُرُّهُمْ مَنْ عَادَاهُمْ»^(٦).

وورد في الصدوق بإسناده عن إبراهيم بن مهزم، عن أبيه، عن الإمام الصادق، عن آبائه عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَئِمَّةُ اثْنَا عَشَرَ

١- إثبات الهداة: ج ١ ص ٦٥١ نقلاً عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان.

٢- كفاية الأثر: ص ١٦٠ عن هشام بن محمَّد عن أبيه، إثبات الهداة: ج ١ ص ٥٩٠، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٦ ح ١٨.

٣- الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٣٠ عن علي بن محمَّد القمي بإسناده إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤- الحواريون: أصحاب المسيح عليه السلام، أي خالصانه وأنصاره (النهاية: ج ١ ص ٤٥٨ «حور»).

٥- كفاية الأثر: ص ١٦٦. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٠ ح ٢٠٣.

٦- نواء: معادة لأهل الإسلام (النهاية: ج ٥ ص ١٣٢ «نوا»).

٧- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٢٩١، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٦٩ ح ٩١.

مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَهْمِي وَعِلْمِي وَحُكْمِي، وَخَلَقَهُمْ مِنْ طِينَتِي، فَوَيْلٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهِمْ بَعْدِي، الْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي، مَا لَهُمْ؟ لَا أَنَاهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي»^(١).

وروى الصدوق أيضًا بإسناده: عن قيس بن عبد قال: كُنَّا جُلُوسًا فِي حَلَقَةٍ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَيُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: هَلْ حَدَّثَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كَمْ يَكُونُ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ؟

قَالَ: «نَعَمْ، اثْنَا عَشَرَ، عَدَدُ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٢).

ولم تقتصر هذه النصوص والروايات على كتبنا الحديثية المعتبرة، بل وردت أيضًا في الكتب الحديثية المعتبرة عند عامة المسلمين، ففي صحيح البخاري روى بإسناده: عن جابر بن سمرة: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا».

فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا.

فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٣).

وفي صحيح مسلم أورد عدة روايات تفيد نفس معنى الحديث المتقدم، فقد ورد بإسناده عن جابر بن سمرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»، ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمَهَا، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٤).

وروى ابن حنبل عن جابر بن سمرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَنْ يَزَالَ ظَاهِرًا عَلَى مَنْ نَاوَاهُ، لَا يَضُرُّهُ مُخَالِفُ

١- كمال الدين: ص ٢٨١ ح ٣٣. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٤٣ ح ٥٢.

٢- الخصال: ص ٤٦٧ ح ٧، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٣٠ ح ٩.

٣- صحيح البخاري: المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ١٢٨٢، ح ٧٢٢٢.

٤- صحيح مسلم: المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٧٠٨، ح ٤٧٠٥.

ولا مفارق، حتّى يَمْضِيَ مِنْ أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»، قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟
قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(١).

وروى ابن حنبل أيضًا عن مسروق قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ سَأَلْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَمْ تَمْلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ خَلِيفَةٍ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مُنْذُ قَدِمْتُ الْعِرَاقَ قَبْلَكَ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَلَقَدْ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اثْنَا عَشَرَ، كَعِدَّةِ نُبُوءٍ»^(٢) بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٣).

وفي المستدرک علی الصحیحین: عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه: كُنْتُ مَعَ عَمِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي صَالِحًا حَتَّى يَمْضِيَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»، ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ.

فَقُلْتُ لِعَمِّي وَكَانَ أُمَامِي: مَا قَالَ يَا عَمُّ؟
قَالَ: قَالَ يَا بُنَيَّ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٤).

وتفيد هذه الروايات أن الأئمة والخلفاء بعد رسول الله ﷺ كلهم من قريش، وعددهم اثنا عشر، ولا يمكن أن ينطبق هذا العدد من قريش إلا على الأئمة المعصومين عليهم السلام، والإمام زين العابدين عليه السلام هو الإمام الرابع

١- مسند ابن حنبل: ج ٧ ص ٤٠٥ ح ٢٠٨٤٠ و ص ٤٠٨ ح ٢٠٨٥٧؛ الغيبة للنعماني: ص ١٢٣ ح ١٥. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٣٨ ح ٣٢.

٢- النُبُوءَاءُ: جمع نقيب، وهو كالعريف على القوم المُقَدَّم عليهم، الذي يتعرّف أخبارهم ويُنْقَب عن أحوالهم: أي يُفْتَش (النهاية: ج ٥ ص ١٠١ «نقب»).

٣- مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ٥٥ ح ٣٧٨١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٤٩ ح ١٠، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٩٩ ح ١٣٢.

٤- المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٧١٦ ح ٦٥٨٩. المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٢٩١. بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٩٨ ح ١٣١.

من الأئمة المعصومين الذي جاء تعيينه بالاسم في كتبنا الحديثية والتاريخية كالكافي للكليني، وكمال الدين والأمال للصدوق، والإرشاد للمفيد، والغيبة للطوسي، وإعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب وغيرها.

وقد روي حديث: «بعدي اثنا عشر» خليفة بأسانيد وطرق معتبرة كثيرة، ويكفيها ما حققه العلامة الشيخ سليمان ابن الشيخ إبراهيم القندوزي الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) حيث قال حول هذا الحديث: «وفي جمع الفوائد: جابر بن سمرة رفعه: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة. فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قريش. للشيخين والترمذي وأبي داود بلفظه. ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً، في أن الخلفاء بعد النبي ﷺ اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش. في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد، وفي الحميدي من ثلاثة طرق»^(١).

وروي العلامة المجلسي في البحار من النصوص على الأئمة الاثني عشر عن جابر بن سمرة بطرق كثيرة جداً ربما تزيد على خمسين طريقاً، ونقل أن أحمد بن حنبل روى تلك النصوص في مسنده عن جابر بن سمرة بأربع وثلاثين طريقاً، ورواه في الطرائف وفي الخصال أيضاً عن جابر بطرق كثيرة جداً، ورواه ابن بطريق في العمدة بإسناده المذكور في أول كتابه عن الجمع بين الصحيحين للحميدي والجمع بين الصحاح الستة للعبدي بطرق كثيرة (في فصل ما جاء في الأئمة الاثني عشر من متون الصحاح الستة) وروي العلامة في كشف اليقين عن الجمع بين الصحيحين عن جابر بن سمرة قال:

١ - ينابيع المودة: الشيخ إبراهيم القندوزي الحنفي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٣، ص ٥٠٣.

سمعت النبي ﷺ قال: ليكونن من بعدي اثنا عشر أميرًا كلهم من قريش. وروى في إعلام الوری مما جاء من الأخبار التي نقلها أصحاب الحديث غير الإمامية وصححوها، هذا الحديث عن جابر بن سمرة بطرق كثيرة^(١). والملاحظ أن حفاظ السنة من الإمامية قد نقلوا حديث جابر بن سمرة بالألفاظ نفسها المروية في كتب أهل السنة الحديثية الستة وغيرها. فهذا الحديث وأشباهه الدال على أن الأئمة اثنا عشر قد ورد بصورة متواترة في كتب الفريقين، فخلفاء النبي ﷺ اثنا عشر خليفة لا يزيد عددهم ولا ينقص ما بين وفاته وإلى يوم القيامة، ولا يمكن أن ينطبق -هذا الحديث وغيره- من حيث العدد إلا على الأئمة الاثني عشر، ومن ضمنهم: الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، وهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار (سلام الله عليهم أجمعين).

١ - منتخب الأثر، الشيخ لطف الله الصافي الغلبايجاني، ج ١، ص ٤٠.

ثانياً- النصوص الخاصة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام

يعد النص على الإمام واجب الطاعة شرطاً ضرورياً عند الشيعة الإمامية في تعيين الإمام، وقد تضافرت الأحاديث والنصوص الخاصة على أن الإمام مفترض الطاعة بعد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام هو ابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالتعيين والنص عليه من رسول الله ﷺ، وذكره بالاسم في جملة الاثني عشر، وكذا النص عليه بالاسم من جده أمير المؤمنين عليه السلام وأبيه الإمام الحسين عليه السلام.

ثم إنه لم يبق للإمام الحسين عليه السلام من عقب بعد استشهاد سوي الإمام زين العابدين عليه السلام، فتعين الإمامة فيه للنصوص المتواترة الدالة على أن الإمامة بعد الحسن والحسين تكون في صلب الإمام الحسين عليه السلام.

وقد اتفقت الإمامية على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام. قال الشيخ المفيد ما نصه: «واتفقت الإمامية على أن رسول الله ﷺ نصَّ على علي بن الحسين، وأن أباه وجده نصَّا عليه كما نصَّ عليه الرسول ﷺ، وأنه كان بذلك إماماً للمؤمنين»^(١).

ونكتفي بذكر بعض النصوص والأخبار المروية في النص على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام بالاسم بعد أبيه سيد الشهداء، ومنها:

١- ما رواه الشيخ الكليني بسند صحيح عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ الْحُسَيْنَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) لَمَّا صَارَ^(٢) إِلَى الْعِرَاقِ، اسْتَوْدَعَ أُمَّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) الْكُتُبَ وَالْوَصِيَّةَ، فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَفَعَهَا إِلَيْهِ»^(٣).

١- أوائل المقالات: الشيخ المفيد، ص ٤٤ - ٤٥.

٢- في بعض المصادر: «سار».

٣- الغيبة للطوسي، ص ١٩٥، ح ١٥٩، بسند آخر عن أبي جعفر عليه السلام مع اختلاف يسير. الوافي، ج ٢، ص ٣٤٣، ح ٨٠٣.

والمراد من الكتب في الرواية هي مواريث النبوة التي كانت بإملاء النبي ﷺ وخط أمير المؤمنين عليه السلام والتي يتوارثها الأئمة واحداً بعد الآخر، وفيها كل ما يحتاجه الناس من أحكام ومسائل شرعية إلى يوم القيامة.

٢- ما رواه الشيخ الكليني بسند معتبر عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لما حضر الحسين عليه السلام ما حضره، دفع وصيته إلى ابنته فاطمة، ظاهرة في كتاب مدرج^(١)، فلما أن كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، دفعت ذلك إلى علي بن الحسين».

قلت له: فما فيه يرحمك الله؟

فقال: «ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدنيا إلى أن تفتي^(٢)»^(٣).

٣- ما رواه الشيخ الطوسي بسند صحيح: عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق، دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاه الحسين عليه السلام»^(٤).

١- هكذا في أكثر النسخ والشروح. والمطبوع: «مدرج» بالتشديد. و«مدرج»: اسم مفعول من الإدراج، أي المطوي. راجع: شرح المازندراني، ج ٦، ص ١٥٤؛ مرآة العقول، ج ٣، ص ٣٢١.

٢- في البصائر، ص ١٦٨: «أن ينتهي».

٣- الكافي: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢. بصائر الدرجات: ص ١٦٨، ح ٢٤، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد و محمد بن عبد الجبار، عن عبد الرحمن بن أبي نجران جميعاً، عن محمد بن سنان. وفيه، ص ١٤٨، ح ١٢، بسنده عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن أبي نجران، عن أبي الجارود، من دون الإسناد إلى المعصوم عليه السلام، مع اختلاف يسير. الوافي، ج ٢، ص ٣٤٢، ح ٨٠٢.

٤- الغيبة للطوسي: كتاب الغيبة للحجة، ص: ١٩٥ - ١٩٦. عنه البحار: ٤٦ / ١٨ ح ٣. العوالم: ١٨ / ٢٦ ح ١. إثبات الهداة: ٣ / ٢ ح ٤.

٤- روى الشيخ الكليني بسنده عن مُحَمَّد بن يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّد بنِ الْحُسَيْنِ وَأَحْمَد بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّد بنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُور بنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ، دَعَا ابْنَتَهُ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا كِتَابًا مَلْفُوفًا، وَوَصِيَّةً ظَاهِرَةً، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَبْطُونًا^(١) مَعَهُمْ لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُ لِمَا بِهِ، فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ الْكِتَابَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صَارَ وَاللَّهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ إِلَيْنَا يَا زِيَادٌ».

قَالَ: قُلْتُ: مَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟

قَالَ: «فِيهِ وَاللَّهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَدُ آدَمَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ تَفْنَى الدُّنْيَا. وَاللَّهِ، إِنَّ فِيهِ الْخُدُودَ حَتَّى أَنْ فِيهِ أَرْشُ^(٢) الْخَدَشِ^(٣)».

ومن الواضح أن المراد بالوصية في الرواية هي المتعلقة بأمر الإمامة، فتأمل.

٥- ما رواه الخزاز القمي بسنده: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كُنْتُ عِنْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرُ، فَدَعَاهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ضَمًّا وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ مَا أَطْيَبَ رِيحَكَ وَأَحْسَنَ خَلْقَكَ!».

فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ! إِنْ كَانَ مَا نَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ نَرَاهُ فِيكَ، فَإِلَى مَنْ؟

قَالَ: «إِلَى عَلِيِّ ابْنِي هَذَا، هُوَ الْإِمَامُ وَأَبُو الْأَئِمَّةِ^(٤)».

١- «المبطون»: العليل البطن. الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٨٠ (بطن).

٢- «الأرش»: ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأرُوش الجراحات من ذلك؛ لأنها جابرة عما حصل فيها من النقص. النهاية، ج ١، ص ٣٩ (أرش).

٣- الكافي: كتاب الحجّة، باب ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة، ذيل ح ٧٦٤، الوافي: ج ٢، ص ٣٤٢، ح ٨٠١.

٤- كفاية الأثر: ص ٢٣٤.

٦- ما رواه الشيخ الصدوق بسند صحيح: عن مُحَمَّد بن الْحَسَن بن أَحْمَد بن الْوَلِيد رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بنُ يُحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّد بنِ الْحُسَيْن بنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ الْمُثَنَّى، عَنْ مُحَمَّد بنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَام: عَنْ خَاتَمِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى مَنْ صَارَ؟ وَذَكَرْتُ لَهُ أَنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ إِبْصَعِهِ فِيمَا أَخَذَ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: «لَيْسَ كَمَا قَالُوا، إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَام أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ بنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، وَجَعَلَ خَاتَمَهُ فِي إِبْصَعِهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، كَمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَفَعَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، وَفَعَلَهُ الْحَسَنُ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ الْخَاتَمُ إِلَى أَبِي عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ أَبِيهِ، وَمِنْهُ صَارَ إِلَيَّ فَهُوَ عِنْدِي، وَإِنِّي أَلْبَسُهُ كُلَّ جُمُعَةٍ وَأُصَلِّي فِيهِ».

قَالَ مُحَمَّد بنُ مُسْلِمٍ: فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ مَدَّ إِلَيَّ يَدَهُ، فَرَأَيْتُ فِي إِبْصَعِهِ خَاتَمًا نَقْشُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُدَّةٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ، فَقَالَ: «هَذَا خَاتَمُ جَدِّي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام»^(١).

٧- ما رواه المسعودي في إثبات الوصية: «ثُمَّ أَحْضَرَ عَلِيَّ بنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، وَكَانَ عَلِيًّا، فَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ وَمَوَارِيثِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَعَرَّفَهُ أَنَّهُ قَدْ دَفَعَ الْعُلُومَ وَالصُّحُفَ وَالْمَصَاحِفَ وَالسَّلَاحَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَدْفَعَ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ»^(٢).

٨- روى الشيخ الكليني بسند حسن عن عمر بن أذينة، عن أبان، عن سليم بن قيس الهلالي، قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على وصيته

١- الأُمالي للصدوق: ص: ١٤٤، ح: ١٣.

٢- إثبات الوصية: ص: ١٧٧.

الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميعاً ولديه ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بُنَيَّ، أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلَاحِي، كَمَا أُوصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ، وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلَاحَهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ: «وَأَمُرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ هَذَا»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: «وَأَمُرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنِّي السَّلَام»^(١). وفيه إشارة واضحة على تعيين إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام بالاسم بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

٩- روى الشيخ الكليني بسندٍ معتبر عن عمر بن أبان، قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَمَّا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ دُفِعَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ صَحِيفَةٌ مَخْتُومَةٌ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ لَمَّا قُبِضَ وَرِثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامَ عِلْمَهُ وَسِلَاحَهُ وَمَا هُنَاكَ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام».

قال: قُلْتُ: ثُمَّ صَارَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صَارَ إِلَى ابْنِهِ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَيْكَ، فَقَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

١- الكافي: ج ١ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ح ١، كتاب سليم بن قيس: ج ١ ص ٩٢٤، إعلام الوري: ج ١ ص ٤٠٥، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٥٤ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٢٢ ح ١، إثبات الهداة: ج ١ ص ٤٤٤ وفيه: ورواه الصدوق في الفقيه بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي، ورواه الشيخ في التهذيب بإسناده عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وعن إبراهيم بن عمر عن أبان رفعه عن سليم مثله.
٢- الكافي: ج ١ ص ٢٩١ ح ٨، الإرشاد: ج ٢ ص ١٨٩، كشف الغمّة: ج ٢ ص ٣٨٣ عن عمرو بن أبان، روضة الواعظين: ص ٢٣١، بصائر الدرجات: ص ١٨٦ ح ١٤٥ نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٠٧ ح ١١.

١٠- روى الصفار القمي في بصائر الدرجات بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام، قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَرَضِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أَدْنُ مِنِّي حَتَّى أُسَرَّ إِلَيْكَ مَا أَسَرَّ اللَّهُ إِلَيَّ، وَأَتَمَنَكَ عَلَى مَا أَتَمَنَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفَعَلَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفَعَلَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفَعَلَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبِي، وَفَعَلَهُ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»^(١).

ودلالة الرواية واضحة على المطلوب، فالإمام الباقر عليه السلام يخبر بأن الإمام الحسين عليه السلام قد ائتمن ابنه علي بن الحسين عليه السلام على ما ائتمنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وائتمنه الإمام علي عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام، وائتمن الإمام الحسن عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام، وهو الاتئمان على شؤون الإمامة.

وبالإضافة إلى هذه النصوص العشرة التي تنص على إمامة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالتسمية والتعيين، ذكرنا فيما سبق طائفة من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تنص على أسماء الأئمة واحداً بعد آخر، ومنهم: الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي روايات معتبرة ومتواترة توجب القطع واليقين في ثبوت إمامة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

كما أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يعلن لأصحابه أنه هو الإمام الرابع، فقد روى الخزاز القمي في كفاية الأثر، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت: يا مولاي، أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟

قال: «ثمانية».

قلتُ: وكيف ذلك؟

قال: «لأنَّ الأُمَّةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اثْنَا عَشَرَ عَدَدَ نَقَبَاءِ الْأَسْبَاطِ: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَاضِينَ، وَأَنَا الرَّابِعُ، وَثَمَانٍ (ثَمَانِيَّة) مِنَ وَلَدِي أُمَّةٌ أَبْرَار...»^(١).

١ - كفاية الأثر: ص ٢٣٧، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٨٨ ح ٢، إثبات الهداة: ج ١، ص ٦٠٠.

ثالثاً - صفات الإمام مفترض الطاعة

يجب أن تتوافر في شخصية الإمام مفترض الطاعة مجموعة من الصفات والخصائص والمميزات التي تؤكد القطع بثبوت إمامته، وأهمها الصفات الآتية:

١ - العصمة:

من المفيد أن نحرر معنى العصمة لغة واصطلاحاً قبل الحديث عن عصمة الإمام زين العابدين عليه السلام وباقي الأئمة الأطهار.

العصمة لغة: بمعنى المنع، ويقال للمانع: «العاصم»، ويطلق على ما يعتصم به الإنسان ويمنع به نفسه عن الوقوع فيما يكره. ومنه قولهم: اعتصم فلان بالجبل إذا امتنع به، ومنه سميت العصم، وهي وعول الجبال لامتناعها بها.

قال سبحانه: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(١)، أي التجأ إلى الجبل زاعماً أنه يمنعه من الماء، وأجيب بأنه: لا مانع من أمره سبحانه إلا من رحم^(٢).

وفي معجم «لسان العرب»: «العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يمنعه مما يؤبّقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه. وفي التنزيل: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٣) أي لا معصوم إلا المرحوم»^(٤). واعتصم فلان بالله، إذا امتنع به، والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية، وعصمه الطعام: منعه من

١ - هود: ٤٣.

٢ - أقطاب الدوائر في تفسير آية التطهير: الشيخ عبد الحسين بن مصطفى، دار القرآن الكريم، قم، طبع عام ١٤٠٣ هـ، ص ٨.

٣ - هود: ٤٣.

٤ - لسان العرب: ابن منظور، ج ١٢، ص ٤٠٣. مادة (عصم).

الجوع، وهذا طعام يعصم، أي يمنع من الجوع. واعتصم به واستعصم: امتنع وأبى. قال الله عز وجل حكاية عن امرأة العزيز حين راودته عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾^(١)، أي تأبى عليها ولم يجبهها إلى ما طلبت. قال الأزهري: العرب تقول أعصمت بمعنى اعتصمت.

وفي الحديث: من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله، أي ما يعصمه من المهالك يوم القيامة.

والعصمة: المنعة. والعاصم: المانع الحامي. والاعتصام: الامتسك بالشيء افتعال منه، ومنه شعر أبي طالب:

ثمال اليتامى عصمة للأرامل؛ أي: يمنعهم من الضياع والحاجة^(٢).

العصمة اصطلاحاً

في مصطلح أهل الكلام العصمة تعني التوفيق واللفظ والاعتصام عن الذنوب والغلط في دين الله، وهي تفضل من الله على من علم أنه يتمسك بعصمته. وبعبارة أخرى: «العصمة لطف من الله إلى المكلف يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما»^(٣).

وقالوا أيضاً: «هي لطف خفي يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك»^(٤).

أو لنقل: هي كيفية نفسانية تبعث على ملازمة التقوى والامتناع عن ارتكاب المعاصي والذنوب مع القدرة عليها، ولا يجوز فيها القهر على فعل الطاعة وترك المعصية.

١- يوسف: ٣٢.

٢- لسان العرب: ابن منظور، ج ١٢، ص ٤٠٤. مادة (عصم).

٣- أقطاب الدوائر في تفسير آية التطهير: الشيخ عبد الحسين بن مصطفى، دار القرآن الكريم، قم، طبع عام ١٤٠٣ هـ، ص ٨.

٤- منار الهدى في النص على إمامة الاثني عشر: علي البحراني، دار المنتظر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ١٠١.

وعرفها الشيخ المفيد بقوله: «بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه، وهو لطف يمتنع من يختص به من فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليهما»^(١).

وقال العلامة الحلي (رحمه الله) في تعريفها: «بأنها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلف لا يكون له مع ذلك داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك»^(٢).

وعرفها شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (رحمه الله): «بأنها ما يمتنع المكلف من المعصية في حال تمكنه منها»^(٣).

وعرفها الشيخ مغنية بقوله هي: «قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ، بحيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرماً مع قدرته على الترك والفعل، وإلا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، أو قل: إن المعصوم قد بلغ من التقوى حداً لا تغلب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطئ معها أبداً»^(٤).

فالعصمة على ضوء هذه التعاريف -- كما يقول الشيخ القرشي - عبارة عن «الكمال المطلق للنفس، وتحريرها التام من كل نزعة من نزعات الهوى والغرور والطيش، والامتناع من اقتراف اية جريمة أو ذنب، سواء أكان على سبيل العمد أم السهو، ومن الطبيعي أنه لا يتصف بذلك إلا من اختاره الله لأداء رسالته وهداية عباده نبياً كان أم إماماً»^(٥).

١- شرح عقائد الصدوق: ص ١١٤.

٢- كتاب الألفين: العلامة الحلي، ص ٦٧.

٣- توفيق التطبيق: علي بن فضل الله الجيلاني، ص ١٦.

٤- الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، ص ٣٨.

٥- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر: باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ١٧، ص ١٢١.

وجوب العصمة في الإمام

اشترط الشيعة الإمامية وجوب العصمة بالمعنى المتقدم في الإمام، تماماً كما هي شرط في النبي، وقد وردت مجموعة من الأحاديث الشريفة التي تشير إلى وجوب العصمة في الإمام، ومنها:

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الإمام المُسْتَحَقُّ للإمامة له علامات، فمنها: أن يُعْلَمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، لَا يَزِلُّ فِي الْفُتْيَا، وَلَا يُخْطِئُ فِي الْجَوَابِ، وَلَا يَسْهَوُ وَلَا يَنْسَى، وَلَا يَلْهُو بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

والثاني: أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه وجميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم.

والثالث: يجب أن يكون أشجع الناس، لأنه فئة المؤمنين التي يرجعون إليها؛ إن انهمز من الرخف انهمز الناس لانهمزاه.

والرابع: يجب أن يكون أسخى الناس وإن بخل أهل الأرض كلهم، لأنه إن استولى الشح عليه شح بما في يديه من أموال المسلمين.

الخامس: العصمة من جميع الذنوب، وبذلك يتميز عن المأمومين الذين هم غير معصومين، لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس فيه من موبقات الذنوب المهلكات والشهوات واللذات»^(١).

وعنه عليه السلام قال: «كبار حدود ولاية الإمام المفروض الطاعة أن يعلم أنه معصوم من الخطأ والزلل والعمد، ومن الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، لا يزل، ولا يخطئ، ولا يلهو بشيء من الأمور الموبقة للدين، ولا بشيء من الملاهي، وأنه أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وفرائضه وسننه وأحكامه، مستغن عن جميع العالم، وغيره محتاج إليه، وأنه أسخى الناس وأشجع الناس»^(٢).

١- بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٤، ٩٠ / ٦٤.

٢- بحار الأنوار: ٦٥ / ٣٨٩.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام - في صفة الإمام - أن العصمة من صفاته حيث قال: «مَعصُومًا مِنَ الزَّلَّاتِ، مَعصُومًا عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا»^(١). وأكد عليه السلام على عصمة الأئمة قائلاً: «نَحْنُ تَرَاجِمَةُ أَمْرِ اللَّهِ، نَحْنُ قَوْمٌ مَعصُومُونَ»^(٢).

وعن وجوب اتصاف الإمام بالعصمة، روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فَهُوَ مَعصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ، قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ، يُخَصُّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ»^(٣). وعنه عليه السلام قال: «الإمامُ: الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبَرِّأُ عَنِ الْعُيُوبِ»^(٤).

وهذه النصوص النقليّة والأدلة العقلية تؤكد كلها على أنه يجب أن يكون الإمام معصوماً، وقد أكدت كلمات كبار العلماء أيضاً على هذه الحقيقة، فهذا الشيخ المفيد (رحمه الله) يقول: «إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنعام معصومون كعصمة الأنبياء لا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة... ولا سهو في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم»^(٥).

وقال الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله): «إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سنّ الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق»^(٦).

١- أصول الكافي: ١ / ٢٠٤ / ٢.

٢- أصول الكافي: ١ / ٢٦٩ / ٦.

٣- أصول الكافي: ١ / ٢٠٣ / ١.

٤- أصول الكافي: ١ / ٢٠٠ / ١.

٥- أوائل المقالات: الشيخ المفيد، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، طبع عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٧١.

٦- عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٦١-٦٢.

وقال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): «إن الأئمة كالأنبياء، في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش، من الصغر إلى الموت، عمداً وسهواً؛ لأنهم حفظة الشرع، والقوامون به، حالهم في ذلك كحال النبي، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للاتصاف من المظلوم عن الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادة الفتن، وأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفساق، ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية، وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد، وافتقر إلى إمام آخر، وتسلسل»^(١).

وقال الشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ): «إن الإمام حافظ للشرع كالنبي، لأن حفظه من أظهر فوائد إمامته، فتجب عصمته لذلك، لأن المراد حفظه علماً وعملاً، وبالضرورة لا يقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم، إذ لا أقل من خطأ غيره، ولو اكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغى بنظر الشارع، وهو خلاف الضرورة، فإن النبي ﷺ قد جاء لتعليم الأحكام كلها، وعمل الناس بها على مرور الأيام»^(٢).

وشرط العصمة في إمامة الإمام مفترض الطاعة يشمل كل أبعاد الحياة من جميع الذنوب والمعاصي، ومن جميع أنواع النقائص حتى من السهو والغفلة والخطأ غير المقصود.

ومن يقرأ ويطلع ويحقق في سيرة أئمة أهل البيت الأطهار سيجد أنه لا نظير لهم بعد رسول الله ﷺ في تاريخ الإسلام، فقد كانوا في قمة الإيمان والتقوى والورع عن محارم الله، ولما لهم من عظيم الفضل والشرف. ودلت سيرتهم العملية على عصمتهم من الخطأ والزلل، وامتناعهم عن

١ - نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبع عام ١٩٨٢م، ص ١٦٤.

٢ - دلائل الصدق لنهج الحق: الشيخ محمد حسن المظفر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ج ٤، ص ٢١٧.

اقتراف أي ذنب من الذنوب، أو ارتكاب أي معصية، بل كانوا لا يرتكبون حتى المكروهات، فهم القمة في كل شيء، والقُدوة لمن يبحث عن الاقتداء بالشخصيات العظيمة.

قال الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله): «ينبغي أن نقول إن العصمة ليست أمرًا يخرج بالإمام عن كونه إنسانًا كعامة الناس، يحس بما يحسون من لذات وآلام، ويمور في نفسه ما يمور في نفوسهم من آمال وأحلام وأماني، وهو ليس مخلوقًا آخر لا يلتقي معهم في خصائصهم، كما يريد البعض أن يعتبره من مفاهيم الشيعة.

وأما هذه العصمة التي يشترطها الشيعة في الإمام، فهي عبارة عن ملكة نفسية، لا تصدر المعاصي عمن اتصف بها مع قدرته على مقارفتها، ويزيد آخرون العصمة بيانًا، فيرون أنها لطف من الله تعالى بصاحبها»^(١). وأسباب هذا اللطف أربعة:

١- أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل.

٢- أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

٣- تأكيد هذا المعلوم بتتابع الوحي أو الإلهام من الله تعالى.

٤- مؤاخذته على ترك الأولى، بحيث يعلم أنه لا يترك مهملاً، بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأمور الحسنة؛ فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصومًا^(٢).

عصمة الإمام زين العابدين عليه السلام

أكد القرآن الكريم على عصمة أئمة أهل البيت الأطهار في قوله تعالى:

١ - نظام الحكم والإدارة في الإسلام: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ٢٨٥.

٢ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي، ص ١٨٦.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، فقد طهرهم الله تعالى من الدنس، وأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً. والطهارة تعم كل الجوانب المادية والمعنوية، ما يعني طهارة القلب والروح وهو الأمر الذي ينعكس على طهارة السلوك والعمل.

والإمام زين العابدين عليه السلام من أهل البيت المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ما يدل على عصمته وطهارته، وقد تواترت الأخبار والنصوص المروية عن رسول الله ﷺ على تعيين أسماء أئمة أهل البيت الأطهار، ويأتي اسم الإمام زين العابدين عليه السلام واحداً من هؤلاء الأسماء الطاهرة، وأحد خلفاء رسول الله ﷺ وأوصيائه الاثني عشر الذين أوصى بهم، ونصبهم قادة لأئمة، وأعلاماً للدين والحق والهداية والهدى.

وقد روي عن العالم عليه السلام: «إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرَهُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) كانت هذه الآية في الإمامة، وكان أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السَّلام) شركاء، ثم أنزل الله جَلَّ جلاله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣) فكانت هذه الآية خاصة في إمامة علي بن الحسين عليه السلام»^(٤).

وقد استفاد العلماء من آية التطهير عصمة أئمة أهل البيت الأطهار، ومنهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي نصَّ عليه رسول الله ﷺ بالاسم كما ذكرنا شطراً من تلك النصوص الشريفة. وقد أذهب الله سبحانه عن أهل البيت الرجس، أي المعاصي والذنوب، وطهرهم منها تطهيراً، وهذه هي معنى العصمة وحقيقتها.

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- الأحزاب: ٣٣.

٣- الأنفال: ٧٥.

٤- إثبات الوصية: المسعودي، ص ١٦٨.

ويدل حديث الثقلين على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً، ونص الحديث كما رواه الخزّاز القمي: عن مسعدة، عن الصادق عليه السلام في حديث أنه قال: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي...».

ثُمَّ قَالَ الصَّادِق عليه السلام: «إِنَّ قَائِمَنَا يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الْحَسَنِ، وَالْحَسَنُ يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِ مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدٌ يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِ ابْنِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهَذَا خَرَجَ مِنْ صُلْبِي، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ إِمَامًا كُلُّنَا مَعْصُومُونَ مَطْهُرُونَ...، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(١).

وَمِنَ اللَّافِتِ لِلانْتِبَاهِ أَنَّ آيَةَ التَّطْهِيرِ نَزَلَتْ فِي أَوَاخِرِ عَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ أَيْضًا.

وَيُمْكِنُ الاسْتِدْلَالُ عَلَى أَنَّ حَدِيثَ الثَّقَلَيْنِ يَدُلُّ عَلَى عَصْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمَّنَ عَصْمَةَ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ خَطَاٍ وَاشْتِبَاهٍ، كَمَا فِي صَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وَيُؤَكِّدُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ

١ - كفاية الأثر: ص ٢٦١، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٣٢، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٤٠٨ ح ١٧، إثبات الهداة: ج ١ ص ٦٠٣.

٢ - روي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه بعد أن نزلت آية التطهير كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقف على بابهم كل يوم عند طلوع الفجر حتى نهاية عمره الشريف ويقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأمالى للطوسي: ص ٥٦٥ ح ١١٧٤). ونظراً لأن أغلب الروايات ذكرت أن مدة قيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا العمل هي ستة أشهر (راجع: سنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٥٢ ح ٣٢٠٦، مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٥١٦ ح ١٣٧٣٠، المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٧٢ ح ٤٧٤٨، المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٦ ح ٢٦٧١، المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٢٧ ح ٤، تفسير الطبري: ج ١٢ الجزء ٢٢ ص ٦) يمكن أن نستنتج أن آية التطهير نزلت في أواخر عمر النبي (صلى الله عليه وآله).

مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^(١)، والرسالة الواضحة للتلازم بين أهل البيت والقرآن في حديث الثقلين هي عصمة أهل البيت عليهم السلام، للأسباب الآتية:
أولاً- إنَّ أمر النبي (صلى الله عليه وآله) القاضي بالتمسك بأهل البيت إلى جانب القرآن يعني وجوب طاعتهم، فإذا لم يكن أهل البيت معصومين من الخطأ كالقرآن، فلا مبرر لوجوب طاعتهم.

وروي عن الإمام علي عليه السلام في إيضاح هذا الدليل وفيما يتعلق بوجوب طاعة أولي الأمر قوله: «إِنَّمَا أَمْرُ بِطَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ^(٢) لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مُطَهَّرُونَ، لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْصِيَةٍ^(٣)».

ثانياً- إنَّ عدم عصمة أهل البيت عن الخطأ، يخلُّ بارتباطهم بالقرآن، في حين أنَّ حديث الثقلين أعلن بصرحة الترابط الوثيق بين القرآن وأهل البيت وعدم افتراقهما. وبهذا الشأن قال الشيخ المفيد: «وذلك موجب لعصمتهم من الآثام ومانع من تعلُّق السهو بهم والنسيان؛ إذ لو وقع منهم عصيان أو سهو في الأحكام لفارقوا به القرآن فيما ضَمَّنَه البرهان^(٤)».

وبناءً على ذلك، فإنَّ حديث الثقلين دليل آخر على عصمة أهل البيت عليهم السلام من الذنوب والأخطاء إلى جانب آية التطهير. كما أنَّ الأحاديث الدالة على طهارة أهل البيت تدلُّ على عصمتهم أيضاً^(٥).

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أحد المعنيين في تلك الآيات الواضحات والبيّنات، فهو إذن إمام معصوم، واجب الطاعة والاتباع، كما في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦).

١- فضّلت: ٤٢.

٢- يشير إلى الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. (النساء: ٥٩).

٣- الخصال: ص ١٣٩ ح ١٥٨، علل الشرائع: ص ١٢٣ ح ١.

٤- المسائل الجارودية: ص ٤٢.

٥- حكم النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: ج ٣، ص ٣٠.

٦- النساء: ٥٩.

روى الشيخ الصدوق في كمال الدين عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال عليه السلام: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيتَه فأقرئه مني السلام»^(٢). ولا تجب الطاعة إلا للمعصوم، فدلّت الآية على عصمة الإمام زين

العابدين عليهم السلام لأنه من ضمن من تجب طاعتهم.

وقد روي عن رسول الله عليه السلام النص على عصمة الأئمة الاثني عشر حيث قال: «عليّ وسبطاي وتسعة من ولد الحسين، أئمة أمناء معصومون، ألا إنهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي»^(٣).

كما أن الأحاديث المتواترة في وجوب التمسك بالقرآن والعترّة يدل على عصمة أئمة أهل البيت، والإمام زين العابدين عليه السلام أحدهم، إذ لا يصح عقلاً الأمر بوجوب التمسك بمن يصدر منه الخطأ والسهو والنسيان والمعصية.

ومن تلك الأحاديث نذكر ما ورد في سنن الترمذي عن زيد بن أرقم عن رسول الله عليه السلام قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتُم به كن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولكن يفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٤).

١ - النساء: ٥٩.

٢ - كمال الدين: ص ٢٥٣ ح ٣، كفاية الأثر: ص ٥٣، قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٦١ ح ٤٣٦، كشف الغمّة: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٥٠ ح ٦٧.

٣ - كفاية الأثر: ص ١٧١، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤١ ح ٢٠٧.

٤ - سنن الترمذي: ص ١١١٦ ح ٣٧٨٨، أسد الغابة: ج ٢ ص ١٧، المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١١٨ ح ٤٥٧٦، مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٣٧ ح ١١١٣١ عن أبي سعيد الخدري، عيون الأخبار في

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ - وَضَمَّ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ -». فَقَامَ إِلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ عِترَتُكَ؟ قَالَ: «عَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وتدل تلك الآيات البينات وهذه الأحاديث الشريفة والحاشية على وجوب التمسك بالكتاب والعترة (والذين هم أئمة أهل البيت الأطهار) على عصمتهم، ولولا تحقق ذلك لما صح القول بوجوب اتباعهم وطاعتهم والتمسك بهم، وإنما وجب ذلك لعصمتهم عن أي خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان وما أشبه ذلك.

وأكد الإمام زين العابدين عليه السلام على وجوب اتصاف الإمام بالعصمة، إذ روى الشيخ الصدوق بسنده: عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «الإمامُ مَنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْصُومًا، وَلَيْسَتْ الْعِصْمَةُ فِي ظَاهِرِ الْخَلْقَةِ فَيُعْرَفَ بِهَا، وَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوصًا».

فَقِيلَ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَا مَعْنَى الْمَعْصُومِ؟ فَقَالَ: «هُوَ الْمُعْتَصِمُ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ، لَا يَفْتَرِقَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْإِمَامُ يَهْدِي إِلَى الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾»^(٢)»^(٣).

ونختم هذا البحث بما قاله ابن شهر آشوب حول القطع بعصمة الإمام

مناقب الأخيار: ص ٢٧ والثلاثة الأخيرة نحوه، كنز العمال: ج ١ ص ١٧٣ ح ٨٧٣؛ كمال الدين: ص ٢٣٨ ح ٥٦، العمدة: ص ٧٢ ح ٨٩ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١١٨ ح ٣٦.

١ - كمال الدين: ص ٢٤٤، معاني الأخبار: ص ٩١ ح ٥ كلاهما عن محمد بن عمار عن أبيه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٤٧ ح ١١١.

٢ - الإسراء: ٩.

٣ - معاني الأخبار: ١٣٢، ١ / ١٣٢، ٢.

زين العابدين عليه السلام ما نصه: «ما ثبت أن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، فكل من قال بذلك فقطع على إمامته، وإذا ثبت أن الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً يقطع على أن الإمام بعد الحسين ابنه علي عليه السلام؛ لأن كل من ادّعت إمامته بعده من بني أمية والخوارج اتفقوا على نفي القطع على عصمته»^(١).

٢- العلم:

يجب أن يكون الإمام مفترض الطاعة أعلم الناس في زمانه بما لا يدانيه في سعة علومه ومعارفه أحد، والأفقه في الشريعة وأحكام الدين، والأقدر على الإجابة عن كل التساؤلات والإشكاليات المطروحة، والأفضل في المواهب والقدرات العلمية، فلو عجز الإمام عن الإجابة عن أي سؤال بطلت إمامته. نعم قد لا يجب لمصلحة أو تقية، ولكن ليس عن عجز، فالإمام الحق لا يعجزه أي سؤال وإن كان مستعصياً.

وقد أكّد الإمام زين العابدين عليه السلام على أن الأئمة هم أعلم الناس وأفضلهم، فقد قال: «عِنْدَنَا عِلْمُ الْمَنَآيَا وَالْبَلَايَا، وَفَصْلُ الْخِطَابِ، وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ، وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ»^(٢).

ويشير العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله) إلى مصادر علم الإمام المعصوم بقوله:

«أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجد شيء لا بدّ أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن

١- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٤٣.

٢- بصائر الدرجات: ص ٢٦٦ ح ٣ عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن الإمام الرضا عليه السلام، و ص ٢٦٧ ح ٤ عن عمار بن هارون عن الإمام الباقر عليه السلام. تفسير فرات: ص ٣٩٦ ح ٥٢٧ وفيه «البلايا والقضايا والوصايا»، اليقين: ص ٣١٨ ح ١٢١ كلاهما عن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٤٢ ح ١٦.

يعلمه علمه على وجهه الحقيقي، لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، ولذا قال عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١).

ويضيف قائلاً: «ويبدو واضحاً هذا الأمر في تأريخ الأئمة عليهم السلام كالنبي محمد عليه السلام، فإنهم لم يتربوا على أحد، ولم يتعلموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب، أو تتلمذ على يد أستاذ في شيء من الأشياء، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى، وما سُئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري)، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك. في حين أنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذ الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات، كعادة البشر في كل عصر ومصر»^(٢).

ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء عن علم الإمام المعصوم: «وأن يكون (أي الإمام) أفضل أهل زمانه في كل فضيلة، وأعلمهم بكل علم؛ لأن الغرض منه تكميل البشر وتركية النفوس، وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، والناقص لا يكون مكملًا، والفاقد لا يكون معطيًا، فالإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر»^(٤).

١- طه: ١١٤.

٢- عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٦٢ - ٦٤.

٣- الجمعة: ٢.

٤- أصل الشيعة وأصولها: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥٩.

وقال الشيخ محمد حسن المظفر: «لابد أن يكون (الإمام) عالماً بجميع أحكام الشريعة علماً يقينياً؛ لأن الله سبحانه قد بلغ نبيه ﷺ أحكاماً أتمها، وأجراها على أمته إلى يوم الدين، ولا شك أن الاجتهاد لا يوصل إليها دائماً لوقوع الخطأ فيه، فلا يمكن أن لا يجعل الله لنا إماماً عالماً بجميع الأحكام، ويحيلنا على من لا طريق له إلا الظن و ﴿الظَنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(١). على أنه إذا أخطأ الإمام في حكم أو موضوع: فإما أن يلزم الناس السكوت عن خطئه فيلزم الإغضاء على القبيح، وربما يجتهد في تحليل الحرام، وما يوجب الضرر والفساد، فلا تحصل به الفائدة المطلوبة في الإمام، وإما أن يلزم رده، وهو ربما يوقع في الشقاق»^(٢). وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أعلم أهل زمانه وأفضلهم، فقد أخذ العلم من أبيه الإمام الحسين عليه السلام الذي نشأ وتربى في كنفه وتحت ظلاله ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً، وكان يتزود من علومه ومعارفه والتي ورثها عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ؛ فامتلاً علماً ومعرفة من عيون العلم ومنابع الحكمة ومصادر المعرفة؛ فلا عجب بعد ذلك أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام أعلم أهل عصره بلا منازع، لا يدانيه في العلم أحد، ولا يتقدم عليه في الفضل أحد.

وقد تحدث الإمام زين العابدين عليه السلام بنفسه عن امتلاكه ناصية العلم بقوله: «نَحْنُ أَبْوَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ عِيَّةُ عِلْمِهِ، وَنَحْنُ تَرَاجِمُهُ وَحْيِهِ، وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ، وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ»^(٣).

ولأن أئمة أهل البيت عليهم السلام (ومنهم الإمام زين العابدين) هم أئمة المسلمين فلا بد وأن يكونوا أفضل الناس علماً وكماً وفضلاً، وقد أكد على ذلك علي بن الحسين عليه السلام فقال: «نَحْنُ أئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَحُجَجُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَسَادَةُ

١ - سورة يونس، الآية: ٣٦.

٢ - دلائل الصدق لنهج الحق: الشيخ محمد حسن المظفر، ج ٤، ص ٢٢٩.

٣ - معاني الأخبار: ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٢ ح ٥.

المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»^(١)، وفي هذا النص دلالة على إعلان الإمام زين العابدين عليه السلام عن إمامة نفسه في مقابل خلفاء الظلم والجور الذين كانوا يسبغون على أنفسهم أنهم أئمة الدين وخلفاء الرسول الكريم. وأجمع أهل الولاء والإيمان على سعة علم الإمام زين العابدين عليه السلام وتقدمه في كل العلوم على كل من عاصره، وكان أعلمهم في زمانه بلا منافس؛ ولذا فهو الإمام واجب الطاعة.

قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) عن علمه: «أنه كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً، والإمامة للأفضل دون المفضول بدلائل العقول»^(٢). ولم يقتصر الاعتراف بعلم الإمام زين العابدين عليه السلام على أصحابه ومريديه، والقائلين بإمامته، بل ذهب إلى ذلك كل من عرف فضله وشرفه وعلمه، وشهد له بذلك الخاص والعام.

فقد جاء في حلية أبي نعيم وتاريخ النسائي: روى عن أبي حازم وسفيان بن عيينة والزهرري قال كل واحد منهم: «ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه»^(٣).

ويؤكد الزهري على أن الإمام كان أفقه أهل زمانه بلا منازع، إذ قال ما نصه: «ما رأيت أحداً كان أفقه منه»^(٤).

١ - كمال الدين: ص ٢٠٧ ح ٢٢، الأمالي للصدوق: ص ٢٥٣ ح ٢٧٧، كلاهما عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام، روضة الواعظين: ص ٢٢٠ عن عمرو بن دينار، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٧، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٦ ح ١٠.

٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣.

٣ - المناقب: ابن شهر آشوب: ج ٤، ص: ١٥٨.

٤ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٧١.

وهذا سعيد بن المسيّب ممن صحب الإمام زين العابدين عليه السلام، ووقف على أخلاقه وسلوكه وغازاة علمه، يقول عنه: «ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام»^(١).

وعن أبي حازم الأعرج، قال: «ما رأيتُ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين»^(٢).

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: «علي بن الحسين أفضل هاشمي رأيته بالمدينة»^(٣).

وقال مالك: «لم يكن في أهل البيت مثله»^(٤).

واتفق المؤرخون والرواة والباحثون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أفضل أهل زمانه علماً ومعرفه وفضلاً، حتى أصبح ملء السمع والبصر، وكان مقصد العلماء والفقهاء سواء الذين كانوا مقيمين في يثرب أم الذين كانوا يأتون إليها من البلدان المجاورة.

٣- الكمال:

إن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل، ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق، والدليل في النبي هو نفسه دليل في الإمام.

فالإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته -بحسب تعبير العلامة الحلي- ويضيف قائلاً: «إن العقل يقبح تقديم المفضول، وإهانة الفاضل، ورفع مرتبة المفضول، وخفض مرتبة الفاضل، والقرآن نصّ على إنكار ذلك،

١- تاريخ اليعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٢١٢.

٢- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٣٠٩، ح ١٢.

٣- التاريخ الكبير: البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج ٦، ص ٢٦٧، رقم ٢٣٦٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩.

٤- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩.

فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وكيف ينقاد الأعلام، الأزهد، الأشرف حسباً ونسباً، للأدون في ذلك كله؟!^(٣). ويشترط الشيعة في الإمام المعصوم (الأفضلية) بأن يكون مثلاً أعلى لتابعيه، أعلم الناس فيما أنيط من أمور الشريعة، أزهد الناس في متاع الدنيا، أفضل الناس فيما يقول ويفعل، فذاً في سياسته التي يستن فيها شرائع الإسلام^(٤). إذ «يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه؛ لأنه مقدم على الكل، فلو كان فيهم من هو أفضل منه لزم تقديم المفضول على الفاضل، وهو قبيح عقلاً وسمعاً»^(٥).

ولا يرتاب مسلم بأن آل محمد أشرف بني هاشم، وأن بني هاشم أشرف قريش، وأن قريشاً أشرف العرب، وآل محمد أعرق بني هاشم نسباً، وأطهرهم رحماً، وأكرمهم حسباً، وأوفاهم ذمماً، وأحمدهم فعلاً، وأنزههم ثوباً، وأتقاهم عملاً، وأرفعهم همماً، وقد أقر لهم العدو والصديق بالشرف والفضل والكرم والمجد^(٦). ومعنى أن يكون الإمام المعصوم أكمل الناس وأفضلهم، هو أن يكون في أعلى درجات الكمال والفضيلة، فلا يدانيه أحد في الكمالات الروحية والفضائل الأخلاقية، وإلا لبطلت إمامته؛ إذ لا يصح تقدم المفضول على الفاضل، بل يجب أن يكون الإمام في زمن إمامته أفضل الناس وأكملهم على الإطلاق.

١- يونس: ٣٥.

٢- الزمر: ٩٠.

٣- نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١٦٨.

٤- نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص ١٣٦.

٥- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: المقداد السيوري، ص ١٠٢.

٦- الحسين سباهه وسيرته: ص ٨٥.

وقد لخص الإمام زين العابدين عليه السلام مواصفات أئمة أهل البيت التي تجعلهم يتمتعون بصفات ومؤهلات الإمامة والقيادة قائلاً: «أَيُّهَا النَّاسُ! أُعْطِينَا سِتًّا، وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّامَةَ، وَالْفَصَاحَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مِنَّا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمِنَّا الصَّدِّيقُ، وَمِنَّا الطَّيَّارُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ الرَّسُولِ، وَمِنَّا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةُ الْبَتُولُ، وَمِنَّا سِبْطُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

وأجمع المحدثون والرواة من معاصري الإمام زين العابدين عليه السلام على اتصافه بصفات الكمال والجمال والفضل والشرف، فقد كان عليه السلام أيام إمامته أفضل أهل زمانه في كمال العقل والعلم والفضل والشرف والسؤدد والعبادة والتقوى والكرم والجود والحلم والعفو والصفح والإحسان، وكل ما يرتبط بالكمالات المعنوية والروحية والنفسية والأخلاقية.

والأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة في بيان فضل الإمام زين العابدين عليه السلام وشرفه، وذكر مناقبه وكمالاته وخصائصه؛ ما يؤكد على أحقيته وأهليته للإمامة الكبرى.

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن يدانيه بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في الفضل والشرف والكمال والجمال والجلال والهيبة والوقار أحد من الناس. قال الشيخ المفيد: «إنه كان عليه السلام أولى بأبيه الحسين عليه السلام، وأحقهم بمقامه من بعده بالفضل والنسب، والأولى بالإمام الماضي أحق بمقامه من غيره، لدلالة آية ذوي الأرحام وقصة زكريا عليه السلام»^(٢).

٤ - المعاجز والكرامات:

من السبل الموصلة إلى معرفة الإمام المعصوم معاجزه وكراماته الخارقة للعادة التي لا يستطيع غيره الإتيان بها، وهذه المعاجز والكرامات هي

١ - مقتل الحسين للخوارزمي: ج ٢ ص ٦٩؛ بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٨.

٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣.

مؤيدات للنصوص على الإمامة، وكاشفة عن صدق الدعوى، وإلا فإن الادعاءات كثيرة حتى في عصر الأئمة عليهم السلام، لكن عدم قدرتهم على الإتيان بأية معجزة وكرامة يكشف زيف مدعي الإمامة ممن ليسوا من أهلها. ودأب المؤرخون من المتقدمين والمتأخرين على إثبات وتدوين المعاجز والكرامات لكل إمام من أئمة أهل البيت الأطهار، وهو الأمر الذي يؤكد على صدق إمامتهم، ويزيد من قطع المؤمنين بذلك.

إذ إن إظهار الكرامات أمام الأصحاب في بعض الأحيان إنما هو من أجل تثبيت إمامتهم، وبيان فضلهم وشرفهم بما يقوِّي الاعتقاد بإمامتهم في قلوب أتباعهم وشيعتهم، خصوصاً أمام موجات التشكيك التي كان يبثها أعداء أهل البيت ضد القول بإمامتهم.

ويكفي مطالعة كتاب «مدينة المعاجز» للسيد هاشم البحراني والذي ذكر فيه ١٠٦ معجزة وكرامة للإمام زين العابدين عليه السلام^(١)، وكتاب «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» للحر العاملي وقد أورد فيه ٧٩ معجزة وكرامة للإمام زين العابدين عليه السلام^(٢)، وكتاب «الخرائج والجرائح» لقطب الدين الراوندي والذي ذكر فيه ١٤ معجزة من المعاجز والكرامات للإمام زين العابدين عليه السلام^(٣)، وموسوعة «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي والذي نقل فيه ٥١ معجزة من المعاجز والكرامات التي ظهرت على يد الإمام زين العابدين عليه السلام^(٤)؛ والتي تؤكد على صدق دعواه للإمامة، وبطلان دعوى غيره ممن لا دليل على إمامته، ولا يستطيع إظهار أية معجزة تدل على صدق دعواه.

وقد حفلت كتب التاريخ والسيرة والحديث بمعجزات وكرامات الإمام زين العابدين عليه السلام بشكل متواتر، وقد شهد الخاص والعام بذلك؛ فهذا

١- مدينة المعاجز: ج ٢، ص ٦٦٠ - ٧٢٣.

٢- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٤، ص ٦٢ - ٨٩.

٣- الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٧١.

٤- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٢٠ - ٤٩.

الشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣ هـ) كتب في إرشاده ما نصه: «وقد روت الشيعة له آيات ومعجزات وبراهين واضحات لم يتسع لذكرها المكان، ووجودها في كتبهم المصنفة ينوب مناب إيرادها في هذا الكتاب»^(١).

وهذا هو الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٢ هـ) قال عن كراماته وخوارقه ما نصه: «هذا زين العابدين...، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة، وشهد له أنه من ملوك الآخرة»^(٢).

ومن الكرامات المشهورة التي روي أنها حصلت للإمام زين العابدين عليه السلام في تعيين الإمام واجب الطاعة هي شهادة الحجر الأسود له بالإمامة^(٣).

والأئمة (كما الأنبياء) يابون إظهار المعجزات والكرامات إلا في الموارد التي تقتضي المصلحة إظهارها كما في حالة إثبات صدق ادعاء الإمام للإمامة، وهي عبارة عن براهين صادقة، وأدلة حسية ملموسة تثبت للجميع صدق دعوى الإمامة، وهي بمثابة مؤيدات للنصوص التي أشرنا إليها في تعيين الإمام مفترض الطاعة بالاسم، ورفع أي لبس أو شكوك يثيرها أعداء الدين. وظهور المعجزات والكرامات على يديه، تدل على صدق إمامته، ولو اقتصرنا فيها على ما ثبت صحتها بالسند الصحيح، وسلامة الأصل، ووثاقة الرواة لكفى في الاستدلال بها على صدق إمامة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بما لا يدع مجالاً لمنصف أن ينكرها، ولا لعالم موضوعي أن يجحدها، ولا لباحث منهجي أن يرفضها.

وزبدة القول: أصبح الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه سيد الشهداء عليه السلام هو الإمام الشرعي للمسلمين سواء قلنا بالنص الصحيح

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٠.

٢- كشف الغمة: الإريلي، ج ٢، ص ٢٣٨.

٣- راجع: عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب ص ٧٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٢٢. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٩. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٦٨.

الصريح لمن يشترط النص على تعيين الإمام مفترض الطاعة، أو قلنا باجتماع المؤهلات والصفات لمن يقول بها في تعيين الإمام.

وقد أشار الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله) إلى انحصار مؤهلات القيادة والإمامة فيه بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«أصبح علي بن الحسين عليه السلام منذ قدومه إلى المدينة بعد شهادة أبيه مطمح الأنظار ومهوى الأفئدة وقبلة القلوب؛ فهو الإمام الشرعي للمسلمين بالنص الصريح الصحيح عن جده عليه السلام وأبيه، وهو الإمام الشرعي لهم أيضاً باجتماع المؤهلات والصفات التي لم تجتمع في غيره في عصره»^(١).

وخلاصة القول: إن القطع بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام من الأمور الواضحة والمسائل المسلّمة بعد ثبوت النص المتواتر عليه من جده وأبيه بالإمامة، كما أنه عليه السلام أفضل أهل زمانه باجتماع الصفات والمؤهلات القيادية للإمامة والخلافة فيه، وذلك لتكامل شخصيته وسعة علمه وفضله، وتقدمه على كافة أهل عصره في شتى أنواع العلوم والمعارف الإسلامية التي ملأت بطون الدفاتر والمصنفات المعروفة من كتب الكلام والفقه والحديث والتفسير والسيرة والتاريخ.

كما أن ثبوت العصمة له، وأنه أعلم وأفضل أهل زمانه، وتمتعه بأعلى درجات الكمال والجلال والفضل، وسطوع البراهين والخوارق على يديه، تؤكد كلها على أحقيته وأهليته للإمامة والخلافة بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وقد اجتمعت في شخصيته العظيمة جميع الصفات والفضائل والمؤهلات التي تؤهله لقيادة الأمة الدينية والزمنية بإجماع عارفيه ومعاصريه.

١ - سيرة الأئمة الاثني عشر: الإمام علي بن الحسين، الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ج ١، ص ٣٩٦.

الفصل الثالث

شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات الأعلام

أولاً- الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات معاصريه

ثانياً- الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات المؤرخين والعلماء



أولاً- الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات معاصريه

أجمع أهل الفضل والشرف والعلم والفقہ والأدب من معاصري الإمام زين العابدين عليه السلام على تعظيمه وتبجيله، والإشادة بفضله وشرفه ومكانته الرفيعة، والإقرار له بغزارة علومه، وسعة معارفه، وهيبة شخصيته، وتمتعه بسمات وصفات فريدة ونادرة جعلته في طليعة أهل زمانه، بما لا يدانيه في العلم والفضل أحد سواه.

وقد عُرف الإمام زين العابدين عليه السلام بين الخاصة والعامة بغزارة العلم، وسعة المعرفة والفكر، وقوة الدليل والحجة، ولا غرابة في ذلك؛ فهو معدن العلم، ووارث الحكمة، وينبوع المعرفة؛ فشاع صيته في الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر، ومقصد العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين.

وأجمع معاصرو الإمام عليه السلام على أنه كان أعلم وأفقه وأفضل وأحسن أهل زمانه بلا منافس ولا منازع ولا مضارع.

ونسجل هنا بعض ما قاله معاصروه من أقوال وكلمات وشهادات وانطباعات عن معالم شخصيته العظيمة، وبيان فضله ومقامه وعلمه، ومنهم:

١- الإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ):

وصفه حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٠ - ١٤٨ هـ) بأنه أشبه الناس بأمير المؤمنين عليه السلام في زهده وفقهه، بقوله: «وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ وَلَدِهِ - أي ولد الإمام علي عليه السلام - وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ أَحَدٌ أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِ فِي لِبَاسِهِ وَفَقْهِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ»^(١).

وقال عنه أيضًا: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ، وَإِمَامًا وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ آبَائِهِ الْمَاضِينَ»^(٢).

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

٢- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٢٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٦٩ ح ١.

٢- الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري (ت ٧٨ هـ):

أبدى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري (ت ٧٨ هـ) إعجابه الشديد بالإمام زين العابدين عليه السلام، فقال عنه: «وَالله، مَا أَرَى فِي أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَّا يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ عليه السلام. وَالله لَذُرِّيَّةُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ، إِنَّ مِنْهُمْ لَمَنْ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»^(١).

وعنه أيضًا قال: «مَا رُئِيَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ»^(٢). في إشارة منه إلى إيمانه وتقواه وورعه وإخلاصه، وشدة صبره وتحمله للمصائب والابتلاءات الشديدة لما رآه في واقعة كربلاء وما حدث بعدها من أحداث جسام.

٣- الصحابي عبدالله بن العباس (ت ٦٨ هـ):

وهذا الصحابي المعروف عبدالله بن العباس (ت ٦٨ هـ) على جلالته قدره وشأنه يبجل الإمام زين العابدين عليه السلام ويعظمه، ويناديه حينما يراه ويقول تعظيمًا له: «مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ ابْنِ الْحَبِيبِ»^(٣).

٤- عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ):

وصف الحاكم الأموي عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ / ٧٢٠ م) الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه: «سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين»^(٤).

١- الأُمالي للطوسي: ص ٦٣٦ ح ١٣١٤، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦١ من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت عليه السلام نحوه، بشارة المصطفى: ص ٦٦ عن عمر بن عبدالله بن هند الجملي عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٠ ح ١٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٩.

٣- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥ هـ، ج ٤١، ص ٣٧٠. البداية والنهاية: ابن كثير، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، طبع عام ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٦، ص ٤٦٧. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٤.

٤- تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢١٣.

ووصفه في موضع آخر بأنه من أشرف الناس قائلًا: «إِنَّ أَشْرَفَ النَّاسِ هَذَا الْقَائِمُ مِنْ عِنْدِي آتِيًا (يقصد الإمام)، مَنْ أَحَبَّ النَّاسُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

٥- أبو حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ):

وصف ثابت بن أبي صفية بن دينار الكوفي والمعروف بأبي حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ) الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أزهّد الناس بعد أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال: «ما سمعت بأحد من الناس كان أزهّد من علي بن الحسين عليهما السلام إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

٦- ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ):

كان محمد بن مسلم القرشي، والمعروف بابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) عالم السلطة في الحجاز والشام (وهو من معاصري الإمام) وممن استفاد من علومه عليه السلام يبدي إعجابه بشخصيته وأخلاقه وعلمه وفقهه في كلمات متعددة قائلًا: «ما رأيت هاشميًّا أفضل من علي بن الحسين عليه السلام»^(٣)، ويقول أيضًا: «ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحدًا كان أفقه منه»^(٤)، وثالثة يقول: «لم أدرك بالمدينة أفضل منه»^(٥)، ورابعة ينص على أن الإمام كان أفقه أهل زمانه: «ما رأيت أحدًا كان أفقه منه»^(٦)، وخامسة

١- مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٧.

٢- الكافي: ج ٨، ص ١٤، ج ٢. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥١.

٣- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥ هـ، ج ٤١، ص ٣٧١. الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٦٢.

٤- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩. تهذيب الكمال: المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج ٢٠، ص ٣٨٦. البداية والنهاية: ج ٦، ص ٤٦٨.

٥- تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٣٤٣.

٦- تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧، ص ٢٦٩. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٧١.

يقول: «كَانَ أَفْضَلَ هَاشِمِيٍّ أَدْرَكَنَاهُ»^(١) وغير ذلك من أقواله بحق الإمام زين العابدين عليه السلام التي تبين مكانته العلمية وفضله وشرفه ومقامه الرفيع.

٧- سعيد بن المسيّب (٩٤ هـ):

وهذا سعيد بن المسيّب (١٥ - ٩٤ هـ) - من أبرز فقهاء يثرب - ممن صحب الإمام زين العابدين عليه السلام، ووقف على أخلاقه وسلوكه وورعه وتقواه وعلمه، يقول عنه: «ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام، وما رأيته قط إلا مَقَّتْ نفسي»^(٢).

وقال عنه أيضًا: «مَا رَأَيْتُ أَوْرَعَ مِنْهُ»^(٣).

وجلس إلى سعيد بن المسيّب فتى من قريش فطلع علي بن الحسين عليه السلام فقال القرشي لابن المسيّب: من هذا يا أبا محمد؟ فقال: «هذا سيّد العابدين علي بن الحسين»^(٤).

٨- زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ):

وصف زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) - وهو من فقهاء المدينة - الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أفضل وأفقه وأعلم أهل زمانه، وأشاد بإيمانه وورعه وأخلاقه الرفيعة، قائلاً: «ما جالست في أهل القبلة مثله»^(٥). أي مثل علي بن الحسين عليه السلام.

وقال أيضًا: «ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم قط»^(٦)، أي: في أهل البيت.

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

٢- تاريخ يعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٢١٢.

٣- تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧، ص ٢٦٩. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٠، رقم الترجمة: ٦٠٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ٨٠.

٤- الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٦٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٦، ح ٧٢.

٥- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٧٣.

٦- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٧٣.

وقال مرة ثالثة: «ما رأيت مثل علي بن الحسين فهماً حافظاً»^(١).

٩- أبو حازم الأعرج (ت ١٣٣هـ)

قال أبو حازم سلمة بن دينار المدني المخزومي (ت ١٣٣هـ)، عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ما نصه: «مَا رَأَيْتُ هَاشِمِيًّا أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ»^(٢).

١٠- يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ)

أبدي يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ) - وهو تابعي ومن فقهاء المدينة - إعجابه بالإمام قائلًا: «علي بن الحسين أفضل هاشمي رأيته بالمدينة»^(٣). وعنه أيضًا قال: «سمعت علي بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركته»^(٤).

١١- حماد بن زيد (ت ١٧٩هـ)

قال حماد بن زيد بن درهم مولى آل جرير بن حازم الجهضمي (ت ٩٨-١٧٩هـ) - وهو من أبرز فقهاء البصرة - مشيدًا بالإمام زين العابدين عليه السلام: «كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته»^(٥).

١- طبقات الفقهاء: ٢ / ٣٤.

٢- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠. الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٥. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٣٠٩، ح ١٢. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١، رقم الترجمة: ٦٠٤.

٣- التاريخ الكبير: البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج ٦، ص ٢٦٧، رقم ٢٣٦٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ج ٣، ص ٤٧٩. تهذيب الأسماء واللغات: النووي، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٤، رقم الترجمة: ٤٢٦.

٤- تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧، ص ٢٦٩. ينابيع المودة: القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٤٣٧.

٥- تهذيب الأسماء واللغات: النووي، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٤، رقم الترجمة: ٤٢٦.

١٢ - مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)

وهذا مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ - ٧١١ م) إمام المذهب المالكي يعترف بفضل الإمام عليه السلام، ويقر بأنه لا أحد مثله قائلًا: «لم يكن في أهل البيت مثله»^(١). وعنه أيضًا قال: «لم يكن في أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل علي بن الحسين»^(٢).

١ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩.

٢ - تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧، ص ٢٦٩.

ثانياً- الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات المؤرخين والعلماء

أشاد الأعلام من المؤرخين والعلماء والفقهاء والأدباء والرواة والكتّاب في كلماتهم وأقوالهم بشخصية وفضائل وخصائص وصفات ومناقب الإمام زين العابدين عليه السلام.

وكتب عن الإمام عليه السلام، وأشاد بفضلته ومكانته وسمو مقامه كل من قرأ سيرته المباركة، واطّلع على مناقبه وفضائله وخصائصه وصفاته الذاتية، ولم تقتصر تلك الشهادات على أصحابه وأتباعه ومريديه ومحبيه، بل تجاوز كل ذلك، فكتب عنه الإمامي وغيره، والمؤلف والمخالف، والمؤرخ وغيره؛ فقد جسّد الإمام زين العابدين عليه السلام في سيرته وأخلاقاته قيم الإنسانية ومبادئ الأخلاق التي يؤمن بها كل العقلاء في كل زمان ومكان.

وأجمع كل من ترجم أو قرأ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام على مكانته العلمية الرفيعة، والإشادة بمناقبه وفضائله وخصائصه، ومقامه الشامخ، وسنجل هنا أهم ما دونه الأعلام والمؤرخون والكتّاب من أهل العلم والفقهاء والفضل والتاريخ في ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام، ومن أبرزهم الأساء الآتية:

١ - سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ):

وصف سفيان بن عيينة (١٠٧ - ١٩٨هـ) الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أفضل بني هاشم وأفقههم، فقال: «مَا رَأَيْتُ هَاشِمِيًّا أَفْضَلَ مِنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَلَا أَفْقَهَ مِنْهُ»^(١).

٢ - محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ):

قال أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠م)،

١ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٩.

وهو إمام المذهب الشافعي، عن الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أفقه أهل المدينة، قائلاً ما نصه: «إنَّ عليَّ بن الحسين أفقه أهل المدينة»^(١).

٣- الواقدي (ت ٢٠٧ هـ):

قال أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ)، المدني الواقدي، وهو من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «كان من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل، وكان إذا مشى لا يخطر بيده»^(٢).

٤- ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ):

وصف محمد بن سعد (١٦٨ - ٢٣٠ هـ) - وهو صاحب الطبقات الكبرى - الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه ثقة، وكثير الحديث، وعالم رفيع، فقال ما نصه: «كان علي بن حسين ثقة مأموناً، كثير الحديث، عاليًا، رفيعًا، ورعًا، عابدًا، خافيًا»^(٣)، وينقل الدميري عنه أيضًا: «كان زين العابدين ثقة مأموناً، كثير الحديث عن رسول الله ﷺ، عالمًا، ولم يكن من أهل البيت مثله»^(٤).

٥- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ):

أشاد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥ هـ) - وهو من كبار الأدباء في عصره - بالإمام زين العابدين عليه السلام، وأنه لا أحد يشك في فضله وتفضيله على غيره، وأن المسلمين كافة على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية والفكرية اتفقوا على فضله ومحبته ومودته، فقال: «وأما علي بن

١- رسائل الجاحظ: ص ١٠٦.

٢- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ج ٩، ص ١٢٢.

٣- الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢٢٢. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٤. البداية والنهاية: ج ٦، ص ٤٦٦.

٤- حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ، ج ١، ص ٢٠١.

الحسين بن علي؛ فلم أرَ الخارجي في أمره إلا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلا كالعامي، ولم أرَ العامي إلا كالخاصي، ولم أجد أحدًا يتماهى في تفضيله ويشك في تقديمه»^(١).

٦- العجلي (ت ٢٦١هـ):

قال أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي (١٨٢ هـ - ٢٦١ هـ)، - وهو أحد علماء الحديث - عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «مدني، تابعي، ثقة»^(٢).

٧- المؤرخ اليعقوبي (المتوفى بعد ٢٩٢هـ):

وصف المؤرخ المعروف اليعقوبي (المتوفى بعد ٢٩٢هـ) الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أفضل الناس وأكثرهم عبادة، فقال عنه: «كان أفضل الناس، وأشدّهم عبادة، وكان يسمّى: زين العابدين، وكان يسمّى أيضًا ذا الثغفات، لما كان في وجهه من أثر السجود»^(٣).

٨- الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ):

أشار الشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) إلى سعة علم الإمام عليه السلام وأنه أفضل أهل زمانه علمًا وعملاً بعد أبيه بقوله: «كان أفضل خلق الله بعد أبيه علمًا وعملاً»^(٤).

٩- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ):

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) وهو من أعلام القرن الخامس عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «علي بن الحسين بن علي

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبه، ص ٢٥٠.

٢- تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧، ص ٢٦٩. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٧٩، رقم الترجمة: ٦٠٤.

٣- تاريخ اليعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٢١٢.

٤- الإرشاد: ص ٢٤٣.

بن أبي طالب (عليهم السّلام)، زين العابدين، ومنار القانتين، وكان عابداً وقيّاً، وجواداً حفيّاً»^(١).

١٠ - ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ):

قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر الدمشقي (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ) في ترجمته للإمام زين العابدين (عليه السّلام)، ما نصه: «كان عليُّ بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث، عاليّاً رفيعاً ورعاً»^(٢).

١١ - ابن الأثير، أبو السعادات (ت ٦٠٦ هـ):

قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ) في كتابه: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» عند ترجمته للإمام زين العابدين (عليه السّلام)، ما نصه: «علي بن الحسين هو أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين، ويقال: أبو محمد، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بزين العابدين، من أكابر سادات أهل البيت، ومن جملة التابعين وأعلامهم»^(٣).

١٢ - ابن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ):

وصف الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٢ هـ) الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بكلمات بليغة ومعبرة مشيدة بخصاله وصفاته وفضله ومناقبه، فقال ما نصه:

«هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد أنه من سلالة رسول الله ﷺ، وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثناته تسجل بكثرة صلاته وتهجده وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده

١ - حلية الأولياء: دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٢، ص ٤١٤.

٢ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٢.

٣ - مناقب أهل البيت: المولى حيدر علي الشيرواني، ص ٢٥٥.

فيها، درت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أورد العباداة فأنس بصحبته، وحالفته وظائف الطاعة فتحلو بحليتها، طالما اتخذ سهره مطية ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مسافة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهده بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة، وشهد له أنه من ملوك الآخرة»^(١).

١٣ - سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ):

قال يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله التركي البغدادي العوني الحنفي والمعروف بسبط ابن الجوزي (٥٨١ - ٦٥٤ هـ) في ترجمته له ما نصه: «وهو أبو الأئمة، وكنيته أبو الحسن، ويلقب بزين العابدين، وسماه رسول الله ﷺ سيد العابدين... والسجاد، وذو الثنات، والزكي، والأمين»^(٢).

١٤ - النووي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ):

قال أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي (٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م / ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) المشهور باسم (النووي)، وهو محدث وفقيه ولغوي، وأحد أبرز فقهاء الشافعية، في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي المدني، التابعي، المعروف بزين العابدين (رضي الله عنه)... وأجمعوا على جلالته في كل شيء»^(٣). وهذه الكلمة مع اختصارها إلا أنها تحمل دلالات قوية على إجماع المسلمين كافة على تعظيم الإمام وإجلاله من مختلف أصحاب المذاهب والفرق والمدارس الفكرية والفقهية.

١ - كشف الغمة: الإربلي، ج ٢، ص ٢٣٨.

٢ - تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٣.

٣ - تهذيب الأسماء واللغات: النووي، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ، ص ٢٤٤، رقم الترجمة: ٤٢٦.

١٥ - ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ):

قال ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) أن الإمام زين العابدين عليه السلام أحد أئمة أهل البيت، وأنه من أعيان التابعين، ما نصه: «هو - أي الإمام زين العابدين - أحد الأئمة الاثني عشر، وهو من سادات التابعين»^(١).

١٦ - الشيخ الإربلي (ت ٦٩٣ هـ):

أشاد أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣ هـ) بمناقب وفضائل الإمام زين العابدين عليه السلام، وعدّد أبرزها بقوله:

« مناقب الإمام علي بن الحسين تكثر النجوم عدداً، ويجرى واصفها إلى حيث لا مدى، وتلوح في سماء المناقب كالنجوم لمن اهتدى، وكيف لا وهو يفوق العالمين إذا عد علياً وفاطمة والحسن والحسين ومحمداً، وهذا تقديم لسجع في الطبع فلا تكن متردداً، ومتى أعطيت الفكر حقه وجدت ما شئت فخاراً وسؤدداً؛ فإنه عليه السلام الإمام الرباني، والهيكل النوراني بدل الأبدال، وزاهد الزهاد، وقطب الأقطاب، وعابد العباد، ونور مشكاة الرسالة، ونقطة دائرة الإمامة، وابن الخيرتين، والكريم الطرفين، قرار القلب، وقرة العين على بن الحسين، وما أدراك ما علي بن الحسين! الأَوَّاه الأَوَّاب، العامل بالسنة والكتاب، الناطق بالصواب، ملازم المحراب، المؤثر على نفسه، المرتفع في درجات المعارف، فيومه يفوق على أمسه، المتفرد بمعارفه، الذي فضل الخلائق بتليده وطارفه، وحكم في الشرف فتسنم ذروته، وخطر في مطارفه، وأعجز بما حواه من طيب المولد، وكرم المحتد، وزكاء الأرومة، وطهارة الجرثومة، عجز عنه لسان واصفه، وتفرد في خلواته بمناجاته، فتعجب الملائكة من مواقفه، وأجرى مداحه خوف ربه، فأربى على هامى الصوب وواكفه، فانظر أيديك الله في أخباره، وألمح بعين الاعتبار عجائب آثاره، وفكر

في زهده وتعبده وخشوعه وتهجده ودؤوبه في صلاته، وأدعيته في أوقات مناجاته، واستمراره على ملازمة عباداته، وإيثاره وصدقاته وعطاياه وصلاته، وتوسلاته التي تدل مع فصاحته وبلاغته على خشوعه لربه، وضراعه ووقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته، واعترافه بالذنوب على براءة ساحته وبكائه ونحيبه وخفوق قلبه من خشية الله ووجيبه وانتصابه وقد أرخى الليل سدوله، وجر على الأرض ذيوله، مناجياً ربه تقدست أسماؤه، مخاطباً له تعالى، ملازماً بابه عز وجل، مصوراً نفسه بين يديه، معرضاً عن كل شيء مقبلاً عليه، قد انسلخ من الدنيا الدنية، وتعرى من الجثة البشرية، فجسمه ساجد في الثرى، وروحه متعلقة بالملاء الأعلى، يتملل إذا مرت به آية من آيات الوعيد حتى كأنه المقصود بها وهو عنها بعيد، تجد أموراً عجيبة وأحوالاً غريبة، ونفساً من الله سبحانه وتعالى قريبة، وتعلم يقيناً لا شك فيه ولا ارتياب، وتعرف معرفة من قد كشف له الحجاب، وفتحت له الأبواب، أن هذه الثمرة من تلك الشجرة، كما أن الواحد جزء العشرة، وأن هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم، وأن هذا الحديث من ذلك القديم، وأن هذه الدرة من ذلك البحر الزاخر، وأن هذا النجم من ذلك القمر الباهر، وأن هذا الفرع النابت من ذلك الأصل الثابت، وأن هذه النتيجة من هذه المقدمة، وأنه عليه السلام خليفة محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة المكرمة المعظمة هذا أصله الطاهر.

وأما فرعه فما أشبه الأول بالآخر؛ فهم عليهم السلام مشكاة الأنوار، وسادة الأخيار، والأمناء الأبرار، والأتقياء الأطهار، كل واحد منهم في زمانه علم يهتدى به، من وفقه الله وسدده وأمدّه بعنايته وعضده وهداه إلى سبيله، وأرشده وأنجده بلطفه وأيده، وعلي بن الحسين عليه السلام دوحتهما التي منها تتشعب أغصانهم، وارم بني الحسين فمنه بسقت أفنانهم، ولساني يقصر في هذا المقام عن عد مفاخره، ووصف فضله، وعبارتي تعجز عن النهوض

بما يكون كفاءً لشرفه ونبله، وكيف لمثلي أن يقوم بواجب نعت مثله، وأين الثريا والثرى، وإنما يقدر على وصفه من كان يرى ما يرى، لكنني أقول على قدر علمي لا على قدره، ونيتي أبلغ من قولي عند ذكره»^(١).

١٧ - النويري (ت ٧٣٧ هـ):

قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد النويري (٦٧٧ - ٧٣٧ هـ) عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «وكان (رحمه الله) ثقة، ورعاً، مأموناً، كثير الحديث، من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة»^(٢).

١٨ - الذهبي (ت ٧٤٨ هـ):

وصف الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «كان له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده، وعلمه، وتألهه، وكمال عقله»^(٣). وإقرار الذهبي (وغيره من مدرسة الخلفاء) بأحقية وأهلية الإمام للإمامة العظمى والقيادة الدينية والزمنية للأمة يكشف عن بروز الصفات والخصائص والمؤهلات في شخصية زين العابدين عليه السلام، وأنه الأحق في زمانه بالإمامة والخلافة دون غيره من الخلفاء، والتي هي من أرفع المراتب وأعظم المسؤوليات في الإسلام.

١٩ - ابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ):

قال النسابة الشهير جمال الدين أحمد بن علي الحسني والمعروف بابن

١ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: الإربلي، ج ٢، ص ٢٧٠ - ٢٧٢.

٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج ٢١، ص ٣٢٤.

٣ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٨٣، رقم الترجمة: ٦٠٤.

عنية (٧٤٨ - ٨٢٨ هـ) عن فضائل الإمام زين العابدين عليه السلام: «وفضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى، أو يحيط بها الوصف»^(١).

٢٠- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ):

قال ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي: زين العابدين، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل مشهور»^(٢).

٢١- ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ):

أشاد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي (المتوفى سنة ٩٧٤ هـ) بالإمام زين العابدين عليه السلام بما نصه: «وزين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة...، وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح»^(٣).

لقد خلف الإمام زين العابدين عليه السلام أباه في إيمانه وأخلاقه وعلمه، وورث أعز صفاته من الإيمان والعبادة والعلم والزهد والإباء والعزة والهيبة وغيرها، مضافاً إلى ما كان يتمتع به من عظيم التجاوز والعفو عن أساء إليه وأخطأ بحقه.

٢٢- السيد محمد كاظم اليماني:

قال النَّسَّابة السيد محمد كاظم بن أبي الفتوح اليماني الموسوي (من أعلام القرن التاسع) في ترجمته للإمام عليه السلام، ما نصه: «كان الذكر المخلَّد، والاشتهار لعلّي الأوسط زين العابدين، الملقَّب بـ (السَّجَّاد) بفتح السين المهملة وتشديد

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنية، ص ٢٥٠.

٢- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ -

١٩٩٥ م، ج ١، ص ٦٩٢، رقم ٤٧٣١.

٣- الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

الجيم ودال مهملة بعد الألف... وهو عليه السلام أول سبط من أسباط الحسين عليه السلام، ورابع إمام معصوم على رأي الاثني عشرية، وزاهد على رأي غيرهم^(١).

٢٣- المناوي (ت ١٠٣١ هـ):

قال محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المشهور بالمناوي (٩٥٢ هـ - ١٠٣١ هـ) في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «زين العابدين، إمام، سند، اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوف في الوجود حمائم، كان عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، رأساً لجسد الرئاسة، مؤملاً للإيالة^(٢) والسياسة^(٣)».

٢٤- الشيخاني القادري (ت ١١١٩ هـ):

أشاد محمود بن محمد علي أبو عمر القادري الشيخاني (ت ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م) بفوائد الإمام زين العابدين عليه السلام قائلاً ما نصه: «سيدنا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوف في الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناضرة، وثبت بالآثار المتواترة^(٤)».

٢٥- الشبراوي الشافعي (ت ١١٧١ هـ):

قال أبو محمد جمال الدين عبدالله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي (١٠٩١ هـ - ١١٧١ هـ) في ترجمته للإمام عليه السلام ما نصه:

١- النفحة العنبرية في أنساب خير البرية: السيد محمد كاظم الياني، مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، ص ٤٦.

٢- الإيالة: سياسة الرعية وتدير شؤونها.

٣- الكواكب الذرية في تراجم السادة الصوفية: المناوي، ص ٢، ص ١٣٩.

٤- الصراط السوي: الورقة ١٩.

«كان (رضي الله عنه) - أي الإمام زين العابدين - عابداً، زاهداً، ورعاً، متواضعاً حسن الأخلاق»^(١).

٢٦- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ):

قال الشيخ سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان الحسيني البلخي القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤هـ) في ترجمته للإمام عليه السلام ما نصه: «وكان ثقة مأموناً، كثير الحديث، عاليًا رفيعاً، وأجمعوا على جلالته في كل شيء...، وفضائله كثيرة شهيرة»^(٢).

٢٧- السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٩٥٢ م):

قال السيد محسن الأمين العاملي (١٨٦٥ - ١٩٥٢ م) في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأورعهم وأعبدتهم وأكرمهم وأحلمهم وأصبرهم وأفصحهم، وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم صدقة، وأرفهم بالفقراء، وأنصحهم للمسلمين، كان معظماً عند القريب والبعيد، والولي والعدو حتى إن يزيد بن معاوية لما أمر أن يبايعه أهل المدينة بعد وقعة الحرة على أنهم عبيد رق له لم يستثن من ذلك إلا علي بن الحسين فأمر أن يبايعه على أنه أخوه وابن عمه. وكان يشبه جده أمير المؤمنين عليه السلام في لباسه وفقهه وعبادته، وكان يحسن إلى من يسيء إليه»^(٣).

٢٨- آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ):

قال شيخ المحققين وصاحب الذريعة الشيخ محمد محسن الشهير بآغا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩هـ): «الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، رابع أئمة

١- الإتحاف بحب الأشراف: ص ٤٩.

٢- ينابيع المودة: القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٤٣٧.

٣- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٤٦٤.

الشيعة الإمامية، الذي اتفق مؤرخو الإسلام على أنه من أشهر رجال التقوى والزهد والعبادة»^(١).

٢٩- الشيخ محمد أبو زهرة (ت ١٩٧٤م):

قال الشيخ محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (١٨٩٨ - ١٩٤٧م) - من علماء الأزهر البارزين - عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «فعلي زين العابدين كان إمام المدينة نبلاً وعلماً، وقال: كان ملء الأبصار والقلوب في بلاد الحجاز كلّها، والذي كانت الجموع تنزاح بين يديه، من غير سلطان، ولا حكم إلا الشرف والفضيلة وكريم الخصال»^(٢).

٣٠- خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م):

قال مؤلف كتاب (الأعلام) خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م) في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السلام أنه أحد الذين يضرب بهم المثل في الحلم والورع، ونص كلامه:

«علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، يقال له علي الأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر»^(٣).

٣١- الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ٢٠٠٦م):

قال الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ٢٠٠٦م) عن موقعية ومنزلة الإمام

١- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ١٣، ص ٢٠٩.

٢- موسوعة طبقات الفقهاء: الشيخ جعفر السبحاني، ج ١، ص ٢٥٩، نقلاً عن كتاب: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٣٩ و ٦٤٢.

٣- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥م، ج ٤، ص ٢٧٧.

زين العابدين عليه السلام ما نصه: «أصبح علي بن الحسين منذ شهادة أبيه مطمح الأنظار وحديث الألسن ومهوى الأفئدة وقبلة القلوب، لما يعلم الجميع من غزارة دينه وعقله، وسعة علمه وفضله، وعظمة أخلاقه وصفاته، ولأنه الرمز المائل والسفينة الباقية من سلالة النبوة الطيبة الطاهرة»^(١).

٣٢- الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ):

قال المحقق المعاصر الشيخ باقر شريف القرشي (١٣٤٤ - ١٤٣٣ هـ) عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام، وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله وعلومه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له، أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم.

ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم وأهوائهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة، والنعوت الشريفة، وفيما أعتقد أنه لا يكاد يقرأ أحد سيرته العاطرة إلا وينحني إجلالاً وإكباراً أمامه، فليس أحد يجاريه في نزعاته الخيرة، وسائر صفاته العظيمة، فهو قائم في ضمير كل إنسان شريف يدين بالولاء للمثل العليا ويعتز بإنسانيته»^(٢).

ونكتفي بأقوال هؤلاء الأعلام من معاصري الإمام زين العابدين عليه السلام أو ممن ترجم له وكتب عنه؛ وكلهم أكدوا على تعظيمه وتبجيله وإكباره، والإشادة بمكانته العلمية، والإقرار بفضله وشرفه، وجلالة قدره، وسعة علومه ومعارفه، وتقدمه على غيره بما لا يدانيه في الفضل والشرف أحد غيره.

١- موسوعة سيرة الأئمة الاثني عشر: الإمام علي بن الحسين، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ج ١، ص ٣٩٦.

٢- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، ج ١٥، ص ١٣٣.

استنتاجات وملاحظات

نستنتج مما تقدم ذكره من أقوال وكلمات وشهادات معاصري الإمام زين العابدين عليه السلام الذين جالسوه وعاشروه وتلمذوا على يديه، ومما سطره المؤرخون والأعلام من ترجمة لسيرته المباركة، اتفاهم على إكبار وتعظيم وتبجيل شخصيته العظيمة، والاعتراف له بالفضل والشرف والمقام الرفيع، والإقرار بسعة علومه ومعارفه، ومقامه العلمي الشامخ.

ويمكن تسجيل مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات التي نستنبطها من أقوال الأعلام في النقاط الآتية:

١- إن الإمام زين العابدين عليه السلام إمام من كبار أئمة المسلمين العظام، وقائد ملهم من قادة الإسلام الكبار، ومفخرة من مفاخر الإنسانية، وعظيم من عظماء التاريخ الإسلامي الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الإنسانية.

٢- أجمع الأعلام والمؤرخون على اختلاف مشاربهم ومدارسهم ومذاهبهم على أن الإمام زين العابدين عليه السلام هو أفضل أهل زمانه، وأعلمهم في الفقه، وأحسنهم في الأخلاق، وأورعهم في الدين، وأشدّهم في العبادة والتقوى والورع، وأقربهم إلى الله تعالى.

٣- اتفق أهل الفضل والعلم والفقه على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أفقه علماء عصره، وأكثرهم إحاطة بعلوم الدين، وأعمقهم فهماً بتفسير القرآن وتأويله؛ وهو ما يجعله يتبوأ بحق منصب المرجعية الدينية للناس.

٤- أقرّ الأعلام في كلماتهم وأقوالهم على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أكثر الناس عبادة وتقوى وورعاً وحريجة في الدين وزهداً في الدنيا وبعداً عن بهارجها وزخارفها الفانية، كما أنه كان يتصف بالعلم والحلم والكرم والجود والسخاء والإحسان إلى الناس.

٥- اعتبر الأعلام من معاصري الإمام عليه السلام على أنه أفضل هاشمي على

الإطلاق في زمانه، بل وأفضل قرشي بلا منافس؛ لما يتصف به من صفات نادرة وخصائص فريدة وشخصية باهرة.

٦- يُستفاد من كلمات الأعلام والمؤرخين أن الإمام عليه السلام كان مؤهلاً للخلافة والإمامة العظمى حتى لمن لا يقول بالنص والتعيين؛ لامتلاكه مواصفات مميزة ومؤهلات قيادية نادرة تجعله في صدارة المؤهلين لتولي الخلافة في نظر مدرسة الخلفاء، وأما على القول بالنص والتعيين كما في مدرسة الإمامية فهو الإمام الشرعي بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

٧- كان الإمام زين العابدين عليه السلام مطمح الأنظار ومهوى الأفئدة وقبله القلوب وحديث الألسن ومقصد العلماء والباحثين عن العلم والمعرفة، لما يعلمه الجميع من طهارة قلبه وسمو مقامه وكثرة عبادته وغزارة علمه ورجاحة عقله وعظمة أخلاقه وحسن معاشرته وجمال منطقته وفصاحة كلامه.

٨- يعد الإمام عليه السلام هو الوحيد القادر في زمانه على حل الإشكالات العلمية العويصة، وكان العلماء والفقهاء يرجعون إليه عند عدم معرفتهم بأي مسألة علمية؛ لأنهم يجدون الجواب الشافي عنده.

٩- إقرار واعتراف علماء وفقهاء أهل زمانه من المذاهب والمدارس الإسلامية المختلفة بفضله وتفوقه العلمي، وهو الأمر الذي يكشف عن الإجماع الذي أطبق عليه العلماء بأنه أفضل علماء عصره، وأن لا أحد يضارعه في العلم، أو ينافسه في الفقه، أو يتقدم عليه في معارف الدين وعلومه.

١٠- إن ما قاله الأعلام والعلماء من شهادات وأقوال بحق شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام إنما يعكس جزءاً بسيطاً من المقام الرفيع والمكانة العظيمة للإمام عليه السلام، وإلا فإن سيرته المباركة، وما روي عنه من مناقب وفضائل وصفات وخصائص فريدة، وما وصل إلينا من أخباره وفقهه ومعارفه المتنوعة، تكشف عن شخصيته العظيمة بصورة أشمل وأعمق وأدق، وتعرّف بمقامه ومكانته الرفيعة، وتبين فضله وعلمه الغزير.

خلاصة الباب الأول

الباب الأول من هذا الكتاب كان موسومًا بـ «شخصية ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام» ويتضمن ثلاثة فصول:

١ - الفصل الأول: كان موسومًا بـ «البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام» تطرق فيه البحث إلى الجانب الشخصي للإمام عليه السلام، وفصلنا فيه القول حول أهم المعلومات الشخصية عن الإمام عليه السلام، فأشرنا فيه إلى نسبه الشريف، وولادته المباركة، واسم أمه الطاهرة، ومدة حياته مع جده وعمه وأبيه، ثم ذكرنا كنيته وألقابه ونقش خاتمه، ثم أزواجه وأولاده، ثم شاعره وبوابه، ثم مدة إمامته التي استمرت أربعًا وثلاثين سنة. وختمنا هذا الفصل بالحديث عن مدة عمره الشريف، وتاريخ شهادته، إذ استشهد في المدينة المنورة سنة خمس وتسعين للهجرة على الأرجح، ودفن فيها، وقبره معروف ومشهور في مقبرة البقيع.

٢ - الفصل الثاني: أسميته «الأدلة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام»، تركّز فيه البحث على إثبات إمامته من ثلاث وجوه رئيسة، وهي: إن الأئمة اثنا عشر إمامًا، كلهم من قريش، ولا يمكن أن ينطبق هذا العدد إلا على أئمة أهل البيت الأطهار، ومن ضمنهم: الإمام زين العابدين عليه السلام.

والوجه الثاني: النص على إمامة زين العابدين عليه السلام بالاسم والتعيين، وأنه الإمام مفترض الطاعة بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكرنا طائفة من الروايات المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنص على إمامة الأئمة الاثني عشر إمامًا مطلقًا وإما بذكر أسمائهم الشريفة واحدًا بعد آخر؛ كما أوصى الإمام الحسين عليه السلام على أن الإمام من بعده هو ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ يعتبر النص على الإمام واجب الطاعة شرطًا ضروريًا عند الشيعة الإمامية في تعيين الإمام، وقد تضافرت الأحاديث والنصوص الخاصة

على أن الإمام مفترض الطاعة بعد سيد الشهداء عليه السلام هو ابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالتعيين والنص عليه من قبل رسول الله ﷺ، وذكره بالاسم في جملة الاثني عشر، وكذا النص عليه بالاسم من قبل جده أمير المؤمنين عليه السلام وأبيه الإمام الحسين عليه السلام.

ثم إنه لم يبق للإمام الحسين عليه السلام من عقب بعد استشهاده سوى الإمام زين العابدين عليه السلام، فتعين الإمامة فيه للنصوص المتواترة الدالة على أن الإمامة بعد الحسن والحسين تكون في صلب الإمام الحسين عليه السلام.

والوجه الثالث: صفات الإمام مفترض الطاعة، إذ يجب أن تتوافر فيه مجموعة من الصفات والخصائص وأهمها العصمة بأن يكون الإمام معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن. والعلم بأن يكون الإمام أعلم أهل زمانه، ولا يدانيه أحد في سعة علومه ومعارفه. وأن يكون الإمام أكمل الناس وأحسنهم، فالإمام مفترض الطاعة يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال والجمال والجلال. وأن يكون للإمام براهين صادقة تدل على صدق ادعائه للإمامة، وأهمها ظهور المعجزات والكرامات والخوارق على يديه، الدالة على صدق دعواه بأنه الإمام واجب الطاعة في زمانه.

وقد توفرت كل هذه الصفات والخصائص في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام، بالإضافة لما ذكرناه من تعيينه بالاسم إماماً مفترض الطاعة بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وأنه يدخل ضمن سلسلة الأئمة الاثني عشر، فهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار.

٣- الفصل الثالث: كان موسوماً بـ «شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات الأعلام». استعرضنا في هذا الفصل ما قاله عارفوه ومعاصروه عن فضله وشرفه وأخلاقه وعلمه ومقامه الشامخ، وما كتبه المؤرخون والعلماء والأدباء قديماً وحديثاً في ترجمته وفضله وشرفه ومكانته ومنزلته الرفيعة، وبيان أهم وأبرز ملامح ومناقب وشمائل شخصيته المباركة.

وأجمع الأعلام والمؤرخون والعلماء والفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية والمدارس الفكرية على فضله وشرفه، وعظمة شخصيته، وعلو مقامه العلمي، وحسن أخلاقه، واتصافه بسمات وخصائص شخصية نادرة، ومؤهلات قيادية باهرة، جعلته في قمة الكمال المعنوي والروحي والأخلاقي والعلمي والفكري والإنساني.

وما قاله أو دوّنه أهل العلم والفضل والأدب والتاريخ والسيرة عن شخصيته ومكانته وفضله وأخلاقه وعلمه ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحار مناقبه وفضائله وعلومه، ولكن أقوال الأعلام والرواة والكتّاب من معاصري الإمام أو من مؤرخي سيرته المباركة تكشف عن الصورة التقريبية والتوضيحية لتبين شخصية هذا الإمام العظيم.

الباب الثاني

السيرة الروحية والأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الأول: السيرة الروحية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الأول

السيرة الروحية للإمام زين العابدين عليه السلام

١ - عبادته.

٢ - حجه.

٣ - أدعيته.



عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام

عُرف الإمام زين العابدين عليه السلام بين الخاصة والعامة بكثرة عباداته، وبطول سجوده لله تعالى، وبصلواته المتتالية، ووقوفه الطويل بين يدي ربه حتى لقب بزين العابدين وسيد الساجدين.

وأجمع المؤرخون والرواة على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان من أعبد الناس في زمانه، ويكفي أن تعلم أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة^(١). وإليك بعض ما أثر عن معالم عبادته عليه السلام في النقاط الآتية:

١ - خشيته من الله تعالى:

كان من معالم وملامح عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان شديد الخوف والخشية من الله سبحانه عندما يتهيأ ويستعد للقاء الله سبحانه؛ لأنه يعرف الله حق معرفته، وكان يقول: «وَحَقُّ الصَّلَاةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّكَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قُمْتَ مَقَامَ الدَّلِيلِ الْحَقِيرِ، الرَّائِغِ الرَّاهِبِ، الرَّاجِي الْخَائِفِ، الْمُسْتَكِينِ الْمُتَضَرِّعِ، وَالْمُعْظَمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَارِ، وَتُقْبَلُ عَلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتُقِيمُهَا بِحُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا»^(٢).

وانعكست خشيته من الله عز وجل على جوارحه وحركاته، حتى إنه كان يصفرُّ لونه عند الوضوء، وإذا قام إلى الصلاة ارتعدت فرائضه؛ لأنه يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

١ - إثبات الوصية: المسعودي، ص ١٧٠. الإرشاد: ص ٢٤٦. إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٣٠٠.
الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٧. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ص ٣٢٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٤،
ح ٦٢. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٠، رقم الترجمة: ٦٠٤. ينابيع المودة: القندوزي، ج ٣، ص ٤٣٦.
٢ - بحار الأنوار: ٧١ / ٤ / ١.

روى الشيخ المفيد عن عبدالله بن محمد القرشي قال: كان عليُّ بنُ الحسين عليه السلام إذا تَوَضَّأَ اصْفَرَ لَوْنُهُ، فيقولُ لَهُ أَهْلُهُ: ما هذا الَّذِي يَغْشَاكَ؟

فيقولُ: «أَتَدْرِي لِمَنْ أَتَاهَبُ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ؟!»^(١).

وكان عليه السلام لَا يُحِبُّ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَهْوَرِهِ أَحَدٌ، وَكَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ لِطَهْوَرِهِ وَيُحْمَرُّهُ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، فَإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ بَدَأَ بِالسَّوَالِكِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي صَلَاتِهِ^(٣).

ويتحدث الإمام الباقر عليه السلام عمَّا يتتاب والده الإمام زين العابدين عليه السلام أثناء الوقوف للصلاة إذ ترتعد فرائضه ويغشاه لونٌ آخر، وكان يقف بكل خشوع وخضوع بين يدي الله تعالى، وكان يصلي صلاة مودّع، فقد روى حمزة بنُ حُمُرَانَ، عَنْ أَبِيهِ حُمُرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ... إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ غَشِيَ لَوْنُهُ لَوْنٌ آخَرُ، وَكَانَ قِيَامُهُ فِي صَلَاتِهِ قِيَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، كَأَنَّهُ أَغْضَاؤُهُ تَرْتَعِدُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ يُصَلِّي صَلَاةَ مُودِّعٍ يَرَى أَنَّهُ لَا يُصَلِّي بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٤).

وروى ابنُ أَبِي يَعْغُورٍ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ أَشْعَرَ جِلْدُهُ، وَاصْفَرَ لَوْنُهُ، وَارْتَعَدَ كَالسَّعْفَةِ»^(٥).

وروى الشيخ الصدوق عن أبان بن تغلب قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَشِيَ لَوْنُهُ لَوْنٌ آخَرُ!

١- الإرشاد: ص ٢٤٦، مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٩٧ ح ٢٢٧٧، إعلام الوری: ج ١ ص ٤٨٨، كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٨. بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٧٤ ح ٦١؛ تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٩٠ الرقم ٤٠٥٠ عن عبد الرحمن بن حفص القرشي، تاريخ دمشق: ج ٤١ ص ٣٧٨ عن عبد الرحمن بن جعفر الهاشمي. ابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤٧. ينابيع المودة: القندوزي، ج ٣، ص ٤٣٦.

٢- خير الشيء: ستره.

٣- كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٠. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٨، ح ٨٦. ينابيع المودة: القندوزي، ج ٣، ص ٤٣٧، نحوه.

٤- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٦١، ح ١٩.

٥- فلاح السائل: ٢٠٣ / ١١٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٥٥، ح ٤.

فَقَالَ لِي: «وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَعْرِفُ الَّذِي يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(١).
وَرَوَيْ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَأَصَابَتْهُ رِعْدَةٌ، وَحَالَ أَمْرُهُ،
فَرَبَّمَا سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَقُولُ: «إِنِّي أُرِيدُ الْوُقُوفَ
بَيْنَ يَدَيَّ مَلِكٍ عَظِيمٍ»^(٢).

وَفِي مَصْبَاحِ الْمُتَهَجِّدِ: «كَانَ لَهُ خَرِيطَةٌ فِيهَا تُرَبُّهُ الْحُسَيْنُ، إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ
تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَإِذَا سَجَدَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى يَرْفُضَ^(٣) عِرْقًا»^(٤).
وَفِي فَلَاحِ السَّائِلِ: «كَانَ [عَلِيٌّ] بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا شَرَعَ فِي طَهَارَةِ
الصَّلَوَاتِ اصْفَرَ وَجْهَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ»^(٥).

وَفِي دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ: «كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَأَخَذَ
فِي الدُّخُولِ فِيهَا اصْفَرَ وَجْهَهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقِيلَ لَهُ مَرَّةً فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي
أُرِيدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيَّ مَلِكٍ عَظِيمٍ»^(٦).

٢ - كثرة العبادة:

تَسَالَمَ مُعَاَصِرُو الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّهَجُّدِ
وَالدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُهُ الْإِمَامُ
الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا شَاهَدَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَبِيهِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ قَائِلًا: «فَإِذَا هُوَ قَدْ
بَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، فَرَأَاهُ قَدْ اصْفَرَ لَوْنُهُ مِنَ السَّهْرِ، وَرَمَصَتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَدَبَّرَتْ جَبْهَتُهُ، وَانْخَرَمَ أَنْفُهُ مِنَ السُّجُودِ، وَوَرِمَتْ سَاقَاهُ
وَقَدَمَاهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ».

١ - علل الشرائع: ص ٢٣١ ح ٧، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٦ ح ٣٠، الخصال: ص ٥١٧ ح ٤.

٢ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٢.

٣ - قال الطريحي في المجمع: ارفضاض الدمع ترششها، ومنه حديث علي بن الحسين:
لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً أي يسيل ويجري.

٤ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٢.

٥ - فلاح السائل: ١٢٤.

٦ - دعائم الإسلام: ١ / ١٥٨.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَلَمْ أَمْلِكْ حِينَ رَأَيْتُهُ بِتِلْكَ الْحَالِ الْبُكَاءَ، فَبَكَيْتُ رَحْمَةً لَهُ، وَإِذَا هُوَ يُفَكِّرُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ مِنْ دُخُولِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَعْطِنِي بَعْضَ تِلْكَ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا عِبَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَعْطَيْتُهُ فَقَرَأَ فِيهَا شَيْئًا يَسِيرًا ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ يَدِهِ تَضَجُّرًا وَقَالَ: مَنْ يَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

وفي هذا القول إشارة إلى فضيلة من فضائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمع أن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في أعلى درجات العبادة والاجتهاد في الطاعة، ومع أنه اشتهر بين الخاصة والعامة بأنه زين العابدين لكثرة عبادته، وكثرة صلاته وقيامه، وطول سجدياته إلا أنه كان يرى نفسه لم يصل إلى مستوى عبادة جده أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، للتأكيد على أن انشغال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالجهاد والعمل لم يمنعه من كثرة العبادة في رد غير مباشر على دعاية الأمويين الذين بثوا الأكاذيب حول عبادته وصلاته.

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا أَخَذَ كِتَابَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَظَرَ فِيهِ، قَالَ: مَنْ يُطِيقُ هَذَا؟ مَنْ يُطِيقُ ذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَعْمَلُ بِهِ.

وكان إذا قام إلى الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَتَّى يُعْرِفُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَمَا أَطَاقَ أَحَدٌ عَمَلَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»^(٢).

وفي هذا شهادة من الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لم يكن أحد في عبادته يشبه عبادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا حفيده الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن كثرة عبادته أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، فقد روى حمزة بن مُرَّانَ، عَنْ أَبِيهِ مُرَّانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٦. المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٢. كشف الغمة: ج ٢، ص

٢٤٧-٢٤٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٤، ح ٦٥.

٢- الكافي: ج ٨ ص ١٦٣ ح ١٧٢ عن سلمة بن يساف السابري وحفص بن البختري عبد الرحمن بن

الحجاج، وسائل الشيعة: ج ١ ص ٦٣ ح ٢٠٠.

عَلِيَّ الْبَاقِرِ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، كَانَتْ لَهُ حُسْبَاءُ نَخْلَةٍ، فَكَانَ يُصَلِّي عِنْدَ كُلِّ نَخْلَةٍ رَكْعَتَيْنِ»^(١).

وكان إذا سجد أطلال في سجوده، يدعو ربه ويناجيه، ولا يرفع رأسه حتى يَرَفُضَ عِرْقًا^(٢)، أو كأنه غُمَسَ في الماءِ مِنْ كَثْرَةِ دُمُوعِهِ وبكائه^(٣).

رُوي عَنْ يُونُسَ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ فَإِذَا شَابٌّ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سَجَدَ وَجْهِي مُتَعَفِّرًا فِي التُّرَابِ لِحَاقِلِي وَحَقِّ لَهُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَلَمَّا انْفَجَرَ الْفَجْرُ هَضْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ تُعَذِّبُ نَفْسَكَ، وَقَدْ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِمَا فَضَّلَكَ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَيْنٍ بَاكِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَرْبَعَةً أَعْيُنٍ: عَيْنُ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ سَاهِرَةً سَاجِدَةً يُبَاهِي بِهَا اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي رُوحُهُ عِنْدِي وَجَسَدُهُ فِي طَاعَتِي، قَدْ جَافَى بَدَنَهُ عَنِ الْمُضَاجِعِ يَدْعُونِي خَوْفًا مِنْ عَذَابِي وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِي، أَشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ»^(٤).

٣- الاجتهاد في العبادة حتى أنضته:

بلغ الإمام زين العابدين عليه السلام من الاجتهاد في العبادة والانهماك فيها إلى درجة أن بعض أهله خافوا عليه من الهلاك، ما دفع بإحدى عماته أن تطلب من الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أن يقنعه بالتخفيف من العبادة للحفاظ على نفسه، وإليك نص الرواية:

١- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٦١، ح ١٩. المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٢.

٢- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٨، ح ١٠٤.

٤- كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٥٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٩ - ١٠٠، ح ٨٨.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن عمرو بن عبدالله بن هند الجملي، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا نَظَرَتْ إِلَى مَا يَفْعَلُ ابْنُ أَخِيهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّأْبِ فِي الْعِبَادَةِ، أَتَتْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِزَامِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَتْ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حُقُوقًا، وَمِنْ حَقِّنَا عَلَيْكُمْ أَنْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَنَا يُهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتِهَادًا أَنْ تُذَكِّرُوهُ اللَّهَ وَتَدْعُوهُ إِلَى الْبَقِيَا عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَقِيَّةُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ قَدْ انْخَرَمَ أَنْفُهُ وَثَفِنَتْ جَبْهَتُهُ وَرُكِبَتْاهُ وَرَاحَتَاهُ، ذَأْبًا مِنْهُ لِنَفْسِهِ فِي الْعِبَادَةِ.

فَأَتَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَابَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام... ثُمَّ أَذِنَ لِجَابِرٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ فِي مَحْرَابِهِ قَدْ أَنْصَتَهُ الْعِبَادَةَ، فَهَضَّ عَلِيُّ عليه السلام، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ سُؤلاً حَفِيًّا ثُمَّ أَجْلَسَهُ بِجَنْبِهِ، فَأَقْبَلَ جَابِرٌ عَلَيْهِ يَقُولُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْجَنَّةَ لَكُمْ وَلِمَنْ أَحَبَّكُمْ وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ أَبْغَضَكُمْ وَعَادَاكُمْ، فَمَا هَذَا الْجَهْدُ الَّذِي كَلَّفْتَهُ نَفْسَكَ؟

قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَلَمْ يَدَعْ الْجَهْدَ لَهُ، وَتَعَبَدَ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - حَتَّى انْتَفَخَ السَّاقُ وَوَرِمَ الْقَدَمُ، وَقِيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!

فَلَمَّا نَظَرَ جَابِرٌ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَلَيْسَ يُغْنِي فِيهِ مِنْ قَوْلٍ يَسْتَمِيلُهُ مِنَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ إِلَى الْقَصْدِ قَالَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، الْبَقِيَا عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ لِمَنْ أُسْرَةٍ بِهِمْ يُسْتَدْفَعُ الْبَلَاءُ وَتُسْتَكْشَفُ اللَّأْوَاءُ^(١) وَبِهِمْ تُسْتَمْطَرُ السَّمَاءُ. فَقَالَ: يَا جَابِرُ، لَا أَزَالُ عَلَى مِنْهَاجِ أَبِيي مُؤْتَسِيًا بِهِمَا (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) حَتَّى أَلْقَاهُمَا^(٢).

١ - اللَّأْوَاءُ: المشقة والشدة (لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٣٨ «لأي»).

٢ - الأماي للطوسي: ص ٦٣٦ ح ١٣١٤، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦١ من دون إسناد إلى أحد.

إن قوله عليه السلام: لا أزال على منهاج أبوي - يعني عليًا والحسين - مؤتسبًا بهما أي مقتديًا بسيرتهما في العبادة والأخلاق وسائر الأمور الأخرى، لأنه مثلهما في الإمامة ووارثهما في الكرامة والمنهج والسيرة.

وفي موقف آخر يرويه الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليهما الصلاة والسلام على عبد الملك بن مروان قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبا محمد لقد بين عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، قريب النسب وكيد السبب، وإنك لدو فضل عظيم على أهل بيتك، وذوي عَصْرِكَ، ولقد أُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يُؤْتَهُ أحدٌ مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يُثني عليه ويُطريه.

قال: فقال علي بن الحسين عليه السلام: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى ترم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يُعصب فوه، ف قيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبدًا شكورًا، الحمد لله على ما أوتى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحمدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية، ولو لا أن لأهلي علي حقًا، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقًا، لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة

من أهل البيت عليهم السلام نحوه، بشارة المصطفى: ص ٦٦ عن عمر بن عبد الله بن هند الجملي عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٠ ح ١٨.

حَتَّى أُوَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ، لَرَمِيتُ بِطَرَفِي إِلَى السَّمَاءِ وَبِقَلْبِي إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ أَرُدْهُمَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِي، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ^(١).

لقد ذاب الإمام في الله تعالى، فكان مشغولاً في كل أوقاته بالدعاء والصلاة والعبادة، ولسانه يلهج في كل وقت بذكر الله وتسيحه وتحميده، لا يهتم بطعام ولا شراب، فكان يقضي نهاره بالصوم وليله بالصلاة والعبادة والدعاء.

وكان من اجتهاده في العبادة أنه لا يترك النوافل، فإن فاتته شيء منها قضاهَا، وكان يحث أولاده على التعود على الإتيان بالنوافل، إذ روي أنه: «كَانَ يَقْضِي مَا فَاتَهُ مِنْ صَلَاةٍ نَافِلَةٍ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، لَيْسَ هَذَا عَلَيْكُمْ بِوَاجِبٍ، وَلَكِنْ أَحَبُّ لِي عَوْدَ مِنْكُمْ نَفْسُهُ عَادَةً مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا»^(٢).

وكان عليه السلام لا يدع صلاة الليل أبداً سواء كان في سفر أم حضر. روي: «وَكَانَ لَا يَدَعُ صَلَاةَ اللَّيْلِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ»^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: «كَانَ أَبِي يُصَلِّي بِاللَّيْلِ حَتَّى يَزْحَفَ إِلَى فِرَاشِهِ»^(٤). أي كان يعسر عليه القيام والمشي لشدة الإعياء والاجهاد من كثرة العبادة.

٤ - الانقطاع الكامل إلى الله:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام أثناء الانشغال بأداء الصلاة ينقطع بكامل مشاعره وجوارحه وكيانه إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يلتفت إلى شيء آخر، ولا يشغله عنها شاغل، بل يكون بكل وجوده وقلبه مع خالقه؛ فقد روي: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يُشْغَلْ بِغَيْرِهَا، وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً لَشُغْلِهِ بِالصَّلَاةِ»^(٥).

١ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٥٦ - ٥٧، ح ١٠.

٢ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص: ٢٤٠. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٨.

٣ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص: ٢٤٠. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٨.

٤ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٨، ح ٨٧.

٥ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَّاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ سَاقُ شَجَرَةٍ، لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّكَهُ الرِّيحُ مِنْهُ»^(١).

ومن تلك الشواهد الدالة على ذلك ما روي: «سَقَطَ بَعْضُ وُلْدِهِ بَعْضَ اللَّيَالِي فَانْكَسَرَتْ يَدُهُ، فَصَاحَ أَهْلُ الدَّارِ وَأَتَاهُمُ الْجِيرَانُ، وَجِيءَ بِالْمَجْبَرِّ فَجَبَّرَ الصَّبِيَّ، وَهُوَ يَصِيحُ مِنَ الْأَلَمِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْمَعُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى الصَّبِيَّ يَدَهُ مَرْبُوطَةً إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَأَخْبَرُوهُ»^(٢).

ومن تلك الشواهد أيضًا ما روي: وَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيْتٍ هُوَ فِيهِ سَاجِدٌ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ النَّارِ النَّارَ، فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى أُطِفَّتْ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ قُعُودِهِ: مَا الَّذِي أَهْلَاكَ عَنْهَا؟ قَالَ: «أَلْهَنَنِي عَنْهَا النَّارُ الْكُبْرَى»^(٣).

ومن تلك الشواهد على ذلك ما روي عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: وَلَقَدْ صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ فَسَقَطَ الرِّدَاءُ عَنْ أَحَدٍ مِنْكَبَيْهِ فَلَمْ يُسَوِّهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ كُنْتُ؟ إِنَّ الْعَبْدَ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ»^(٤).

٥- التَّزَيُّنُ وَالتَّطَيُّبُ لِلصَّلَاةِ:

من معالم عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان يَتَزَيَّنُ لِلصَّلَاةِ، وَيَلْبَسُ أَجُودَ مَلَابِسِهِ، وَيَتَطَيَّبُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا

١- الكافي: ج ٣ ص ٣٠٠ ح ٤، فلاح السائل: ص ٢٩٠ ح ١٨٥ كلاهما عن جهم بن حميد، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٤ ح ٢٢.

٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٣. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٠.

٣- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٣. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٣٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٠. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٠، رقم الترجمة: ٦٠٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦١، ح ١٩.

بَنَ الْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) اسْتَقْبَلَهُ مَوْلًى لَهُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، وَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزٌّ وَمِطْرَفٌ خَزٌّ^(١) وَعِمَامَةٌ خَزٌّ، وَهُوَ مُتَعَلِّفٌ بِالْغَالِيَةِ^(٢)، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، إِلَى أَيْنَ؟
قَالَ: فَقَالَ: «إِلَى مَسْجِدِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْطُبُ الْخُورَ الْعَيْنَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

وَكَانَ لِلْإِمَامِ قَارُورَةٌ فِيهَا مَسْكٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «كَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ قَارُورَةٌ مِسْكٍ فِي مَسْجِدِهِ، فَإِذَا دَخَلَ إِلَى الصَّلَاةِ أَخَذَ مِنْهُ وَتَمَسَّحَ بِهِ»^(٤).

وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ لِلْمَصْلِيِّ أَنْ يَلْبَسَ أَنْظَفَ ثِيَابِهِ؛ لِأَنَّهُ طَهُورٌ لِلصَّلَاةِ، لَمَّا رَوَاهُ أَبُو بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «النَّظِيفُ مِنَ الثِّيَابِ يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ، وَهُوَ طَهُورٌ لِلصَّلَاةِ»^(٥).

وَكَذَا يَسْتَحِبُّ لِلْمَصْلِيِّ التَّطَيُّبُ لِلصَّلَاةِ؛ لَمَّا رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «صَلَاةٌ مُتَطَيَّبٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ طِيبٍ»^(٦).

٦ - كثرة صومه:

مِنْ مَعَالِمِ عِبَادَةِ الْإِمَامِ ﷺ أَيْضًا أَنَّهُ كَمَا كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالِدَعَاءِ وَالتَّهَجُّدِ، كَانَ كَثِيرَ الصَّوْمِ، فَقَدْ قَضَى أَكْثَرَ أَيَامِهِ صَائِمًا، إِذْ لَمَّا سُئِلَتْ عَنْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ، فَقَالَتْ: أَطْنَبُ أَوْ اخْتَصِرُ؟
فَقِيلَ لَهَا: بَلِ اخْتَصِرِي.

١ - المطرف: كمكرم رداء من خز مربع ذى أعلام جمع مطارف (القاموس).

٢ - الغالية: طيب معروف (القاموس).

٣ - الكافي ج ٦ ص ٥١٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٥٩، ح ١٣.

٤ - الكافي: ج ٦ ص ٥١٥، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٥٨، ح ١٢.

٥ - الكافي: ج ٦، ص ٤٤٤، ح ١٤. وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ١٤، ح ٥٧٦٣.

٦ - وسائل الشيعة: ج ٤، ص: ٤٣٤، ح ٥٦٣٦.

فَقَالَتْ: «مَا أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ نَهَارًا قَطُّ، وَمَا فَرَشْتُ لَهُ فِرَاشًا بَلِيلَ قَطُّ»^(١).

وكان عليه السلام يقضي نهاره بالصوم وليله بالصلاة والعبادة؛ لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام شَدِيدَ الْجَهَادِ فِي الْعِبَادَةِ؛ نَهَارَهُ صَائِمٌ، وَلَيْلَهُ قَائِمٌ، فَأَصْرَّ ذَلِكَ بِجِسْمِهِ».

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَهَ^(٢)، كَمْ هَذَا الدَّوُّوبُ^(٣)؟!

فَقَالَ: «أَتَحَبُّبُ إِلَى رَبِّي لَعَلَّهُ يُزِلْفَنِي»^(٤).

وكان في أيام شهر رمضان وفي غيرها من أيام صومه يبذل الطعام ويذبح الشياه ويطبخها ويأمر في المساء عند الإفطار بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين والجيران وغيرهم، ويفطر هو على التمر والخبز، فقد ورد عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يَصُومُ فِيهِ يَأْمُرُ بِشَاةٍ فَتَذْبَحُ وَتُقَطَّعُ أَعْضَاؤُهَا وَتُطْبَخُ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمُسَاءِ أَكَبَّ عَلَى الْقُدُورِ حَتَّى يَجِدَ رِيحَ الْمُرْقِ وَهُوَ صَائِمٌ، ثُمَّ يَقُولُ: هَاتُوا الْقِصَاعَ، اغْرِفُوا لَالٍ فَلَانٍ، وَاغْرِفُوا لَالٍ فَلَانٍ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِ الْقُدُورِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِخُبْزٍ وَتَمْرٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَشَاءَهُ»^(٥).

٧- أدعية خاصة في شهر رمضان:

لا يكتفي الإمام زين العابدين عليه السلام بالصوم في شهر رمضان، بل كان

١- الخصال: ص ٥١٨ ح ٤ عن حمران بن أعين، علل الشرائع: ص ٢٣٢ ح ٩ عن علي بن حمزة من دون إسناد إلى الإمام الباقر عليه السلام، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٨، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥٠ ح ٥٨٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٤ وج ٥ ص ٨٠ كلاهما من دون إسناد إلى الإمام الباقر عليه السلام والقضية فيها منسوبة إلى الإمام علي عليه السلام.

٢- مضى علي بن الحسين عليه السلام في عام خمسة وتسعين من الهجرة، وكان مولد جعفر بن محمد عليه السلام سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، فكان مقامه مع جدّه اثنتي عشرة سنة (راجع: تاريخ أهل بيت عليهم السلام: ص ٧٧ و ٨١).

٣- دأب في العمل: إذا جدّ وتعب (النهاية: ج ٢ ص ٩٥ «دأب»).

٤- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٨ عن معتب، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٩١ ح ٧٨.

٥- المحاسن ص ٣٩٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٧١ - ٧٢، ح ٥٣.

يدعو فيه بأدعية خاصة في هذا الشهر المبارك، فإذا رُئي هلال شهر رمضان ودخل الشهر المبارك، دعا بهذا الدعاء الذي نصه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ؛ لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا^(١) بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا^(٢) فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ؛ حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ عَنَّا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ رَمَضَانَ؛ شَهْرَ الصَّيَامِ، وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهْوَرِ، وَشَهْرَ التَّمْحِصِ^(٣)، وَشَهْرَ الْقِيَامِ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٤).

فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَامًا، وَحَجَرَ^(٥) فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ إِكْرَامًا، وَجَعَلَ لَهُ وَقْتًا بَيِّنًا؛ لَا يُجِزُ - جَلَّ وَعَزَّ - أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلَا يَقْبَلَ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ.

ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاها لَيْلَةَ الْقَدْرِ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٦)، سَلَامٌ دَائِمٌ الْبَرَكَاتِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهْلِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ، وَإِجْلَالَ حُرْمَتِهِ، وَالتَّحَفُّظَ بِمَا حَظَرْتَ^(٧) فِيهِ، وَأَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ،

١ - حبا فلانًا: أعطاه بلا جزاء ولا منٍّ، وحاباه: اختصّه (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣١٥).

٢ - السبيل: الطريق (النهاية: ج ٢ ص ٣٣٨). وسبَّل الشيء: أباحه، كأنه جعل إليه طريقًا مطروقًا.

٣ - التمهيص: الابتلاء والاختبار. وتمهيص الذنوب: تطهيرها (تاج العروس: ج ٩ ص ٣٥٩ و ٣٦٠).

٤ - البقرة: ١٨٥.

٥ - أي حرّم. والحجْرُ: الحرام (الصحيح: ج ٢ ص ٦٢٣).

٦ - القدر: ٤.

٧ - حضرت الشيء: حرّمته (النهاية: ج ١ ص ٤٠٥).

وَاسْتَعْمَلْهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيكَ؛ حَتَّى لَا تُصْغِيَ بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ، وَلَا نُسْرِعَ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ، وَحَتَّى لَا نَبْسُطَ أَيْدِينَآ إِلَى مَحْظُورٍ، وَلَا نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ، وَحَتَّى لَا تَعِيَ^(١) بَطُونُنَا إِلَّا مَا أَحَلَلْتَ، وَلَا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَّلْتَ، وَلَا تَتَكَلَّفَ إِلَّا مَا يُدْنِي مِن ثَوَابِكَ، وَلَا نَتَعَاطَى إِلَّا الَّذِي يَقِي مِن عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِن رِيَاءِ الْمُرَائِينَ، وَسُمْعَةِ الْمُسْمِعِينَ، لَا نُشْرِكُ فِيهِ أَحَدًا دُونَكَ، وَلَا نَبْتَغِي فِيهِ مُرَادًا سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِفْنَا^(٢) فِيهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَدْتَ، وَفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، وَوُظَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وَأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَ، وَأَنْزِلْنَا فِيهَا مَنَزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا؛ الْحَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا؛ الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، عَلَى مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ - صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا، عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ وَأَسْبَغِهِ^(٣)، وَأَبِينِ الْخُشُوعِ وَأَبْلَغِهِ.

وَوَقِفْنَا فِيهِ لِأَن نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَالصَّلَةِ، وَأَن نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالْإِفْضَالِ وَالْعَطِيَّةِ، وَأَن نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وَأَن نَطَهَّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ. وَأَن نُرَاجِعَ مَن هَاجَرَنَا^(٤)، وَأَن نُنْصِفَ مَن ظَلَمْنَا، وَأَن نُسَالمَ مَن عَادَانَا، حَاشَا مَن عَوْدِي فِيكَ وَلَكَ؛ فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُؤَالِيهِ، وَالْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيهِ. وَأَن نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الزَّائِكَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَعْصِمُنَا فِيهِ مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ؛ حَتَّى لَا يُوْرِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِّن مَّلَائِكَتِكَ إِلَّا دُونَ مَا نُورِدُ مِنَ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ، وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَن تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ - مِنْ مَلِكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ

١- وعى: جمع من الطعام والشراب (النهاية: ج ٥ ص ٢٠٧).

٢- في مصباح المتهجد: «اللهم وقفنا فيه للمحافظة على...».

٣- أسبغ الوضوء: أبلغه مواضعه، ووفى كل عضو حقه (القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٠٧).

٤- الهجر: ضد الوصل (النهاية: ج ٥ ص ٢٤٤).

- أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهْلُنَا^(١) فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجَبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالِغَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمٍ مِنْ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ^(٢) الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَجَنِّبْنَا الْإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَعْجِيدِكَ، وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ، وَالْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَالْإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالْإِنْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِذَا كَانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي شَهْرِنَا هَذَا رِقَابٌ يُعْتَقُّهَا عَفْوُكَ أَوْ يَهْبُهَا صَفْحُكَ، فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ، وَاجْعَلْنَا لِشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ وَأَصْحَابِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ امْحَاقِ هِلَالِهِ، وَاسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ انْسِلَاخِ أَيَّامِهِ؛ حَتَّى يَنْقُضِيَ عَنَّا وَقَدْ صَفَّيْنَا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئَاتِ وَأَخْلَصْنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنْ مِلْنَا فِيهِ فَعَدِّلْنَا، وَإِنْ زَغَنَّا^(٣) فِيهِ فَقَوِّمْنَا، وَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَقِمْزْنَا مِنْهُ.

اللَّهُمَّ اشْحَنهُ^(٤) بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى صِيَامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَالْخُشُوعِ لَكَ وَالذَّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، وَلَا لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ كَذَلِكَ مَا عَمَّرْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ

١ - هو أهل لكنا: أي مستوجب له ومستحق. وأهله لذلك: رآه له أهلاً ومستحقاً، أو جعله أهلاً لذلك (تاج العروس: ج ١٤ ص ٣٦).

٢ - الرفيع الأعلى: هو المكان الرفيع الذي هو أرفع المنازل في الجنة، وهو مسكن الأنبياء والأولياء من أعلى عليين، وهم الرفيق الأعلى (مرآة العقول: ج ١٢ ص ٥٤).

٣ - زاغ عن الطريق: إذا عدل عنه (النهاية: ج ٢ ص ٣٢٤).

٤ - شَحَنَ: مَلَأَ (الصحاح: ج ٥ ص ٢١٤٣).

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١)، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، وَمِنَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ أَوَانٍ وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ، وَأَضْعَافَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْأَضْعَافِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ^(٤).

وكان الإمام زين العابدين يدعو ربه ويناجيه في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي؛ وسمي باسمه لأنه هو الذي رواه عنه، وهو من أفضل الأدعية المروية عنه في التضرع والخشوع والتذلل والإنابة إلى الله سبحانه، ويستحب قراءته في كل ليلة من ليالي شهر رمضان، وقد روى هذا الدعاء شيخ الطائفة الطوسي، عن أبي حمزة الثمالي^(٥) قال: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) يُصَلِّي عَامَّةَ اللَّيْلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا كَانَ (فِي) السَّحَرِ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَالَّذِي فِي مَقْدَمَتِهِ نَقَرَا:

إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ، وَلَا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ، مِنْ أَيْنَ لِي الْخَيْرُ يَا رَبِّ وَلَا يَوْجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ، وَمِنْ أَيْنَ لِي النَّجَاةُ وَلَا تُسْتَطَاعُ إِلَّا بِكَ، لَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَغْنَى عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ وَلَا الَّذِي أَسَاءَ وَاجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُرْضَكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ - حَتَّى يَنْقَطِعَ النَّفْسُ - بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ.

١- المؤمنون: ١١.

٢- المؤمنون: ٦٠.

٣- المؤمنون: ٦١.

٤- الصحيفة السجّادية: ص ١٦٥ الدعاء ٤٤، مصباح المتجّد: ص ٦٠٧ ح ٦٩٥، الإقبال: ج ١ ص ١١١ كلاهما نحوه.

٥- ورواه في الإقبال بهذا السند: رويناه بإسنادنا إلى أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري بإسناداه إلى الحسن بن محبوب الزرّاد عن أبي حمزة الثمالي.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَجِيبُنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئًا حِينَ يَدْعُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلًا حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو^(١) غَيْرَهُ، وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو^(٢) غَيْرَهُ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَّلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهِنُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَحَبَّبَ إِلَيَّ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِّي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي، فَرَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي.

ومن فقراته، نقرأ:

يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا غَافِرَ الذَّنْبِ يَا قَابِلَ التَّوْبِ، يَا عَظِيمَ الْمَنِّ يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ، أَيْنَ سِتْرُكَ الْجَمِيلُ؟ أَيْنَ عَفْوُكَ الْجَلِيلُ؟ أَيْنَ فَرْجُكَ الْقَرِيبُ؟ أَيْنَ غِيَاثُكَ السَّرِيعُ؟ أَيْنَ رَحْمَتُكَ الْوَاسِعَةُ؟ أَيْنَ عَطَايَاكَ الْفَاضِلَةُ؟ أَيْنَ مَوَاهِبُكَ الْهَنِيئَةُ؟ أَيْنَ صَنَائِعُكَ السَّنِيَّةُ؟ أَيْنَ فَضْلُكَ الْعَظِيمُ؟ أَيْنَ مَنُّكَ الْجَسِيمُ؟ أَيْنَ إِحْسَانُكَ الْقَدِيمُ^(٣)؟ أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَرِيمُ؟ بِهِ^(٤) فَاسْتَنْقِذْنِي وَبِرَحْمَتِكَ فَخَلِّصْنِي.

يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ، يَا مُنْعِمُ يَا مُفْضِلُ، لَسْنَا نَتَّكِلُ فِي النِّجَاةِ مِنْ عِقَابِكَ عَلَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِفَضْلِكَ عَلَيْنَا لِأَنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، تَبَدُّئُ بِالْإِحْسَانِ نَعْمًا وَتَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ كَرَمًا، فَمَا نَدْرِي مَا نَشْكُرُ، أَجْمِيلُ مَا تَنْشُرُ أَمْ قَبِيحُ مَا تَسْتُرُ؟ أَمْ عَظِيمُ مَا أَبْلَيْتَ وَأَوَلَيْتَ؟ أَمْ كَثِيرُ مَا مِنْهُ نَجَّيْتَ وَعَافَيْتَ؟ يَا حَبِيبَ مَنْ تَحَبَّبَ إِلَيْكَ، وَيَا قُرَّةَ عَيْنٍ مَنْ لَا ذَنْبَ لَكَ وَانْقَطَعَ إِلَيْكَ،

١- في الإقبال والمصباح للكفعمي والبلد الأمين: «أدعوه ولا أدعو غيره».

٢- في الإقبال والمصباح للكفعمي والبلد الأمين: «أرجوه ولا أرجو غيره».

٣- ليس في الإقبال من «أين صنائعك» إلى «إحسانك القديم».

٤- في نسخة: «به وبمحمد وآل محمد».

أَنْتَ الْمُحْسِنُ وَنَحْنُ الْمُسِيءُونَ، فَتَجَاوَزِ يَا رَبِّ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدَنَا بِجَمِيلِ مَا عِنْدَكَ، وَأَيُّ جَهْلٍ يَا رَبِّ لَا يَسْعُهُ جُودُكَ، أَوْ أَيُّ زَمَانٍ أَطْوَلُ مِنْ أَنْاتِكَ، وَمَا قَدَرُ أَعْمَالِنَا فِي جَنْبِ نِعَمِكَ، وَكَيْفَ نَسْتَكْثِرُ أَعْمَالًا نُقَابِلُ بِهَا كَرَمَكَ، بَلْ كَيْفَ يَضِيقُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ مَا وَسِعَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، فَوَعَزَّتْكَ يَا سَيِّدِي لَوْ نَهَرْتَنِي مَا بَرَحْتُ مِنْ بَابِكَ وَلَا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَأَنْتَ الْفَاعِلُ لِمَا تَشَاءُ، تُعَذِّبُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ، وَتَرْحَمُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ.

ومن فقرات هذا الدعاء نقراً أيضاً:

سَيِّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ، وَ(أَنَا) الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتَهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَتَهُ، وَالْجَائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ، وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرَوَيْتَهُ، وَالْعَارِي الَّذِي كَسَوْتَهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتَهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتَهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ، وَالْمُذْنِبُ الَّذِي سَتَرْتَهُ، وَالْخَاطِئُ الَّذِي أَقْلَتَهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتَهُ، وَالْمُسْتَضَعْفُ الَّذِي نَصَرْتَهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ^(١) الَّذِي آوَيْتَهُ^(٢).
أَنَا يَا رَبِّ الَّذِي لَمْ أَسْتَحِكْ فِي الْخَلَاءِ وَلَمْ أُرَاقِبْكَ فِي الْمَلَأِ، أَنَا صَاحِبُ الدَّوَاهِي الْعُظْمَى، أَنَا الَّذِي عَلَى سَيِّدِهِ اجْتَرَى، أَنَا الَّذِي عَصَيْتُ جَبَّارَ السَّمَاءِ، أَنَا الَّذِي أَعْطَيْتُ عَلَى مَعَاصِي الْجَلِيلِ الرُّشَا، أَنَا الَّذِي حِينَ بُشِّرْتُ بِهَا خَرَجْتُ إِلَيْهَا أَسْعَى، أَنَا الَّذِي أَمَهَلْتَنِي فَمَا ارْعَوَيْتُ، وَسَتَرْتَ عَلَيَّ فَمَا اسْتَحْيَيْتُ، وَعَمِلْتُ بِالْمَعَاصِي فَتَعَذَّبْتَنِي، وَأَسْقَطْتَنِي مِنْ عَيْنِكَ فَمَا بَالَيْتُ، فَبِحِلْمِكَ أَمَهَلْتَنِي وَبِسِرِّكَ سَتَرْتَنِي، حَتَّى كَأَنَّكَ أَغْفَلْتَنِي، وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي جَنَّبْتَنِي حَتَّى كَأَنَّكَ اسْتَحْيَيْتَنِي.

١- في المصباح للكفعمي: «الشريد».

٢- زاد في الإقبال هنا: «فلك الحمد».

إلهي لم أعصِكَ حينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَا حِدٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ،
وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لَوَعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّكْتَ لِي
نَفْسِي وَغَلَبَنِي هَوَايَ وَأَعَانَتَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي، وَغَرَّنِي سِتْرَكَ الْمُرْحَى عَلَيَّ، فَقَدْ
عَصَيْتُكَ وَخَالَفْتُكَ بِجَهْدِي، فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟ وَمِنْ أَيْدِي
الْخُصَمَاءِ غَدًا مَنْ يُخَلِّصُنِي؟ وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَّصِلُ إِنْ أَنْتَ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟
فَوَاسْوَأَتَا عَلَى مَا أَحْصَى كِتَابُكَ مِنْ عَمَلِي الَّذِي لَوْلَا مَا أَرْجُو مِنْ كَرَمِكَ
وَسَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَنَهْيِكَ إِيَّايَ عَنِ الْقُنُوطِ لَقَنْطُتُ عِنْدَمَا أَتَذَكَّرُهَا، يَا خَيْرَ مَنْ
دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ.

اللَّهُمَّ بِذِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ، وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ أَعْتَمِدُ عَلَيْكَ، وَبِحُبِّ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْعَرَبِيِّ التَّهَامِيِّ الْمَكِّيِّ الْمَدَنِيِّ أَرْجُو الزُّلْفَةَ
لَدَيْكَ، فَلَا تَوَحِّشْ اسْتِنَاسَ إِيْمَانِي، وَلَا تَجْعَلْ ثَوَابِي ثَوَابَ مَنْ عَبْدَ سِوَاكَ،
فَإِنَّ قَوْمًا آمَنُوا بِاللَّسْتِهِمْ لِيَحْقِنُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ فَأَدْرَكُوا مَا أَمَلُوا، وَإِنَّا آمَنَّا
بِكَ بِاللَّسْتِنَا وَقُلُوبُنَا لَتَعْفُو عَنَّا فَأَدْرِكْنَا مَا أَمَلْنَا، وَثَبَّتْ رَجَاءَكَ فِي صُدُورِنَا،
وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ،
فَوَعَزَّتْكَ لَوْ أَنْتَهَرْتَنِي مَا بَرَحْتُ مِنْ بَابِكَ وَلَا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِمَا أَلْهِمَ
قَلْبِي ^(١) مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِكَرَمِكَ وَسَعَةِ رَحْمَتِكَ، إِلَى مَنْ يَذْهَبُ الْعَبْدُ إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ،
وَالَّذِي مَنْ يَلْتَجِئُ الْمَخْلُوقُ إِلَّا إِلَى خَالِقِهِ.

إلهي لو قرنتني بالأصْفَادِ، وَمَنْعَتَنِي سَيِّئِكَ ^(٢) مِنْ بَيْنِ الْأَشْهَادِ،
وَدَلَلْتَ عَلَى فَضَائِحِي عُيُونَ الْعِبَادِ، وَأَمَرْتَ بِي إِلَى النَّارِ وَحُلْتَ بَيْنِي
وَبَيْنَ الْأَبْرَارِ، مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ وَمَا صَرَفْتُ تَأْمِيلِي لِلْعَفْوِ
عَنْكَ، وَلَا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي، أَنَا لَا أَنْسَى أَيْدِيكَ عِنْدِي وَسِتْرَكَ
عَلَيَّ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

١ - زاد في الإقبال هنا: «يا سيدي».

٢ - السَّيْبُ: العطاء (القاموس المحيط: ج ١ ص ٨٤).

سَيِّدِي^(١) أَخْرَجَ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِي، أَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَانْقُلْنِي إِلَى دَرَجَةِ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، وَأَعِنِّي بِالْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِي، فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْوِيفِ وَالْأَمَالِ عُمْرِي، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الْآيسِينَ مِنْ خَيْرِي، فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنِّي إِنْ أَنَا نُقِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَالِي إِلَى قَبْرِي^(٢)، لَمْ أُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتِي وَلَمْ أَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِضَجْعَتِي، وَمَالِي لَا أَبْكِي وَمَا أَدْرِي إِلَى مَا يَكُونُ مَصِيرِي، وَأَرَى نَفْسِي تُخَادِعُنِي وَأَيَّامِي تُخَاتِلُنِي؟ وَقَدْ خَفَقْتَ عِنْدَ رَأْسِي أَجْنَحَةَ الْمَوْتِ، فَمَالِي لَا أَبْكِي؟! أَبْكِي لخُرُوجِ نَفْسِي، أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي، أَبْكِي لِضَيْقِ لَحْدِي، أَبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ، أَبْكِي لخُرُوجِي مِنْ قَبْرِي عُريَانًا ذَلِيلًا حَامِلًا ثِقْلِي عَلَى ظَهْرِي، أَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَمِينِي وَأُخْرَى عَنْ شِمَالِي، إِذِ الْخَلَائِقُ فِي شَأْنٍ غَيْرِ شَأْنِي، لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ وَذَلَّةٌ، سَيِّدِي عَلَيْكَ مُعَوَّلِي وَمُعْتَمِدِي وَرَجَائِي وَتَوَكَّلِي، وَبِرَحْمَتِكَ تَعَلَّقِي، تُصِيبُ بِرَحْمَتِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي بِكَرَامَتِكَ مَنْ تُحِبُّ، فَلَكَ^(٣) الْحَمْدُ عَلَى مَا نَقَيْتَ مِنَ الشَّرِّ قَلْبِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى بَسْطِ لِسَانِي، أَفْبَلِسَانِي هَذَا الْكَالَ أَشْكُرُكَ؟ أَمْ بِغَايَةِ جَهْدِي فِي عَمَلِي أَرْضِيكَ؟ وَمَا قَدَرُ لِسَانِي يَا رَبِّ فِي جَنْبِ شُكْرِكَ وَمَا قَدَرُ عَمَلِي فِي جَنْبِ نِعَمِكَ وَإِحْسَانِكَ إِلَيَّ. إلهي^(٤) إِنْ جُودَكَ بَسَطَ أَمَلِي، وَشُكْرَكَ قَبْلَ عَمَلِي، سَيِّدِي إِلَيْكَ رَغْبَتِي وَإِلَيْكَ رَهْبَتِي وَإِلَيْكَ تَأْمِيلِي، قَدْ سَاقَنِي إِلَيْكَ أَمَلِي وَعَلَيْكَ يَا وَاحِدِي عُلِقَتْ هِمَّتِي^(٥) وَفِيمَا عِنْدَكَ انْبَسَطَتْ رَغْبَتِي، وَلَكَ خَالِصُ رَجَائِي وَخَوْفِي، وَبِكَ أَنْسَتْ مُحَبَّتِي وَإِلَيْكَ أَلْقَيْتُ بِيَدِي، وَبِحَبْلِ طَاعَتِكَ مَدَدْتُ رَهْبَتِي.

١ - زاد في الإقبال هنا: «صلَّ على محمد وآل محمد».

٢ - في الإقبال والمصباح للكفعمي: «إلى قبر».

٣ - في الإقبال والمصباح للكفعمي: «اللَّهُمَّ فَلَكَ...».

٤ - في الإقبال والمصباح للكفعمي والبلد الأمين: «إِلَّا» بدل «إلهي».

٥ - في بعض المصادر الأخرى: «عَكَفَتْ» بدل «علقت».

ويختتم الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الدعاء بقوله:

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي وَأَعِلْ ذِكْرِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَحُطِّ زُرِّي وَلَا تُذَكِّرْنِي بِخَطِيئَتِي، وَاجْعَلْ ثَوَابَ مَجْلِسِي وَثَوَابَ مَنْطِقِي وَثَوَابَ دُعَائِي رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، أَعْطِنِي يَا رَبِّ جَمِيعَ مَا سَأَلْتُكَ وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ، إِنِّي إِلَيْكَ رَاغِبٌ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا، وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا، وَأَمَرْتَنَا أَلَّا نَرُدَّ سَائِلًا عَنْ أَبْوَابِنَا وَقَدْ جِئْتُكَ سَائِلًا فَلَا تَرُدَّنِي إِلَّا بِقَضَاءِ حَاجَتِي، وَأَمَرْتَنَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا وَنَحْنُ أَرْقَاؤُكَ فَاعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

يَا مَفْزَعِي عِنْدَ كُرْبَتِي، وَيَا غَوْثِي عِنْدَ شِدَّتِي، إِلَيْكَ فَرَعْتُ وَبِكَ اسْتَعَثْتُ وَلُذْتُ، لَا أَلُوذُ بِسِوَاكَ وَلَا أَطْلُبُ الْفَرَجَ إِلَّا مِنْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَأَغْنِنِي وَفَرِّجْ عَنِّي، يَا مَنْ يَقْبَلُ الْيَسِيرَ وَيَعْفُو عَنِ الْكَثِيرِ، اقْبَلْ مِنِّي الْيَسِيرَ وَاعْفُ عَنِّي الْكَثِيرَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيَقِينًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضْنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

وإذا تصرمت أيام شهر رمضان المبارك يتأثر الإمام زين العابدين عليه السلام أشد التأثر على انصرامه، فيدعو مودعاً إياه بكلمات معبرة، وهذا نص دعائه في وداع شهر رمضان:

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَرُغِبُ فِي الْجَزَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يَنْدَمُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَافِي عَبْدَهُ عَلَى السَّوَاءِ، مِتَّكَ ابْتِدَاءً، وَعَفُوكَ تَفْضُّلاً، وَعُقُوبَتُكَ عَدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خَيْرَةٌ، إِنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشَبْ^(٢) عَطَاءَكَ بِمَنْ، وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنَعُكَ تَعَدُّيًا، تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَهْمَتُهُ شُكْرُكَ، وَتُكَافِي مَنْ حَمَدَكَ وَأَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ.

١ - مصباح المتهجد: ص ٥٨٢ ح ٦٩١، الإقبال: ج ١ ص ١٥٧، المصباح للكفعمي: ص ٧٨١، البلد

الأمين: ص ٢٠٥، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٨٢ ح ٢.

٢ - الشُّوب: الخلط (لسان العرب: ١ / ٥١٠).

تَسْتُرُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَصَحَّتْهُ، وَتَجُودُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعَتْهُ، وَكِلَاهُمَا أَهْلُ مِنْكَ لِلْفَضِيحَةِ وَالْمَنْعِ، غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَى التَّفْضِيلِ، وَأَجَرَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَى التَّجَاوُزِ، وَتَلَقَّيْتَ مَنْ عَصَاكَ بِالْحِلْمِ، وَأَمَهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ، تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِكَ إِلَى الْإِنَابَةِ، وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَلَا يَشْقَى بِنِعْمَتِكَ شَقِيَّهُمْ إِلَّا عَن طَوْلِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ تَرَاذُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، كَرَمًا مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ، وَعَائِدَةً^(١) مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمُ.

أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لئَلَّا يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ، وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ.

وَأَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ ثُرَيْدُ رَبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَفَوَزَهُمْ بِالْوَفَادَةِ عَلَيْكَ وَالزِّيَادَةِ مِنْكَ، فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَيْتَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(٤) وَقُلْتَ: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) وَقُلْتَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٦) وَمَا أُنْزِلَتْ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ^(٧) فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ.

١ - العائدة: التعطف والإحسان. وعاد إليه بعائدة: أي تكرّم عليه بكرامة (مجمع البحرين: ٢ / ١٢٩٠).

٢ - التحريم: ٨.

٣ - ساومت: غاليت، والسوم: ذكر الثمن (لسان العرب: ١٢ / ٣١٠).

٤ - الأنعام: ١٦٠.

٥ - البقرة: ٢٦١.

٦ - البقرة: ٢٤٥.

٧ - النظائر: جمع نظير، وهو المثل والشبه (النهاية: ٥ / ٧٨).

وَأَنْتَ الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غِيْبِكَ وَتَرْغِيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلَى مَا لَوْ سَرَرْتَهُ عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ، وَلَمْ تَعِهِ أَسْمَاعُهُمْ، وَلَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهَامُهُمْ، فَقُلْتَ: اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ^(١) وَقُلْتَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) وَقُلْتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٣) فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً وَتَرْكُهُ اسْتِكْبَارًا، وَتَوَعَّدْتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ، فَذَكَرْكَ بِمَنْكَ، وَشَكَرْكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَاكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلْبًا لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزُهُمْ بِرِضَاكَ.

وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقًا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مِثْلِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ عِبَادَتُكَ مِنْكَ، كَانَ مَوْصُوفًا بِالْإِحْسَانِ، وَمَنْعُوتًا بِالْإِمْتِنَانِ، وَمَحْمُودًا بِكُلِّ لِسَانٍ، فَلَكَ^(٤) الْحَمْدُ مَا وُجِدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ مُحَمَّدٌ بِهِ، وَمَعْنَى يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ، يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَغَمَرَهُمُ بِالْمَنِّ وَالطُّولِ^(٥)، مَا أَفْشَى فِينَا نِعَمَتَكَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مَنَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ، هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمَلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَبِيلَكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ^(٦) لَدَيْكَ، وَالْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوُظَائِفِ، وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ وَالذُّهُورِ، وَآثَرْتَهُ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنُّورِ، وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصَّيَامِ، وَرَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَأَجَلَلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

١ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

٢ - إبراهيم: ٧.

٣ - غافر: ٦٠.

٤ - في نسخة: «كَانَ مَحْمُودًا فَلَكَ الْحَمْدُ...».

٥ - الطُّولُ: الفضل والعلو على الأعداء (النهاية: ٣ / ١٤٥).

٦ - الزلْفَى: القربى والمنزلة (جمع البحرين: ٢ / ٧٧٨).

ثُمَّ أَثَرْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ الْمَلَلِ، فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَقُمْنَا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ. وَأَنْتَ الْمَلِيُّ بِمَا رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُ بِمَا سُئِلْتَ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ قُرْبَكَ.

وَقَدْ أَقَامَ فِيْنَا هَذَا الشَّهْرُ مُقَامَ حَمْدٍ، وَصَحَبْنَا صُحْبَةً مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ وَانْقِطَاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدْدِهِ، فَنَحْنُ مُودِّعُوهُ وَدَاعٍ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا أَنْصِرَافُهُ عَنَّا، وَلَزِمْنَا لَهُ الذَّمَامُ الْمَحْفُوظُ وَالْحُرْمَةُ الْمَرْعِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرَّبَتْ فِيهِ الْأَمَالَ، وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُودًا، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُودًا وَمَرْجُوٌّ أَلَمْ فِرَاقُهُ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أَلْفِ أَنْسٍ مُقْبِلًا فَسَرَّ، وَأَوْحَشَ مُنْقَضِيًا فَمَضَّ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الْإِحْسَانِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللَّهِ فِيكَ، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْمَاكَ لِلذُّنُوبِ وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الْأَيَّامُ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِهِ الْمُصَاحِبَةِ، وَلَا ذَمِيمِ الْمَلَابَسَةِ^(١).

السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلَتْ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودَّعٍ بَرَمًا^(١)، وَلَا مَتْرُوكٍ صِيَامُهُ سَأَمًا.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ فَوْتِهِ.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ ضُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْرَصَنَا بِالْأَمْسِ عَلَيْكَ، وَأَشَدَّ شَوْقَنَا غَدًا إِلَيْكَ.
 السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَاهُ، وَعَلَى ماضٍ مِنْ بَرَكَاتِكَ سُلِبْنَاهُ.
 اللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلَ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَوَفَّقْتَنَا بِمَنَّاكَ لَهُ، حِينَ جَهَلَ
 الْأَشْقِيَاءُ وَقْتَهُ، وَحُرِمُوا لِشِقَائِهِمْ فَضْلَهُ.
 أَنْتَ وَلِيُّ مَا أَثَرْنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا لَهُ مِنْ سُتَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا
 بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ عَلَى تَقْصِيرٍ، وَأَدَيْنَا فِيهِ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ.
 اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ إِقْرَارًا بِالْإِسَاءَةِ، وَاعْتِرَافًا بِالْإِضَاعَةِ، وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ
 النَّدَمِ، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الْإِعْتِذَارِ، فَأَجْرْنَا عَلَى مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ^(٢)،
 أَجْرًا نَسْتَدْرِكُ بِهِ الْفَضْلَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ، وَنَعْتَاضُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ
 عَلَيْهِ، وَأَوْجِبَ لَنَا عُذْرَكَ عَلَى مَا قَصَرْنَا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَابْلُغْ بِأَعْمَارِنَا مَا بَيْنَ
 أَيْدِينَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا بَلَّغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا عَلَى تَنَاوُلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ
 الْعِبَادَةِ، وَأَدِّنَا إِلَى الْقِيَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَأَجِرْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ مَا
 يَكُونُ دَرَكًا لِحَقِّكَ فِي الشَّهَرَيْنِ مِنْ شُهُورِ الدَّهْرِ.
 اللَّهُمَّ وَمَا أَلَمْنَا^(٣) بِهِ فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمٍ أَوْ إِثْمٍ، أَوْ وَقَعْنَا فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ، وَاکْتَسَبْنَا
 فِيهِ مِنْ خَطِيئَةٍ عَلَى تَعَمُّدٍ مِنَّا، أَوْ عَلَى نِسْيَانٍ ظَلَمْنَا فِيهِ أَنْفُسَنَا، أَوْ انْتَهَكْنَا بِهِ حُرْمَةً مِنْ
 غَيْرِنَا؛ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ، وَاعْفُ عَنَّا بِعَفْوِكَ، وَلَا تَنْصِبْنَا فِيهِ لِأَعْيُنٍ

١- بَرَمًا: مصدر برم: إذا سئمه ومَلَّه (النهاية: ١ / ٢٢١).

٢- التفريط: التقصير عن الحدِّ والتأخير فيه (مجمع البحرين: ٣ / ١٣٨٤).

٣- أَلَمْنَا: قاربنا. وقيل: اللَّمَمُ: مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل. وقيل: هو من اللَّمَم: صغار الذنوب (النهاية: ٤ / ٢٧٢).

الشَّامِتِينَ، وَلَا تَبْسُطْ عَلَيْنَا فِيهِ أَلْسُنَ الطَّاغِينَ، وَاسْتَعْمِلْنَا بِهَا يَكُونُ حِطَّةً^(١) وَكَفَّارَةً لِّمَا أَنْكَرْتَ مِنَّا فِيهِ، بِرَأْفَتِكَ الَّتِي لَا تَنْفَدُ وَفَضْلِكَ الَّذِي لَا يَنْقُصُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي يَوْمِ عِيدِنَا وَفِطْرِنَا، وَاجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْنَا، أَجْلِيهِ لِعَفْوٍ وَأَمْحَاهُ لِذَنْبٍ، وَاعْفِرْ لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا عَلَنَ.

اللَّهُمَّ اسْلَخْنَا بِانْسِلَاخِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَأَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ وَأَجْزَلِهِمْ قِسْمًا فِيهِ، وَأَوْفَرِهِمْ حَظًّا مِنْهُ. اللَّهُمَّ وَمَنْ رَعَى^(٢) هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَحَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، وَقَامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَاتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تَقَاتِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبَةٍ أَوْجَبَتْ رِضَاكَ لَهُ، وَعَظَفَتْ رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وُجْدِكَ، وَأَعْطِنَا أضعافَهُ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّ فَضْلَكَ لَا يَغِيضُ^(٣)، وَإِنَّ خَزَائِكَ لَا تَنْقُصُ بَلْ تَفِيضُ، وَإِنَّ مَعَادِنَ إِحْسَانِكَ لَا تَفْنَى، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لِلْعَطَاءِ الْمُهِنَّا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أَجُورِ مَنْ صَامَهُ، أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيدًا وَسُرُورًا، وَلِأَهْلِ مِلَّتِكَ جَمْعًا وَمُحْتَشِدًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، أَوْ سَوْءٍ أَسْلَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرٍ شَرٍّ أَضْمَرْنَاهُ، تَوْبَةً مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوعٍ إِلَى ذَنْبٍ، وَلَا يَعُودُ بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ، تَوْبَةً نَصُوحًا خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالْإِرتِيَابِ، فَتَقَبَّلَهَا مِنَّا وَارْضَ عَنَّا وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ، حَتَّى نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ وَكَآبَةَ مَا نَسْتَجِيرُكَ مِنْهُ، وَاجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ التَّوَابِينَ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ، وَقَبِلْتَ مِنْهُمْ مُرَاجَعَةَ طَاعَتِكَ، يَا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ.

١ - أي يحيط عنا خطايانا وذنوبنا. وهي فعلة من: حط الشيء: إذا أنزله وألغاه (مجمع البحرين: ١ / ٤٢٣).

٢ - في مصباح المتعجد: «رعى حرمة هذا الشهر»، وفي المصادر الأخرى: «رعى حق هذا الشهر».

٣ - غاص: قل ونقص (القاموس المحيط: ٢ / ٣٣٩).

اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَن آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَهْلِ دِينِنَا جَمِيعًا مَن سَلَفَ مِنْهُمْ وَمَن غَبَرَ^(١) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَأَفْضَلْ مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، صَلَاةً تَبْلُغُنَا بَرَكَتُهَا، وَيَنَالُنَا نَفْعُهَا، وَيُسْتَجَابُ لَهَا دُعَاؤُنَا، إِنَّكَ أَكْرَمُ مَن رُغِبَ إِلَيْهِ، وَأَكْفَى مَن تُوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَعْطَى مَن سُئِلَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢).

والخلاصة

إن ما مرَّ ذكره من مظاهر عبادة الإمام عليه السلام، كاجتهاده وانهماكه في العبادة، وكثرة صلواته، وشدة عبادته، وطول سجدياته، وتغير أحواله عند التهيؤ للصلاة وفي أثنائها، إنما يدل على أنه كان شديد الخشية والخوف من الله تعالى، وعظيم الانقطاع والإنابة إليه سبحانه وتعالى.

وأجمع معاصرو الإمام عليه السلام على أنه كان أعبد الناس في زمانه كما شهد له بذلك الخاصة والعامة، والأباعد والأقارب، والمؤالف والمخالف؛ فقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد من العباد، حتى تورمت ساقاه وقدماه من الوقوف والقيام في الصلاة، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من كثرة السجود، وخاف عليه أهله أن يهلك من كثرة العبادة حتى طلبوا منه أن يخفف على نفسه، وكان أشبه الناس في عبادته بعبادة جده أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد كانت عبادته بهذه الكيفية والطريقة ناشئة من كمال معرفته بالله تعالى، وشدة إيمانه وإخلاصه لربه، فكان يعبد الله عبادة الأحرار، فقد كَانَ

١- غَبَرَ: بَقِيَ، والغابر: الباقي (لسان العرب: ٥ / ٣).

٢- الصحيفة السجادية: ١٧١ الدعاء ٤٥، مصباح المتهجد: ٦٤٢ / ٧١٨، الإقبال: ١ / ٤٢٢ كلاهما نحوه، المزار الكبير: ٦١٩، البلد الأمين: ٤٨٠، المصباح للكفعمي: ٨٤٥، بحار الأنوار: ٩٥ / ١٧٢ / ١.

يَقُولُ: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَآخَرِينَ عَبَدُوهُ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ»^(١).

وعنه عليه السلام قَالَ: «إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ لَا غَرَضَ لِي إِلَّا ثَوَابَهُ، فَأَكُونَ كَالْعَبْدِ الطَّمَعِ الْمُطِيعِ، إِنْ طَمَعَ عَمَلٌ وَإِلَّا لَمْ يَعْمَلْ. وَأَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَهُ إِلَّا لِحُوفِ عِقَابِهِ، فَأَكُونَ كَالْعَبْدِ السَّوِّءِ إِنْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعْمَلْ».

قِيلَ: فَلِمَ تَعْبُدُهُ؟

قَالَ: «لِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ بِأَيَادِيهِ عَلَيَّ وَإِنْعَامِهِ»^(٢).

إن الإمام عليه السلام لم يكن يعبد الله طمعاً في ثوابه، ولا خوفاً من عقابه، وإنما وجدته أهلاً لعبادته فعبده عن معرفة ويقين وإخلاص، وهذا ما يفسر لنا كثرة عباداته من صلاة وصيام ودعاء، وشدة اجتهاده في الطاعة، وإنقطاعه التام إلى الله سبحانه وتعالى.

١ - كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٠. ينابيع المودة: القندوزي، ج ٣، ص ٤٣٧.

٢ - تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٠٨. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٨ ح ١٨٠. بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٩٨.

حج الإمام زين العابدين عليه السلام

الحج ركن من أركان الإسلام، وهو من ضرورات الدين، ويجب في الشرع مرة واحدة في تمام العمر إذا توافرت الشرائط، ومن أنكره فقد خرج عن الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع، ويستحب الإتيان به في كل سنة، لما رواه الكليني بسند صحيح عن أبي محمد الفراء، قال: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ^(١)؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ^(٢) خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

والحج وفادة إلى الله تعالى، وأداء للواجب، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «حَقُّ الْحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وَفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ، وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَبِهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ وَقَضَاءُ الْفَرَضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»^(٤).

وقد اهتم أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام بأداء فريضة الحج في كل عام، فهذا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان يحج في كل عام، ويصطحب معه ولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

وكان الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يحج في كل عام، وذكر الرواة أنه حج أربعين حجة^(٥)، وذهب حاجاً في نصفها تقريباً مشياً على قدميه.

١- في المرأة: قوله عليه السلام: تابعوا بين الحج والعمرة، أي افعلوا الحج بعد العمرة، و العمرة بعد الحج، أو اتسوا بهما مكرراً.

٢- «الكير» - بالكسر - : كير الحداد، وهو زق - وهو وعاء - أو جلد غليظ ذو جافات ينفخ به الحداد النار. وأما المبنى من الطين فهو الكور بالواو. وأما ابن الأثير فإنه أطلق الكير على المبنى من الطين. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٨١١؛ النهاية، ج ٤، ص ٢١٧ (كير).

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١٢. التهذيب، ج ٥، ص ٢٢، ح ٦٥؛ والنوادر للأشعري، ص ١٣٩، ح ٣٥٩، بسند آخر. التهذيب، ج ٥، ص ٢١، صدر ح ٦٠، بسند آخر عن الرضا عليه السلام. الفقيه، ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٢٢٣٨، مرسلاً عن رسول الله ﷺ، تحف العقول، ص ١٤٩، ضمن خطبة الديباج، عن علي عليه السلام. نهج البلاغة، ص ١٦٣، ضمن الخطبة ١١٠. الوافي، ج ١٢، ص ٢٢٠، ح ١١٧٦٧؛ الوسائل، ج ١١، ص ١٢٣، ح ١٤٤١٣.

٤- الخصال: ٥٦٦ / ١.

٥- كلمة التقوى: الشيخ محمد أمين زين الدين، ج ٣، ص ١٨٢.

وكان يحث أصحابه وأتباعه وسائر الناس على أداء الحج في كل عام لما له من الفوائد والآثار الإيجابية على الحاج، إذ روي عنه عليه السلام أنه قال: «حُجُّوا وَاعْتَمِرُوا تَصَحَّ أَبْدَانُكُمْ، وَتَتَّسِعَ أَرْزَاقُكُمْ، وَتُكْفَوْنَ مَوَوِّنَاتٍ عِيَالَتِكُمْ»^(١).
ومن الفوائد الأخروية للحج ما روي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «الْحَاجُّ مَغْفُورٌ لَهُ، وَمَوْجُوبٌ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمُسْتَأْنَفٌ لَهُ الْعَمَلُ، وَمَحْفُوظٌ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٢).

وكان عليه السلام يدعو إلى توقير الحجاج وإكرامهم، والاحتفاء بهم، فقد ورد في الخبر عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ مَنْ لَمْ يَحْجَّ، اسْتَبْشِرُوا بِالْحَاجِّ، وَصَافِحُوهُمْ، وَعَظِّمُوهُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ، تُشَارِكُوهُمْ فِي الْأَجْرِ»^(٣).
وَعَنْ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيِّ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: بَادِرُوا بِالسَّلَامِ عَلَى الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ، وَمُصَافِحَتِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَالِطَهُمُ الذُّنُوبُ»^(٤).

الحج في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

ورد أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان ملازمًا للحج، وله مواقف ومشاهد عظيمة في أدائه لهذه الفريضة، نذكر بعض ما ورد في سيرته في الحج في النقاط الآتية:

١- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٢، ح ١. ثواب الأعمال: ص ٧٠، ح ٣، الدعوات: ص ٧٦، ح ١٨١، مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٥١٨، ح ١٨٠٥. بحار الأنوار: ج ٦٢، ص ٢٦٧، ح ٤٧.

٢- وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٩، ح ١٤١١٣.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٤، ح ٤٨. المحاسن: ص ٧١، كتاب ثواب الأعمال: ح ١٤٢، عن عمرو بن عثمان. الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢٢٦٤، مرسلاً عن علي بن الحسين عليه السلام. الوافي: ج ١٤، ص ١٢٩٩، ح ١٤٣٠٢؛ الوسائل: ج ١١، ص ٤٤٥، ح ١٥٢١٩.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٦، ح ١٧. الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢٢٦٥، مرسلاً من دون التصريح باسم المعصوم عليه السلام، الوافي: ج ١٤، ص ١٢٩٩، ح ١٤٣٠٣؛ الوسائل: ج ١١، ص ٤٤٥، ح ١٥٢١٨.

١ - حجه ماشياً:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يذهب إلى الحج - في بعض حججه - ماشياً على قدميه، خاشعاً ومتذللاً لله عز وجل، طالباً الأجر والثواب، والانقطاع التام إليه، والتقرب منه.

ولم يكن ذهابه إلى الحج مشياً على قدميه عن قلة راحلة، بل كان ترويضاً للنفس ومجاهدتها، وتزكية للفؤاد، وتعظيماً للحج؛ فهو ركن من أركان الدين، ودعامة من دعائم الإسلام، وعنصر قوة للمسلمين، ورمز لوحدهم واتحادهم. روى الشيخ المفيد بإسناده عن إبراهيم بن علي، عن أبيه، قال: «حَجَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام ماشياً، فَسَارَ عَشْرِينَ يَوْمًا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ»^(١).

راحلته رجلاه، وزاده تقواه، ومقصده مولاه، فقد روى عبدالله بن المبارك، قال: حَجَجْتُ بَعْضَ السَّنِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَبَيْنَمَا أَنَا سَائِرٌ فِي عَرْضِ الْحَاجِّ إِذَا صَبِيٌّ سُبَاعِيٌّ أَوْ ثُمَانِيٌّ وَهُوَ يَسِيرُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْحَاجِّ بِلَا زَادٍ وَرَاحِلَةٍ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: مَعَ مَنْ قَطَعْتَ الْبَرَّ؟

قَالَ: «مَعَ الْبَارِّ» فَكَبَّرَ فِي عَيْنِي.

فَقُلْتُ: يَا وَلَدِي، أَيْنَ زَادُكَ وَرَاحِلَتُكَ؟

فَقَالَ: «زَادِي تَقْوَايَ، وَرَاحِلَتِي رَجَالِي، وَقَصْدِي مَوْلَايَ» فَعَظَّمْتُ فِي نَفْسِي.

فَقُلْتُ: يَا وَلَدِي، مِمَّنْ تَكُونُ؟

قَالَ: «مُطَلَّبِي».

فَقُلْتُ: أَبْنِي لِي؟

فَقَالَ: «هَاشِمِي».

فَقُلْتُ: أَبْنِي لِي؟

فَقَالَ: «عَلَوِي فَاطِمِي».

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٦. مناقب ابن شهر آشوب: ٤: ١٦٨، إعلام الوري: ٢٥٦، ونقله العلامة المجلسي في البحار: ٤٦: ٧٦ / ٧٠.

فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، هَلْ قُلْتَ شَيْئًا مِنَ الشُّعْرِ؟
فَقَالَ: «نَعَمْ».

فَقُلْتُ: أَنْشِدْنِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ، فَأَنْشَدَ:

لَنَحْنُ عَلَى الْحَوْضِ ذُوادُهُ	نَذُوقُ وَنَسْقِي وَرَادُهُ
وَمَا فَازَ مَنْ فَازَ إِلَّا بِنَا	وَمَا خَابَ مَنْ جَبَّأَ زَادُهُ
وَمَنْ سَرَّ نَالَ مِنَّا السُّرُورَ	وَمَنْ مَنَّ سَاءَ نَا سَاءَ مِيلَادُهُ
وَمَنْ كَانَ غَاصِبَنَا حَقْنَا	فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِيعَادُهُ

ثُمَّ غَابَ عَنْ عَيْنِي إِلَى أَنْ أَتَيْتُ مَكَّةَ، فَقَضَيْتُ حَجَّتِي وَرَجَعْتُ، فَأَتَيْتُ
الْأَبْطَحَ فَإِذَا بِحَلَقَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ، فَاطَّلَعْتُ لِأَنْظُرَ مَنْ بِهَا، فَإِذَا هُوَ صَاحِبِي،
فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام ^(١).

٢ - حجه راكبًا:

كما حجَّ الإمام زين العابدين عليه السلام ماشيًا على قدميه في بعض حججه،
حجَّ عشرين حجة راكبًا على ناقته، وكان يتعامل معها برفق حتى إنه لم
يقرعها ولا مرة واحدة بسوط، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على عظيم
رافته ورفقه ورحمته حتى بالحيوان.

فقد روي الكليني بإسناده عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كَانَتْ لِعَلِيِّ
بْنِ الْحُسَيْنِ نَاقَةٌ، حَجَّ عَلَيْهَا اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَا قَرَعَهَا قَرَعَةً قَطُّ» ^(٢).
وروى ابن شهر آشوب عن زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: «لَقَدْ حَجَّ عَلَى نَاقَةٍ
عِشْرِينَ حَجَّةً، فَمَا قَرَعَهَا بِسَوْطٍ» ^(٣).

١ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٨ - ١٦٩.

٢ - الكافي: ج ١ ص ٤٦٧ ح ٢، الاختصاص: ص ٣٠٠، بصائر الدرجات: ص ٣٥٣ ح ١٥، بحار الأنوار:

ج ٢٧ ص ٢٧٠ ح ٢٢، العدد القويّة: ص ٦٢ ح ٨١.

٣ - المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٨.

وروى المفيد بإسناده عن إبراهيم بن عليٍّ، عن أبيه قال: «حَجَّجْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْتَأَثْتُ^(١) عَلَيْهِ النَّاقَةُ فِي سَيْرِهَا فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالْقَضِيبِ، ثُمَّ قَالَ: أِهْ لَوْ لَا الْقِصَاصُ وَرَدَّ يَدُهُ عَنْهَا»^(٢).

إن صفة الرفق بالحيوان تبدو واضحة وجلية في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام الإنسانية، وهي تجسيد للتعامل الإنساني الذي طبقه من دون تصنع أو تكلف حتى مع الحيوان، وهو الأمر الذي يتفاخر به العالم المتحضر في هذا العصر، في حين نجد أن الإمام كان يتعامل برفق منقطع النظير مع الحيوان قبل مئات السنين.

٣- يتغير حاله عند الإحرام:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتأثر ويتغير حاله عند الإحرام، وربما يُغشى عليه من شدة خشيته وخوفه من الله تعالى، فقد روى سفيان بن عيينة قال: «حَجَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا أَحْرَمَ وَاسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، أَصْفَرَ لَوْنُهُ وَانْتَفَضَ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ الرَّعْدَةُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلَبِّيَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ لَا تُلَبِّي؟ فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ أَقُولَ: لَبَّيْكَ فَيَقُولَ لِي: لَا لَبَّيْكَ! فَقِيلَ لَهُ: لَا بُدَّ مِنْ هَذَا.

فَلَمَّا لَبَّى غَشِيَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ»^(٣).

٤- يتزوّد بأطيب الزاد إلى الحج:

كان الإمام عليه السلام يجلب معه أطيب الزاد من الطعام عند ذهابه إلى الحج، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا

١- النائث الناقه: اي ابطات في سيرها. «مجمع البحرين - لوث - ٢: ٢٦٢».

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٦. مناقب ابن شهر آشوب: ٤: ١٦٨. إعلام الوري: ٢٥٥. الفصول المهمة: ٢٠٣. ونقله العلامة المجلسي في البحار: ٤٦: ٧٦ / ٦٩.

٣- تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٩٠ الرقم ٤٠٥، تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ١٨٥ الرقم ٥٥١٦، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨٠، رقم الترجمة: ٦٠٤. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٦ ص ٤٣٥؛ عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٣٥ ح ١٢١. ينابيع المودة: القندوزي، ج ٣، ص ٤٣٦.

سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، تَزَوَّدَ مِنْ أَطْيَبِ الزَّادِ مِنَ اللَّوْزِ وَالسُّكَّرِ وَالسَّوِيقِ الْمُحَمَّضِ وَالْمُحَلَّى»^(١).

وكان الإمام عليه السلام يوزع في طريقه إلى الحج أطيب الطعام وأحسنه على الفقراء والمحتاجين، فقد ورد عن سفيان، قال: «أراد عليّ السفر إلى الحج، وقد صنعت له في إحدى سفراته أخته سكينه زادًا نفيسًا أنفقت عليه ألف درهم، فلحقوه بها إلا أنه لما كان بظهر الحرّة أمر بتوزيعه على الفقراء والمساكين، فوزّع عليهم»^(٢).

٥ - يجتهد في الصلاة عند الكعبة ويكي:

كان الإمام عليه السلام يقضي وقته في المسجد الحرام بين صلاة وطواف ودعاء وبكاء، ويؤدي صلاته بكل خشوع وخضوع وتذلل وسكينة، وكان يدعو الله عند الميزاب ويكي بكاءً شديدًا.

روى طائوس^(٣) قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ تَحْتَ الْمِيزَابِ، يَدْعُو وَيَبْكِي فِي دُعَائِهِ، فَجِئْتُهِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، رَأَيْتُكَ عَلَى حَالَةٍ كَذَا، وَلَكَ ثَلَاثَةٌ أَرْجُو أَنْ تُؤْمِنَكَ الْخَوْفُ: أَحَدُهَا أَنَّكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالثَّانِي شَفَاعَةُ جَدِّكَ، وَالثَّالِثُ رَحْمَةُ اللَّهِ.

فَقَالَ: «يَا طَاوُسُ، أَمَّا إِنِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يُؤْمِنُنِي، وَقَدْ سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾»^(٤)، وَأَمَّا شَفَاعَةُ جَدِّي

١- بحار الأنوار: ج ٦، ٤٦، ص: ٧١، ح ٥٢.

٢- الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٦١. صفة الصفوة: ٢ / ٥٤.

٣- هو طائوس بن كيسان مولى «بحير الحميري» وقيل هو مولى لأهل «اليمن» وأمه مولاة لـ «حمير» وكان يكنى: أبا عبد الرحمن. توفي سنة ست ومائة، قبل التروية بيوم، وصلى عليه هشام بن عبد الملك. انظر المعارف لابن قتيبة: ٤٥٥.

٤- المؤمنون: ١٠١.

فَلَا تُؤْمِنُنِي، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١)، وَأَمَّا رَحْمَةُ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ^(٣).
وعن طاوس أيضًا قال: «دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين (عليهما السلام) قد دخل، فقام يصلي فصلّي ما شاء الله تعالى، ثم سجد سجدة فأطال فيها، فقلت: رجل صالح من [أهل] بيت النبوة لأصغين إليه فسمعتة يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك.
قال طاوس: فو الله ما صليت ودعوت فيهنّ في كرب إلا فرّج عني»^(٤).

وكان يجتهد في الصلاة والقيام حتى تورّمت قدماه، وكان يناجي ربه عند الكعبة المشرفة وهو يبكي، فقد روى الكليني بسند صحيح عن محمد بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: «رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فِي فَنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلَ مَرَّةً يَتَوَكَّأُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى، وَمَرَّةً عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ بِصَوْتٍ كَأَنَّهُ بَاكِ: يَا سَيِّدِي تُعَذِّبُنِي وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي؟ أَمَا وَعِزَّتِكَ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَجْمَعَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمٍ طَالَمَا عَادَيْتُهُمْ فِيكَ»^(٥).

٦ - يناجي ربه في البيت الحرام بحرقة:

من أماكن استجابة الدعاء البيت الحرام وعند الكعبة المشرفة، وكان الإمام (عليه السلام) في هذا المكان الطاهر يتعلق بأستار الكعبة الشريفة ويدعو الله سبحانه ويناجيه بحرقة ولهفة في سحر الليالي، وقد أثرت عنه مناجاة عديدة، ومنها:

١ - الأنبياء: ٢٨.

٢ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦.

٣ - كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٦٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ١٠١، ح ٨٩.

٤ - الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٥٨. الإرشاد: ص ٢٤٦. كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٤٤. إعلام الوري:

٢٦١ ط ٣ منشورات دار الكتب الإسلامية. المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ١٤٨. ينابيع المودة: ج ٣، ص

٤٣٧.. تذكرة الخواص: ٣٣١. كفاية الطالب: ٤٥١. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١، رقم الترجمة:

٦٠٤. مختصر تاريخ دمشق: ١٧ / ٢٣٥. البحار: ٤٦ / ٧٥ ح ٦٦. روضة الواعظين للفتال: ١ / ٢٣٧.

٥ - الكافي: ج ٢ ص ٥٧٩ ح ١٠، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٠٧ ح ١٠٠.

ما رواه الأصمعي، قال: كُنْتُ أَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ لَيْلَةً، فَإِذَا شَابَّ ظَرِيفُ الشَّمَائِلِ وَعَلَيْهِ ذَوَابَّتَانِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: نَامَتِ الْعُيُونُ، وَعَلَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ الْمَلِكُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، غَلَقْتَ الْمُلُوكَ أَبْوَابَهَا، وَأَقَامْتَ عَلَيْهَا حُرَّاسَهَا، وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ، جِئْتُكَ لِنَتَظَرَّ إِلَيْكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ
قَدْ نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ قَاطِبَةً
أَدْعُوكَ رَبِّ دُعَاءٍ قَدْ أَمَرْتَ بِهِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو سَرَفٍ

يَا كَاشِفَ الضَّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
وَأَنْتَ وَحْدَكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنْمَ
فَارْحَمْ بُكَائِي بِحَقِّ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
فَمَنْ يُجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالنَّعَمِ

قَالَ: فَاقْتَفَيْتُهُ، فَإِذَا هُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) ^(١).

فوقعت عليه، وقلت له: أنت علي بن الحسين، أبوك شهيد كربلاء، وجدك علي المرتضى، وأمك فاطمة الزهراء، وجدتك خديجة الكبرى، وجدك الأعلى محمد المصطفى وأنت تقول: مثل هذا القول؟.

فأجابه الإمام برفق ولطف قائلاً: «ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(٢).

ألم تسمع قول جدي: «خلقت الجنة للمطيع وإن كان حبشيًّا، وخلقت النار للعاصي وإن كان قرشيًّا ...» ^(٣).

١ - مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٦٣. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٠.

٢ - سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

٣ - روضات الجنات ٥ / ١٦١ وعلق عليه بقوله: «هذا تمام الحديث وهو غريب لمنافاته طبقة الأصمعي المذكور المشهور التي كانت ولادته بعد وفاة السجاد بكثير إلا أن يكون الأصمعي رجلاً آخر من قدماء قبيلته المنسوبين إلى جده الأعلى أصمعي». نقلاً عن كتاب «موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين»، للشيخ باقر شريف القرشي، ج ١٥، ص ٢٦٧، هامش رقم ٣.

ومنها ما رواه ابن شهر آشوب عن طاووس اليماني، قال: رَأَيْتُهُ يَطُوفُ
مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى السَّحَرِ وَيَتَعَبَّدُ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ أَحَدًا رَمَقَ السَّمَاءَ بِطَرْفِهِ وَقَالَ:
«إلهي! غَارَتْ نُجُومُ سَمَاوَاتِكَ، وَهَجَعَتْ عُيُونُ أَنْامِكَ، وَأَبْوَابُكَ مُفْتَحَاتٌ
لِلسَّائِلِينَ، جِئْتُكَ لِتَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَتُرِينِي وَجَهَ جَدِّي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ فِي عَرَصَاتِ^(١) الْقِيَامَةِ».

ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ:

«وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُخَالَفَتَكَ، وَمَا عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنَا
بِكَ شَاكٌّ، وَلَا بِنِكَالِكَ^(٢) جَاهِلٌ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَكِنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي،
وَأَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ سَتْرُكَ الْمُرْخَى بِهِ عَلَيَّ، فَأَنَا الْآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟ وَبِحَبْلِ
مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟ فَوَا سَوَاتَاهُ غَدًا مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ إِذَا قِيلَ
لِلْمُخَفَّيْنَ: جُوزُوا، وَلِلْمُثْقَلِينَ: حُطُّوا، أَمَعَ الْمُخَفَّيْنَ أَجُوزُ، أَمْ مَعَ الْمُثْقَلِينَ أَحْطُ؟!
وَيْلِي كُلَّمَا طَالَ عُمْرِي كَثُرَتْ خَطَايَايَ وَلَمْ أَتُبْ، أَمَا أَنْ لِي أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْ رَبِّي؟!».
ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

أُخْرِقْنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ رَدِيَّةٍ
فَأَيْنَ رَجَائِي ثُمَّ أَيْنَ مَحَبَّتِي
وَمَا فِي الْوَرَى خَلَقَ جَنَى كَجِنَايَتِي

ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ:

«سُبْحَانَكَ! تُعْصِي كَأَنَّكَ لَا تَرَى، وَتَحْلُمُ كَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ، تَتَوَدَّدُ إِلَى خَلْقِكَ
بِحُسْنِ الصَّنِيعِ كَأَنَّ بِكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي الْغَنِيُّ عَنْهُمْ».
ثُمَّ خَرَّ إِلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَشِلْتُ رَأْسَهُ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتَيَّ
وَبَكَيْتُ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعِي عَلَى خَدِّهِ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، وَقَالَ: «مَنْ ذَا الَّذِي
أَشْغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ رَبِّي؟».

١- العَرَصَاتُ: جمعُ عَرَصَةٍ، وهي كُلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ لَا بِنَاءَ فِيهِ (النهاية: ج ٣ ص ٢٠٨ «عرص»).

٢- النِكَالُ: العقوبة (النهاية: ج ٥ ص ١١٧ «نطل»).

فَقُلْتُ: أَنَا طَاوُسُ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الْجَزْعُ وَالْفَزْعُ؟ وَنَحْنُ يَلْزَمُنَا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا؟ وَنَحْنُ عَاصُونَ جَافُونَ، أَبُوكَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، وَجَدُّكَ رَسُولُ اللَّهِ.
قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ، وَقَالَ:

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا طَاوُسُ، دَعْنِي حَدِيثَ أَبِي وَأُمِّي وَجَدِّي، خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَأَحْسَنَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَلَوْ كَانَ قُرَشِيًّا، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) وَاللَّهُ لَا يَنْفَعُكَ غَدًا إِلَّا تَقْدِمَةُ تَقَدُّمَهَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ»^(٢).

ومن مناجاته عند البيت الحرام ما رواه الشيخ الصدوق عن طاووس اليماني قال: مَرَرْتُ بِالْحَجْرِ^(٣) فَإِذَا أَنَا بِشَخْصٍ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، فَتَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقُلْتُ: يَا نَفْسُ، رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَاللَّهُ، لَا غَتْنِمَنَّ دُعَاءَهُ، فَجَعَلْتُ أَرْقُبُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَرَفَعَ بَاطِنَ كَفِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَجَعَلَ يَقُولُ:

سَيِّدِي، سَيِّدِي، هَذِهِ يَدَايِ قَدْ مَدَدْتُهُمَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ مَمْلُوءَةً، وَعَيْنَايَ بِالرَّجَاءِ مَمْدُودَةٌ، وَحَقٌّ لِمَنْ دَعَاكَ بِالنَّدَمِ تَذَلُّلاً أَنْ تُجِيبَهُ بِالكَرَمِ تَفَضُّلاً.
سَيِّدِي، أَمِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ خَلَقْتَنِي فَأُطِيلُ بُكَائِي، أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ خَلَقْتَنِي فَأُبَشِّرَ رَجَائِي؟

سَيِّدِي، أَلِضْرَبِ الْمَقَامِعِ خَلَقْتَ أَعْضَائِي، أَمْ لِشُرْبِ الْحَمِيمِ خَلَقْتَ أَمْعَائِي؟
سَيِّدِي، لَوْ أَنَّ عَبْدًا اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ مَوْلَاهُ لَكُنْتُ أَوَّلَ الْهَارِبِينَ مِنْكَ، لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنِّي لَا أَفُوتُكَ.

١- المؤمنون: ١٠١.

٢- مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨١ - ٨٢، ح ٧٥؛ وج ٨٤

ص ٢٠٠ ح ٨.

٣- الحجج: بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل (مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٦٦ «هجر»).

سَيِّدِي، لَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ.
سَيِّدِي، مَا أَنَا وَمَا خَطَرِي، هَبْ لِي بِفَضْلِكَ، وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ، وَاعْفُ عَن تَوْبِيخِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ.

إلهي وسَيِّدِي! اِرْحَمْنِي مَصْرُوعًا عَلَى الْفِرَاشِ، تُقَلِّبُنِي أَيْدِي أَحِبَّتِي، وَارْحَمْنِي مَطْرُوحًا عَلَى الْمُغْتَسَلِ يُعَسِّلُنِي صَالِحُ جِيرَتِي، وَارْحَمْنِي مَحْمُولًا قَدْ تَنَاوَلَ الْأَقْرَبَاءُ أَطْرَافَ جِنَازَتِي، وَارْحَمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ وَحْشَتِي وَغُرْبَتِي وَوَحْدَتِي.
قَالَ طَاوُوسٌ: فَبَكَيْتُ حَتَّى عَلَا نَحْيِي، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا يَمَانِي؟ أَوْ لَيْسَ هَذَا مَقَامَ الْمُذْنِبِينَ.
فَقُلْتُ: حَبِيبِي، حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّكَ وَجَدُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ^(١).

وتدل هذه الصور والنماذج من مناجاة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في البيت الحرام وعند الكعبة المعظمة على ارتباطه العميق بالله تعالى، وإنابته وانقطاعه له سبحانه، وخوفه وخشيته الشديدة من خالقه عز وجل.

خلاصة الكلام

كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالإضافة لأدائه مناسك الحج، وانقطاعه إلى الله تعالى، يعلم الناس كيفية أداء الحج بصورة صحيحة، وتعليمهم طريقة الدعاء والمناجاة إلى الله تعالى في البيت الحرام، وفي المشاعر الطاهرة.
كما كان (عليه السلام) يستثمر وجوده المبارك في الحج للالتقاء بالمسلمين القادمين للحج من كل مكان، وتعريفهم بأحكام الدين، وتبيين معالم الإسلام ومفاهيمه، وحثهم على الالتزام والعمل بها.

ويدل هذا الاهتمام من قبل الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأداء فريضة الحج في كل عام تقريرياً (وكذا باقي الأئمة الأطهار) على تعظيم هذه الفريضة، وبيان

١- الأمالي للصدوق: ص ٢٨٨ ح ٣٢١، روضة الواعظين: ص ٢١٩، بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٨٩ ح ١، المزار الكبير: ص ١٤٦ الباب ٨.

موقعيتها في منظومة فرائض وأركان الإسلام، والالتقاء بالحجاج القادمين من مختلف البلدان والأقاليم الإسلامية، وتعليمهم أحكام الدين الشرعية، وتبيين مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه وآدابه لهم، وكان الحجاج يتلهفون للالتقاء بالإمام في البيت الحرام، وفي المشعر وعرفات ومنى، وينهلون من علومه الغزيرة، ويتأثرون بأخلاقه العالية، كما كان العلماء والفقهاء والرواة وغيرهم يقصدونه بلهفة للالتقاء به والاستفادة من علومه ومعارفه، وأخذ أحكام الدين ومفاهيمه منه؛ فهو سليل العترة النبوية الطاهرة، والبقية الباقية من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وقعة كربلاء الدامية.

الدعاء في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

مفتتح

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالدعاء وطلب الحاجات منه في مواطن كثيرة في القرآن الكريم، فقال عز وجل في كتابه المجيد ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

وضمن الله سبحانه الاستجابة لمن يدعوّه إذا ما توافرت شرائط الاستجابة وانتفت الموانع؛ ولذا يجب على المؤمن عند الحاجة التوجه إلى الله تعالى بالدعاء لقضاء حوائج الدنيا والآخرة.

وفي فضل الدعاء ومكانته وردت أخبار وروايات متكاثرة ومستفيضة، بل ومتواترة تؤكد كلها على فضيلة الدعاء وشرفه، وأثره الفعال في قضاء الحوائج، وتحقيق الغايات في الدنيا والآخرة.

ومن تلك الروايات ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(٣)، وعنه ﷺ قال: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعَمُودُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٤)، وعنه ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ»^(٥).

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلَانِ كَانَا يَعْمَلَانِ عَمَلًا وَاحِدًا، فَيَرَى أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَوْقَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بِمَا أُعْطِيَتْهُ وَكَانَ عَمَلُنَا وَاحِدًا؟

١- غافر: ٦٠.

٢- البقرة: ١٨٦.

٣- مستدرک الوسائل: الطبرسي، ج ٥، ص ١٦٧، ح ٥٥٧٦.

٤- الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٣٩، ح ١.

٥- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٩٠، ص ٢٩٤، ح ٢٣.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سَأَلَنِي وَلَمْ تَسْأَلْنِي.

ثم قال: سَلُوا (اسألوا) الله وأَجْزِلُوا، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ^(١).

ومنها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ الدُّعَاءُ»^(٢).

ومنها ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «الدُّعَاءُ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ النَّازِلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ»^(٣).

ومنها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عَلَيْكَ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٤).

وقد روى معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً، كان أحدهما أكثر صلاة، والآخر دعاء، فأيهما أفضل؟ قال: «كُلُّهُنَّ حَسَنٌ».

قلت: قد علمت، ولكن أيهما أفضل؟

قال: «أَكْثَرُهُمَا دُعَاءً. أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾»^(٥) إلى آخر الآية»^(٦).

هذه الأحاديث وغيرها تؤكد على فضل الدعاء، وأنه من أفضل أنواع العبادة، ولذلك من المهم الاستفادة القصوى من قراءة الأدعية الماثورة، وفهم معانيها، واستنطاق مضامينها ومفاهيمها، والتعمق في دلالاتها المعنوية والتربوية والأخلاقية.

١- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٧، ص ٢٤، ح ٨٦٠٥.

٢- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٧، ص ٣١، ح ٨٦٢٨.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٩، ح ٥.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٧٠، ح ١.

٥- غافر: ٦٠.

٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، العلامة الطبرسي، ج ٨، ص ٨٢٣.

من مسائل الدعاء

قبل الحديث عن الصحيفة السجادية وأدعية الإمام زين العابدين عليه السلام نشير إلى بعض المسائل المرتبطة بالدعاء كآثاره وفوائده، وشروط استجابة الدعاء وموانع قبوله، وصور الدعاء المستجاب، ولنبدأ بالحديث عن ثمار الدعاء وآثاره ليكون مدخلاً لدور الدعاء في حياة الإنسان.

آثار الدعاء

حَثَّ الله سبحانه وتعالى على الدعاء، فقال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، وَضَمَّنَ اللهُ تعالى لمن يدعوه بإخلاص ويقين أن يستجيب له؛ ولذا يجب التوجه إلى الله سبحانه بالدعاء لطلب قضاء حوائج الدنيا والآخرة. ولا يخفى ما للدعاء من آثار معنوية وفوائد كثيرة ومتعددة، نشير إلى أهمها في النقاط الآتية:

١- إن الدعاء صلة بين الإنسان وخالقه، عبره يناجي العبد ربه طالباً منه العفو والصفح عن أخطائه وعثراته وذنوبه؛ والله عز وجل رحيم بعباده، فالدعاء باب من أبواب رحمة الله تعالى بعباده.

٢- إن الدعاء ينمي الرصيد الروحي عند الإنسان، فالدعاء له أثر كبير في تنمية الجانب الروحي والمعنوي، خصوصاً إذا ما داوم المرء على قراءة الأدعية الماثورة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث تشتمل أدعيتهم على التذلل والخشوع والخضوع والتسليم لله تعالى.

٣- بالدعاء يستطيع الإنسان أن يحقق حاجاته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣).

١- غافر: ٦٠.

٢- غافر: ٦٠.

٣- البقرة: ١٨٦.

وروي عن الإمام زين العابدين، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا أُسْتُجِبَ لَهُ؛ فَإِنْ لَمْ يُعْطَها فِي الدُّنْيَا أُعْطِيَها فِي الْآخِرَةِ»^(١).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «الْمُؤْمِنُ مِنْ دُعَائِهِ عَلَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُدْخِرَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ بَلَاءً يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَهُ»^(٢).

٤- يساعد الدعاء على تهذيب النفس، وتنقية القلب، ونظافة اللسان، ولذة الذوق، وسلامة المنطق، ورعاية الأدب في التخاطب مع الله تعالى.

٥- إن الأدعية الماثورة عن الأئمة الأطهار، ومنها أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، تحتوي على مفاهيم عميقة ومضامين مهمة في العقائد والأخلاق والسلوك، والمداومة على قراءتها يؤدي إلى تقوية تلك المفاهيم في شخصية المؤمن.

٦- إن الدعاء برنامج عملي وسلوكي لتهذيب النفس وتركيتها، وتعديل الميول واستقامتها، وتنقية النفس من الرذائل، وتنمية الفضائل، والتحلي بفضائل الأخلاق ومكارمها.

شروط استجابة الدعاء

لاستجابة الدعاء، وتحقيق آثاره وثماره وفوائده، ينبغي الالتزام بشروط وآداب الدعاء، وأهمها الأمور الآتية:

١- معرفة الله سبحانه وتعالى:

أن يكون الدعاء لله تعالى نابعاً عن معرفة من ندعوه، ولا يكن دعاؤنا عن جهل به سبحانه، وأن نرد أمورنا كلها إلى الله جلّ جلاله، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «مَنْ لَمْ يَرْجُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ، وَرَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ»^(٣).

١- مسند زيد: ص ١٥٦.

٢- تحف العقول: ص ٢٨٠.

٣- بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٥١ / ٢٥، ٧٥ / ١١٠ / ١٦.

وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: قال قوم للإمام الصادق عليه السلام:
ندعو فلا يُستجاب لنا؟!!

قال عليه السلام: «لأنكم تدعون من لا تعرفونه»^(١).

فمن يدعو الله تعالى عن معرفة وعلم، وعن عقيدة صحيحة، يختلف عن
ذلك الذي يدعو الله وهو لا يعرفه حق المعرفة.

٢- العمل بما أمر الله به:

من شروط استجابة الدعاء العمل بما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، فالالتزام
بالواجبات وترك المحرمات شرط في استجابة الدعاء، لما روي عن الإمام زين
العابدين عليه السلام أنه قال: «لكنَّ الرَّجُلَ، كُلَّ الرَّجُلِ، نِعَمَ الرَّجُلِ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ
هَوَاهُ تَبَعاً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَقُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَى اللَّهِ، يَرَى الدُّلَّ مَعَ الْحَقِّ أَقْرَبَ إِلَى عِزِّ
الْأَبَدِ مِنَ الْعِزِّ فِي الْبَاطِلِ...، فَذَلِكُمُ الرَّجُلُ نِعَمَ الرَّجُلِ، فِيهِ فِتْمَسَكُوا، وَبُسُتَّتِهِ
فَاقْتَدُوا، وَإِلَى رَبِّكُمْ فِيهِ فَتَوَسَّلُوا؛ فَإِنَّهُ لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ، وَلَا تُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ»^(٢).

٣- حضور القلب:

إقبال القلب حين الدعاء بكل مشاعر الداعي وأحاسيسه لمن يدعوه وهو الله
تعالى شرط في استجابة الدعاء؛ فحضور القلب وإقباله أثناء الدعاء من شروط
الاستجابة. أما صاحب القلب الغافل فلا يستجاب دعاؤه؛ لأنه من موانع الاستجابة.
فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دُعَاءَ قَلْبٍ سَاهٍ»^(٣)،
وعنه ﷺ قال: «اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرَّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ»^(٤)، وروي عن الإمام
علي عليه السلام أنه قال: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دُعَاءَ قَلْبٍ لَاهٍ»^(٥).

١- بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٦٨، ح ٤.

٢- الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٢ ح ١٩٢، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٥ ح ٢٧،
بحار الأنوار: ج ٢ ص ٨٥ ح ١٠.

٣- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٧، ص ٥٣، ح ٨٧٠١.

٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٠، ص ٣١٣.

٥- بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣١٤، ح ١٩.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ بِظَهْرِ قَلْبِ سَاهٍ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ، ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالْإِجَابَةِ»^(١)، وعنه عليه السلام أيضًا قال: «إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُكَ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاكَ، وَوَجَلَ قَلْبُكَ، فَدُونَكَ دُونَكَ، فَقَدْ قُصِدَ قَصْدُكَ»^(٢).

فحتى يستجاب دعاؤنا علينا أن نتعامل مع الدعاء حين قراءته وجدانيًا وعاطفيًا، وتكون كل حواسنا ومشاعرنا حاضرة ومقبلة على الدعاء، لأننا نخطب الله عز وجل؛ فعلينا أن نتأدب بآداب مخاطبته سبحانه وتعالى.

٤ - طيب المكسب:

العمل الشريف وطلب الرزق الحلال والكد على العيال من أفضل الأعمال، وكلما كان المكسب والرزق طيبًا، ومن عمل حلال، كان له أثر في القلب والعقل، ويؤدي إلى استجابة الدعاء وقبوله، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ، فَلْيُطِيبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ»^(٣).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، فَلْيُطِيبْ كَسْبَهُ، وَلْيَخْرِجْ مِنْ مَظَالِمِ النَّاسِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ دُعَاءُ عَبْدٍ فِي بَطْنِهِ حَرَامٌ، أَوْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»^(٤).

٥ - مواصفات الدعاء:

من آداب الدعاء وشروط الاستجابة: أن يكون الدعاء عن إخلاص كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٥)، وأن يكون الدعاء عن تضرع وفي الخفاء كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(٦)، وأن يكون الدعاء عن خوف وطمع كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٧).

١ - الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٤٤، ح ١.

٢ - الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٧٨، ح ٨.

٣ - بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٧٢، ح ١٦.

٤ - بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٢١، ح ٣١.

٥ - غافر: ٦٥.

٦ - الأعراف: ٥٥.

٧ - الأعراف: ٥٦.

٦- ترصد الأوقات الشريفة:

الدعاء في كل وقت وزمان مطلوب وراجح في نفسه، ولكن هناك بعض الأوقات أكثر استحباباً وتوكيداً لاستجابة الدعاء كيوم الجمعة، ويوم عرفة، وليلة القدر، وعند نزول الغيث، وعند الصلوات، وفي وقت السحر، وبين الطلوعين وغيرها، لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ أَرْبَعٍ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ التِّقَاءِ الصَّفِّينِ لِلشَّهَادَةِ»^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ خَمْسَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ التِّقَاءِ الصَّفِّينِ لِلشَّهَادَةِ، وَعِنْدَ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ لَهَا حِجَابٌ دُونَ الْعَرْشِ»^(٢).

وعن يوم عرفة، روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إِذَا كَانَ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ، يُنَزِّلُ اللَّهُ مَلَائِكَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ:

انظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتُونِي شُعْثًا غُبْرًا، أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَصَدَّقُوهُ، ثُمَّ قَصَدُونِي فَسَأَلُونِي وَدَعَوْنِي، اشْهَدُوا أَنَّ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أُجِيبَهُمُ الْيَوْمَ، قَدْ شَفَعْتُ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسِيئِهِمْ، وَتَقَبَّلْتُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، فَلْيُفِضُوا مَغْفُورًا لَهُمْ.

ثُمَّ يَأْمُرُ مَلَائِكَةَ الْمَلَائِكَةِ^(٣)، فَيَقِفُ هَذَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ، وَهَذَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ، يَقُولَانِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَمَا يَكَادُ يُرَى صَرِيحًا وَلَا كَسِيرًا»^(٤).

١- الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٧٧، ح ٣.

٢- الأمالي للصدوق: ص ١٧١ ح ١٧١ عن السكوني عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام و ص ٣٣٧ ح ٣٩٣ عن السكوني عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر عليه السلام، الجعفریات: ص ٢٣٥ عن الإمام الكاظم عن آبائه عنه عليهم السلام، روضة الواعظين: ص ٣٥٧، مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ١٣ ح ٢٠١٧ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٣٤٣ ح ١.

٣- هو موضع بين عرفة والمشعر (جمع البحرين: ج ١ ص ٤٥ «أزم»).

٤- المنفعة: ص ٣٨٦، روضة الواعظين: ص ٣٩٤، المحاسن: ج ١ ص ١٤٠ ح ١٨٤ عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عنه عليه السلام، النواذر للأشعري: ص ١٣٩ ح ٣٥٨ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٢٥٤ ح ٢٣.

موانع الاستجابة

هناك موانع وحجب تمنع من استجابة الدعاء، ومن أهمها ما يأتي:

١ - ارتكاب المحرمات والموبقات:

إن ارتكاب الإنسان للمحرمات والموبقات والمعاصي، وإصراره عليها، وعدم التوبة منها يمنع من استجابة الدعاء، لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لَا تَسْتَبْطِئُ إِجَابَةَ دُعَائِكَ، وَقَدْ سَدَدْتَ طَرِيقَهُ بِالذُّنُوبِ»^(١).

فمن يرتكب المحرمات تلو المحرمات، ويفعل ما نهى الله عنه من موبقات ومحرمات ومعاصٍ وذنوب، ولا يأتي بالواجبات؛ فلا يستجاب دعاؤه، وقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى بعض الذنوب التي تردُّ الدعاء قائلاً: «الذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ: سُوءُ النِّيَّةِ، وَخُبْثُ السَّرِيرَةِ، وَالنَّفَاقُ مَعَ الْإِخْوَانِ، وَتَرْكُ التَّصَدِيقِ بِالْإِجَابَةِ، وَتَأْخِيرُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ حَتَّى تَذَهَبَ أَوْقَاتُهَا، وَتَرْكُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ، وَاسْتِعْمَالُ الْبَذَاءِ وَالْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ»^(٢).

٢ - ظلم العباد:

ممارسة الظلم ضد عباد الله الصالحين، أو ضد الآخرين، أو ضد أقربائك وأهلك كزوجتك وأولادك، أو والديك وأرحامك يؤدي إلى منع إجابة الدعاء. روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَنْ عَذَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ، فَإِنْ دَعَا لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ عَلَى ظُلَامَتِهِ»^(٣).

٣ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن عدم القيام بالمسؤولية الاجتماعية تجاه المفسدين والمنحرفين، والذين يمارسون المنكرات، ويمنعون عن المعروف من عوامل عدم استجابة الدعاء.

١ - عيون الحكم والمواعظ، ص ٥٢٤.

٢ - معاني الأخبار: ص ٢٧١ ح ٢ عن أبي خالد الكابلي، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٧٦ ح ١٢.

٣ - وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ١٦، ص ٥٦، رقم ٢٠٩٦٦.

وكما أن الدعاء يكون في الأمور الفردية يكون أيضًا في الأمور الاجتماعية، فإذا أَلَمَّتْ بالمجتمع كارثة أو بلية أو مصيبة فعليه الالتجاء بالدعاء إلى الله تعالى، حتى يرفع الله عنه ما حلَّ به من ابتلاء وبلاء ومكروه. ولكن إذا ترك المجتمع وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمهما دعوا الله تعالى فلا يستجاب لهم، لما تركوه من العمل بهذه الفريضة الإسلامية.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»^(١).
٤ - أكل الحرام:

إذا كان مكسب الإنسان من الحرام، وكان عمله حرامًا كالمتاجرة في المخدرات، أو الاستيلاء على أموال الناس بالسرقة والغصب والاحتيال، أو أكل أموال الناس بالباطل فهذا ممن لا يستجاب لهم الدعاء. روي: «أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى رَجُلًا يَتَضَرَّعُ تَضَرُّعًا عَظِيمًا، وَيَدْعُو رَافِعًا يَدَيْهِ وَيَبْتَهِلُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا لَمَا أُسْتَجِيبَ دُعَاؤُهُ، لَأَنَّ فِي بَطْنِهِ حَرَامًا، وَعَلَى ظَهْرِهِ حَرَامًا، وَفِي بَيْتِهِ حَرَامًا»^(٢).

فأكل المال الحرام، والعيش من الحرام، وبناء المسكن من الحرام، وشراء المأكول والمشرب من الحرام يؤدي إلى تلوث القلب واسوداده، ومن ثمَّ لا يستجاب له أي دعاء.

٥ - مصلحة الإنسان:

قد لا يُستجاب للمؤمن دعاءه، أو يؤخر عدة سنوات، وذلك لمصلحة الإنسان نفسه، فالله تعالى عليم بمصالح خلقه، وقد تكون الحكمة الإلهية في عدم الاستجابة، وليس لأي مانع من الموانع السابقة، وإنما المصلحة تقتضي ذلك.

١ - بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٩٠، ص ٣٧٨، رقم ٢١.

٢ - مهج الدعوات: ص ٢٤، ح ٣٤. بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٧٢، رقم ١٤.

روي عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يُستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر؟
قال عليه السلام: «نعم، عشرون سنة»^(١).

من صور الدعاء المستجاب

للدعاء المستجاب صور متعددة، من أبرزها:

١ - دعاء الوالد لولده إذا برّه ودعاؤه عليه إذا عقه:

من الدعوات المستجابة دعوة الوالد لولده إذا برّه وأحسن إليه، ودعاؤه عليه إذا عقه وأساء إليه، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَاكُم ودعوة الوالد، فإنها أحد من السيف»^(٢).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاث دعوات لا يُجبن عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده إذا برّه، ودعوته عليه إذا عقه، ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له منه»^(٣).

ودعاء الوالد لولده بالتوفيق والخير والصلاح مستجاب، وهو من أسباب التوفيق والبركة والسداد في حياته، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو لولده عليه السلام بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بَقَاءٌ وَلَدِي، وَبِإِصْلَاحِهِمْ لِي، وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ، إِلَهِي امدد لي في أعمارهم، وزدني في آجالهم، ورب لي صغيرهم، وقوّ لي ضعيفهم، وأصح لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم، وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كلّ ما عُنيْتُ به من أمرهم، وأدر لي وعلى يديّ أرزاقهم، واجعلهم أبراراً أتقياء بَصْرَاءَ سامعين مُطيعين لك، ولأولئائك مُحِبِّين مُنَاصِحِينَ، ولجميع أعدائك مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ، آمين.

١- بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٧٥، رقم ١٤

٢- بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٥١ / ٢٥، ٧٥ / ١١٠ / ١٦.

٣- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٧، ص ١٣٠، ح ٨٩٢١.

اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضْدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوْدِي^(١)، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَحْيِي بِهِمْ ذِكْرِي، وَاكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي، وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُجِبِينَ، وَعَلَيَّ حَدِيثِينَ^(٢) مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِينَ وَلَا مُحَالِفِينَ وَلَا خَاطِئِينَ، وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَادًا ذُكُورًا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْنًا عَلَى مَا سَأَلْتُكَ.

وَأَعِزَّنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَأَمَرْتَنَا وَمَهَيْتَنَا، وَرَغَبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا، وَرَهَبْتَنَا عِقَابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوًّا يَكِيدُنَا سَلْطَتُهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تَسَلْطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسَكَّتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجَرَيْتَهُ مَجَارِي دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا، يُؤَمِّنُنَا عِقَابَكَ، وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَعْنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّتْنَا^(٣) عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ، إِنْ وَعَدْنَا كَذِبًا، وَإِنْ مَنَّا أَخْلَفْنَا، وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلُّنَا، وَإِلَّا تَقْنَا خَبَالَهُ^(٤) يَسْتَزِلُّنَا.

اللَّهُمَّ فَاقْهَرِ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ، حَتَّى تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ، فَتُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، وَاقْضِ لِي حَوَائِجِي، وَلَا تَمْنَعْنِي الْإِجَابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي، وَلَا تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ، وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ.

وَأَمُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ، أَوْ أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ، أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ.

وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ، غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، الْمُعَوِّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، الرَّابِحِينَ فِي التَّجَارَةِ عَلَيْكَ،

١ - الأود: العوج (النهاية: ج ٤ ص ٧٩ «أود»).

٢ - أحدبهم: أي أعطفهم وأشفقهم (النهاية: ج ١ ص ٣٤٩ «حذب»).

٣ - التَّثْبِيطُ: هو التعويق والشغل عن المراد (النهاية: ج ١ ص ٢٠٧ «ثبط»).

٤ - الحَبَالُ: الفساد (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٧٤ «خبل»).

المُجَارِينَ بِعِزِّكَ، الْمُوسَّعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ مِنْ فَضْلِكَ، الْوَاسِعَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، الْمُعْزِينَ مِنَ الدُّلِّ بِكَ، وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالْمُعَافِينَ مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالْمُغْنِينَ مِنَ الْفَقْرِ بِغْنَاكَ، وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَا بِتَقْوَاكَ، وَالْمُؤَفِّقِينَ لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ، وَالْمُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ. اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلَوْ لَدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ، عَفُوٌّ غَفُورٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَهُوَ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ^(١)»^(٢).

ومن صور الإحسان للوالدين والبر بهما الدعاء لهما، فلا تنسوهما من الدعاء، وخصوصاً في الأوقات الشريفة والمؤكددة للدعاء كيوم الجمعة ويوم عرفة وليلة القدر ووقت السحر وغيرها.

ومن أجمل الأدعية في هذا الجانب وأروعها دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لوالديه؛ فلندأوم على قراءته، ولندعُ لهما بالرحمة والعفو والمغفرة، وهذا هو نص دُعَائِهِ عليه السلام لِأَبَوَيْهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلَامِكَ، وَاخْصُصِ اللَّهُمَّ وَالِدَيَّ بِالكَرَامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلَاةِ مِنْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهْلِمْنِي^(٣) عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهَا عَلَيَّ إِلَهَامًا، وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ تَمَامًا، ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ، وَوَقِّفْنِي لِلنَّفُوزِ فِيهَا

١- البقرة: ٢٠١.

٢- الصحيفة السجّادية: ص ١٠٥ الدعاء ٢٥، البلد الأمين: ص ٤٦٢، المصباح للكفعمي: ص ٢١٨.

٣- الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً، يبعثه على الفعل أو الترك (النهاية: ج ٤ ص ٢٨٢ «لهم»).

تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ، حَتَّى لَا يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِيهِ، وَلَا تَثْقُلَ أُرْكَانِي عَنِ الْحُفُوفِ^(١) فِيهَا أَلْهَمْتَنِيهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا أَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبِيلِهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ^(٢)، وَأَبْرُهُمَا بَرَّ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لَوَالِدَيَّ، وَبِرِّي بِهِمَا أَفْرَ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجْ لِصَدْرِي مِنْ شَرَبَةِ الظَّمَانِ، حَتَّى أُوشِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا، وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ.

اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وَأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي، وَأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي^(٣)، وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْني بِهِمَا رَفِيقًا، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا.

اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَّتِي، وَأَثْبُهُمَا عَلَى تَكْرِمَتِي، وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي.

اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهَا مِنِّي مِنْ أذى، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوهِ، أَوْ ضَاعَ قَبْلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ، فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِدُنُوبِهِمَا، وَعُلُوفًا فِي دَرَجَاتِهِمَا، وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

اللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُمَا، وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعٍ تَبَعْتَهُ عَنْهُمَا، فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُهُمَا عَلَى نَفْسِي، وَلَا أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي، وَلَا أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرٍ يَا رَبِّ، فَهُمَا أَوْجَبُ حَقًّا عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَانًا إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مَنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أَقَاصَهُمَا بِعَدْلِ أَوْ أَجَازِيَهُمَا عَلَى مِثْلِ.

أَيْنَ إِذَا يَا إلهي طَوَّلَ شُغْلُهُمَا بِتَرْبِيَّتِي؟ وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي؟

١- الحُفُوفُ: السرعةُ (مجمع البحرين: ج ١ ص ٤٢٩ «حفف»).

٢- الْعَسُوفُ: الجائرُ الظلومُ (النهاية: ج ٣ ص ٢٣٧ «عسف»).

٣- الْعَرِيكَةُ: الطَّبِيعَةُ (النهاية: ج ٣ ص ٢٢٢ «عرك»).

وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوَسُّعَةِ عَلَيَّ؟ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوِفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا،
وَلَا أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لهُمَا، وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنْ أَسْتَعِينُ بِهِ، وَوَفِّقْنِي يَا أَهْدَى
مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاخْصُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ مَا خَصَّصْتَ
بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي، وَفِي أَنْ أُنَاءَ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ
مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي لهُمَا، وَاغْفِرْ لَهُمَا بِبِرِّهِمَا
بِي مَغْفِرَةٍ حَتْمًا، وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رِضًا عَزْمًا، وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ
مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ.

اللَّهُمَّ وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لهما فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي
فِيهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ، وَنَحُلَّ مَغْفِرَتَكَ وَرَحْمَتَكَ، إِنَّكَ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْمَنَّ الْقَدِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١).

٢- دعاء المظلوم على من ظلمه:

ورد في الروايات أن دعوة المظلوم على من ظلمه مستجابة، إذ روي عن
رسول الله ﷺ أنه قال: «إِيَّاكَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَقَّهُ، وَإِنَّ
اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ»^(٢)، وعنه ﷺ قال: «أَتَقِي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا
لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٣)، وعنه ﷺ قال: «اتَّقُوا دَعَوَاتِ الْمَظْلُومِ؛
فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهُمَا شَرَارٌ»^(٤)، وعنه ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ

١- الصحيفة السجادية: ص ١٠١ الدعاء ٢٤.

٢- الفردوس: ج ١ ص ٣٨٩ ح ١٥٦٨ عن الإمام علي عليه السلام.

٣- صحيح البخاري: ج ٢ ص ٨٦٤ ح ٢٣١٦ عن ابن عباس.

٤- المستدرک علی الصحيحین: ج ١ ص ٨٣ ح ٨١ عن ابن عمر.

المظلوم؛ فَإِنَّهَا تُرْفَعُ فَوْقَ السَّحَابِ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا،
فَيَقُولُ: أَرْفَعُهَا حَتَّى أَسْتَجِيبَ لَهُ»^(١).

وروي عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ اللَّهَ حَقَّهُ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُسْأَلَ حَقًّا إِلَّا أَجَابَ»^(٢).

وَلَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام: كَمْ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟

قال عليه السلام: «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَدُّ الْبَصَرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).

وكان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام إِذَا أُعْتِدِيَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى مِنْ الظَّالِمِينَ مَا لَا يُحِبُّ، هَذَا الدُّعَاءُ:

«يَا مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَنْبَاءُ الْمُتَظَلِّمِينَ، وَيَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ فِي قَصَصِهِمْ
إِلَى شَهَادَاتِ الشَّاهِدِينَ، وَيَا مَنْ قَرَّبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، وَيَا مَنْ
بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ الظَّالِمِينَ، قَدْ عَلِمْتَ يَا إِلَهِي مَا نَأْنِي مِنْ «فُلَانِ بْنِ
فُلَانٍ» مِمَّا حَظَرْتَ^(٤)، وَانْتَهَكْتُهُ مِنْ مِمَّا حَظَرْتَ عَلَيْهِ؛ بَطَرًا فِي نِعْمَتِكَ
عِنْدَهُ، وَاغْتِرَارًا بِنَكِيرِكَ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخُذْ ظَالِمِي وَعَدُوِّي عَنِ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ،
وَافْلُلْ^(٥) حَذَّةَ عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلًا فِيمَا يَلِيهِ، وَعَجْزًا عَمَّا يُنَاوِيهِ.
اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تُسَوِّغْ لَهُ ظُلْمِي، وَأَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْنِي،
وَاعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أَفْعَالِهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي مِثْلِ حَالِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِدْنِي عَلَيْهِ عَدُوِّي حَاضِرَةً، تَكُونُ مِنْ
غِيظِي بِهِ شِفَاءً، وَمِنْ حَنْقِي^(٦) عَلَيْهِ وَفَاءً.

١- الكافي: ج ٢ ص ٥٠٩ ح ٣ عن السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٣٦١ ح ٢٣.

٢- غرر الحكم: ٢٥١٠.

٣- بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٨٨، ح ٨.

٤- الحَظَرُ: الْمَنْعُ، وَقَدْ حَظَرْتُ الشَّيْءَ: إِذَا حَرَّمْتَهُ (النهاية: ج ١ ص ٤٠٥ «حظر»).

٥- فَلَكْتُ الْجَيْشَ: أَيِ كَسَرْتَهُ وَهَزَمْتَهُ (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٤١٦ «فلل»).

٦- الْحَنْقُ: شِدَّةُ الْاِغْتِيَاظِ (لسان العرب: ج ١٠ ص ٦٩ «حنق»).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي عَفْوِكَ، وَأَبْدِلْنِي بِسُوءِ صَنِيعِهِ بِرَحْمَتِكَ، فَكُلُّ مَكْرُوهِ جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ، وَكُلُّ مَرَزِيَّةٍ^(١) سَوَاءٌ مَعَ مَوْجِدَتِكَ^(٢).

اللَّهُمَّ فَكَمَا كَرِهْتَ إِلَيَّ أَنْ أُظْلَمَ، فَقِنِي مِنْ أَنْ أُظْلِمَ.
اللَّهُمَّ لَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أَسْتَعِينُ بِحَاكِمٍ غَيْرِكَ، حَاشَاكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصِلْ دُعَائِي بِالْإِجَابَةِ، وَاقْرِنْ شِكَايَتِي بِالتَّغْيِيرِ.
اللَّهُمَّ لَا تَفْتِنِّي بِالْقُنُوطِ مِنْ إِنْصَافِكَ، وَلَا تَفْتِنَهُ بِالْأَمْنِ مِنْ إِنْكَارِكَ، فَيُصِرَّ عَلَى ظُلْمِي، وَيُحَاضِرَنِي^(٣) بِحَقِّي، وَعَرِّفْهُ عَمَّا قَلِيلٍ مَا أَوْعَدْتَ الظَّالِمِينَ، وَعَرِّفْنِي مَا وَعَدْتَ مِنَ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ، وَرَضْنِي بِمَا أَخَذْتَ لِي وَمَنِّي، وَاهْدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ.
اللَّهُمَّ وَإِنْ كَانَتْ الْخَيْرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي، وَتَرِكَ الْإِنْتِقَامَ مِنِّي ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ وَمَجْمَعِ الْخَصْمِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَيِّدْنِي مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَصَبْرٍ دَائِمٍ، وَأَعِزَّنِي مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ، وَهَلِّعْ أَهْلَ الْحَرْصِ، وَصَوِّرْ فِي قَلْبِي مِثَالَ مَا أَدَّخَرْتَ لِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَأَعِدَدْتَ لِحَصْمِي مِنْ جَزَائِكَ وَعِقَابِكَ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ سَبَبًا لِقَنَاعَتِي بِمَا قَضَيْتَ، وَثِقَتِي بِمَا تَخَيَّرْتَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٤).

ومن دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في مكارم الأخلاق، نقرأ هذا المقطع: «واجعل لي يداً على مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنْ اضْطَهَدَنِي»^(٥).

١- المرزئة: المصيبة (جمع البحرين: ج ٢ ص ٦٩٥ «رزأ»).

٢- وَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ وَجْداً وَجْدةً وَمَوْجدةً: غَضِبَ (لسان العرب: ج ٣ ص ٤٤٦ «وجد»).

٣- الْمُحَاضِرَةُ: المُجَالِدَةُ، وَهُوَ أَنْ يَغَالِبَكَ عَلَى حَقِّكَ فَيَغْلِبَكَ عَلَيْهِ وَيَذْهَبُ بِهِ (لسان العرب: ج ٤ ص ٢٠٠ «حضر»).

٤- الصحيفة السجادية: ص ٦١ الدعاء ١٤، المصباح للكفعمي: ص ٢٠٨.

٥- الصحيفة السجادية: الدعاء ٢٠.

وقد ورد الحث على إغاثة المظلوم، ففي وصية الإمام علي عليه السلام للحسنين عليهما السلام قال: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصَمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»^(١).

وفي الدعاء الوارد عن الإمام زين العابدين عليه السلام نقراً:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ
مَعْرُوفٍ أَسَدَيْ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيءٍ أَعْتَذَرُ إِلَيْكَ فَلَمْ أَعِذِرْهُ»^(٢).

٣- دعاء المؤمن للمؤمن:

من الأدعية المستجابة دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب، وخصوصاً إذا كان غائباً عنه، فقد يكون المؤمن الآخر أكثر إخلاصاً و يقيناً فيستجاب دعاؤه، لما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أَسْرَعُ الدُّعَاءِ نُجْحًا لِلْإِجَابَةِ دَعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، يَبْدَأُ بِالدُّعَاءِ لِأَخِيهِ فَيَقُولُ لَهُ مَلِكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلَاهُ»^(٣).
وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «دَعَاءُ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ يَدْفَعُ عَنْهُ
الْبَلَاءَ، وَيُذِيرُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ»^(٤).

٤- دعاء من يقرأ القرآن ويداوم على تلاوته:

من الأدعية المستجابة دعاء من يقرأ القرآن ويداوم على تلاوته في كل وقت، وفي كل زمان ومكان، لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اغْتَنِمُوا
الدُّعَاءَ عِنْدَ أَرْبَعٍ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ...»^(٥).

وروي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ
مُجَابَةٌ؛ إِمَّا مُعْجَلَةً وَإِمَّا مُؤَجَّلَةً»^(٦).

وخلاصة القول: إنه ينبغي للإنسان المؤمن أن يحرص أشد الحرص على قراءة

١- نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٨.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٥٠٧، ح ٤.

٤- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧١، ٢٢٢، ح ٢.

٥- الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٧٧، ح ٣.

٦- بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣١٣، ح ١٧.

الأدعية الماثورة الواردة عن أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وخصوصاً أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، لما تتضمنه من مفاهيم ومضامين عقائدية وأخلاقية وتربوية ومعنوية عالية، كما أنها قادرة على التأثير في الروح والقلب إذا ما قرأها الإنسان بتفاعل وجداني وعاطفي؛ فإنها بلا شك ستترك أثرها الإيجابي على السلوك الأخلاقي، والارتقاء الروحي والمعنوي في الشخصية المسلمة.

الصحيفة السجادية

قدّم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام للأمة الإسلامية كنوزاً من المعارف الإسلامية عبر الأدعية الشريفة التي كان يدعو بها، إذ احتوت أدعيته الماثورة على مفاهيم عميقة ومضامين مهمة في العقائد والمعارف الدينية، ومنظومة الأخلاق، وقيم التربية والسلوك.

لقد اتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام الدعاء وسيلة للتربية ومنهجاً لصناعة الوعي عند الإنسان، واستطاع عليه السلام أن يربي جيلاً من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين والمفسرين على فضائل الأخلاق ومكارمها، مركزاً في تربيته على وسيلة الدعاء، وتخرج من مدرسته العلمية أساطين في العلم والمعرفة، وقادة رأي وفكر، وقمم شامخة في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

والصحيفة السجادية (التي تضم أهم أدعيته) لم تقتصر على المناجاة والدعاء والتضرع والخشوع لله تعالى وحسب؛ وإنما اشتملت أيضاً على كنوز من العلوم والمعارف الإسلامية بما احتوته من المسائل والقضايا العقائدية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية وغيرها.

ومما يدل على أهمية ونفاسة الصحيفة السجادية ما كتب عنها من عشرات الشروح لها، وقد أحصى المحقق الكبير (آغا بزرك الطهراني) في كتابه القيم (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) مئة وخمسين شرحاً لها، كما تُرجمت إلى عدة لغات عالمية.

ومن المهم للغاية التأمل والتفكير في أدعية الصحيفة السجادية، وعدم الاكتفاء بالقراءة المجردة لها، وإنما السعي نحو فهم ما احتوته مضامين أدعيتها من مفاهيم ورؤى ودلالات عميقة ومتنوعة.

وتعد التربية بالدعاء من أهم الوسائل في تزكية النفس، وتهذيب الروح، وتنمية الرصيد الروحي والمعنوي في شخصية الإنسان المسلم، وقد قام الإمام عليه السلام بتربية أصحابه وأتباعه ومريديه وتلامذته ورواته وعامة الناس عبر أدعيته التي استهوت النفوس وأثّرت في العقول.

وعُرفت الصحيفة السجادية بـ «زبور آل محمد» وبـ «إنجيل أهل البيت عليهم السلام»؛ لما احتوته هذه الصحيفة من جوامع الكلم، وغرر الحكم، وجواهر الفكر؛ فكانت ولا زالت تعتبر مدرسة في تربية النفوس، وتزكية القلوب، وإثراء العقول.

وتحتوي أدعية الصحيفة السجادية على معاني ودلالات تربوية مهمة، كما تضمنت إرشادات أخلاقية وسلوكية وروحية لتربية الإنسان على الفضائل النفسية، والكمالات المعنوية، والأخلاق الفاضلة.

نماذج من جواهر أدعيته

تميّز الإمام زين العابدين عليه السلام في سيرته الروحية بكثرة ما روي عنه من أدعية ومناجاة لله تعالى، وحظيت أدعيته بالشهرة والانتشار لما تميزت به من أسلوب بلاغي جميل، وأدب عربي فصيح؛ ما كان له وقع كبير في النفوس والقلوب، وأثر قوي في العقول والألباب، ويكفي المرء أن يقرأ ما في الصحيفة السجادية من أدعية مأثورة، ونقتصر هنا على نقل بعض أدعيته الشريفة، ومنها:

١ - دعاؤه في تحميد الله عز وجل:

كَانَ مِنْ دُعَاءِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام أَنَّهُ إِذَا ابْتَدَأَ بِالدُّعَاءِ بَدَأَ بِالتَّحْمِيدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ. ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعًا، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعًا، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّمًا إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ. وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوَّةً مَعْلُومًا مَقْسُومًا مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ. ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتًا، وَنَصَبَ لَهُ أَمَدًا مَحْدُودًا يَتَخَطَّأُ^(١) إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمْرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ وَاسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمْرِهِ، قَبَضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢) عَدَلًا مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَظَاهَرَتْ أَلَاؤُهُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنَنِهِ الْمُتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ؛ لَتَصَرَّفُوا فِي مَنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ^(٤)، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٥). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ، وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بُرُوبِيَّتَهُ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ، وَجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ، حَمْدًا نَعْمَرُ بِهِ فَيَمُنَّ حَمْدُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاؤِهِ وَعَفْوِهِ،

١ - كذا، والقياس: «يتخطى». قال ابن منظور: تخطيت إلى كذا، ولا يقال: تخطأت - بالهمز (لسان العرب: ج ١٤ ص ٢٣٢ «خطا»).

٢ - النجم: ٣١.

٣ - الأنبياء: ٢٣.

٤ - في نسخة قديمة: «ولدخلوا في حريم البهيمية»، وهو قريب من معنى الحد، فإن حريم الدار ما حولها من حقوقها ومرافقها، سمّي بذلك لأنه يحرم غير مالکها أن يستبدّ بالارتفاق به (رياض السالكين: ج ١ ص ٣٠٨).

٥ - الفرقان: ٤٤.

حَمْدًا يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرَزِخِ^(١)، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ، وَيُسَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ^(٢)، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٣).

حَمْدًا يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ.
حَمْدًا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرَقَتِ الْأَبْصَارُ، وَتَبَيَّضَ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ.
حَمْدًا نَعْتَقُ بِهِ مِنَ أَلِيمِ نَارِ اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللَّهِ.
حَمْدًا نَزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، وَنُضَامُ^(٤) بِهِ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ
الَّتِي لَا تَزُولُ، وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ^(٥).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مُحَاسِنَ الْخَلْقِ، وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ،
وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ،
وصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ
مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟ لَا، مَتَى؟

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ، وَمَتَّعَنَا
بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وَأَثَبَتْ فِينَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ، وَغَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَأَغْنَانَا
بِفَضْلِهِ، وَأَقْنَانَا^(٦) بِمَنْنِهِ، ثُمَّ أَمَرْنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، وَنَهَانَا لِيَتَّبِلَى شُكْرَنَا، فَخَالَفْنَا
عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ، وَرَكَّبْنَا مُتَوْنَ زَجْرِهِ، فَلَمْ يَتَذَرْنَا^(٧) بِعُقُوبَتِهِ، وَلَمْ يُعَاجِلْنَا
بِنِقْمَتِهِ، بَلْ تَأَنَّنَا^(٨) بِرَحْمَتِهِ تَكْرُمًا، وَانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِهِ حِلْمًا.

١- الْبَرَزِخُ: مَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَى الْقِيَامَةِ (مفردات ألفاظ القرآن: ص ١١٨ «برزخ»).

٢- إشارة إلى الآية ٢٢ من سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٣- الدخان: ٤١.

٤- تَضَامُّ الْقَوْمُ: إِذَا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ (الصحيح: ج ٥ ص ١٩٧٢ «ضمم»).

٥- حَالٌ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ: أَيُّ تَحَوُّلٍ (تاج العروس: ج ١٤ ص ١٨٦ «حول»).

٦- أَقْنَانَا اللَّهُ: أَعْطَاهُ (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٥١٨ «قنا»).

٧- ابْتَدَرُهُ: عَاجَلَهُ (القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٦٩ «بدر»).

٨- تَأَنَّنَى فِي الْأَمْرِ: أَيُّ تَرَفَّقَ وَتَنَظَّرَ (الصحيح: ج ٦ ص ٢٢٧٣ «أنا»).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِ مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا، لَقَدْ حَسُنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا، وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا، وَجَسَمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا، فَمَا هَكَذَا كَانَتْ سُتَّةُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَمْ يَكْلَفْنَا إِلَّا وُسْعًا، وَلَمْ يُجَشِّمْنَا^(١) إِلَّا يُسْرًا، وَلَمْ يَدْعَ لِأَحَدٍ مِّنَّا حُجَّةً وَلَا عُذْرًا، فَالْهَالِكُ مِمَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ، وَالسَّعِيدُ مِمَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِكُلِّ مَا حَمَدَهُ بِهِ أَدْنَى مَلَائِكَتِهِ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمَ خَلْقَتِهِ عَلَيْهِ، وَأَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ، حَمْدًا يَفْضُلُ سَائِرَ الْحَمْدِ، كَفَضْلِ رَبَّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ. ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَمَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ، وَلَا حِسَابَ لِعَدَدِهِ، وَلَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ. حَمْدًا يَكُونُ وَصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ، وَسَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ، وَذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ، وَطَرِيقًا إِلَى جَنَّتِهِ، وَخَفِيرًا^(٢) مِنْ نِقَمَتِهِ، وَأَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ، وَظَهِيرًا عَلَى طَاعَتِهِ، وَحَاجِرًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَوْنًا عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَوِظَائِفِهِ. حَمْدًا نَسْعُدُ بِهِ فِي السُّعْدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَنَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ حَمِيدٍ^(٣).

٢- دَعَاؤُهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كَانَ مِنْ دُعَاءِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام بَعْدَ هَذَا التَّحْمِيدِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي هَذَا الدُّعَاءِ الْجَلِيلِ يَثْنِي الْإِمَامُ عَلَى مَا بَذَلَهُ جَدُّهُ رَسُولُ

١- لم يجشمننا إلا يسرًا: أي لم يكلفنا إلا يسرًا، من التجشّم؛ وهو التكلف على مشقة (مجمع البحرين: ج ١ ص ٢٩٥ «جشم»).

٢- الخفير: المجير (الصحاح: ج ٢ ص ٦٤٨ «خفر»).

٣- الصحيفة السجّادية: ص ١٩ الدعاء ١، البلد الأمين: ص ٤٣٨ عن عمير بن متوكل بن هارون عن الإمام الصادق عنه عليه السلام؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٨٥ عن الإمام عليّ عنه عليه السلام.

اللَّهُ ﷻ من جهود مضيئة في سبيل نشر الإسلام، وما عاناه من عقبات ومشاكل وأذى وآلام في سبيل نشر الدعوة، وهذا نصه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ^(١)، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَكَثَرْنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ.

اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيَّكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيَّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامَ الرَّحْمَةِ، وَقَائِدَ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحَ الْبَرَكَاتِ، كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ^(٢)، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ، وَأَقْصَى الْأَدْنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيكَ الْأَبْعَدَيْنِ، وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبَيْنِ، وَأَدَّابَ^(٣) نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ، وَأَتَعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ، وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْغُرَبَةِ وَمَحَلِّ النَّأْيِ^(٤) عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ، إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَارًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتَّى اسْتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ، فَتَهَدَّ^(٥) إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا بِعَوْنِكَ، وَمُتَّقِيًا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ^(٦) قَرَارِهِمْ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتَّى لَا يُسَاوَى

١- لَطُفٌ: صَغُرَ وَدَقَّ (القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٩٥ «لطف»).

٢- الحَامَةُ: الْخَاصَّةُ. وَحَامَةُ الرَّجُلِ: أَقْرَبَاؤُهُ (الصحاح: ج ٥ ص ١٩٠٧ «حم»).

٣- أَذْأَبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ: أَتَعَبَهَا، دَابَّ: جَدَّ وَتَعَبَ (تاج العروس: ج ١ ص ٤٧٦ «دأب»).

٤- النَّأْيُ: الْبُعْدُ (لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٠٠ «نأي»).

٥- تَهَدَّدَ: نَهَضَ (النهاية: ج ٥ ص ١٣٤ «نهد»).

٦- الْبُحْبُوحَةُ: وَسَطُ الْمَحَلَّةِ، وَبُحْبُوحَةُ الدَّارِ: وَسْطُهَا (لسان العرب: ج ٢ ص ٤٠٧ «بحح»).

فِي مَنَزَلَةٍ وَلَا يُكَافَأُ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيهِ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ،
وَعَرَّفَهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلٌ مَا وَعَدْتُهُ،
يَا نَافِذَ الْعِدَّةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، إِنَّكَ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(١).

٣- دَعَاؤُهُ فِي اللَّجْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءُ تَعْفُ عَنَّا فَيَفْضَلِكَ، وَإِنْ تَشَاءُ تُعَذِّبُنَا فَبِعَدْلِكَ، فَسَهِّلْ لَنَا
عَفْوَكَ بِمَنِّكَ، وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَدْلِكَ، وَلَا
نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوِكَ.

يَا غَنِيَّ الْأَغْنِيَاءِ، هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَنَا أَفْقَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَيْكَ،
فَاجْبُرْ فَاغْتِنَا بِوُسْعِكَ، وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا بِمَنْعِكَ، فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنْ
اسْتَسْعَدَ بِكَ، وَحَرَمْتَ مَنْ اسْتَرْفَدَ^(٢) فَضْلَكَ، فَإِلَى مَنْ حِينِيذٍ مُنْقَلَبُنَا عَنْكَ؟
وإِلَى أَيْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ؟

سُبْحَانَكَ! نَحْنُ الْمُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ إِجَابَتُهُمْ، وَأَهْلُ السَّوَاءِ الَّذِينَ
وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِمَشِيَّتِكَ، وَأَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ فِي عَظَمَتِكَ،
رَحْمَةً مَنْ اسْتَرْحَمَكَ، وَغَوْثُ مَنْ اسْتَغَاثَ بِكَ، فَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا إِلَيْكَ، وَأَغْنِنَا
إِذْ طَرَحْنَا أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا إِذْ شَايَعَنَاهُ عَلَى مَعْصِيَتِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ، وَلَا تُشْمِتْهُ بِنَا بَعْدَ تَرْكِنا إِيَّاهُ لَكَ، وَرَغَبِنَا عَنْهُ إِلَيْكَ^(٣).

٤- دَعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَرْضِيِّ الْأَفْعَالِ:

من أجمل وأروع أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام دعاؤه في مكارم الأخلاق
ومرضي الأفعال، لما يحتويه هذا الدعاء الجليل من مضامين ودلالات تربوية

١- الصحيفة السجادية: ص ٢٥ الدعاء ٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٨٦ عن الإمام
عليه وعنه عليهما السلام نحوه.

٢- استرفد: طلب الاستعانة (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٧١٧ «رفد»).

٣- الصحيفة السجادية: ص ٤٩ الدعاء ١٠.

وأخلاقية عميقة، ولأهمية هذا الدعاء في البناء الأخلاقي للأفراد والمجتمع، وما يتضمنه من مفردات مكارم الأخلاق وفضائلها، فقد قام عدد من العلماء بشرحه، وبيان ما فيه من حكم ودرر نفيسة، ولأهميته إليكم نصه:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَأَنْتَ بِنَيْتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.

اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نَيْتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الْاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَدًا عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيهَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِيَنِي بِالْكِبَرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجِرْ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرِ، وَلَا تَحْقُقْهُ^(١) بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَاعِصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَاطَّتْنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلُهَا، وَلَا تُحْدِثْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَحْدَثَتْ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقُدْرَتِهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتَّعْنِي بِهَدْيٍ صَالِحٍ لَا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةٍ حَقٍّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةٍ رُشِدٍ لَا أَشُكُّ فِيهَا، وَعُمَرِي مَا كَانَ عُمَرِي بِذِلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمَرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ لَا تَدَعِ خَصْلَةَ تُعَابٍ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتُهَا، وَلَا عَائِبَةً أُؤَنِّبُ بِهَا إِلَّا حَسَّنْتُهَا، وَلَا أَكْرَمَةً فِي نَاقِصَةٍ إِلَّا أَتَمَمْتُهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بَغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَانِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظُنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ

الأَذْنَيْنِ الْوَلَايَةِ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبْرَّةِ، وَمِنْ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ
النُّصْرَةِ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحِ الْمَقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِينَ كَرَمِ الْعِشْرَةِ،
وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةِ الْأَمْنَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَدًا عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَانًا عَلَى
مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَرًا بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْرًا عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً
عَلَى مَنْ اضْطَهَّدَنِي، وَتَكْذِيبًا لِمَنْ قَصَبَنِي^(١)، وَسَلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَقْفَنِي
لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدَنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّيَنِي
بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ
مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ
الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ^(٢) عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ
فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغِيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ^(٣)، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحِ
ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسِتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ^(٤)، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ،
وَحُسْنِ السَّيْرِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَإِثَارِ
التَّقْضِيلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ،
وَاسْتِقْلَالَ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي
وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدْعِ،
وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرْتُ،

١ - قصبه: عابه (النهاية: ج ٤ ص ٦٧ «قصب»).

٢ - الإغضاء: التغافل عن الشيء (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٣٢٣ «غضى»).

٣ - النائرة: الفتنة الحادثة والعداوة (النهاية: ج ٥ ص ١٢٧ «نور»).

٤ - العريكة: الطبيعة (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٢٠٤ «عرك»).

وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِي إِذَا نَصَبْتُ^(١)، وَلَا تَبْتَلِيَنِي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، وَلَا جُمَاعَةٍ مَن تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلَا مُفَارَقَةٍ مَن اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ^(٢) بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمُسْكِنَةِ، وَلَا تَفْتِنَنِي بِالْإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرَرْتُ، وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَن دُونِكَ إِذَا رَهَبْتُ، فَاسْتَحِقْ بِذَلِكَ خِدْلَانَاكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي^(٣) - مِّنَ التَّمَنِّيِّ وَالتَّظَنِّيِّ وَالْحَسَدِ - ذِكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّرًا فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيرًا عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي - مِّنَ لَفْظَةٍ فَحَشٍ أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَتَمٍ عَرَضٍ، أَوْ شَهَادَةٍ بَاطِلٍ، أَوْ اغْتِيَابٍ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ، أَوْ سَبٍّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ - نُطْقًا بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِعْرَاقًا فِي الشَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَابًا فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْرًا لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافًا بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمَنِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا أَظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلَا أَظْلَمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلَا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمَكَّنْتَكَ هِدَايَتِي، وَلَا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنَ عِنْدِكَ وَاسْعِي، وَلَا أَطْغَيْنَنَّ وَمِنَ عِنْدِكَ وَجِدِي^(٤).

اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يَوْجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدَى، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَى، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

١ - النَّصَبُ: التَّعَبُّ (النهاية: ج ٥ ص ٦٢ «نصب»).

٢ - أَصُولُ: أَسْطُو وَأَقْهَرُ (النهاية: ج ٣ ص ٦١ «صول»).

٣ - رُوعِي: نَفْسِي وَخَلْدِي (النهاية: ج ٢ ص ٢٧٧ «روع»).

٤ - الْوُجْدُ: الْيَسَارُ وَالسَّعَةُ (لسان العرب: ج ٣ ص ٤٤٥ «وجد»).

اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِِ الطَّرِيقَةِ الْمَثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَمَتَّنِي بِالْاِقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ
السَّدَادِ، وَمِنْ أَدْلَةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ
وَسَلَامَةَ الْمِرْصَادِ^(١).

اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخْلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا
يُصْلِحُهَا، فَإِنْ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمُهَا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزَنْتُ، وَأَنْتَ مُتَجَعِّي^(٢) إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ
كَرِهْتُ^(٣) وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلْفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صِلَاحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ، فَامْنُنْ
عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَّةِ، وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي
مَوْوَنَةَ مَعَرَّةٍ^(٤) الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنِّي بِطُفُفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ،
وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ^(٥)، وَجَلِّلْنِي بِرِضَاكَ،
وَوَفَّقْنِي إِذَا اشْتَكَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ لِأَهْدَاها، وَإِذَا تَشَابَهَتْ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا، وَإِذَا
تَنَاقَضَتْ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَجَّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمِّنِي حُسْنَ الْوِلَايَةِ،
وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهُدَايَةِ، وَلَا تَفْتِنْنِي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلَا
تَجْعَلْ عَيْشِي كَدًّا كَدًّا، وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدًّا، فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدًّا،
وَلَا أَدْعُو مَعَكَ نِدًّا.

١- المِرْصَادُ: طَرِيقُ الْعِبَادِ، وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: قَنْطَرَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ٢ ص ٧٠٤ «رصد»).

٢- الْاِتْتِجَاعُ: طَلَبُ الْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: اِتْتَجَعْتُ فَلَانًا: إِذَا أُتِيَته تَطْلُبُ مَعْرُوفَهُ (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ٣ ص ١٧٥٣ «نجع»).

٣- كَرِهْتُ الْأَمْرَ يَكْرَهُهُ وَيَكْرَهُهُ: سَاءَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ (لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ٢ ص ١٨٠ «كرث»).

٤- الْمَعَرَّةُ: الْمَسَاءَةُ (المصباح المنير: ص ٤٠١ «عرر»).

٥- الذَّرَى: كُلُّ مَا اسْتَرْتَبَ بِهِ (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ١ ص ٦٣٦ «ذرا»).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهُدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيهَا أَنْفَقُ مِنْهُ.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَوُونَةَ الْإِكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلَا أَشْتَغَلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلَا أَحْتَمِلُ إِصْرًا^(١) تَبْعَاتِ الْمَكْسَبِ.
اللَّهُمَّ فَأُطْلِبُنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أُرْهَبُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ^(٢)، وَلَا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ، فَاسْتَرْزُقْ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعِطِي شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَابْتَلِ بِذَمِّ مَنْ مَنَعْنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَرَاغًا فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْمًا فِي اسْتِعْمَالٍ، وَوَرَعًا فِي إِجْمَالٍ.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلًا سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ^(٣).

٥ - دعاء عظيم الشأن:

من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الدعاء الجليل، وهو دعاء عظيم الشأن، وهذا نصه:

١ - الإصر: الإثم والعقوبة (النهاية: ج ١ ص ٥٢ «أصر»).

٢ - اليسار: الغنى والثروة (المصباح المنير: ص ٦٨٠ «يسر»).

٣ - الصحيفة السجادية: ص ٨١ الدعاء ٢٠.

إلهي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا أَنَا، وَكَيْفَ أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَنْتَ؟!
 إلهي إِذَا لَمْ أَسْأَلْكَ فَتُعْطِنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِنِي؟!
 إلهي إِذَا لَمْ أَدْعُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَسْتَجِيبَ لِي؟!
 إلهي إِذَا لَمْ أَنْصَرَّعْ إِلَيْكَ فَتَرْحَمْنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَنْصَرَّعُ إِلَيْهِ فَيَرْحَمْنِي؟!
 إلهي فَكَمَا فَلَقْتَ الْبَحْرَ لِمُوسَى عليه السلام وَنَجَّيْتَهُ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُنَجِّيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَتُفَرِّجَ عَنِّي فَرْجًا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ،
 بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

٦ - دَعَاؤُهُ فِي الْاِسْتِیَاقِ إِلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصَيِّرْنَا إِلَى مَحَبِّبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَأَزِلْنَا عَنْ
 مَكْرُوهِكَ مِنَ الْإِصْرَارِ.

اللَّهُمَّ وَمَتَى وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، فَأَوْقِعِ النِّقْصَ بِأَسْرَعِهَا
 فَنَاءً، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِي أَطْوَلِهَا بَقَاءً.

وَإِذَا هَمَمْنَا^(٢) بِهَمِّينِ يُرْضِيكَ أَحَدُهُمَا عَنَّا، وَيُسْخِطُكَ الْآخَرُ عَلَيْنَا، فَمِلْ
 بِنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ عَنَّا، وَأَوْهِنِ^(٣) قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا، وَلَا تُخْلِفْ فِي
 ذَلِكَ بَيْنَ نَفُوسِنَا وَاخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَقَّعْتَ، أَمَّارَةٌ
 بِالسَّوِّءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ.

اللَّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَاءٍ مَهِينٍ^(٤)
 ابْتَدَأْتَنَا، فَلَا حَوْلَ لَنَا إِلَّا بِقُوَّتِكَ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِعَوْنِكَ، فَأَيَّدْنَا بِتَوْفِيقِكَ،
 وَسَدَّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ، وَأَعْمِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ، وَلَا تَجْعَلْ لَشَيْءٍ
 مِنْ جَوَارِحِنَا نَفُودًا فِي مَعْصِيَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا، وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا،

١ - المصباح للكفعمي: ص ٣٨٩.

٢ - هَمَّ بِالْأَمْرِ يَهْمُ: إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ (النهاية: ج ٥ ص ٢٧٤ «هم»).

٣ - وَهْنٌ: ضَعْفٌ (المصباح المنير: ص ٦٧٤ «وهن»).

٤ - مَهِينٌ: أَيُّ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٧٣١ «مهن»).

وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهْجَاتِ أَلْسِنَتِنَا، فِي مَوْجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لَا تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ، وَلَا تَبْقَى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ^(١).

٧- دَعَاؤُهُ فِي التَّذَلُّلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

رَبِّ أَفْحَمْنِي^(٢) ذُنُوبِي، وَانْقَطَعْتَ مَقَالَتِي فَلَا حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الْأَسِيرُ بِبِلَيَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطِعُ بِي. قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الْأَذِلَّةِ الْمَذْنِبِينَ، مَوْقِفَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخْفِينَ بِوَعْدِكَ، سُبْحَانَكَ أَيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ، وَأَيَّ تَغْرِيرٍ غَرَرْتُ بِنَفْسِي؟!

مَوْلَايَ! ارْحَمْ كَبُوتِي^(٣) لِحُرٍّ^(٤) وَجْهِي وَزَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدَّ بِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي، وَبِإِحْسَانِكَ عَلَى إِسَاءَتِي، فَأَنَا الْمُقَرَّبُ بِذَنْبِي، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي، وَهَذِهِ يَدِي وَنَاصِيَتِي أَسْتَكِينُ بِالْقَوْدِ مِنْ نَفْسِي، ارْحَمْ شَيْئِي وَنَفَادَ أَيَّامِي، وَاقْتِرَابَ أَجَلِي، وَضَعْفِي وَمَسْكَتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي.

مَوْلَايَ! وَارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرِي، وَامْحَى مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ذِكْرِي، وَكُنْتُ فِي الْمَنَسِيِّينَ كَمَنْ قَدْ نُسِيَ.

مَوْلَايَ! وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغْيِيرِ صُورَتِي وَحَالِي، إِذَا بَلَى جِسْمِي وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِي، يَا غَفْلَتِي عَمَّا يُرَادُ بِي!

مَوْلَايَ! وَارْحَمْنِي فِي حَشْرِي وَنَشْرِي، وَاجْعَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْقِفِي، وَفِي أَحْبَابِكَ مَصْدَرِي، وَفِي جَوَارِكَ مَسْكَنِي، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ^(٥).

٨- دَعَاؤُهُ فِي التَّضَرُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ:

إِلَهِي! أَحْمَدُكَ - وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ - عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ، وَسُبُوحُ^(٦)

١ - الصحيفة السجّادية: ص ٤٧ الدعاء ٩، البلد الأمين: ص ٤٤٦.

٢ - أفحمتني: أسكتني (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٣٦٧ «فحم»).

٣ - كَبَا لَوْجَهْ: سقط (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٥٤٨ «كبا»).

٤ - حُرُّ الْوَجْهِ: مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ وَبَدَا لَكَ مِنْهُ (النهاية: ج ١ ص ٣٦٥ «حرر»).

٥ - الصحيفة السجّادية: ص ٢٢٥ الدعاء ٥٣، البلد الأمين: ص ٤٩٨.

٦ - سَبَّحَتِ النِّعْمَةُ: اتَّسَعَتْ، وَأَسْبَغَهَا اللَّهُ: أَفَاضَهَا وَأَمَّطَهَا (المصباح المنير: ص ٢٦٤ «سبغ»).

نَعْمَائِكَ عَلَيَّ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ عِنْدِي، وَعَلَى مَا فَضَّلْتَنِي بِهِ مِنْ رَحْمَتِكَ،
وَأَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعَمَتِكَ، فَقَدْ اصْطَنَعْتَ عِنْدِي مَا يَعِجْزُ عَنْهُ شُكْرِي.
وَلَوْ لَا إِحْسَانُكَ إِلَيَّ، وَسُبُوحُ نَعْمَائِكَ عَلَيَّ، مَا بَلَغْتُ إِحْرَارَ حَظِّي، وَلَا
إِصْلَاحَ نَفْسِي، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَنِي بِالْإِحْسَانِ، وَرَزَقْتَنِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا الْكِفَايَةَ،
وَصَرَفْتَ عَنِّي جَهْدَ الْبَلَاءِ، وَمَنَعْتَ مِنِّي مُحْذُورَ الْقَضَاءِ.

إِلَهِي! فَكَمْ مِنْ بَلَاءٍ جَاهِدٍ قَدْ صَرَفْتَ عَنِّي، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ سَابِغَةٍ
أَقَرَرْتَ بِهَا عَيْنِي، وَكَمْ مِنْ صَنِيعَةٍ كَرِيمَةٍ لَكَ عِنْدِي.
أَنْتَ الَّذِي أَجَبْتَ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ دَعْوَتِي، وَأَقَلْتَ عِنْدَ الْعِشَارِ زَلَّتِي،
وَأَخَذْتَ لِي مِنَ الْأَعْدَاءِ بِظُلَامَتِي.

إِلَهِي! مَا وَجَدْتُكَ بَخِيلًا حِينَ سَأَلْتُكَ، وَلَا مُنْقَبِضًا حِينَ أَرَدْتُكَ، بَلْ
وَجَدْتُكَ لِدُعَائِي سَامِعًا، وَلِمَطَالِبِي مُعْطِيًا، وَوَجَدْتُ نِعْمَاكَ عَلَيَّ سَابِغَةً فِي كُلِّ
شَأْنٍ مِنْ شَأْنِي، وَكُلَّ زَمَانٍ مِنْ زَمَانِي.

فَأَنْتَ عِنْدِي مَحْمُودٌ، وَصَنِيعُكَ لَدَيَّ مَبْرُورٌ، تَحْمَدُكَ نَفْسِي وَلِسَانِي
وَعَقْلِي حَمْدًا يَبْلُغُ الْوَفَاءَ وَحَقِيقَةَ الشُّكْرِ، حَمْدًا يَكُونُ مَبْلَغَ رِضَاكَ عَنِّي،
فَتَجَنِّي مِنْ سُخْطِكَ.

يَا كَهْفِي حِينَ تُعِينِي الْمَذَاهِبُ، وَيَا مُقِيلِي عَثَرَتِي، فَلَوْ لَا سَتْرُكَ عَوْرَتِي
لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، وَيَا مُؤَيِّدِي بِالْغَلَبِ، فَلَوْ لَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ
الْمَغْلُوبِينَ، وَيَا مَنْ وَضَعْتَ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرًا^(١) الْمَذَلَّةَ عَلَى أَعْنَاقِهَا، فَهُمْ مِنَ
سَطَوَاتِهِ خَائِفُونَ، وَيَا أَهْلَ التَّقْوَى، وَيَا مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْفُو عَنِّي، وَتَغْفِرَ لِي، فَلَسْتُ بِرِيًّا فَأَعْتَذِرُ، وَلَا بِذِي قُوَّةٍ
فَأَنْتَصِرُ، وَلَا مَفَرٍّ لِي فَأَفِرُّ، وَأَسْتَقِيلُكَ عَثَرَاتِي، وَأَتَنَصَّلُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي
قَدْ أَوْبَقْتَنِي^(٢)، وَأَحَاطَتْ بِي فَأَهْلَكْتَنِي، مِنْهَا فَارَرْتُ إِلَيْكَ رَبِّ تَائِبًا قُتِبَ

١- النَّيْرُ: الخشبة التي تكون على عنق الثور بأداتها (لسان العرب: ج ٥ ص ٢٤٦ «نير»).

٢- يَوْبُقُهُنَّ: أَي يُهْلِكُهُنَّ (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٩٠٠ «وبق»).

عَلَيَّ، مُتَعَوِّذًا فَأَعِزَّنِي، مُسْتَجِيرًا فَلَا تَحْذُلْنِي، سَائِلًا فَلَا تَحْرِمْنِي، مُعْتَصِمًا فَلَا تُسَلِّمْنِي، دَاعِيًا فَلَا تَرُدَّنِي خَائِبًا.

دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ مَسْكِينًا مُسْتَكِينًا، مُشْفِقًا خَائِفًا، وَجِلًّا فَقِيرًا مُضْطَرًّا إِلَيْكَ، أَشْكُو إِلَيْكَ يَا إِلَهِي ضَعْفَ نَفْسِي عَنِ الْمُسَارَعَةِ فِيهَا وَعَدَتَهُ أَوْلِيَاءُكَ، وَالْمُجَانِبَةَ عَمَّا حَذَرْتَهُ أَعْدَاءُكَ، وَكَثْرَةَ هُمُومِي وَوَسْوَسةَ نَفْسِي.

إِلَهِي! لَمْ تَفْضَحْنِي بِسِرِّي، وَلَمْ تُهْلِكْنِي بِجَرِيرَتِي^(١)؛ أَدْعُوكَ فَتُجِيبْنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئًا حِينَ تَدْعُونِي، وَأَسْأَلُكَ كُلَّمَا شِئْتُ مِنْ حَوَائِجِي، وَحَيْثُ مَا كُنْتُ وَضَعْتُ عِنْدَكَ سِرِّي، فَلَا أَدْعُو سِوَاكَ، وَلَا أَرْجُو غَيْرَكَ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، تَسْمَعُ مَنْ شَكََا إِلَيْكَ، وَتَلْقَى مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ، وَتُخَلِّصُ مَنْ اعْتَصَمَ بِكَ، وَتُفَرِّجُ عَمَّنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

إِلَهِي! فَلَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لِقَلَّةِ شُكْرِي، وَاعْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي، إِنْ تُعَذِّبْ فَإِنَّا الظَّالِمُ الْمُفْرَطُ، الْمُضِيعُ الْآثِمُ، الْمُقْصِرُ الْمُضْجِعُ، الْمُغْفَلُ حَظَّ نَفْسِي، وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(٢).

٩- دَعَاؤُهُ فِي الْإِلْحَاحِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:

يَا اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ - يَا إِلَهِي - مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ، وَكَيْفَ لَا تُحْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ، أَوْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ، أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ، أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَا مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ؟! سُبْحَانَكَ! أَخْشَى خَلْقَكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ.

سُبْحَانَكَ! لَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ، وَكَذَّبَ رُسُلَكَ، وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ مَنْ كَرِهَ قَضَاءَكَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ مَنْ كَذَّبَ

١- الجريرة: ما يجرُّهُ الإنسان من ذنب (المصباح المنير: ص ٩٦ «جرر»).

٢- الصحيفة السجادية: ص ٢١٧ الدعاء ٥١، البلد الأمين: ص ٤٩٦.

بُقدَرَتِكَ، ولا يَفوتُكَ مَنْ عَبدَ غَيْرَكَ، ولا يُعَمَّرُ في الدُّنيا مَنْ كَرِهَ لِقَاءَكَ،
سُبْحَانَكَ! ما أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وأَقْهَرَ سُلْطَانَكَ، وأَشَدَّ قُوَّتَكَ، وأنْفَذَ أَمْرَكَ،
سُبْحَانَكَ! قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ المَوْتَ، مَنْ وَحَّدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ،
وَكُلَّ ذَائِقُ المَوْتِ، وَكُلُّ صَائِرٍ إِلَيْكَ.

فَتَبَارَكَتَ وَتَعَالَيْتَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، آمَنْتُ بِكَ،
وَصَدَّقْتُ رُسُلَكَ، وَقَبِلْتُ كِتَابَكَ، وَكَفَرْتُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِكَ، وَبَرِئْتُ
مِمَّنْ عَبدَ سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحُ وَأُمْسِي مُسْتَقِلًّا لِعَمَلِي، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِي، مُقِرًّا بِخَطَايَايَ، أَنَا
بِإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي ذَلِيلٌ، عَمَلِي أَهْلَكَنِي، وَهَوَايَ أَرْدَانِي^(١) وَشَهَوَاتِي حَرَمَتْنِي.
فَأَسْأَلُكَ يَا مَوْلايَ سُؤَالَ مَنْ نَفْسُهُ لَاهِيَةٌ لِطَوِيلِ أَمَلِهِ، وَبَدَنُهُ غَافِلٌ
لِسُكُونِ عُرْوَقِهِ، وَقَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَثْرَةِ النِّعَمِ عَلَيْهِ، وَفِكْرُهُ قَلِيلٌ لِمَا هُوَ
صَائِرٌ إِلَيْهِ، سُؤَالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الأَمَلُ، وَفَتَنَهُ الهَوَى، وَاسْتَمَكَّتْ
مِنْهُ الدُّنْيَا وَأَظْلَمَهُ الأَجَلُ، سُؤَالَ مَنْ اسْتَكْثَرَ ذُنُوبَهُ، وَاعْتَرَفَ بِخَطِيئَتِهِ،
سُؤَالَ مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَلا وَلِيَّ لَهُ دُونَكَ، وَلا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، وَلا
مَلْجَأَ لَهُ مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ.

إلهي! أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الواجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ العَظِيمِ الَّذِي
أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الكَرِيمِ، الَّذِي لا يَبُلَى وَلا
يَتَغَيَّرُ، وَلا يَحُولُ وَلا يَفْنَى، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ
شَيْءٍ بِعِبَادَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَأَنْ تُثَنِّينِي بِالكَثِيرِ مِنْ
كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ، فَإِلَيْكَ أَفِرُّ، وَمِنْكَ أَخَافُ، وَبِكَ أَسْتَغِيثُ وَإِيَّاكَ أَرْجُو،
وَلَكَ أَدْعُو وَإِلَيْكَ أُلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ، وَبِكَ أُوْمِنُ، وَعَلَيْكَ
أَتَوَكَّلُ وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَكِلُ^(٢).

١- الرِّدَى: الهلاك (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٦٩٤ «ردى»).

٢- الصحيفة السجادية: ٢٢١ الدعاء ٥٢.

١٠ - دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلَالُ ثَلَاثٍ، وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ: يَحْجُبُنِي أَمْرٌ أَمَرْتُ بِهِ فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ، وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، وَنِعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا. وَيَحْدُونِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ تَفْضُّلُكَ عَلَى مَنْ أَقْبَلَ بَوَجْهِهِ إِلَيْكَ، وَوَقَدْ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ، إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفْضُّلٌ، وَإِذْ كُلُّ نِعْمِكَ ابْتِدَاءٌ.

فَهَا أَنَا ذَا يَا إلهي، واقِفٌ بِبَابِ عِزِّكَ وَقُوفَ الْمُسْتَسْلِمِ الدَّلِيلِ، وَسَائِلُكَ عَلَى الْحَيَاءِ مِنِّي سُؤَالَ الْبَائِسِ الْمُعِيلِ. مُقَرَّرٌ لَكَ بِأَنِّي لَمْ أَسْتَسْلِمِ وَقْتُ إِحْسَانِكَ إِلَّا بِالْإِقْلَاعِ عَنْ عِصْيَانِكَ، وَلَمْ أَخْلُ فِي الْحَالَاتِ كُلِّهَا مِنْ امْتِنَانِكَ. فَهَلْ يَنْفَعُنِي - يَا إلهي - إِقْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ، وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اعْتِرَافِي لَكَ بِقَبِيحِ مَا ارْتَكَبْتُ، أَمْ أَوْجَبْتَ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطَكَ، أَمْ لَزَمَنِي فِي وَقْتِ دُعَائِي مَقْتُكَ. سُبْحَانَكَ، لَا أَيَّاسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، بَلْ أَقُولُ مَقَالَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ، الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ.

الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ، وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ، حَتَّى إِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدْ انْقَضَتْ، وَغَايَةَ الْعُمُرِ قَدْ انْتَهَتْ، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ لَا خِيَصَ لَهُ مِنْكَ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ، تَلَقَّاكَ بِالْإِنَابَةِ، وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ، فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ، ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيِّ. قَدْ تَطَاطَأَ لَكَ فَاِنْحَنَى، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فَاِنْشَى، قَدْ أَرَعَشْتَ خَشْيَتَهُ رِجْلَيْهِ، وَغَرَّقْتَ دُمُوعُهُ خَدْيَيْهِ.

يَدْعُوكَ بِبِأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنْ انْتَابَهُ الْمُسْتَزِحْمُونَ، وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، وَيَا مَنْ عَفُوهُ أَكْثَرُ مِنْ نَقْمَتِهِ، وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ مِنْ سَخَطِهِ، وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجَاوُزِ، وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الْإِنَابَةِ، وَيَا مَنْ اسْتَصْلَحَ فَاِسْدَهُمُ بِالتَّوْبَةِ، وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْيَسِيرِ، وَيَا مَنْ كَانِي قَلِيلَهُمْ بِالْكَثِيرِ، وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِتَفْضُلِهِ حُسْنَ الْجَزَاءِ.

مَا أَنَا بِأَعْصَى مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، وَمَا أَنَا بِأَلْوَمٍ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ، وَمَا أَنَا بِأَظْلَمٍ مَنْ تَابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ.

أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا تَوْبَةً نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، خَالِصٍ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاظُمُكَ، وَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ الْجَلِيلِ لَا يَسْتَصْعِبُكَ، وَأَنَّ احْتِمَالَ الْجُنَايَاتِ الْفَاحِشَةِ لَا يَتَكَادُّكَ^(١)، وَأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الْاِسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ، وَجَانَبَ الْإِصْرَارَ، وَلَزِمَ الْاِسْتِغْفَارَ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أُسْتَكْبِرَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُصِرَّ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَرْتُ فِيهِ، وَأَسْتَغْنِي بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ، وَعَافِنِي مِمَّا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، وَأَجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أَهْلُ الْإِسَاءَةِ، فَإِنَّكَ مَلِيٌّ بِالْعَفْوِ، مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَةِ، مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ، لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلَا لِدُذْنَبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ، حَاشَاكَ، وَلَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا إِيَّاكَ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاقْضِ حَاجَتِي، وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي، وَاغْفِرْ ذَنْبِي، وَآمِنْ خَوْفَ نَفْسِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ^(٢).

١١ - دَعَاؤُهُ إِذَا اسْتَقَالَ مِنْ ذُنُوبِهِ، أَوْ تَضَرَّعَ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ عَنْ عُيُوبِهِ:

اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَغِيثُ الْمُذْنِبُونَ، وَيَا مَنْ إِلَى ذِكْرِ إِحْسَانِهِ يَفْزَعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَيَا مَنْ لَخِيفَتِهِ يَتَّحِبُّ الْخَاطِئُونَ، يَا أَنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ غَرِيبٍ، وَيَا فَارَجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ كَثِيبٍ، وَيَا غَوْتَ كُلِّ مُحْذُولٍ فَرِيدٍ، وَيَا عِضْدَ كُلِّ مُحْتَاجٍ طَرِيدٍ.

أَنْتَ الَّذِي وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعَمِكَ سَهْمًا، وَأَنْتَ الَّذِي عَفَوَهُ أَعْلَى مِنْ عِقَابِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي تَسْعَى رَحْمَتُهُ أَمَامَ غَضَبِهِ،

١ - يَتَكَادُّكَ: أَيِ يَصْعُبُ عَلَيْكَ وَيَشُقُّ (النهاية: ج ٤ ص ١٣٧ «كأد»).

٢ - الصحيفة السجادية: ص ٥٣ الدعاء ١٢. المصباح للكفعمي: ٥٠٥.

وَأَنْتَ الَّذِي عَطَاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَنَعِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي اتَّسَعَ الْخَلَاتُ كُلُّهُمْ فِي وَسْعِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي لَا يَرْغَبُ فِي جَزَاءٍ مَنْ أَعْطَاهُ، وَأَنْتَ الَّذِي لَا يُفْرِطُ فِي عِقَابٍ مَنْ عَصَاهُ. وَأَنَا - يَا إلهي - عَبْدُكَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْدُّعَاءِ فَقَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، هَا أَنَا ذَا، يَا رَبِّ، مَطْرُوحٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، أَنَا الَّذِي أَوْقَرْتُ^(١) الْخَطَايَا ظَهْرَهُ، وَأَنَا الَّذِي أَفْنَتِ الذُّنُوبُ عُمْرَهُ، وَأَنَا الَّذِي بَجَهْلِهِ عَصَاكَ، وَلَمْ تَكُنْ أَهْلًا مِنْهُ لِيُذَكَّرَ.

هَلْ أَنْتَ - يَا إلهي - رَاحِمٌ مَنْ دَعَاكَ فَأُبْلِغَ فِي الدُّعَاءِ، أَمْ أَنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَكَ فَأَسْرَعَ فِي الْبُكَاءِ، أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَرَ لَكَ وَجْهَهُ تَذُلًّا، أَمْ أَنْتَ مُغْنٍ مَنْ شَكَا إِلَيْكَ فَقَرَهُ تَوَكُّلاً.

إلهي، لَا تُخَيِّبْ مَنْ لَا يَجِدُ مُعْطِيًا غَيْرَكَ، وَلَا تَخْذُلْ مَنْ لَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ بِأَحَدٍ دُونَكَ.

إلهي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تُعْرِضْ عَنِّي وَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ، وَلَا تُحَرِّمْنِي وَقَدْ رَغِبْتُ إِلَيْكَ، وَلَا تَجْهَنِي بِالرَّدِّ وَقَدْ انْتَصَبْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ. أَنْتَ الَّذِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِالرَّحْمَةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْحَمْنِي، وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بِالْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي.

قَدْ تَرَى - يَا إلهي - فَيْضَ دَمْعِي مِنْ خِيفَتِكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَانْتِفَاضَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ، كُلُّ ذَلِكَ حَيَاءٌ مِنْكَ لِسَوْءِ عَمَلِي، وَلِذَاكَ خَمَدَ صَوْتِي عَنِ الْجَارِ^(٢) إِلَيْكَ، وَكَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ. يَا إلهي فَلَكَ الْحَمْدُ، فَكَمْ مِنْ عَابَةٍ سَتَرْتَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي، وَكَمْ مِنْ شَائِبَةٍ^(٣) أَلَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا، وَلَمْ تُقْلِدْنِي مَكْرُوهَ شَنَايَا^(٤)، وَلَمْ تُبْدِ سَوْءَاتِهَا لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِي مِنْ جِيرَتِي، وَحَسَدَةِ نِعَمَتِكَ عِنْدِي، ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذَلِكَ عَنْ أَنْ جَرَيْتُ إِلَى سَوْءٍ مَا عَهِدْتَ مِنِّي.

١- أَوْقَرَهُ الدِّينُ: أَي أَثْقَلَهُ (لسان العرب: ج ٥ ص ٢٨٩ «وقر»).

٢- جَارُ الرَّجُلِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَضَرَّعَ بِالْدُّعَاءِ (لسان العرب: ج ٤ ص ١١٢ «جار»).

٣- الشَّائِبَةُ: وَاحِدَةُ الشَّوَائِبِ، وَهِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَدْنَاثُ (سان العرب: ج ١ ص ٥١٢ «شوب»).

٤- الشَّنَارُ: الْعَيْبُ وَالْعَارُ (لسان العرب: ج ٤ ص ٤٣٠ «شنر»).

فَمَنْ أَجْهَلُ مِنِّي - يَا إلهي - بِرُشْدِهِ، وَمَنْ أَغْفَلُ مِنِّي عَنْ حَظِّهِ، وَمَنْ أْبْعَدُ مِنِّي مِنْ اسْتِصْلَاحِ نَفْسِهِ حِينَ أَنْفَقُ مَا أُجْرِيَتْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ فِيهَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَمَنْ أْبْعَدُ غَوْرًا فِي الْبَاطِلِ، وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى الشُّوءِ مِنِّي حِينَ أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، فَاتَّبِعْ دَعْوَتَهُ عَلَى غَيْرِ عَمَى مِنِّي فِي مَعْرِفَةِ بِهِ وَلَا نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لَهُ، وَأَنَا حِينَئِذٍ مُوقِنٌ بِأَنَّ مُنْتَهَى دَعْوَتِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمُنْتَهَى دَعْوَتِهِ إِلَى النَّارِ.

سُبْحَانَكَ، مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَى نَفْسِي، وَأُعَدِّدُهُ مِنْ مَكْتُومِ أَمْرِي، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَاثُكَ عَنِّي، وَإِبْطَاؤُكَ عَنْ مُعَاجَلَتِي، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ، بَلْ تَأَنِّيَا مِنْكَ لِي، وَتَفْضُلًا مِنْكَ عَلَيَّ لِأَنِّ أُرْتَدِعُ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسَخِطَةِ، وَأُقْلِعُ عَنْ سَيِّئَاتِي الْمُخْلَقَةِ، وَلِأَنَّ عَفْوَكَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي. بَلْ أَنَا - يَا إلهي - أَكْثَرُ ذُنُوبًا، وَأَقْبَحُ آثَارًا، وَأَشْنَعُ أَفْعَالًا، وَأَشَدُّ فِي الْبَاطِلِ تَهَوُّرًا، وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظًا، وَأَقْلُّ لَوْعِيدِكَ انْتِبَاهًا وَارْتِقَابًا مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي، أَوْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِ ذُنُوبِي.

وإِنَّمَا أُوَبِّخُ بِهَذَا نَفْسِي طَمَعًا فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءٌ لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ.

اللَّهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي قَدْ أَرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ، وَهَذَا ظَهْرِي قَدْ أَثْقَلَتْهُ الْخَطَايَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَفِّفْ عَنْهُ بِمَنِّكَ. يَا إلهي، لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَاؤُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَفُتُّ لَكَ حَتَّى تَنْتَشِرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ^(١) حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ طَوْلَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ، مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي.

وإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك، وتغفو عني حين أستحق عفوك، فإن ذلك غير واجب لي باستحقاق، ولا أنا أهل له باستيجاب، إذ كان جزائي منك في أول ما عصيتك النار، فإن تعدبني فأنت غير ظالم لي. إلهي، فإذ قد تعمّدني بسترِكَ فلم تفضحني، وتأنيتني بكرمِكَ فلم تعاجلني، وحلّمت عني بتفضلك فلم تُغيّر نعمتك عليّ، ولم تكدر معروفك عندي، فأرحم طول تضرّعي وشدة مسكنتي، وسوء موقفي.

اللهم صلّ على محمد وآله، وقني من المعاصي، واستعملني بالطاعة، وارزقني حسن الإنابة، وطهرني بالتوبة، وأيدي بالعصمة، واستصلحني بالعافية، وأذنني حلاوة المغفرة، واجعلني طليق عفوك، وعتيق رحمتك، واكتب لي أماناً من سُخطك، وبشّرني بذلك في العاجل دون الآجل، بشري أعرفها، وعرفني فيه علامةً آتيتها، إن ذلك لا يضيق عليك في وسعك، ولا يتكأذك في قدرتك، ولا يتصعّدك في أناتك، ولا يؤوذك^(١) في جزيل هباتك التي دلّت عليها آياتك، إنك تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، إنك على كل شيء قدير^(٢).

١٢ - دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها:

اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين، ويا من لا يجاوزه رجاء الرّاجين، ويا من لا يضيع لديه أجر المحسنين، ويا من هو ممتهى خوف العابدين، ويا من هو غاية خشية المتقين، هذا مقام من تداوكته أيدي الذنوب، وقادته أزمته الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان، فقصر عما أمرت به تفريطاً، وتعاطى ما نهيت عنه تغريراً، كالجاهل بقدرتك عليه، أو كالمُنكر فضل إحسانك إليه، حتّى إذا انفتح له بصّر الهدى، وتقصّعت عنه سحائب العمى، أحصى ما ظلم به نفسه، وفكر فيما خالف به ربّه، فرأى كبير عصيانهِ كبيراً، وجليل

١ - يؤودني: أي أثقلني (لسان العرب: ج ٣ ص ٤٤٣ «وَأَدَّ»).

٢ - الصحيفة السجّادية: ص ٦٧ الدعاء ١٦.

مُخَالَفَتِهِ جَلِيلًا، فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤْمَلًا لَكَ مُسْتَحِيًّا مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَكَ بِطَمَعِهِ يَقِينًا، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلَاصًا، قَدْ خَلَا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعًا، وَغَمَضَ بَصَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ مُتَخَشِّعًا، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلًا، وَأَبْثَكَ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعًا، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعًا، وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ، وَقَبِيحٍ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ، مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرْتَ لَذَاتِهَا فَذَهَبَتْ، وَأَقَامَتْ تَبِعَاتِهَا فَلَزِمَتْ.

لَا يُنْكِرُ - يَا إلهي - عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ، وَلَا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ، لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَتَعَاطَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعًا لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزًا وَعَدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقَيْتُكَ بِإِقْرَارِي، وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتَ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأْتِيَنِي عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ وَثَّبْتَ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وَأَحْكَمَ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفَّقَنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَتَوْفَّقَنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا تَوَفَّقْتَنِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كِبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَاتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةً مَنْ لَا يُحْدِثُ نَفْسُهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ.

وَقَدْ قُلْتُ يَا إلهي فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ: إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَعْفُو

عَنِ السَّيِّئَاتِ^(١)، وَتَحُبُّ التَّوَابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَن سَيِّئَاتِي
كَمَا ضَمَنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ.

وَلَكَ يَا رَبِّ شَرَطِي إِلَّا أَعُوذَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي
مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجَرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ، وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَى
مَا أَحْبَبْتَ.

اللَّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ
الَّتِي لَا تَنَامُ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لَا يَنْسَى، فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا، وَاحْطُطْ عَنِّي
وِزْرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقَلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَقَارِفَ مِثْلَهَا.

اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ، وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلَّا
عَنْ قُوَّتِكَ، فَتَقَوَّنِي بِقُوَّةِ كَافِيَةٍ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةِ مَانِعَةٍ.

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ، وَعَائِدٌ
فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ، فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لَا
أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلَى تَوْبَةٍ، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ، وَالسَّلَامَةِ فِيهَا بَقِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وَأَسْتَوْهِبُكَ سُوءَ فِعْلِي، فَاضْمُمْنِي إِلَى
كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ، أَوْ زَالَ عَن مَحَبَّتِكَ مِنْ
خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلَحْظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلِمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ
عَلَى حَيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنَ أَلِيمِ سَطَوَاتِكَ.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ
أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامْتَنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُ
لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ.

١- إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو
عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ،
وَلَا تَجْزِي جَزَائِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ، وَافْعَلْ بِي
فِعْلَ عَزِيزٍ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ.
اللَّهُمَّ لَا خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ، وَلَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي
فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَّتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤَمِّنِّي عَفْوُكَ.

فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْلٍ مِنْ بِي سَوْءٍ أَثَرِي، وَلَا نِسْيَانٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ
ذَمِيمٍ فِعْلِي، لَكِنْ لَتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيهَا وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ
لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ.

فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحُمُنِي لِسَوْءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرَّقَّةُ عَلَيَّ لِسَوْءِ
حَالِي، فَيُنَالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ كَدُّ
عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي، تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزَتِي بِرِضَاكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أُنَدِمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرُّكُ
لِعَصِيَّتِكَ إِنْابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُتَنِبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الْاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ
مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ، وَضَمَنْتَ الْقَبُولَ، وَحَثَّيْتَ عَلَى الدُّعَاءِ، وَوَعَدْتَ
الْإِجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلَا تَرْجِعْنِي مَرْجِعَ الْحَيَّةِ مِنْ
رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُتَنِبِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا
اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلَاةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ
الْفَاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ^(١).

١٣ - دَعَاؤُهُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَشُكْرَهَا:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْبِسْنِي عَافِيَتَكَ، وَجَلِّلْنِي عَافِيَتَكَ، وَحَصِّنِي
بِعَافِيَتِكَ، وَأَكْرِمْنِي بِعَافِيَتِكَ، وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَافِيَتِكَ، وَهَبْ

لِي عَافِيَتَكَ، وَأَفْرِشْنِي عَافِيَتَكَ، وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَتَكَ، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ
عَافِيَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً، عَافِيَةً
تَوَلَّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُمْنُنْ عَلَيَّ بِالصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ
وَالسَّلَامَةِ فِي دِينِي وَبَدَنِي، وَالبَصِيرَةِ فِي قَلْبِي، وَالنَّفَازِ فِي أُمُورِي، وَالحَشْيَةِ لَكَ،
وَالْخَوْفِ مِنْكَ، وَالْقُوَّةَ عَلَى مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَالْاجْتِنَابَ لِمَا نَهَيْتَنِي
عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَأُمْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ
وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَآلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي،
فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مَقْبُولًا مَشْكُورًا، مَذْكُورًا لَدَيْكَ،
مَذْخُورًا عِنْدَكَ، وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي،
وَاشْرَحْ لِمُرَاشِدِ دِينِكَ قَلْبِي، وَأَعِزَّنِي وَذَرِّبْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنْ شَرِّ
السَّامَةِ وَالْهَامَةِ^(١) وَالْعَامَّةِ وَاللَّامَةِ^(٢)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ
سُلْطَانٍ عَنِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتَرَفٍّ حَفِيدٍ^(٣)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيفٍ وَشَدِيدٍ، وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ،
وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْبًا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَادْخِرْ عَنِّي
مَكْرَهُ، وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّهُ، وَرُدِّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَدًّا حَتَّى تُعْمِيَ
عَنِّي بَصَرَهُ، وَتُصِمَّ عَن ذِكْرِي سَمْعَهُ، وَتُقْفَلَ دُونَ إِيْخَارِي قَلْبَهُ، وَتُخْرِسَ
عَنِّي لِسَانَهُ، وَتَقْمَعَ رَأْسُهُ، وَتُذِلَّ عِزُّهُ، وَتَكْسِرَ جَبَرُوتُهُ، وَتُذِلَّ رَقَبَتُهُ، وَتَفْسَخَ

١ - الهامة: الحية. والسامة: العقرب (لسان العرب: ج ١٢ ص ٦١٩ «هم»).

٢ - اللامة: العين التي تصيب بسوء (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٦٤٩ «لم»).

٣ - حفيد: صاحب مال (مجمع البحرين: ج ١ ص ٤٢٥ «حفد»).

كِبْرَهُ، وَتُؤْمِنَنِي مِنْ جَمِيعِ ضَرِّهِ وَشَرِّهِ وَغَمَزِهِ وَهَمَزِهِ وَلَمَزِهِ وَحَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ وَحَبَائِلِهِ وَمَصَائِدِهِ وَرَجْلِهِ وَخَيْلِهِ^(١)، إِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ^(٢).

١٤ - دَعَاؤُهُ إِذَا مَرِضَ أَوْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ بَلِيَّةٌ:

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةٍ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي، فَمَا أَدْرِي يَا إِلَهِي أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ؟ وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ؟ أَوْ قَتَّ الصِّحَّةَ الَّتِي هَنَأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشِطَّتَنِي بِهَا لِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَقَفْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ؟ أَمْ وَقَتَّ الْعِلَّةَ الَّتِي مَحَصَّتَنِي بِهَا، وَالنَّعْمَ الَّتِي أَتَحَفَّتَنِي بِهَا تَخْفِيفًا لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَيَّ ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَتَطَهَّرَ لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنَبَّهْتُ لِمَا لَتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذَكَّرْتُ لِمَا حَوِيَ الْحُوبَةَ^(٣) بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ؟ وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِي الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الْأَعْمَالِ، مَا لَا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ، وَلَا لِسَانٌ نَطَقَ بِهِ، وَلَا جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ، بَلْ إِفْضَالًا مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَانًا مِنْ صَنِيعِكَ إِلَيَّ.

اللَّهُمَّ فَصَّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَبَّبْ إِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مَا أَحَلَلْتَ بِي، وَطَهَّرْ لِي مِنْ دَنْسٍ مَا أَسْلَفْتُ، وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مَا قَدَّمْتُ، وَأَوْجِدْ لِي حَلَاوَةَ الْعَافِيَةِ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّلَامَةِ، وَاجْعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتِي إِلَى عَفْوِكَ، وَمُتَحَوِّلِي عَنْ صَرَعَتِي إِلَى تَجَاوُزِكَ، وَخَلَاصِي مِنْ كَرْبِي إِلَى رَوْحِكَ، وَسَلَامَتِي مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ إِلَى فَرَجِكَ، إِنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِالْإِحْسَانِ، الْمُتَطَوِّلُ بِالْإِيمَانِ، الْوَهَّابُ الْكَرِيمُ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٤).

١٥ - دَعَاؤُهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ:

كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ الْجَلِيلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، إِذَا هَدَّاتِ الْعُيُونُ:

١ - رجله وخيله: كناية عن أعوانه من كل راجب وماش.

٢ - الصحيفة السجادية: ص ٩٧ الدعاء ٢٣.

٣ - الحوبة: الإثم (النهاية: ج ١ ص ٤٥٥ «حوب»).

٤ - الصحيفة السجادية: ص ٦٥ الدعاء ١٥، المصباح للكفعمي: ص ١٩٧، الدعوات: ص ١٧٤ ح ٤٩٠ نحوه.

إلهي! غَارَتْ نُجُومُ سَمَائِكَ، وَنَامَتْ عُيُونُ أُنَامِكَ، وَهَدَّاتُ أَصْوَاتُ عِبَادِكَ وَأَنْعَامِكَ، غَلَقَتْ الْمُلُوكُ عَلَيْهَا أَبْوَابَهَا، وَطَافَ عَلَيْهَا حُرَّاسُهَا، وَاحْتَجَبُوا عَمَّنْ يَسْأَلُهُمْ حَاجَةً، أَوْ يَتَجَعُّ^(١) مِنْهُمْ فَايِدَةً.

وَأَنْتَ إلهي حَيُّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَلَا يَشْغَلُكَ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، أَبْوَابُ سَمَائِكَ لِمَنْ دَعَاكَ مُفْتَحَاتٌ، وَخَزَائِنُكَ غَيْرُ مُغْلَقَاتٍ، وَأَبْوَابُ رَحْمَتِكَ غَيْرُ مَحْجُوبَاتٍ، وَفَوَائِدُكَ لِمَنْ سَأَلَكَهَا غَيْرُ مَحْظُورَاتٍ، بَلْ هِيَ مَبْذُولَاتٌ. وَأَنْتَ إلهي الْكَرِيمُ الَّذِي لَا تَرُدُّ سَائِلًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ سَأْلَكَ، وَلَا تَحْتَجِبُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَرَادَكَ، لَا وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَا تَحْتَزِلُ^(٢) حَوَائِجَهُمْ دُونَكَ، وَلَا يَقْضِيهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ.

إلهي! وَقَدْ تَرَانِي وَوُقُوفِي وَذُلَّ مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَتَعَلَّمُ سَرِيرَتِي وَتَطَّلَعُ عَلَى مَا فِي قَلْبِي، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ.

إلهي! إِنْ ذَكَرْتُ الْمَوْتَ وَهَوْلَ الْمُطَّلَعِ^(٣)، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، نَغْصَنِي مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي، وَأَغْصَنِي بِرَيْقِي، وَأَفْلَقْنِي عَنْ وَسَادَتِي، وَمَنْعَنِي رُقَادِي، وَكَيْفَ يَنَامُ مَنْ يَخَافُ بَيَاتَ مَلِكِ الْمَوْتِ فِي طَوَارِقِ^(٤) اللَّيْلِ وَطَوَارِقِ النَّهَارِ؟! بَلْ [كَيْفَ] يَنَامُ الْعَاقِلُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ لَا يَنَامُ، لَا بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ، وَيَطْلُبُ قَبْضَ رُوحِهِ بِالْبَيَاتِ أَوْ فِي آنَاءِ السَّاعَاتِ!؟.

ثُمَّ يَسْجُدُ، وَيُلِصِقُ خَدَّهُ بِالثُّرَابِ وَهُوَ يَقُولُ:

أَسْأَلُكَ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَفْوَ عَنِّي حِينَ الْقَاكَ^(٥).

١ - انتجعَتَ فلانًا: إذا أتيته تطلب معروفيه (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٧٥٣ «نجع»).

٢ - يَحْتَزِلُ: يَقْتَطِعُ (النهاية: ج ٢ ص ٢٩ «خزل»).

٣ - الْمُطَّلَعُ: أَمْرُ الْآخِرَةِ وَمَوْقِفُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَحْصُلُ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١١٠٩ «طلع»).

٤ - الطَوَارِقُ: هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَأْتِي غَفْلَةً (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١١٠٠ «طرق»).

٥ - مُصْبِحَ الْمُتَهَيِّجِ: ص ١٣٢ ح ٢١٦، مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ: ج ٢ ص ٥٣ ح ٢١٣٣، الْمُصْبِحُ لِلْكَفْعَمِيِّ: ص ٧٢، الْبَلَدُ الْأَمِينُ: ص ٣٥، دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ: ج ١ ص ٢١٢ نحوه، بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٨١ ص ٢٣٦ ح ٤٧.

١٦- مناجاته في المناجاة المعروفة بمُناجاة التائبين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلهي! أَلْبَسْتَنِي الْخَطَايَا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّبَاعُدَ مِنْكَ لِبَاسَ مَسْكَنَتِي، وَأَمَاتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنَايَتِي، فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي وَبُعَيْتِي، وَيَا سُؤْلِي وَمُنِيَّتِي، فَوَعَزَّتْكَ مَا أَجِدُ لِذُنُوبِي سِوَاكَ غَافِرًا، وَلَا أَرَى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جَابِرًا، وَقَدْ خَضَعْتُ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْكَ، وَعَنَوْتُ بِالْإِسْتِكَانَةِ^(١) لَدَيْكَ، فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ؟ وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ؟ فَوَا أَسْفَا مِنْ خَجَلْتِي وَافْتِضَاحِي، وَوَا لَهْفَا مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَاجْتِرَاحِي.

أَسْأَلُكَ يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَيَا جَابِرَ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ، أَنْ تَهَبَ لِي مَوْبِقَاتِ الْجَرَائِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ، وَلَا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغَفْرِكَ، وَلَا تُعَرِّني مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ. إلهي! ظَلَّلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمَامَ رَحْمَتِكَ، وَأَرْسِلْ عَلَى عُيُوبِي سَحَابَ رَأْفَتِكَ. إلهي! هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الْآبِقُ^(٢) إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ، أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.

إلهي! إِنْ كَانَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ تَوْبَةً، فَإِنِّي وَعِزَّتِكَ مِنَ النَّادِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِغْفَارُ مِنَ الْخَطِيئَةِ حِطَّةً فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى. إلهي! بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفُقْ بِي.

إلهي! أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتُ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾^(٣) فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ؟ إلهي! إِنْ كَانَ قَبْحُ الذَّنْبِ مِنْ عَبْدِكَ، فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ.

١- استكان: خَضَعَ (النهاية: ج ٢ ص ٣٨٥ «سكن»).

٢- آبق: أي هرب (لسان العرب: ج ١٠ ص ٣ «أبق»).

٣- التحريم: ٨.

إلهي! ما أنا بأول مَنْ عَصَاكَ فُتِبْتَ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّضَ لِمَعْرِفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ، يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّ، يَا كَاشِفَ الضُّرِّ، يَا عَظِيمَ الْبِرِّ، يَا عَلِيماً بِمَا فِي السِّرِّ، يَا جَمِيلَ السِّرِّ، اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ، وَتَوَسَّلْتُ بِحَنَانِكَ وَتَرْحُمِكَ لَدَيْكَ، فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَلَا تُخَيِّبْ فِيكَ رَجَائِي، وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَكَفِّرْ خَطِيئَتِي، بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

١٧ - مناجاته في المناجاة المعروفة بِمُنَاجَاةِ الشَّاكِينَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلهي! إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسَّوَاءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَّعَةً، وَبِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، تَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ، طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجَزَّعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ^(٢)، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ.

إلهي! أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي، وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُنِي الْهَوَى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى^(٣).

إلهي! إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْبًا قَاسِيًّا، مَعَ الْوَسْوَاسِ مُتَقَلِّبًا، وَبِالرَّيْنِ^(٤) وَالطَّبَعِ مُتَلَبِّسًا، وَعَيْنًا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً، وَإِلَى مَا يَسُرُّهَا طَامِحَةً. إلهي! لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِقُدْرَتِكَ، وَلَا نَجَاةَ لِي مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِصْمَتِكَ، فَاسْأَلْكَ بِبَلَاغَةِ حِكْمَتِكَ، وَنَفَازِ مَشِيَّتِكَ، أَنْ لَا تَجْعَلَنِي لِغَيْرِ جُودِكَ مُتَعَرِّضًا، وَلَا تُصَيِّرَنِي لِلْفِتَنِ غَرَضًا، وَكُنْ لِي عَلَى الْأَعْدَاءِ نَاصِرًا، وَعَلَى الْمَخَازِي وَالْعُيُوبِ سَاتِرًا، وَمِنَ الْبَلَايَا وَاقِيًا، وَعَنِ الْمَعَاصِي عَاصِمًا، بِرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(٥).

١ - بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٤٢.

٢ - الْحَوْبَةُ: الْإِثْمُ وَالْخَطِيئَةُ (المصباح المنير: ص ١٥٥ «حَاب»).

٣ - الزُّلْفَى: الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٧٧٨ «زلف»).

٤ - الرَّيْنُ: الطَّبَعُ عَلَى الْقَلْبِ، رَانَ عَلَى قَلْبِهِ: أَيِ طَبَعَ (العين: ص ٣٣٨ «رين»).

٥ - بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٤٣.

١٨ - مناجاته في المناجاة المعروفة بمُناجاة الخائفين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلهي! أَتَرَكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي؟ أَمْ بَعْدَ حُبِّي إِيَّاكَ تُبْعِدُنِي؟ أَمْ مَعَ رَجَائِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي؟ أَمْ مَعَ اسْتِجَارَتِي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُنِي؟ حَاشَا لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي، لَيْتَ شِعْرِي، أَلِلْشَّقَاءَ وَلَدَتْنِي أُمِّي أَمْ لِلْعَنَاءِ رَبَّتْنِي؟! فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ تُرَبِّنِي، وَلَيْتَنِي عَلِمْتُ أَمِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ جَعَلْتَنِي؟ وَبِقُرْبِكَ وَجِوَارِكَ خَصَصْتَنِي؟ فَتَقَرَّرْ بِذَلِكَ عَيْنِي، وَتَطْمَئِنَّ لَهُ نَفْسِي. إلهي! هَلْ تُسَوِّدُ وُجُوهًا خَرَّتْ سَاجِدَةً لِعِظَمَتِكَ؟ أَوْ تُخْرِسُ أَلْسِنَةً نَطَقَتْ بِالنَّشَاءِ عَلَى مَجْدِكَ وَجَلَالَتِكَ؟ أَوْ تَطْبَعُ عَلَى قُلُوبٍ انْطَوَتْ عَلَى مَحَبَّتِكَ؟ أَوْ تُصَمِّمُ أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِسَمَاعِ ذِكْرِكَ فِي إِرَادَتِكَ؟ أَوْ تَغْلُ أَكْفَأَ رَفَعَتِهَا الْآمَالُ إِلَيْكَ رَجَاءً رَأْفَتِكَ؟ أَوْ تُعَاقِبُ أَبْدَانًا عَمَلَتْ بِطَاعَتِكَ حَتَّى نَحَلْتَ فِي مُجَاهَدَتِكَ؟ أَوْ تُعَذِّبُ أَرْجُلًا سَعَتْ فِي عِبَادَتِكَ؟

إلهي! لَا تُغْلِقْ عَلَى مُوَحِّدِكَ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَلَا تَحْجُبْ مُشْتَاقِيكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى جَمِيلِ رُؤْيَتِكَ.

إلهي! نَفْسٌ أَعَزَّتْهَا بِتَوْحِيدِكَ، كَيْفَ تَذُلُّهَا بِمَهَانَةِ هِجْرَانِكَ؟ وَضَمِيرٌ انْعَقَدَ عَلَى مَوَدَّتِكَ، كَيْفَ تُحْرِقُهُ بِحَرَارَةِ نِيرَانِكَ؟

إلهي! أَجْرِنِي مِنْ أَلِيمِ غَضَبِكَ، وَعَظِيمِ سَخَطِكَ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَنُ، يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ، يَا غَفَّارُ يَا سَتَّارُ، نَجِّنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفُضِيحَةِ الْعَارِ، إِذَا امْتَاَزَ الْأَخْيَارُ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَهَالَتْ الْأَهْوَالُ، وَقَرُبَ الْمُحْسِنُونَ، وَبَعُدَ الْمُسِيئُونَ، وَوُفِّيتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ^(١).

١٩ - مناجاته في المناجاة المعروفة بمُناجاة الرَّاغِبِينَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإِذَا أَمَّلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مِنْهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعِصْيَانِ سَتَرَ عَلَيْهِ وَغَطَّاهُ، وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَاهُ.

إلهي! مَنْ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِسًا قِرَاكَ^(١) فَمَا قَرَيْتَهُ؟ وَمَنْ الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِكَ مُرْتَجِيًا نَدَاكَ فَمَا أَوْلَيْتَهُ؟ أَيْحُسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بَابِكَ بِالْحَيَّةِ مَصْرُوفًا، وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِوَاكَ مَوْلًى بِالْإِحْسَانِ مَوْصُوفًا؟! كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟ وَكَيْفَ أُوْمَلُّ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لَكَ؟ أَأَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَا لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟ أَمْ تُفَقِّرُنِي إِلَى مِثْلِي وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟! يَا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقَاصِدُونَ، وَلَمْ يَشَقَّ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أُنْسَاكَ وَلَمْ تَنْزَلْ ذَاكِرِي؟ وَكَيْفَ أَهْوَى عَنْكَ وَأَنْتَ مُرَاقِبِي؟!

إلهي! بِذِيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدِي، وَلِنَيْلِ عَطَايَاكَ بَسَطْتُ أَمْلِي، فَأَخْلَصْنِي بِخَالِصَةِ تَوْحِيدِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عِبِيدِكَ.

يَا مَنْ كُلُّ هَارِبٍ إِلَيْهِ يَلْتَجِي، وَكُلُّ طَالِبٍ إِلَيْهِ يَرْجِي، يَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ، وَيَا أَكْرَمَ مَدْعُوٍّ، وَيَا مَنْ لَا يَرُدُّ سَائِلَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ أَمْلَهُ، يَا مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لِدَاعِيهِ، وَحِجَابُهُ مَرْفُوعٌ لِرَاجِيهِ، أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَكُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطَائِكَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي، وَمِنْ رَجَائِكَ بِمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي، وَمِنْ الْيَقِينِ بِمَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَتَجْلُو بِهِ عَنْ بَصِيرَتِي غَشَاوَاتِ الْعَمَى، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(٢).

٢٠ - مناجاته في المناجاة المعروفة بِمُنَاجَاةِ الْمُحِيزِينَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلهي! مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنْسَسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغَى عَنْكَ حَوْلًا، إلهي فَاجْعَلْنَا بِمَنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلَايَتِكَ، وَأَخْلَصْتَهُ لِدُودِكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ إِلَى لِقَائِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضَائِكَ، وَمَنْحْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضَاكَ، وَأَعَدْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلَاقِكَ^(٣)، وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصَّدَقِ فِي جِوَارِكَ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ،

١ - القرى: الضيافة (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٤٧٥ «قرى»).

٢ - بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٤٤.

٣ - القل: البُغْضُ (النهاية: ج ٤ ص ١٠٥ «قلا»).

وَأَهْلَتُهُ لِعِبَادَتِكَ، وَهَيِّمَتُهُ^(١) لِإِرَادَتِكَ، وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشَاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّغْتَ فُؤَادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَغَّبْتَهُ فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَهْمَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَشَغَلْتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صَالِحِي بَرِيَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُنَاجَاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَأَبُهُمُ الْارْتِيَا حُ إِلَيْكَ وَالْحَنِينُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفَرَةُ^(٢) وَالْأَنِينُ، جِبَاهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيُُونُهُمْ سَاهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سَائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلَعَةٌ مِنْ مَهَابَتِكَ، يَا مَنْ أَنْوَارُ قُدْسِهِ لِأَبْصَارِ مُحِبِّهِ رَائِقَةٌ، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عَارِفِيهِ شَائِقَةٌ، يَا مُنَى قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ، وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْمُحِبِّينَ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِدًا إِلَى رِضْوَانِكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِدًا عَنْ عِصْيَانِكَ، وَآمِنُنَ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَانْظُرْ بَعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْإِسْعَادِ وَالْحُظُوءَةِ عِنْدَكَ، يَا مُجِيبُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(٣).

ونكتفي بهذه النماذج من جواهر أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي تحتوي على إرشادات مهمة في تزكية النفس، وتهذيب الروح، وإثراء العقل، والمداومة عليها تنمي عند الإنسان الارتباط المعنوي والوجداني بالله عز وجل، وتزيد من الرصيد الروحي لديه، وتجعله يشعر بالقوة الباطنية لأنه يستمد القوة والعون من القوي العزيز.

كما أن في أدعية الإمام عليه السلام تعليمًا للعبد في كيفية مخاطبة الخالق جل وعلا، ومراعاة آداب الدعاء والمناجاة والتهجد والإنابة والتضرع إليه، وطلب الرحمة والعفو والمغفرة من الله تعالى، والرغبة في زيادة الخير والرزق والعافية منه.

١- الهيام: حالة شبيهة بالجنون تكون للعاشق (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٨٩٤ «هيم»).

٢- الزفرة: إخراج النفس بعد مدّه إياه (تاج العروس: ج ٦ ص ٤٦٥ «زفر»).

٣- بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٤٨.

الفصل الثاني

السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام

- ١ - زهده.
- ٢ - حلمه.
- ٣ - صبره.
- ٤ - كرمه وجوده.
- ٥ - رأفته بأعدائه.
- ٦ - ارتقاؤه بالعبيد.



زهد الإمام زين العابدين عليه السلام

الزهد في الدنيا من الفضائل الأخلاقية النبيلة، والقيم الإنسانية الرفيعة؛ وهو من أقوى الوسائل المؤثرة في تزكية النفس وتهذيبها، حتى يتمكن الزاهد من الانتصار على مغريات الدنيا وملذاتها، ومواجهة صعوبات الحياة وعقباتها.

والزهد في أصل اللغة: عدم الرغبة. من زهد في الشيء: إذا لم يرغب فيه. و(الزُّهْدُ) ضِدُّ الرَّغْبَةِ^(١).

وأما اصطلاحاً فهو سجية في النفس تقتضي تحقير الدنيا وما فيها تحقيراً يمنع من الميل إليها، والرغبة فيها، والانكباب عليها.

ومن معاني الزهد اجتناب ملاذ الدنيا، وعدم مصادقة أهلها، والرغبة في الآخرة، والتزود لها، والتقرب من الله سبحانه وتعالى بالعبادة والدعاء والمناجاة.

وليس معنى الزهد الانعزال السلبي عن الحياة، وعدم تحمل المسؤوليات والواجبات الدينية والاجتماعية، وهجران الملذات المحللة، وإنما الزهد الشعور بقصر الأمل، وعدم الاغترار بالدنيا، وأنها دار ممر وأن الآخرة هي دار المقر والخلود حتى يندفع المرء أكثر وأكثر للعمل الصالح.

وأصل الزهد هو تحقير الدنيا واستصغارها، والرغبة فيما عند الله تعالى في الآخرة، لما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أصلُ الزُّهْدِ حُسْنُ الرَّغْبَةِ فيما عند الله»^(٢).

وخير ما يتزين به الإنسان المؤمن هو الزهد في الدنيا، والاقتصار فيها على الضروري من المأكل والمشرب والملبس والسكن؛ لأنها دنيا زائلة وفانية، وأما الآخرة فهي دار باقية ودائمة؛ ولذا كان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير الدعاء

١- مختار الصحاح: ص ١٣٨ (زهد).

٢- غرر الحكم: ٣٠٨٦.

والطلب من الله تعالى بأن ينزع حب الدنيا من قلبه، وأن يزهد فيها، ويرغب في الآخرة؛ فكان من دعائه عليه السلام يوم عرفة: «وَانْزِعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا دَنِيَّةٍ تَنْهَى عَمَّا عِنْدَكَ، وَتَصُدُّ عَنِ ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْكَ، وَتَذْهُلُ عَنِ التَّقَرُّبِ مِنْكَ»^(١). ومن دعائه عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاقْبِضْ عَلَى الصَّدَقِ نَفْسِي، وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي، وَاجْعَلْ فِيما عِنْدَكَ رَغْبَتِي شَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ»^(٢).

ومن دعائه عليه السلام: «إِلَهِي أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْوَاجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ... أَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَأَنْ تُثْنِيَنِي بِالْكَثِيرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ»^(٣). ومما يقوي الزهد في الدنيا الإكثار من ذكر الموت واستذكار نعيم الآخرة؛ لأن ذلك يحقر الدنيا في نظر المؤمن، ولذا قال الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «أَكْثَرُ ذِكْرِ الْآخِرَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُهَا عِنْدَكَ، وَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا»^(٤).

الإمام الزاهد

عندما نقرأ سيرة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام نجد أنهم كانوا من أزهد الناس في زمانهم وأفضلهم، وأبعدهم عن الدنيا، وأقربهم إلى الآخرة، وكانوا في غاية الالتزام بفضيلة الزهد قولاً وفعلاً؛ لأنهم أعرف الناس بحقيقة الدنيا الفانية، ولأنهم في مقام القدوة الصالحة، فهم أئمة يقتدى بسيرتهم، ويستضاء بنهجهم في الحياة.

واشتهر الإمام زين العابدين عليه السلام في زمانه بأنه كان من أزهد الناس، وعُرف بين الخاصة والعامة بشدة زهده في الدنيا، ورغبته في الآخرة،

١- الصحيفة السجادية: ص ١٩٧ الدعاء ٤٧، الإقبال: ج ٢ ص ٩٧ نحوه.

٢- الصحيفة السجادية: ص ٢٢٨ الدعاء ٥٤.

٣- الصحيفة السجادية: ص ٢٢٣ الدعاء ٥٢.

٤- تحف العقول: ٧٦.

وأعرض عن جميع مباهج الحياة ومغرياتها، وزهد عن زخارفها وزينتها ومتعتها وملذاتها، واقتصر على الضروري الأقل الذي لا يستغنى عنه من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وغيرها من ضروريات الحياة.

والإمام عليه السلام لم يكن يحث الناس على الزهد فحسب، وإنما كان يجسد تلك الخصلة الأخلاقية أقوى تجسيد؛ فكان من أكثر الناس زهداً في الدنيا، وأشدّهم إعراضاً عنها وعن مباهجها ومتعتها، ولم يكن يحفل بها ولا بمغرياتها وزينتها، وكان همّه الأكبر رضا الرب سبحانه وتعالى، والرغبة في الآخرة.

ووصفه أحد أصحابه المقربين إليه وهو ثابت بن أبي صفية بن دينار الكوفي والمعروف بأبي حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ) بأنه كان من أزهد الناس بعد أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال: «مَا سَمِعْتُ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ أَزْهَدَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَّا مَا بَلَغَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(١). ونصّ على ذلك الزهري أيضاً، فقد روى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ: مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: «عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(٢).

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحتقر الدنيا وما فيها، ويؤثر الآخرة ويرغب فيها، ولذا كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي الرِّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لِأَخْرَجِي حَتَّى أَعْرِفَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ فِي دُنْيَايَ»^(٣).

علامة الزاهد

حدّد الإمام زين العابدين عليه السلام علامة الزاهد في الدنيا وهي عدم الركون إلى الدنيا وعدم مصاحبة أهلها، والعمل لثواب الآخرة ونعيمها الدائم، فقد

١- الكافي: ج ٨، ص ١٤، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥١.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦٤، ح ٢٠.

٣- الصحيفة السجّادية: ص ٩٤ الدعاء ٢٢.

روى عنه عليه السلام أنه قال: «إِنَّ عَلَامَةَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، تَرْكُهُمْ كُلَّ خَلِيطٍ وَخَلِيلٍ، وَرَفْضُهُمْ كُلَّ صَاحِبٍ لَا يُرِيدُ مَا يُرِيدُونَ، أَلَا وَإِنَّ الْعَامِلَ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ هُوَ الزَّاهِدُ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا»^(١).

وحتى تكون من أهل الزهد ارض بما قسم الله لك وأعطاك، فقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا بَنَ آدَمَ، اَرْضْ بِمَا آتَيْتَكَ تَكُنْ مِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ»^(٢).

ولأن الدنيا لا تساوي شيئاً في نظر الإمام، تألم كثيراً عندما رأى سائلاً يبكي على ما لا يستحق البكاء عليه، فقد ورد: «نَظَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى سَائِلٍ يَبْكِي، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا فِي يَدِي هَذَا ثُمَّ سَقَطَتْ مِنْهُ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْكِيَ عَلَيْهَا»^(٣). ومن يزهد في الدنيا تهون عليه مصائبها وآلامها، فقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُهَا وَلَمْ يَكْرَهْهَا»^(٤).

مواعظه في الزهد

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يَعِظُ النَّاسَ كَثِيرًا، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالِابْتِعَادِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَغْرِيَاتِهَا وَزِينَتِهَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، وَقَلَّمَ نَجْدَ كِتَابًا فِي الزَّهْدِ أَوْ الْمَوَاعِظِ لَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ؛ وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُعَظُّهُمْ، وَيُرْغِبُهُمْ فِي الزَّهْدِ، فَكَانَ [مِمَّا] يَعِظُ بِهِ النَّاسَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، يَقُولُ فِي آخِرِهِ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَوْنَ لَنَا وَلَكُمْ عَلَى تَزَوُّدِ التَّقْوَى وَالزَّهْدِ فِيهَا، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ لِأَجْلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»^(٥).

١- تحف العقول: ٢٧٢.

٢- بحار الأنوار: ٧٥ / ١٣٩ / ٢٢.

٣- نثر الدر: ج ١ ص ٣٣٨، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٥٨ ح ١٠؛ الفصول المهمة: ص ٢٠٣.

٤- تحف العقول: ٢٨١.

٥- الكافي: ج ٨ ص ٧٦ ح ٢٩. الأمالي للصدوق: ص ٥٩٦ ح ٨٢٢ كلاهما عن سعيد بن المسيب، تحف العقول: ص ٢٥٢. بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٦ ح ٦.

وكان إذا وعظ الناس عن الزهد بكى وأبكى الحاضرين؛ لأن كلامه كان يصدر من قلب إنسان في غاية الزهد والتقوى، فقد روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الزُّهْدِ وَوَعَّظَ أَبْكَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ، وَكَانَ لَهُ صَحِيفَةٌ يَعْظُ فِيهَا النَّاسَ عَنِ الزُّهْدِ وَيُرْغِبُهُمْ فِيهِ»^(١).

وفي موعظة أخرى للإمام زين العابدين عليه السلام روى عامر بن واثلة قال: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ^(٢) يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ادْفَعْنِي فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ هَذِهِ النُّدْبَةِ^(٣)، وَأَعِنِّي بِعَزْمِ الْإِرَادَةِ، وَهَبْنِي حُسْنَ الْمُسْتَعْقَبِ مِنْ نَفْسِي، وَخُذْنِي مِنْهَا حَتَّى تَتَجَرَّدَ خَوَاطِرُ الدُّنْيَا عَنْ قَلْبِي مِنْ بَرْدِ خَشْيَتِي مِنْكَ، وَارْزُقْنِي قَلْبًا وَلِسَانًا يَتَجَارِيَانِ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا وَحُسْنِ التَّجَافِي مِنْهَا، حَتَّى لَا أَقُولَ إِلَّا صَدَقْتُ، وَأُرْنِي مَصَادِيقَ إِجَابَتِكَ بِحُسْنِ تَوْفِيقِكَ، حَتَّى أَكُونَ فِي كُلِّ حَالٍ حَيْثُ أَرَدْتُ»^(٤).

وكان يحث الناس على أن يكونوا من أبناء الآخرة، وألا يكونوا من أبناء الدنيا، وعلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، فقد روى الكليني بسند صحيح عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: «إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا.

أَلَا وَكُونُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ.

أَلَا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا، وَالتُّرَابَ فِرَاشًا، وَالْمَاءَ طَبِيبًا، وَقُرُصُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيبًا»^(٥).

١ - انظر نص الرسالة في كتاب الكافي: ج ٨، ص ١٤، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥١.

٢ - سورة التوبة: ١١٩.

٣ - ندبته: أي بعثته و دعوته فأجاب (النهاية: ج ٥ ص ٣٤ «ندب»).

٤ - كشف الغمّة: ج ٢ ص ٣٠٦، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٥٣ ح ١٨؛ ينابيع المودة: ج ٢ ص ٣٦٧ ح ٥٠ نحوه.

٥ - في الوافي: «القرض: القطع، أي قطعوا أنفسهم من الدنيا تقطيعاً بإقلاع قلوبهم عنها».

أَلَا وَمَنْ اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلًا^(١) عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ.

أَلَا إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخْلِدين^(٢)، وَكَمَنْ رَأَى أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبينَ، شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ؛ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ؛ صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً، فَصَارُوا بِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، وَهُمْ يَجْأَرُونَ^(٣) إِلَى رَبِّهِمْ، يَسْعَوْنَ فِي فَكَائِكَ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ^(٤) فَحُلَمَاءُ^(٥)، عُلَمَاءُ، بَرَرَةٌ، أَنْقِيَاءُ، كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ^(٦) قَدْ بَرَأَهُمْ^(٧) الْخَوْفُ مِنَ الْعِبَادَةِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ، فَيَقُولُ: مَرْضَى^(٨) - وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ

١- سلوْتُ عنه سُلُوءًا: صبرت، وسلاهُ وعنه: نسيه. والاسم: السَّلَوة، ويضم. المصباح المنير، ص ٢٨٧؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٧٠٠ (سلو).

٢- في مرآة العقول: «ومن الأفاضل من قرأ: مخلصين، على بناء الفاعل من الإفعال من قولهم: أخلد إليه، أي مال. ولا يخفى بعده».

٣- جأر القوم إلى الله جُؤَارًا: وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرعين. ترتيب كتاب العين، ج ١، ص ٢٥٦ (جأر).

٤- في شرح المازندراني، ج ٨، ص ٣٩١: «أما النهار، عطف على أما الليل، وكلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرفية».

٥- في البحار: «فحكما».

٦- «القداح»: جمع القدح، وهو السهم الذي يُرمى به عن القوس. يقال للسهم أول ما يقطع: قطع، ثم يُنحت ويبرى فيسمى: برّياً، ثم يقوّم فيسمى: قدحاً، ثم يُراش ويركب نصله فيسمى: سهماً. وفي الوافي: «شبههم في نحافة أبدانهم بالأسهم، ثم ذكر ما يستعمل في السهم، أغني البري، وهو النحت من العبادة، أي من كثرتها، إن تعلّق بقوله: كأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ؛ أو من قلّتها، إن تعلّق بالخوف». راجع: النهاية، ج ٤، ص ٢٠ (قدح).

٧- في الوافي: «برأهم». وبرى السهم يبريه برّياً: نحته. القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٦٥٨ (برى).

٨- في مرآة العقول، ج ٨، ص ٢٩٠: «يحتمل أن يكون قوله: مَرْضَى، على الاستفهام. وقوله: أم خولطوا، معادلاً له من كلام الناظر، فاعترض جوابه عليه السلام بين أجزاء كلامه. والحاصل: أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا الشَّدَّةَ اشْتَغَلَهُمْ حُبُّ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ، وَاعْتَزَلَهُمْ عَنْ عَامَّةِ الْخَلْقِ، وَمَبَايِنَةِ أَطْوَارِهِمْ لِأَطْوَارِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ لِأَقْوَالِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ مَا هُوَ فَوْقَ إِدْرَاكِهِمْ وَعَقْلِهِمْ، فَتَارَةً يَنْسَبُونَهُمْ إِلَى الْمَرَضِ الْجَسْمَانِيِّ، وَتَارَةً إِلَى الْمَرَضِ الرُّوحَانِيِّ وَهُوَ الْجَنُونُ وَاخْتِلَاطُ الْعَقْلِ بِمَا يَفْسُدُهُ، فَأَجَابَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْأَوَّلِ بِالنَّفْيِ الْمَطْلُوقِ، وَعَنِ الثَّانِي بِأَنَّ الْمَخَالَطَةَ مُحَقَّقَةٌ لَكِنْ لَا بِمَا يَفْسِدُ الْعَقْلَ، بَلْ بِمَا يَكْمُلُهُ مِنَ خَوْفِ النَّارِ، وَحُبِّ الْمَلِكِ الْغَفَّارِ».

مَرَضٍ - أَمْ خُولِطُوا فَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ ذِكْرِ النَّارِ وَمَا فِيهَا»^(١). وكان يوصي أصحابه بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال لَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مَوْصِيًّا إِيَّاهُمْ: «مَعَاشِرَ أَصْحَابِي، أُوصِيكُمْ بِالْآخِرَةِ وَلَسْتُ أُوصِيكُمْ بِالدُّنْيَا، فَإِنَّكُمْ بِهَا مُسْتَوْصُونَ وَعَلَيْهَا حَرِصُونَ وَبِهَا مُسْتَمْسِكُونَ. مَعَاشِرَ أَصْحَابِي، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ»^(٢).

درجات الزهد

للزهد درجات ومراتب، فليس كل الزاهدين في مستوى واحد منه، ولذا قَسَمَ الإمام زين العابدين (عليه السلام) الزهد إلى عشر درجات، فقد روي عنه قوله: «الزُّهُدُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: فَأَعْلَى دَرَجَاتِ الزُّهُدِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْوَرَعِ، وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْوَرَعِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ، وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الرِّضَا»^(٣). وروي عنه (عليه السلام) أيضًا: «الزُّهُدُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: فَأَعْلَى دَرَجَاتِ الزُّهُدِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الرِّضَا، أَلَا وَإِنَّ الزُّهُدَ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾»^(٤) ^(٥). وكان من دعائه (عليه السلام): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ ثَنَائِي عَلَيْكَ وَمَدْحِي إِيَّاكَ وَحَمْدِي لَكَ فِي كُلِّ حَالٍ حَتَّى لَا أَفْرَحَ بِمَا آتَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا أَحْزَنَ عَلَى مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا»^(٦).

١ - الكافي: ج ٢، ص ١٣٢، ح ١٥. تحف العقول، ص ٢٨١، عن علي بن الحسين (عليه السلام)؛ فقه الرضا (عليه السلام)،

ص ٣٧٠؛ الوافي، ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٢١٨١؛ البحار، ج ٧٠، ص ٤٣، ح ١٨.

٢ - الأمالي للصدوق: ص ٢٨٩ ح ٣٢١ عن طاووس اليماني، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٧ ح ٧.

٣ - بحار الأنوار: ٧٥ / ١٣٦ / ١١.

٤ - الحديد: ٢٣.

٥ - بحار الأنوار: ٦٧ / ٣١١ / ١٠.

٦ - الصحيفة السجادية: الدعاء ٢١.

وعن موجبات الزهد ينسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الشعر:

وفي دُونِ ما عاينْتُ مِنْ	إلى رَفْضِها دَاعٍ وبالزُّهْدِ آمِرُ
فَجِدَّ ولا تَغْفُلْ فَعِيشُكَ زائِلُ	وأنتَ إلى دارِ المَنِيِّ صائِرُ
ولا تَطْلُبِ الدُّنْيا، فإنَّ طِلابَها	فإنَّ نِلْتَ مِنْها غِيبَها لَكَ ضائِرُ

حلم الإمام زين العابدين عليه السلام

الحلم صفة أخلاقية نبيلة، وسجية فاضلة، وفضيلة إنسانية رفيعة، وهو دلالة على نضج العقل، ووقار الشخصية ورزانتها، وهو يرفع صاحبه إلى أسمى الدرجات، وأعلى مراتب الكمالات المعنوية.

والحلم صفة من صفات الأنبياء والرسل والأئمة الأطهار والأولياء والصالحين وغيرهم من الرجال العظام الذين ارتقوا أعلى درجات الكمال، وبلغوا مراتب متقدمة في السؤدد والشرف والمجد والفضل.

وذكر الحلم في القرآن الكريم نحو عشرين مرة في سور متعددة؛ ما يدل على أهميته ومكانته في المنظومة الأخلاقية، ومدح الله تعالى الحلماء والكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

ومما يدل على المكانة الرفيعة للحلم من المنظور القرآني أنه ذكر اتصاف الله تعالى بصفة الحلم في عدد من الآيات الشريفة كقوله تعالى: ﴿لَا يَأْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿لَيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٦) وغيرها من الآيات الشريفة الدالة على أن من صفات الله تعالى أنه حلیم.

١- آل عمران: ١٣٤.

٢- الفرقان: ٦٣.

٣- البقرة: ٢٢٥.

٤- البقرة: ٢٣٥.

٥- النساء: ١٢.

٦- الحج: ٥٩.

وإذا كان معنى الحلم هو الأناة وضبط النفس، فإن الحلم بالنسبة إلى الله عز وجل يعني الإمهال وتأخير العقوبة على الذنب.

تعريف الحلم

عرّف الراغب الأصفهاني الحلم بأنه «ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب»^(١). وهو القدرة على كظم الغيظ، وضبط الانفعالات، وكسر شوكة الغضب، والسيطرة على النفس عند مشيرات الهيجان والتوتر النفسي.

فالحلم إذاً هو ضبط النفس وحبسها عن الانفعالات تجاه مسببات ومثيرات الغضب، والتحكم الإيجابي في الانفعالات الناتجة عن حالة الغضب والهيجان. وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي الرَّجُلُ أَنْ يُدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ»^(٢)؛ لأنه بالحلم نسيطر على الغضب، والحليم يعرف عند الغضب، وروي عن لقمان عليه السلام أنه قال: «لَا يُعْرِفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣). وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «حَسْبُ الْمَرْءِ... مِنْ حِلْمِهِ تَرْكُهُ الْغَضَبَ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ»^(٤).

واعتبر الإمام زين العابدين عليه السلام أن الحلم عند الغضب من علامات المؤمن، فقال: «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: الْوَرَعُ فِي الْخُلُوةِ، وَالصَّدَقَةُ فِي الْقِلَّةِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالصَّدْقُ عِنْدَ الْخَوْفِ»^(٥).

والحلم من كمال الدين، لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِكَمَالِ دِينِ الْمُسْلِمِ: تَرْكُهُ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَقِلَّةُ الْمِرَاءِ، وَحِلْمُهُ، وَصَبْرُهُ، وَحُسْنُ خُلُقِهِ»^(٦).

١ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ.

- ٢٠٠١ م، ص ١٣٦.

٢ - الكافي: ٢ / ١١٢ / ٣.

٣ - بحار الأنوار: ٧١ / ١٧٨ / ٢١.

٤ - بحار الأنوار: ٧٥ / ٨٠ / ٦٦.

٥ - بحار الأنوار: ٦٤ / ٢٩٣ / ١٥.

٦ - بحار الأنوار: ٢ / ١٢٩ / ١١.

وعلى المؤمن سواء أكان عالماً أم متعلماً أن يتزَيَّن بالحلم، لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «المؤمن خلطَ علمه بالحلم، يجلس ليَعلِّمَ، وينصتُ ليسلمَ، وينطقُ ليفهمَ، لا يحدثُ أمانتهُ الأصدقاء»^(١).

وأما من لا حلم عنده؛ فإن أقل شيء يثير غضبه وهيجانه؛ ما يولد عنده حالات من الانفعالات غير المنضبطة والتصرفات غير اللائقة، والتي قد يندم على فعلها عندما يهدأ غضبه ويعود إلى رشده فيكتشف خطأ أفعاله وسوء تصرفاته وقبح أفعاله.

صور مشرقة من حلم الإمام زين العابدين عليه السلام

من أعظم الصفات البارزة في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام الحلم، فقد كان عليه السلام عظيم الحلم، كثير التحمل، يقابل الإساءة بالحلم، والسيئة بالحسنة، والإهانة بالعفو، والكلام الفظ بكلام رقيق، والاستفزاز بالتغافل، والحقم بالتجاهل.

وسجّلت لنا كتب الحديث والسيرة والتاريخ صور مشرقة من مكارم أخلاقه، ونوادير حلمه، نذكر منها:

أولاً - وعنك أغضي:

من صور الحلم: التغافل، ويراد به تعمد الغفلة عن قصد، فمع علمه بالشيء يتظاهر بعدم العلم والمعرفة، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «أشرفُ أخلاقِ الكريمِ تغافلُهُ عما يَعْلَمُ»^(٢).

ويعد التغافل من أعظم أنواع الحلم، لما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا حلمَ كالتَّغافلِ»^(٣)، وأن التجاهل يدل على نضج العقل ورجاحته، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله: «لا عقلَ كالتَّجاهلِ»^(٤).

١ - بحار الأنوار: ٦٤ / ٢٩١ / ١٤.

٢ - غرر الحكم: ٣٢٥٦.

٣ - غرر الحكم: ١٠٥٠٢.

٤ - غرر الحكم: ١٠٥٠٣.

وهذا ما فعله الإمام زين العابدين عليه السلام مع أحد المسيئين له، فمع علمه بتعمد إساءته له لكنه تغافل عنه، فقد روي: اسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَتَغَافَلَ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنِي!

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «وَعَنَّاكَ أَغْضِي!»^(١).

وفي موقف آخر من صور التغافل عند الإمام عليه السلام يختار عدم الرد على أحد المسيئين إليه، فقد روي: قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ كَلَامًا أَقْذَعَ فِيهِ^(٢) فَأَعْرَضَ الزُّبَيْرِيُّ عَنْهُ، ثُمَّ دَارَ الْكَلَامُ فَسَبَّ الزُّبَيْرِيُّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُ الزُّبَيْرِيُّ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ جَوَابِي؟ قَالَ عليه السلام: «مَا يَمْنَعُكَ مِنْ جَوَابِ الرَّجُلِ»^(٣).

وفي هذين الموقفين من الإمام زين العابدين عليه السلام درس مهم في أهمية التغافل عن المسيئين والجاهلين؛ لأن هذا يؤدي إلى العيش براحة واطمئنان وسعادة، ولذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «تَغَافَلَ يُحَمَّدُ أَمْرُكَ»^(٤). وأما الإنسان الذي يهتم بكل شاردة وواردة، ويدقق في كل شيء، ويشغل باله بكل قول لم يعجبه، أو كلمه نقد قيلت بحقه، أو موقف أزعجه؛ فإن حياته تتحول إلى نكد وشقاء وتعاسة. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ لَمْ يَتَغَافَلَ وَلَا يَغُضَّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ تَنَغَّصَتْ عَيْشَتُهُ»^(٥)، وحتى لا

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص: ١٠١. المناقب: ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٩٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٦. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٩٥. تهذيب الكمال: المزي، ج ٢، ص ٣٩٨. التذكرة الحمدونية: ابن حمدون، ج ٢، ص ١٢٣، رقم ٢٤٩. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، ص ٢٤٨.

٢- أقذعه: شتمه ورماه بالفحش وسوء القول.

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٠٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠١. التذكرة الحمدونية: ابن حمدون، ج ٢، ص ١٢٣، رقم ٢٤٨.

٤- غرر الحكم: ٤٥٧٠.

٥- غرر الحكم: ٩١٤٩.

تتنغمص حياتك تعامل مع من حولك بتغافل في الأمور البسيطة والصغيرة والتافهة، والاهتمام بالأمور الكبيرة والقضايا الهامة.
ثانيًا - مَا سَتَرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرٍ نَا أَكْثَرُ:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام في غاية الحلم والتحمل في التعامل مع المسيئين له، وقد جسّد ذلك عملياً في حياته وسيرته المباركة في عدة مواقف، ومنها هذه القصة التي تكشف عن شدة حلمه:

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَبَّهُ، فَثَارَتْ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ وَالْمَوَالِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَهْلًا عَنِ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا سَتَرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرٍ نَا أَكْثَرُ!».

وأضاف قائلاً: «أَلَاكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟».

فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ، وَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ خِمِصَةً^(١) كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِرْهَمٍ.

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الرُّسُلِ^(٢).

فهذا التغافل عن الإساءة، والإحسان إلى المسيء قد أثمر في الرجل، وجعله يُقَرَّبُ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَلِذَا فَأَفْضَلُ الْحِلْمِ هُوَ كَظْمِ الْغِيْظِ، كَمَا رَوَى عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام: «أَفْضَلُ الْحِلْمِ كَظْمُ الْغِيْظِ وَمِلْكُ النَّفْسِ مَعَ الْقُدْرَةِ»^(٣)، وَعَنْهُ عليه السلام قَالَ: «أَحْيَاكُمْ أَحْلَمَكُمْ»^(٤).

وعلى العاقل أن يتحمل أخطاء الآخرين وسوء أفعالهم، ويتغافل عما قد يصدر عنهم من سفاسف الأمور وتوافهها، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «إِنَّ الْعَاقِلَ نِصْفُهُ احْتِمَالٌ، وَنِصْفُهُ تَغَافُلٌ»^(٥).

١ - الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

٢ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص: ١٠١. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٩، ح ٨٧.

٣ - غرر الحكم: ٣١٨٣.

٤ - غرر الحكم: ٢٨٣٣.

٥ - غرر الحكم: ٢٣٧٨.

ثالثاً- اُنتَزَعَ رِدَاءُهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ:

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ بَطَّالٌ يَضْحَكُ النَّاسُ مِنْهُ، فَقَالَ: قَدْ أَعْيَانِي هَذَا الرَّجُلُ أَنْ أَضْحِكُهُ -يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ-.

قَالَ: فَمَرَّ عَلِيٌّ عليه السلام وَخَلْفَهُ مُوَلِّيَانِ لَهُ، قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى اُنتَزَعَ رِدَاءَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ ثُمَّ مَضَى، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام، فَاتَّبَعُوهُ وَأَخَذُوا الرِّدَاءَ مِنْهُ فَجَاءُوا بِهِ فَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ هُمْ: «مَنْ هَذَا؟».

فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ بَطَّالٌ يَضْحَكُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ: «قُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَوْمًا يَحْشُرُ فِيهِ الْمُبْطُلُونَ»^(١).

فالإمام لم يلتفت إليه، وتغافل عن تصرفه غير اللائق، ومضى في طريقه متجاهلاً تصرفات هذا البطال الجاهل، ولم يفعل أو يغضب، بل تغافله وتجاهله، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَحْلَمُ النَّاسِ مَنْ فَرَّ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ»^(٢).

ولما سُئِلَ الإمام عليٌّ عليه السلام: عَنْ أَحْلَمِ النَّاسِ؟

قَالَ عليه السلام: «الَّذِي لَا يَغْضَبُ»^(٣).

وحتى يكون الإنسان حليماً وقادراً على التحكم في أعصابه يحتاج إلى ترويض نفسه على التحلم حتى تتحول صفة الحلم إلى ملكة عنده، فلا يغضب لأتفه الأمور، ولا يفقد السيطرة على أعصابه عند أبسط القضايا، بل يكون إنساناً وقوراً ومرتزناً وحليماً.

رابعاً- لَا أُبَالِي بِمَا تَقُولُ:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يمشي في الطريق، فإذا برجل لئيم يشتمه ويسبه من غير سبب، فقال له الإمام بكل لطف ورفق: «يَا فَتَى، إِنَّ

١- أمالي الصدوق: ص ٢٢٠. ال مناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦٨، ح ٣٩.

٢- الأمالي للصدوق: ٧٣ / ٤١.

٣- الأمالي للصدوق: ٤٧٨ / ٦٤٤.

بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةً كَوْوَدًا، فَإِنْ جُزْتُ مِنْهَا فَلَا أُبَالِي بِمَا تَقُولُ، وَإِنْ أَتَحَيَّرَ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ»^(١).

فالإمام عليه السلام تعامل مع هذا الفتى الذي أساء إلى الإمام بكل حلم ورفق ولين، فلم يغضب منه ولم يعاقبه، بل أرشده ووجهه إلى أهمية التفكير في الآخرة، وأن أمام الإنسان الكثير من العقبات الصعبة في يوم الحساب، فمن يجتازها فهو في خير، وعليه ألا ييالي بما يلاقه في الدنيا، ومن لا يجتازها فهو في خسران مبين.

خامساً - اذهبي فَأَنْتِ حُرَّةٌ:

في موقف إنساني نبيل وحلم عجيب، جارية كانت تسكب الماء على يدي الإمام، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجه، لكن الإمام عليه السلام تعامل معها برفق وحلم وصفح وتسامح، فلم يعاقبها، بل عفا عنها وأحسن إليها وأعتقها لوجه الله تعالى.

روى الصدوق بإسناده عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ يَقُولُ: جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ^(٢)، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾^(٣).

فَقَالَ لَهَا: «قَدْ كَظُمْتُ غَيْظِي».

قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

قَالَ لَهَا: «قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ».

قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١ - المناقب: ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٩٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٦.

٢ - الشجاع: الجراح، وشجّه جرحه.

٣ - آل عمران: ١٣٤.

قَالَ: «اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ»^(١).

لقد تعامل الإمام مع هذه الجارية بكل إنسانية ورحمة ورفق وحلم، فلم يعاقبها نتيجة ما سببته من شج رأسه الشريف؛ بل كظم غيظه، وأحسن إليها وأعتقها، وهو القائل عليه السلام: «مَا تَجَرَّعْتُ جُرْعَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظٌ لَا أَكْفِي بِهَا صَاحِبَهَا»^(٢).

سادساً - كَسَرَتْ قَصْعَةً فَأَعْتَقَهَا لِوَجْهِ اللَّهِ:

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بإنسانية قلّ نظيرها مع جواريه وخدمه ومواليه، وكان يعفو ويصفح ويحسن لمن أخطأ منهم سواء كان ذلك عن عمد أم لا، فقد روي: «كَسَرَتْ جَارِيَةٌ لَهُ قَصْعَةً فِيهَا طَعَامٌ فَاصْفَرَّ وَجْهُهَا!» واصفرار الوجه ناتج من خوف العقاب لأنها توقعت أن يعاقبها الإمام على فعلتها، ولكن الإمام عليه السلام قال لها بكل لطف ورحمة: «اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ»^(٣).

وبهذا الخُلُقَ الإنساني النبيل، والخَلَّةَ الحميدة، نال الإمام عليه السلام محبة أعدائه - فضلاً عن مواليه وجواريه - وكسب قلوبهم، فبالحلم والتحمل والإحسان إلى المسيئين يمكن التأثير الإيجابي حتى على أصحاب القلوب القاسية.

١ - أمالي الصدوق: ص ٢٠١. ال مناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص:

٦٧، ح ٣٦.

٢ - الكافي: ٢ / ١٠٩ / ١.

٣ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٨.

الصبر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

استفاضت النصوص الدينية في الحث والترغيب على التحلي بفضيلة الصبر، والتأسي بالصابرين، وعلى مدح الصبر والثناء على الصابرين؛ فالصبر هو مجمع الفضائل، ورأس المكارم، وعماد المحاسن والمفاخر والمآثر؛ فما من فضيلة أو مفخرة أو مأثرة إلا والصبر طرف فيها.

ويكفي في فضل الصبر وجلالة الصابرين أن الله سبحانه وتعالى أشاد بهما في نيف وسبعين آية في القرآن الكريم، ومن أعظم أقسام الصبر هو الصبر على المكاره والنوائب والخطوب، وخير ما يفعله المبتلى بمكروه أو رزية أو محنة هو التحلي بفضيلة الصبر والتأسي والاقتداء بالصابرين!

وقد بشر الله تعالى الصابرين بالحب والرحمة والرضا، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

ووعدهم بالنصر والتأييد كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣)، وأعدَّ لهم الأجر والثواب بغير حساب، وجعل جزاء كل فضيلة أخلاقية بحساب إلا الصبر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

وكثيرة هي الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي تحض على التحلي بفضيلة الصبر، والتأسي بالمؤمنين الصابرين، وما للصابر من أجر وثواب عظيم، فقد روي عن علي عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ^(٥) الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزَائِهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَ مِائَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ

١- آل عمران: ١٤٦.

٢- البقرة: ١٥٥.

٣- الأنفال: ٤٦.

٤- الزمر: ١٠.

٥- في البحار: «على».

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سِتَّ مِئَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ^(١) الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ، وَمَنْ صَبَرَ عَنِ الْمُعْصِيَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ تِسْعَ مِئَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ الْأَرْضِ إِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ^(٢).

وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: لِيَقُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا إِلَى الْجَنَّةِ، فَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ، قَالُوا: قَبْلَ الْحِسَابِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالُوا: وَمَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: أَهْلُ الْفَضْلِ، قَالُوا: وَمَا كَانَ فَضْلُكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا إِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا وَإِذَا ظَلِمْنَا صَبَرْنَا وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا غَفَرْنَا. قَالُوا: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، ثُمَّ يَقُولُ مُنَادٍ يُنَادِي: لِيَقُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَيَقَالُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ: أَهْلُ الصَّبْرِ، قَالُوا: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَصَبَرْنَاَهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، قَالُوا: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ^(٣).

وعن منزلة الصبر وموقعيته في الدين، روي عن عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ: «الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ»^(٤).

١- «التَّخْمُ»: حَدُّ الْأَرْضِ. والجمع: تُخُوم. والتخوم: الفصل بين الأرضين. مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١ (تخم).

٢- الكافي: ج ٢، ص ٩١، ح ١٥. تحف العقول، ص ٢٠٦، عن علي عليه السلام، من دون الإسناد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الوافي، ج ٤، ص ٣٣٦، ح ٢٠٦٠؛ الوسائل، ج ١٥، ص ٢٣٧، ح ٢٠٣٧٣؛ البحار، ج ٦٨، ص ٧٧، ح ١٢.

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٠٢.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٤. الخصال: ص ٣١٥، باب الخمسة، ح ٩٥؛ عيون الأخبار: ج ٢، ص ٤٤،

ح ١٥٥؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٨١، ح ١٧٧، بسند آخر عن الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السلام. تحف

العقول: ص ٢٨١؛ الإرشاد: ج ١، ص ٢٩٧، مرسلاً عن علي عليه السلام، نهج البلاغة: ص ٤٨٢، الحكمة ٨٢؛

خصائص الأئمة عليه السلام: ص ٩٤، عن علي عليه السلام، الوافي: ج ٤، ص ٣٣٣، ح ٢٠٥٠؛ الوسائل: ج ٣، ص

٢٥٨، ح ٣٥٧٢؛ البحار: ج ٦٨، ص ٨١، ح ١٧.

وأوصى الإمام زين العابدين عليه السلام ابنه الإمام الباقر عليه السلام بضرورة التحلي بالصبر على الحق وإن كان مرّاً، فقد ورد عن أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي عَلِيٍّ بَنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ؛ يَا بُنَيَّ، اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً»^(١).

والصبر ضروري جداً لمواجهة الخطوب والمحن والمكاره، وإلا فإن المرء يعجز عن مواجهتها من دون التحلي به؛ ولذا أوصى الإمام زين العابدين عليه السلام ابنه الإمام الباقر بالصبر على الحق وإن كان مرّاً، وبالصبر على النوائب وإن كانت صعبة، فقد روي عنه عليه السلام قوله: «يَا بُنَيَّ اصْبِرْ عَلَى النَّوَائِبِ»^(٢)، لأن من لا يصبر عليها يعجز عن مواجهتها. وضرب المثل بصبر أيوب لما ابتلي به من أمراض ومحن، ولكنه صَبَرَ وتحَمَّل وشكر الله سبحانه وتعالى حتى عوفي من محنه ومرضه، ويرى الإمام زين العابدين عليه السلام أن الناس أخذوا الصبر عن أيوب؛ فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده: عَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «أَخَذُوا النَّاسُ ثَلَاثَةً مِنْ ثَلَاثَةٍ: أَخَذُوا الصَّبْرَ عَنْ أَيُّوبَ عليه السلام، وَالشُّكْرَ عَنْ نُوحٍ عليه السلام، وَالْحَسَدَ عَنْ بَنِي يَعْقُوبَ عليهم السلام»^(٣).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يستعيز بالله تعالى من ضعف الصبر، فكان من دُعائه في الاستعاذة من المكاره وسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ وَمَذَامِّ الْأَفْعَالِ قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيْجَانِ الْحَرَصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلْبَةِ الْحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ، وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَشَكَاةِ الْخُلُقِ»^(٤).

١- الكافي: ج ٢، ص ٩١، ح ١٣. الفقيه: ج ٤، ص ٤١٠، ح ٥٨٩١، الأمالي للصدوق: ص ١٨٢، المجلس ٣٤، ح ١٠؛ الخصال: ص ١٦، باب الواحد، ح ٥٩ الوافي: ج ٤، ص ٣٤٠، ح ٢٠٧٤؛ الوسائل: ج ١٥، ص ٢٣٧، ح ٢٠٣٧؛ البحار: ج ٦٨، ص ٧٦، ح ١٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٥.

٣- عيون الأخبار: ج ٢ ص ٤٥.

٤- الصحيفة السجادية: ص ٤٥ الدعاء ٨، انظر تمام دعائه عليه السلام.

وكان من وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه قوله: «يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالضَّجَرَ، وَسُوءَ الْخُلُقِ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ صَاحِبٌ، وَالزِّمَ نَفْسَكَ التَّوَدَّةَ فِي أُمُورِكَ، وَصَبْرٌ عَلَى مَوْنَاتِ الْإِخْوَانِ نَفْسَكَ، وَحَسَنٌ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ خُلُقَكَ»^(١).

فبالصبر الجميل يستطيع الإنسان مواجهة أعظم المحن والمكاره والبلايا، وبدونه يفقد القدرة على تحمل أدنى أقسام المكاره والمصائب والمحن، فعليك بالصبر حتى تتجاوز صعوبات الحياة، وتظفر بما تريد وترغب.

معنى الصبر

عُرِّفَ الصبر بأنه قوة خفية من قوى الإرادة تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام وضبطهما عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والبطش والخوف والطمع والأهواء والشهوات والغرائز^(٢).

والمراد بالصبر هو: احتمال المكاره والبلايا والمحن من غير جزع أو هلع. والصبر المحمود هو الصبر على المكاره التي لا يمكن للإنسان دفعها كفقد قريب أو عزيز، أو سلب مال، أو ظلم ظالم، أو الإصابة بمرض مزمن. ومن أجمل وأعلى مراتب الصبر هو الصبر الجميل، كما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣)، ويعني - فيما يعنيه - ضبط النفس وحبسها عن الانفعال، وتحمل المكاره والمحن من دون جزع ولا هلع ولا وجل ولا خوف، بل تحمل لها مع إباء وعزة نفس ورضا بقضاء الله وقدره، وشكر الله على نعمه وآلائه.

ويدل التحلي بالصبر الجميل على رفعة النفس، ورجاحة العقل، وسعة

١- قصص الأنبياء: ١٩٥ / ٢٤٤.

٢- الأخلاق الإسلامية: عبدالرحمن الميداني، دار القلم، بيروت، ج ٢، ص ١١٩.

٣- يوسف: ١٨.

الأفق والنظر، وقوة الشخصية واتزانها؛ وأما الجزع فهو يدل على ضعف الشخصية وهوانها، وخوار الإرادة وغياب العزيمة.

تجليات الصبر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

جسد الإمام زين العابدين عليه السلام فضيلة الصبر أجمل تجسيد، وضرب أروع الأمثلة على الصبر الجميل، وتحمل من الخطوب والبلايا والمحن ما يعجز عن مثله أعظم الرجال، وأكابر الأولياء والصالحين.

قال السيد عبدالرزاق المكرم عن صبره ما نصه: «ولقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام متقدماً في صفات الكمال والجلال، متسناً أعلى ذروة من الخلق المحمدي، ومن تلك المآثر صبره على المكاره حتى عُدَّ ذلك من مكارم أخلاقه، وأساس كل أكرومة جاء بها؛ لأن المصائب المتعاقبة عليه لم يماثله فيها أي مظلوم ومضطهد من نبي أو ولي»^(١).

ونشير إلى أبرز تجليات صبره عليه السلام في سيرته العظيمة في النقاط الآتية:

أولاً - صبره على المحن والخطوب:

اتصف الإمام زين العابدين عليه السلام بشدة الصبر على المحن والخطوب والبلايا، ومن أعظمها ما رآه بألم عينيه في كربلاء؛ إذ رأى المصائب والمآسي التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية، فقد قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من عترة النبي ﷺ والصفوة من أصحابه أبشع قتلة، فلم يسلم من الجيش الأموي صغير ولا كبير، ولم يرحموا شيخاً طاعناً في السن ولا طفلاً رضيعاً، ولم يكتفوا بالقتل الشنيع، بل قاموا بحرق الخيام، وترويع النساء والأطفال. وعندما سمع الإمام زين العابدين عليه السلام أباه الإمام الحسين عليه السلام ينادي بأعلى صوته: «هَلْ مِنْ ذَابٍ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللَّهَ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللَّهَ بِإِغَاثَتِنَا؟ هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ

في إِعَاتِنَا؟»^(١) نهض رغم مرضه يتوكأ على عصا ويجر سيفه، لأنه مريض لا يستطيع الحركة، فصاح الحسين بأم كلثوم: «احبسِيه، لئلا تخلو الأرض من آل محمد، فأرجعته إلى فراشه»^(٢).

وعن حميد بن مسلم: «فَلَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَقَامَ وَنَادَى: هَلْ مِنْ ذَابٍّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ؟ هَلْ مِنْ مُعِينٍ؟ فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ»^(٣). وروى الخوارزمي: «ثُمَّ التَفَتَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِنَ الرِّجَالِ، فَخَرَجَ عَلَيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ أَخِيهِ عَلِيِّ الْقَتِيلِ - وَكَانَ مَرِيضًا، وَهُوَ الَّذِي نَسَلَ آلَ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام)^(٤)، فَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ سَيْفِهِ، وَأُمُّ كُلْثُومُ تُنَادِي خَلْفَهُ: يَا بُنَيَّ ارْجِعْ! فَقَالَ: يَا عَمَّتَاهُ، ذَرِينِي أُقَاتِلْ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أُمَّ كُلْثُومُ، خُذِيهِ وَرُدِّيهِ، لِيَلَّا تَبْقَى^(٥) الْأَرْضُ خَالِيَةً مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٦).

وبقيت مصائب كربلاء ومأساتها مغروسة في ذاكرة الإمام زين العابدين عليه السلام لا تفارقه لحظة من لحظات حياته، وكيف ينسى وقد رأى السيوف والنبال والأسنة تنهال على جسد أبيه سيد شباب أهل الجنة ومن معه من أهل بيته وأصحابه الخُلص؟! وكيف ينسى وقد رأى منع القوم لعرة النبي ﷺ الماء عنهم ليموتوا عطشاً؟! وكيف ينسى وهو ينظر إلى أبيه ومن معه من أهله وأصحابه مجزرين كالأضاحي على صعيد كربلاء، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامي وبكاء الشكالي وصراخ الأطفال؟!!

١- الملهوف: ص ١٦٨.

٢- الخصائص الحسينية: ص ١٢٩. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

٣- مثير الأحزان: ص ٧٠.

٤- يعني أن نسل الحسين (ع) منه، فإن أولاده لم يبق منهم سواه (هامش المصدر).

٥- في المصدر: «لا تبق»، وما في المتن من بحار الأنوار.

٦- مقتل الحسين (ع) للخوارزمي: ج ٢ ص ٣٢؛ بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤٦.

فلا يوم كيوم عاشوراء، كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام. قال: «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه^(١)، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا»^(٢).

ولذا كان عليه السلام دائم الدمة والبكاء ليذكر الناس بيوم عاشوراء ومأساة كربلاء. روى ابن شهر آشوب: كان [الإمام زين العابدين عليه السلام] إذا أخذ إناء يشرب ماءً بكى حتى يملأها دمعا.

ف قيل له في ذلك، فقال: «وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقا للسباع والوحوش».

وقيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا. فقال: «نفسى قتلتها، وعليها أبكي»^(٣).

وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: سئل علي بن الحسين: عن كثرة بكائه؟ قال: «لا تلوؤموني، فإن يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي في غداة واحدة قتلى، فترون حزنهم يذهب من قلبي»^(٤).

وهذا البكاء ليس خلاف الصبر، بل تعبير عما لاقاه من محن وبلايا وصبر عليها مع صعوبة ذلك، وكان هدفه من البكاء استشارة عواطف الناس ضد الحكم الأموي الذي قتل سيد الشهداء ومن معه، وحتى تبقى واقعة كربلاء حاضرة في وجدان المجتمع مهما تقادم الزمان، وهذا ما تحقق بالفعل بفعل سلوك الإمام وندبه المستمر لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

١- يوجد حديث آخر مروي عن الإمام السجاد (ع)، وقد ذكر فيه عن لسان الإمام الحسن (ع): يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد عليه السلام، ويتحلون الإسلام، فيجتمعون على قتلك.

٢- الأمالي للصدوق: ص ٥٤٧ ح ٧٣١، الخصال: ص ٦٨ ح ١٠١، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٨ ح ٤.

٣- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٠٩ ح ١.

٤- كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٠٢.

ثانيًا - صبره أيام الأسر:

من أشد المحن والخطوب بعد واقعة كربلاء التي ابتلي بها الإمام زين العابدين عليه السلام محنة الأسر مع عقائل النبوة، والطواف بهم من شارع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، وإدخاله على ابن زياد، ثم على يزيد بن معاوية مع إظهار الشماتة به ومن كان معه من أهل البيت الأظهار؛ لكن الإمام عليه السلام كان في غاية الصبر والتحمل، متوكلًا على الله تعالى، وموكلًا أمره إليه سبحانه، مع رباطة جأش وقوة إباء وعزة نفس؛ فلم يستسلم أمام طواغيت زمانه، وكان يواجههم بقوة المنطق وصلابة الإيمان من دون خوف أو وجل منهم. وكان الهدف من أخذهم أسارى وسوقهم في الطرقات إظهار الشماتة بهم، وتشويه صورتهم أمام الرأي العام، ولكن عندما كانوا يعرفون الحقيقة كانوا يبكون ويندبون، فقد روى الشيخ المفيد عن حذلم بن سثير قال: «قَدِمْتُ الكُوفَةَ فِي الْمَحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ، عِنْدَ مُنْصَرَفِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام بِالنِّسْوَةِ مِنْ كَرْبَلَاءَ وَمَعَهُمُ الْأَجْنَادُ مُحِيطُونَ بِهِمْ، وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أُقْبِلَ بِهِمْ عَلَى الْجِمَالِ بَغَيْرِ وَطَاءٍ، جَعَلَ نِسَاءُ الْكُوفَةِ يَبْكِينَ وَيَتَدَبَّنَ»^(١).

وفي كتاب مطالب السؤول: «ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَأْفَوْا الْحَرَمَ كَمَا تُسَاقُ الْأَسَارَى حَتَّى أَتَوْا الْكُوفَةَ، فَخَرَجَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ وَيَبْكُونَ وَيَنُوحُونَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ - زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام - قَدْ أَنَهَكَهُ الْمَرَضُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءِ يَبْكُونَ وَيَنُوحُونَ مِنْ أَجْلِنَا، فَمَنْ قَتَلَنَا؟»^(٢)، فلولا تقصيرهم وتخاذلهم وانحياز أكثرهم إلى الجيش الأموي لما حدث ما حدث في كربلاء.

١ - الأمالي للمفيد: ص ٣٢١ الرقم ٨، الأمالي للطوسي: ص ٩١ الرقم ١٤٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٠٩ الرقم ١٧٠ عن حذيم بن شريك الأسدي وفيه «نساء أهل الكوفة يتدبن مشققات الجيوب والرجال معهنَّ يكون» بدل «جعل...»؛ بلاغات النساء: ص ٣٩ عن حذام الأسدي وفيه «نساء أهل الكوفة يموئذ قِيَامًا يَلْتَدِمْنَ مَهْتَكَاتِ الْجُيُوبِ» بدل «جعل...» وكلاهما نحوه.

٢ - مطالب السؤول: ص ٧٦؛ كشف الغمّة: ج ٢ ص ٢٦٣.

ومع كل هذه المحن العظيمة كان الإمام صابراً ومصابراً ومحتسباً أمره كله لله سبحانه، وكان يتصف بالعزة والإباء حتى وهو في الأسر وفي مجلس الطاغية المتبختر بطغيانه وجلالozته، فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): «قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: إِنَّ سَبَايَاهُمْ لَنَا حَلَالٌ! فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ عليه السلام: «كَذَبْتَ وَلَوْ مِتَّ، مَا ذَاكَ لَكَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنَا وَتَأْتِيَ بِغَيْرِ دِينِنَا».

فَأَطْرَقَ يَزِيدٌ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِلشَّامِيِّ: اجْلِسْ^(١). فلم يخف من يزيد وجلالozته المحيطين به؛ بل كان في غاية الشجاعة والجرأة كأبيه سيد الشهداء عليه السلام.

وفي موقف آخر يرويه القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام، قال: لَمَّا أُدْخِلَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَبَنَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُقَيَّدًا مَغْلُولًا، فَقَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي. قَالَ: فَغَضِبَ يَزِيدُ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ عليه السلام^(٢)، لكن إرادة الله ومشيتته حفظت الإمام من القتل لتستمر الإمامة في عقبه.

وعندما أُدْخِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (مع بقية الأسرى) على يزيد، وأُتِيَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ فِي أَنْ يَخْطُبَ فِي الْحَاضِرِينَ أَبْكَى الْعَيُونَ، وَأَجْهَشَ الْجَمِيعَ بِالْبُكَاءِ. رَوَى الطَّبْرَسِيُّ فِي الْاِحْتِجَاجِ:

رُويَ لَمَّا أُدْخِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام فِي جُمْلَةٍ مَن حُمِلَ إِلَى الشَّامِ سَبَايَا مِنْ أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَأَهْلِيهِ عَلَى يَزِيدَ (لَعَنَهُ اللَّهُ) قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ!

١- الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): ج ١ ص ٤٨٩، تاريخ دمشق: ج ٤١ ص ٣٦٧، المنتظم: ج ٥ ص ٣٤٥ كلاهما عن مصعب بن عبدالله؛ شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٥٢ كلها نحوه.

٢- تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦٨ ح ١٤ وح ١٣ نحوه.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: قَتَلَ أَبِي النَّاسُ.

قَالَ يَزِيدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَهُ فَكَفَانِيهِ!

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: عَلَى مَنْ قَتَلَ أَبِي لَعْنَةُ اللَّهِ، أَفْتَرَانِي لَعْنَتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!

قَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيٌّ، اصْعَدِ الْمِنْبَرَ فَأَعْلِمِ النَّاسَ حَالَ الْفِتْنَةِ، وَمَا رَزَقَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الظَّفَرِ!

فَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مَا أَعْرَفَنِي بِمَا تُرِيدُ.

فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا أُعْرِفُهُ بِنَفْسِي، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنَى، أَنَا ابْنُ الْمَرْوَةِ وَالصَّفَا^(١)، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ مَنْ لَا يَخْفَى، أَنَا ابْنُ مَنْ عَلَا فَاسْتَعْلَى فَجَارَ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.

فَضَجَّ أَهْلُ الشَّامِ بِالْبُكَاءِ حَتَّى خَشِيَ يَزِيدُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ مَقْعَدِهِ، فَقَالَ لِلْمُؤَذِّنِ: أَذِّنْ. فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» جَلَسَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، بَكَى عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام ثُمَّ التَفَتَ إِلَى يَزِيدَ فَقَالَ: يَا يَزِيدُ، هَذَا أَبُوكَ أَمْ أَبِي؟

قَالَ: بَلْ أَبُوكَ، فَاَنْزِلْ، فَنَزَلَ عليه السلام فَأَخَذَ نَاحِيَةَ بَابِ الْمَسْجِدِ^(٢).

فَالصَّبْرُ لَا يَعْنِي الْاسْتِسْلَامَ لِلْمَحْنِ وَالْخُطُوبِ، وَلَا يَعْنِي الضَّعْفَ وَالْهَوَانَ، بَلْ يَعْنِي الْقُدْرَةَ عَلَى التَّحْمَلِ، وَالتَّصْبِرَ عَلَى الْبَلَايَا، وَقَدْ أَثْبَتَ الْإِمَامُ ذَلِكَ بِصَبْرِهِ وَتَحْمَلِهِ لِأَعْظَمِ الْمَحْنِ وَالْمَكَارِهِ وَالْخُطُوبِ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ وَلَمْ يَضْعَفْ أَمَامَ طَوَاغِيتِ زَمَانِهِ الَّذِينَ قَتَلُوا عَتْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَلْ كَانَ صَلْبًا فِي إِيْمَانِهِ وَقَوِيًّا فِي مَنْطِقِهِ وَشَدِيدًا فِي صَبْرِهِ.

ثَالِثًا - صَبْرُهُ عَلَى فَقْدِهِ أَوْلَادِهِ:

طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ الْفَطْرِيَّةُ أَنَّهُ يَحِبُّ أَوْلَادَهُ مَحَبَّةً كَبِيرَةً، وَيَتَأَثَّرُ لِأَيِّ مَكْرُوهِ

١ - فِي بَعْضِ النُّسخ: «أَنَا ابْنُ زَمْزَمٍ وَالصَّفَا» (هَامِشُ الْمَصْدَرِ).

٢ - الْاِحْتِجَاجُ: ج ٢ ص ١٣٢ ح ١٧٥، بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٤٥ ص ١٦١.

يصيبهم؛ لأنهم ثمرة قلبه، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَجَرَةٍ ثَمَرَةً، وَثَمَرَةُ الْقَلْبِ الْوَلَدُ»^(١).

ومن السعادة أن يكون للإنسان أولاد يستعين بهم عند الحاجة، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ»^(٢). وبالنظر إلى طبيعة الناس فإن كثيراً منهم يفقد صبره وجلده عند فقدانه أحد أولاده خصوصاً إذا كان في مرحلة الشباب، لأن موت الولد يُحرق الفؤاد، وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «فَقَدْ الْوَلَدُ مُحْرِقُ الْكَبِدِ»^(٣)، لكن الإمام زين العابدين عليه السلام عرف بشدة الصبر ورباطة الجأش حتى إنه عندما يفقد أحد أولاده لا يفقد صبره، بل يبقى محافظاً على اتزانه وصبره حتى كان يتعجب الناس من عظيم صبره، ورباطة جأشه في مثل هذه المواقف الإنسانية المؤلمة.

رُوي: «أَنَّ قَوْمًا كَانُوا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَاسْتَعْجَلَ خَادِمًا بِشَوَاءٍ فِي النَّوْرِ فَأَقْبَلَ بِهِ مُسْرِعًا فَسَقَطَ السَّفُودُ مِنْ يَدِهِ عَلَى ابْنٍ لَهُ عليه السلام، فَأَصَابَ رَأْسَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَثَبَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَلَمَّا رَأَى ابْنَهُ مَيِّتًا قَالَ لِلْغُلَامِ: أَنْتَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهِ. أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَتَعَمَّدَهُ، وَأَخَذَ فِي جَهَازِ ابْنِهِ»^(٤).

وفي موقف آخر: «سَمِعَ [الإمام] وَاعِيَةً فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَهَضَّ إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: أَمِنْ حَدَثٍ كَانَتْ الْوَاعِيَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَعَزُّوهُ وَنَعَجَّبُوا مِنْ صَبْرِهِ.

فَقَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ نُطِيعُ اللَّهَ فِيمَا يُحِبُّ، وَنَحْمَدُهُ فِيمَا نَكْرَهُ»^(٥).

ونكتفي بهذه التجليات والمظاهر البارزة التي تدل على شدة صبره، وقوة تحمله، وعظيم حلمه، ورباطة جأشه، وعزة نفسه (سلام الله وصلواته عليه).

١- كنز العمال: ٤٥٤١٥.

٢- الكافي: ٦/ ٢ / ٢.

٣- غرر الحكم: ٦٥٤٢.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٩، ص: ١٤٢.

٥- كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٠٢.

كرم الإمام زين العابدين عليه السلام

الكرم من أسمى الفضائل الأخلاقية التي حثَّ عليها القرآن الكريم في عدد من آياته الشريفة، وأشاد بصفة الكرم وعطاء الكرماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١). أجمع المفسرون على نزول هاتين الآيتين في أهل البيت عليه السلام وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام.

ويشير القرآن الكريم إلى نمو العطاء والكرم والإنفاق في سبيل الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢). ويقول تعالى في شأن تحقق البر: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٣)، والبر هو التوسع في فعل الخير، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان إلى المحتاجين والفقراء.

والكرم ضد البخل، وهو بذل المال أو الإطعام أو الإكساء أو أي نوع من أنواع الكرم؛ وفيه منفعة وفائدة من دون مقابل، وعن طيب نفس.

ويكفي في فضيلة الكرم أن القرآن الكريم يصف كل نفيس جليل بالكرم، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ﴾^(٦).

وأشاد رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام بفضيلة الكرم والسخاء والجود، وبأهل الكرم والعطاء والإنفاق، ونوّهوا بذلك أبلغ تنويه، وأثنوا عليهم بأحسن الثناء وأجمله.

١- الإنسان: ٨ - ٩.

٢- البقرة: ٢٦١.

٣- آل عمران: ٩٢.

٤- الواقعة: ٧٧.

٥- الدخان: ١٧.

٦- الدخان: ٢٦.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شَابُّ سَخِيٍّ، حَسَنُ الْخُلُقِ؛ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَيْخٍ بَخِيلٍ، عَابِدٍ، سَيِّئِ الْخُلُقِ»^(١)، وعنه ﷺ قال: «كَرَمُ الرَّجُلِ دِينُهُ»^(٢).

وروي عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «يُسْتَدَلُّ عَلَى كَرَمِ الرَّجُلِ بِحُسْنِ بَشَرِهِ وَبَذَلِ بِرِّهِ»^(٣). وعنه عليه السلام قال: «الكَرِيمُ عِنْدَ اللَّهِ مَحَبُورٌ مُثَابٌّ، وَعِنْدَ النَّاسِ مَحَبُوبٌ مُهَابٌّ»^(٤).

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْكَرِيمَ يَتَهَجُّ بِفَضْلِهِ، وَاللَّيْمَ يَفْتَحِرُ بِمُلْكِهِ»^(٥)، وعنه عليه السلام قال: «سَادَةُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا الْأَسْخِيَاءُ»^(٦)؛ لِأَنَّ الْأَسْخِيَاءَ وَالْكَرَمَاءَ يَكُونُونَ مَحَلَّ مَحَبَّةٍ وَاحْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ النَّاسِ، فَتَنْجَذِبُ لَهُمُ النُّفُوسُ، وَتَهْوَاهُمُ الْقُلُوبُ، وَأَمَّا الْبُخْلَاءُ فَتَنْفَرُ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ وَتَبْتَعد عَنْهُمْ النَّاسُ.

وكثيرة هي الأحاديث والروايات الشريفة التي تحث وترغب في فضيلة الكرم، وتدعو للتحلي بصفة الجود والسخاء، وهذه الصفات الأخلاقية من صفات الرجال الكبار، فالكرم والجود والسخاء والعطاء لا يتحلى به إلا من كان قلبه صافياً، وروحه سامية، ويحب لغيره كما يحب لنفسه. أما من يتصف بالبخل والشح فهو إنسان أناني، لا تهمه إلا نفسه، ولا يمد يد المساعدة لفقير أو يتيم أو محتاج.

صور من كرم الإمام زين العابدين وجوده

عُرف الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بين الخاصة والعامة بالكرم والجود والسخاء والعطاء، والبر والإحسان إلى الفقراء والأيتام والمعوذين والمحتاجين، فكان عليه السلام من أسخى الناس وأكرمهم، وأنداهم

١- كنز العمال: ١٦٠٦١.

٢- مسند ابن حنبل: ٣ / ٢٩٢ / ٨٧٨٢.

٣- غرر الحكم: ١٠٩٦٣.

٤- غرر الحكم: ٢١٤٦.

٥- الدرّة الباهرة: ٢٧.

٦- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساکر، ج ٤١، ص ٣٨٥.

كفًا، وأكثرهم جودًا، وأشدّهم برًّا ورحمة بالفقراء واليتامى والمساكين، وكان يحب مجالستهم ومصاحبتهم، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَادْخِرْهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ»^(١).

وسجّل لنا التاريخ نماذج مضيئة من كرمه وجوده وسخائه، فجسّد عليه السلام في سيرته الأخلاقية أروع الأمثلة في الكرم والعطاء، والتعامل برفق وعطف وحنان مع الفقراء والمساكين، ونذكر بعض القصص والوقائع والأمثلة التي دوّنها التاريخ في دفاتره، ضمن النقاط الآتية:

١- التعامل الإنساني مع الفقراء:

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بأجلى صور الإنسانية التي قلّ نظيرها مع الفقراء والأيتام والمساكين والمحتاجين، وجسّد مفهوم الإنسانية عمليًا في سيرته الأخلاقية الرفيعة معهم، وإليك بعض هذه الصور المشرقة:

أ- الاحتفاء بالفقراء:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحتفي بالفقراء كثيرًا، ويتعامل معهم بلطف ورفق وعطف وحنان، ويراعي مشاعرهم وعواطفهم؛ فكان إذا أعطى سائلًا قبله لئلا يرى عليه أثر الذل والحاجة. قَالَ الطَّائِيُّ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ إِذَا نَاولَ الصَّدَقَةَ السَّائِلَ قَبْلَهُ ثُمَّ نَاولَهُ»^(٢).

وكان عليه السلام يرحب بالفقراء ويكرمهم، فقد روي: «كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ يَقُولُ: مَرْحَبًا بِمَنْ يَحْمِلُ زَادِي إِلَى الْآخِرَةِ»^(٣).

جسّد الإمام زين العابدين الإنسانية في أعلى صورها في تعامله الأخلاقي

١- الصحيفة السجّادية: ص ١٢٢ الدعاء ٣٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٨، ح ٨٦. المنتظم: ابن الجوزي، ج ٦، ص ٣٢٨. صفوة الصفوة: ابن الجوزي، ص ٣٢٥. مطالب السؤول: ص ٤١٢. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٨.

والإنساني مع الفقراء؛ فلم نقرأ ولم نسمع أن كريماً أو جواداً كان يُقبل السائل قبل أن يناوله شيئاً من المال، ويرحب به للحفاظ على كرامته الإنسانية، وحتى لا يشعر بالذل والمسكنة، وتعزيز ثقة السائل بنفسه عبر احترامه وإكرامه.

ب - عطفه على الفقراء:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير العطف والرأفة والحنان على الفقراء والمساكين والضعفاء، يسرّه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والفقراء والمرضى الذين لا حيلة لهم، ويناوهم الطعام بيده المباركة، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «وكان يُعجبه أن يحضّر طعامه اليتامى والأضرّاء والزّمنى^(١) والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يُناوهم بيده، ومن كان له منهم عيالٌ حمل له إلى عياله من طعامه^(٢)». ويدل هذا أيضاً على شدة تواضعه.

وكان يحمل للفقراء والمساكين والأيتام الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً باباً من أبوابهم فيناوهم إياه: «كَانَ عليه السلام لِيَخْرُجَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءِ، فَيَحْمِلُ الْجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَفِيهِ الصُّرُرُ مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْدَّرَاهِمِ، وَرَبَّما حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ الطَّعَامَ أَوْ الْحَطْبَ حَتَّى يَأْتِيَ بَاباً بَاباً فَيَقْرَعُهُ ثُمَّ يَنَاولُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُعْطِي وَجْهَهُ إِذَا نَاولَ فَقِيْرًا لِيَلَّا يَعْرِفَهُ»^(٣).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ»^(٤).

وبلغ من رأفته بالفقراء والمحتاجين، والعطف عليهم، أنه كره جذاذ النخل في الليل^(٥)؛ لأن الفقراء لا يحضرون في هذا الوقت فيحرمون من

١ - الزّمانة: العاهة، زَمِنَ زَمَانَةً فهو زَمِنٌ، والجمع زَمْنِي (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٣٢ «زمن»).

٢ - الخصال: ص ٥١٨ ح ٤، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٥٤ كلاهما عن حران بن أعين، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٢ ح ١٩.

٣ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦٢.

٤ - المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٨.

٥ - الجذاذ هو صرام النخل.

العطاء، فقد روي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لِقَهْرْمَانِهِ - وَوَجَدَهُ قَدْ جَدَّ نَحْلًا لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ -: «لَا تَفْعَلْ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْحَصَادِ وَالْجَذَاذِ بِاللَّيْلِ، وَكَانَ يَقُولُ: الضُّغْتُ تُعْطِيهِ مَنْ يَسْأَلُ، فَذَلِكَ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»^(١).

ج- نهيه عن رد السائل:

نهى الإمام زين العابدين عليه السلام عن رد السائل وحرمانه من الصدقة والعطاء؛ لماله من الآثار السيئة التي منها زوال النعمة وفجأة النعمة، فقد روى سعيد بن المسيب قال: حَضَرْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمًا حِينَ صَلَّى الْغَدَاةَ، فَإِذَا سَائِلٌ بِالْبَابِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: «أَعْطُوا السَّائِلَ، وَلَا تَرُدُّوْا سَائِلًا»^(٢).

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَنْ يَسْأَلُنَا مُحِقًّا فَلَا نُطْعِمُهُ وَنَرُدُّهُ فَيَنْزِلَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ مَا نَزَلَ بِعِيقُوبَ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣). وقد طبق الإمام ما أرشد إليه القرآن الكريم من الدعوة إلى التعامل بلين ورفق مع السائل، والنهي عن نهره ورده كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٤).

٢- التصدق بها يجب:

لم يكتفِ الإمام عليه السلام بإعطاء الصدقات والصلوات إلى الفقراء والمحتاجين، بل كان يتصدق عليهم بأفضل الطعام، والإنفاق مما يجب، فقد ورد عن أبي عبد الله الدامغانى قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَتَصَدَّقُ بِالسُّكَّرِ وَاللَّوْزِ،

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٠، ح ١١١. وسائل الشيعة: ج ٩، ص: ٢٠١، ح ١١٨٣٩.

٢- الكافي: ج ٤ ص ١٥، ح ٤. الوافي: ج ١٠، ص ٤١١، ح ٩٧٨٩. الوسائل: ج ٩، ص ٤٢٠، ح ١٢٣٧٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٧، ح ١٠٣.

٣- قصص الأنبياء: ١٢٦ / ١٢٧.

٤- الضحى: ١٠.

فُسِّئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١) وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّهُ^(٢).

وروي: «أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا حَتَّى يَبْدَأَ فَيَتَصَدَّقَ بِمِثْلِهِ»^(٣).

وكان عليه السلام يلبس أفخر الملابس والثياب، فيلبس في الشتاء الخنز فإذا جاء الصيف تصدق به، أو باعه وتصدق بقيمته، فعن الوشاء عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ الْجُبَّةَ الْخَزَّ وَالْمُطْرَفَ الْخَزَّ وَالْقَلَنْسُوَّةَ الْخَزَّ فَيَشْتُو فِيهِ، وَيَبِيعُ الْمُطْرَفَ فِي الصَّيْفِ وَيَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٤)»^(٥).
وروي: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْبَسُ الْكِسَاءَ الْخَزَّ فِي الشِّتَاءِ، فَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ بَاعَهُ وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَكُلَ ثَمَنَ ثَوْبٍ قَدْ عَبَدْتُ اللَّهَ فِيهِ»^(٦).

و«كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا انْقَضَى الشِّتَاءُ تَصَدَّقَ بِكِسَوَتِهِ، وَإِذَا انْقَضَى الصَّيْفُ تَصَدَّقَ بِكِسَوَتِهِ، وَكَانَ يَلْبَسُ مِنْ خَزِّ اللَّبَاسِ، فَقِيلَ لَهُ: تُعْطِيهَا مَنْ لَا يَعْرِفُ قِيمَتَهَا وَلَا يَلِيقُ بِهِ لِبَاسُهَا فَلَوْ بَعْتَهَا فَتَصَدَّقْتَ بِثَمَنِهَا؟ فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيعَ ثَوْبًا صَلَّيْتُ فِيهِ»^(٧).

وما كان الإمام عليه السلام ينتظر الفقراء حتى يأتوه، بل كان يذهب إليهم ويتصدق عليهم وهم في بيوتهم، فعن الإمام الباقر عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ»^(٨).

١- آل عمران: ٩٢.

٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦٣.

٤- الأعراف: ٣٢.

٥- الكافي: ج ٦ ص. ٤٥١ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ١٠٥.

٦- تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٣٦٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ١٠٥.

٧- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٤.

٨- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٧٧، ح ٨٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَكَانَ - يعني الإمام زين العابدين - لَا تَسْبِقُ يَمِينُهُ شِمَالَهُ، وَكَانَ يُقْبَلُ الصَّدَقَةُ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا السَّائِلَ». قِيلَ لَهُ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «لَسْتُ أَقْبِلُ يَدَ السَّائِلِ، إِنَّمَا أَقْبِلُ يَدَ رَبِّي. إِنَّهَا تَقَعُ فِي يَدِ رَبِّي قَبْلَ أَنْ تَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ»^(١).

وعنه عليه السلام أيضًا قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يُعْجَبُ بِالْعَنْبِ، فَدَخَلَ مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ شَيْءٌ حَسَنٌ، فَاشْتَرَتْ مِنْهُ أُمُّ وَلَدِهِ شَيْئًا وَأَتَتْ بِهِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ فَأَعْجَبَهُ، فَقَبِلَ أَنْ يُمَدَّ يَدُهُ وَقَفَ بِالْبَابِ سَائِلٌ، فَقَالَ لَهَا: احْمِلِيهِ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا مَوْلَايَ بَعْضُهُ يَكْفِيهِ، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ كُلَّهُ، فَاشْتَرَتْ لَهُ مِنْ عَدٍ وَأَتَتْ بِهِ، فَوَقَفَ السَّائِلُ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ فَاشْتَرَتْ لَهُ وَأَتَتْ بِهِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ وَلَمْ يَأْتِ سَائِلٌ فَأَكَلَ وَقَالَ: مَا فَاتَنَا مِنْهُ شَيْءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٢). ومن جوده وسخائه أيضًا أنه خرج من ماله مرتين، فتصدق بماله كله على الفقراء والمساكين، لما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّ أَبَاهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاسَمَ اللَّهَ مَالَهُ مَرَّتَيْنِ»^(٣).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يحث الناس على العطاء والصدقة، ويقول: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٤)، وعنه عليه السلام قال: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٥)، وفي ذلك مساعدة للفقراء والمحرومين، لأن الصدقة تدفع لهم.

وعن حق الصَّدَقَةِ، قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى

١- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٧٤، ح ٦٤.

٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٠.

٣- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٧٤، ح ٦٤.

٥- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٨، ح ٧٧.

الإشهادِ عليها، وكنت بما تستودعهُ سرًّا أو ثَقَّ مِنْكَ بما تستودعُهُ علانيةً، وتعلمُ
أنَّها تدفعُ البَلَايا والأَسقامَ عنكَ في الدنيا، وتدفعُ عنكَ النارَ في الآخرةِ»^(١).

٣- قضاء الديون:

ومن صور الجود والسخاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان يقضي ديون المديونين مهما بلغت، ويذكر المؤرخون كثيرًا من القصص في هذا الجانب، ومنها أن الإمام زين العابدين عليه السلام دَخَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عليه السلام: «مَا شَأْنُكَ؟». فَقَالَ: عَلِيَّ دَيْنٌ.

فَقَالَ لَهُ: «كَمْ هُوَ؟».

فَقَالَ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: «هُوَ عَلِيٌّ» فَالْتَزَمَهُ عَنْهُ^(٢).

ونحوه ما رواه الكليني بسنده: عَنْ أَبَانَ، عَنْ فَضِيلٍ وَ عُبَيْدٍ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا حَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ الْمَوْتَ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتِي وَمَنْزِلَتِي مِنْكُمْ، وَعَلِيٌّ دَيْنٌ، فَأَحِبُّ أَنْ تَضْمَنُوهُ عَنِّي».

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: أَمَّا وَاللَّهِ ثَلَاثُ دَيْنِكَ عَلَيَّ، ثُمَّ سَكَتَ وَسَكَتُوا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: عَلِيَّ دَيْنُكَ كُلُّهُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: أَمَّا إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْني أَنْ أَضْمَنَهُ^(٣) أَوَّلًا إِلَّا كَرَاهَةً أَنْ يَقُولُوا: سَبَقْنَا^(٤).

وبذلك أزاح الإمام زين العابدين عليه السلام عن محمد بن أسامة ثقل الدين

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤، ح ١.

٢- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٧. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١. صفة

الصفوة: ج ١، ص ٣٢٨. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤٢١. كشف الغمة: ج ٢، ص ٨١.

٣- في الوافي: /+ «كله».

٤- الكافي: ج ٨، ص ٣٣٢، ح ٥١٤. الوافي: ج ٣، ص ٧٦٦، ح ١٣٨٩؛ الوسائل: ج ١٨، ص ٤٢٣، ح

٢٣٩٦٧؛ البحار: ج ٤٦، ص ١٣٧، ح ٢٨.

عن عاتقه وسدّده عنه، مع أن هذا المبلغ في ذلك الزمان يعد مبلغًا كبيرًا جدًا، لكن الإمام لم يتردد في دفعه عنه.

٤ - إطعام عام:

ومن كرم الإمام زين العابدين عليه السلام وجوده: «أنه كان يطعم الناس إطعامًا عامًّا في كل يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر في داره»^(١).

٥ - إعالة مئة بيت:

ومن أوضح صور سخائه وجوده: أنه كان يعول مئة بيت من فقراء المدينة المنورة، ففي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام - في بيان سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام - : «وَلَقَدْ كَانَ يَعُولُ مِئَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ فَقَرَاءِ الْمَدِينَةِ»^(٢).

وفي رواية أحمد بن حنبل عن معمر، عن شيبه بن نعام قال: «أَنَّهُ كَانَ يَقُوتُ مِئَةَ أَهْلِ بَيْتٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقِيلَ كَانَ فِي كُلِّ بَيْتٍ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ»^(٣)، وهذا يعني أن مجموعهم يبلغ مئات الأفراد، وقد ضمن لهم الإمام العيش الكريم، وهو أشبه بما يسمى في عصرنا بـ «الضمان الاجتماعي»، إذ وفر لهم الإمام ما يسد حاجتهم بين أعوام (٦١ - ٩٥ هـ)، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام الإمام بالقضاء على الفقر، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وترسيخ ثقافة العطاء والكرم والسخاء عند الناس، وتنمية روح التكافل والتراحم الاجتماعيين في المجتمع.

٦ - لم يعرفوه حتى قبض:

١- نفحات من سيرة أئمة أهل البيت: ص ١٨٢.

٢- الخصال: ص ٥١٨ ح ٤، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٥٤ كلاهما عن حمران بن أعين، بحار

الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٢ ح ١٩.

٣- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٦. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١. حلية

الأولياء: ج ٢، ص ٤١٦.

من أعظم صور الإخلاص في الإحسان، والبر بالفقراء والأيتام والمحتاجين هو توفير مستلزماتهم الحياتية من مأكّل ومشرب وغيرها من دون إظهار الشخص المتبرع نفسه لهم، بل كان يعمل جاهداً على عدم معرفتهم له، فكان يحمل أكياس المواد الغذائية على كتفه ليلاً، ويطرق أبواب الفقراء، ويضعها وينصرف، ولم يعرفوا الشخص الذي كان يهتم بهم ويساعدهم إلا بعد أن مضى إلى ربه؛ إنه الإمام زين العابدين عليه السلام.

ورد عن محمد بن إسحاق قال: «إِنَّهُ كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ مَعَاشُهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا مَا كَانُوا يُؤْتُونَ بِهِ بِاللَّيْلِ»^(١). وفي كتاب الحلية، عن محمد بن زكريا قال: سمعت ابن عائشة يقول: قال أبي: سَمِعْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: «مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السَّرِّ حَتَّى مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(٢). وذكر الذهبي عن بعضهم أنهم كانوا يقولون: «مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السَّرِّ حَتَّى تَوَفَّى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ»^(٣).

وفي رواية محمد بن إسحاق: «أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا بَيْتًا يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِمْ، فَلَمَّا مَاتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ فَقَدُوا ذَلِكَ، فَصَرَّخُوا صَرْخَةً وَاحِدَةً»^(٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إِنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّالِمَاءِ، فَيَحْمِلُ الْجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَبَا بَابَا، فَيَقْرَعُهُ ثُمَّ يُنَاوِلُ مَنْ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُعْطِي وَجْهَهُ إِذَا نَاوَلَ فَقِيرًا لئَلَّا يَعْرِفَهُ»^(٥). وفي خبر: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ وَهَدَّاتِ الْعُيُونُ قَامَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَمَعَ مَا

١- صفة الصفوة: ابن الجوزي، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٢٦.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٨، ح ٧٧.

٢- حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٦.

٣- سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧.

٤- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٦. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٦.

٥- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٩، ح ٧٧.

يَبْقَى فِيهِ عَنْ قُوتِ أَهْلِهِ وَجَعَلَهُ فِي جِرَابٍ وَرَمَى بِهِ عَلَى عَاتِقِهِ، وَخَرَجَ إِلَى دُورِ الْفُقَرَاءِ وَهُوَ مُتَشَتَّمٌ وَيُفَرِّقُ عَلَيْهِمْ وَكَثِيرًا مَا كَانُوا قِيَامًا عَلَى آبَائِهِمْ يَنْتَظِرُونَهُ، فَإِذَا رَأَوْهُ تَبَاشَرُوا بِهِ وَقَالُوا: جَاءَ صَاحِبُ الْجِرَابِ»^(١).

ونقل الذهبي عن ابن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي قال: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَحْمِلُ الْخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَّبِعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٢).

وروى أبو نعيم الأصبهاني بسنده: عن أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده عن عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: «لَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَغَسَّلُوهُ جَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارِ سَوَادٍ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: كَانَ يَحْمِلُ جُرْبَ الدَّقِيقِ لَيْلًا عَلَى ظَهْرِهِ يُعْطِيهِ فَقَرَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ»^(٤).

وروى الشيخ الصدوق بإسناده: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: «لَمَّا وُضِعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى السَّرِيرِ لِيُغَسَّلَ، نُظِرَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَلَيْهِ مِثْلُ رُكْبِ الْإِبِلِ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ»^(٥).

وروى الزُّهْرِيُّ قَالَ: «لَمَّا مَاتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام فَغَسَّلُوهُ وَجَدَ عَلَى ظَهْرِهِ مَحْلٌ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَسْتَقِي لِضَعْفَةِ حَيْرَانِهِ بِاللَّيْلِ»^(٦).

وتشير أخلاقيات الإمام زين العابدين عليه السلام في تعامله الإنساني مع

١- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٦.

٢- سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١.

٣- حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٦.

٤- حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٦٧.

٥- علل الشرائع: ص ٨٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٦٦، ح ٢٩.

٦- حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤١٧.

الفقراء والأيتام والمساكين وغيرهم إلى المستوى الرفيع والراقي معهم، بعيداً عن أي أذى أو إساءة لهم، بل كان يحتفي ويرحب بهم ويكرمهم، فأعطى بسيرته العملية دروساً أخلاقية وإنسانية في ماهية وأخلاقيات العمل التطوعي والخيري الذي ينبغي أن نمارسه أثناء القيام بمهام العمل التطوعي في خدمة الفقراء والمحتاجين، وتنمية قيم التراحم الاجتماعي، وتعزيز ثقافة العطاء وفعل الخير في المجتمع.

رأفة الإمام زين العابدين عليه السلام بأعدائه

الرأفة والشفقة والرحمة بالأعداء تعبر عن أعظم الأخلاق، وقمة روح الإنسانية، ومنتهى قيم التسامح، وسمو النفس ورفعتها، ورحابة الصدر وسعته، ولين العريكة، وبعد الأفق والنظر، وحب الهداية لهم.

وقد جسّد تلك الأخلاق الراقية الإمام زين العابدين عليه السلام أجمل تجسيد، فكان من أخلاقه الرفيعة رأفته وشفقته ورفقه بأعدائه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظيم إنسانيته، وقوة نبذه، وشدة تسامحه، وسار في ذلك على نهج جده رسول الله ﷺ الذي عفا عن أهل مكة عندما فتحها وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، مع أنهم آذوه وأسأؤوا إليه، إلا أنه لم يعاملهم بالمثل، بل عفا عنهم وصفح عن إساءاتهم وتسامح عن أخطائهم ورأف بحالهم؛ كما سار على نهج جده أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يعفو عمن أساء إليه ويصفح عنهم ويرأف بهم، وكذا سار على نهج أبيه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في مواقفه النبيلة مع أعدائه، إذ أمر أهل بيته وأصحابه بسقي الماء لجنود الجيش الأموي الذي جاء لقتاله وحرّبه في موقف إنساني لا نظير له.

وعرف الإمام زين العابدين عليه السلام بالرأفة والشفقة والرحمة والإحسان إلى عامة الناس، ولم يقتصر ذلك على المحيطين به أو القريبين منه، بل إنه كان رؤوفاً ورحيماً حتى بأعدائه؛ وهو الأمر الذي أثّر فيهم، وجعل كثيراً منهم يغيّر نظرتهم للإمام ويعلن حبه ومودته له بعدما كان يعلن عداوته تجاهه.

قصص عن رأفته بأعدائه

سجلت لنا كتب التاريخ والحديث والسير مجموعة من القصص والشواهد التي تدل على رأفة الإمام زين العابدين عليه السلام وشفقته بأعدائه، وتسامحه معهم، ومنها:

١ - استمع له حتى أظهر ما في نفسه من العداوة:

ينقل قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) هذه القصة المعبرة عن رافة الإمام بأعدائه، فقد جاء إليه شيخ من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وأهلككم وقطع الفتنة، ثم انطلق. فقال له علي بن الحسين (عليهما السلام): «إني سكتُ لك حتى تكلمت وأظهرت ما في نفسك من العداوة، فاسكت لي كما سكتُ لك، فهل قرأت القرآن؟». قال: نعم.

قال: «هل وجدت لنا فيه حقاً دون خاصة المسلمين؟».

قال: لا.

قال: «فما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)؟».

قال: بلى.

قال: «أتدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإننا نحن هم».

قال: «أما قرأت: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^(٢)؟».

قال: نعم.

قال: «تدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإننا نحن هم».

قال: «أو ما قرأت في الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣)؟».

١ - الشورى: ٢٣.

٢ - الإسراء: ٢٦.

٣ - الأنفال: ٤١.

قال: نعم.

قال: «أتدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنّا نحن هم».

قال: «وهل قرأت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)؟»

قال: نعم.

قال: «هل تدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنّا نحن هم».

قال: إنكم أنتم هم؟!

قال: «نعم».

قال: «اللهمّ إنّي أتوب إليك، اللهمّ إنّي أبرأ من أعداء محمّد، والله ما شعرت بهذا ولقد قرأت القرآن منذ زمان»^(٢).

ونلاحظ في هذه القصة أن الإمام عليه السلام جعله يتكلم وهو يستمع إليه حتى يظهر ما في نفسه من العداوة والحقد، ويمتص ما في داخله من شحنات الكراهية والضغينة، ولم يقابله الإمام بالمثل من كلمات غير لائقة ومستفزة، وبعدما أنهى كلامه المشحون بالأحقاد والضغائن الناتجة من التضليل الإعلامي الأموي تجاه عترة النبي صلّى الله عليه وآله، طلب منه أن يستمع إليه كما سمعه بعدما أفرغ ما في جعبته من كلام مسيء. ثم أخذ الإمام يحاجج الرجل الشامي بالقرآن الكريم لأنه موضع إجماع المسلمين، فسأله الإمام: هل قرأت القرآن؟!

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- مكارم أخلاق النبي والأئمة: قطب الدين الراوندي، مكتلة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٧١ - ٢٧٢. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، دار أسوة للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ١٢٠.

وبعدما أجاب بنعم، أخذ الإمام يطرح عليه بعض الآيات التي نزلت في أهل البيت، فبدأ بآية المودة، ثم آية القربى، ثم آية الخمس، ثم آية التطهير، وفي كل مرة يسأله عن المقصودين بالآية؟ فيجيب بأنه لا يعلم، فيبين له الإمام قائلًا: «فإننا نحن هم»؛ فيتعجب الرجل لأنه كان واقع تحت التضليل الأموي الذي صوّر لهم أن عترة النبي ﷺ إنما هم خوارج، فيقول متعجبًا: إنكم أنتم هم؟!!

وأكد له الإمام ذلك بأنهم هم المقصودون بالآيات الكريمة، وأنها نزلت فيهم، وأنهم من عترة رسول الله ﷺ، وبعد أن عرف الرجل الشامي الحقيقة أعلن توبته للإمام، والتبرؤ من أعداء النبي ﷺ.

٢- أبوك الذي قتل المؤمنين!:

روى العياشي في تفسير سورة الأعراف بسنده: عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُسَاوِرِ الْهُمْدَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ: أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: أَبُوكَ الَّذِي قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ: «وَيْلَكَ، كَيْفَ قَطَعْتَ عَلَى أَبِي أَنَّهُ قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ؟». قَالَ: قَوْلُهُ: إِخْوَانُنَا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ! فَقَالَ: «وَيْلَكَ! أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟». قَالَ: بَلَى.

قَالَ: «فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(١) ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٢) فَكَانُوا إِخْوَانَهُمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عَشِيرَتِهِمْ؟».

١- هذه الجملة وردت في ثلاث موارد من القرآن الكريم في الآية: (٨٥) من سورة الأعراف: ٧، وفي الآية: (٨٤) من سورة هود: ١١، وفي الآية: (٣٦) من سورة العنكبوت: (٢٩).

٢- هذه الجملة مذكورة في الآية: (٧٣) من سورة الأعراف: (٧)، وفي الآية: (٦١) من سورة هود: ١١.

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَا، بَلْ فِي عَشِيرَتِهِمْ.
قَالَ: «فَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُهُمْ فِي عَشِيرَتِهِمْ، وَلَيْسُوا إِخْوَانَهُمْ فِي دِينِهِمْ».
قَالَ: فَرَجَّتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ^(١).

وفي هذه الحادثة نلاحظ أيضًا أن الإمام عليه السلام كان رؤوفًا بأعدائه، فأهل الشام كانوا مضللين بالإعلام الأموي المضلل الذي شوه صورة أهل البيت الأطهار، عبر بث الشائعات والدعايات ضدهم، فعندما قال له الرجل الشامي: أَبُوكَ الَّذِي قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ! والمقصود بأبيه هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام كما أشارت إلى ذلك روايات أخرى^(٢)، ولأن كلمة: «إِخْوَانُنَا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا» منسوبة إليه.

وقد تأثر الإمام من قول هذه الكلمة المضللة، فكيف يقتل الإمام المؤمنين وهو أمير المؤمنين؟! بل هو يدافع عنهم، وهم يقاتلون معه، ولكن الإعلام الأموي صَوَّرَ الموضوع بالعكس، وأن الإمام عليًا عليه السلام هو الذي يقتل المؤمنين، وليس معاوية! ولذا استنكر الإمام زين العابدين هذا القول، وقال لرجل من أهل البصرة: «لَا، وَاللَّهِ مَا قَتَلَ عَلِيٌّ مُؤْمِنًا وَلَا قَتَلَ مُسْلِمًا»^(٣). وعندما سأل الإمام الرجل الشامي: «وَيْلَكَ، كَيْفَ قَطَعْتَ عَلَى أَبِي أَنَّهُ قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ؟».

قال الرجل: قَوْلُهُ: «إِخْوَانُنَا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا»، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى بَغِيهِمْ!

فحاججه الإمام بالقرآن الكريم، واستدل عليه بآيات من القرآن المجيد ليبين له أن المقصود بالأخوة في كلام الإمام علي عليه السلام الأخوة في العشيرة وليس في الدين قائلًا له: «فَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُهُمْ فِي عَشِيرَتِهِمْ، وَلَيْسُوا إِخْوَانَهُمْ فِي دِينِهِمْ».
وهنا عرف الرجل خطأ كلامه، وقال للإمام: فَرَجَّتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ!

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص: ٢٠، ح ٥٣. مكارم أخلاق النبي والأئمة: الراوندي، ص ٢٧٠. بحار

الأنوار: ج ٨: ٤٦٤. البرهان ج ٢: ٢٥.

٢- راجع: بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٣٤٣.

٣- بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٣٤٣، ح ٣٢٧.

وبهذا التعامل الرؤوف واللين، وبالشفقة والرأفة بالأعداء، وتحمل كلامهم السيئ واستفزازاتهم له، وبيان خطأ كلامهم، والاستدلال عليهم بالقرآن الكريم الذي هو موضع وفاق وإجماع بين كافة المسلمين؛ استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يؤثر فيهم، ويحول مسارهم من العداوة إلى المحبة، ومن الكراهية إلى المودة.

إن علينا أن نتعلم من سيرته العطرة هذا الدرس العظيم في التعامل برحمة وشفقة ورأفة مع المسيئين والمخطئين حتى يغيروا مسارهم الخاطئ إلى المسار الصحيح.

الإمام زين العابدين عليه السلام والارتقاء بالعبيد

عرفت الشعوب والأمم الرق منذ زمن بعيد، وهو استملاك الإنسان للإنسان، وقد كان معمولاً بهذا الأمر قبل الإسلام وبعده، ولم تتخلص البشرية منه بشكل قانوني ورسمي إلا في القرن العشرين الميلادي. وقد شجّع الإسلام على تحرير العبيد وعتقهم، وذلك عبر أسلوبيين في غاية الأهمية والحكمة:

الأسلوب الأول: التشجيع على تحرير العبيد وعتقهم، واعتبار ذلك من أفضل القربات إلى الله تعالى. كما جعل عتق رقبة كفارة للعديد من الأخطاء والجنايات التي يرتكبها المسلم كالإفطار في شهر رمضان عمداً، وكفارة الحنث باليمين، وكفارة النذر، وكفارة قتل شخص عن طريق الخطأ... وغيرها.

الأسلوب الثاني: غلق كل المنافذ الموجبة إلى الاسترقاق، فقد سَدَّ الإسلام كثيراً من الأسباب والأساليب الموجبة للاسترقاق باستثناء حالة واحدة وهي التعامل بالمثل في الحروب، إذ إن المشركين والكفار كانوا يسترقون الأسرى المسلمين ما دفع إلى التعامل معهم بالمثل، كما يجوز التعامل مع الأسرى بالمثل والفداء كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتَّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(١).

فالإسلام كان يشجع على تحرير العبيد من جهة، ومن جهة أخرى كان يعتبر الاتجار بالبشر من أبغض التجارات وأشدّها كراهية.

الإمام والموالي

إن ظاهرة الموالى (العبيد) من الظواهر البارزة في كثير من المجتمعات البشرية، وخاصة في القرون الماضية، إذ كانت ظاهرة العبيد من الظواهر

المنتشرة، ومن العادات المقبولة في الوسط الاجتماعي، ويُستفاد منهم في الخدمة والعمل في المنازل والبيوت، وخاصة بيوت الأشراف وأهل الجاه والمال. وفي عهد الإمام زين العابدين عليه السلام انتشر العبيد بكثرة في المجتمع، نتيجة دخول المسلمين إلى بلاد أخرى، والتوسع في الرقعة الجغرافية، إذ إنه «في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عاصر حكم عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك، توجّه عبد الملك بن مروان وبالذات بعد قضائه على الحركة الزبيرية في الحجاز والعراق، توجّه صوب توسعة الرقعة الإسلامية وخاصة في أفريقيا، وتمكّن من أن يغنم من الأموال ما لا يعد من الذهب والمجوهرات، حتى كانت عبارات المؤرخين (ما الله أعلم به)»^(١).

وفي الأندلس تمكن طارق بن زياد وموسى بن نصير من العثور على مائدة وعرش سليمان، وهذه الثروة بطبيعتها ترفع من المستوى المعاشي للمجتمع وخاصة أصحاب الوجاهة والرموز الاجتماعية في الأمة، حيث يدفع لهم الحاكم الهدايا والعطايا ويقضي حوائجهم، هذا فضلاً عن العطاء الثابت سنوياً.

وكذلك غنم المسلمون من هذه البلاد أكثر من ستين ألف مسبي، وتحوّل كل هؤلاء إلى موالٍ بداخل الأمة^(٢)، ونص عبارة ابن الأثير هي: «بلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي، ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا»^(٣).

وعندما عاد الجيش الإسلامي إلى دمشق جلب معه ثلاثين ألف جارية بكر كما جاء عن بعض المؤرخين.

وهذا الأمر فرض وجود أعداد كبيرة من الإماء والجواري والموالي

١ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٧٧. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٩.

٢ - موسوعة الإمام زين العابدين: الشيخ محسن الحسيني، ج ٢، ص ١٦٦.

٣ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٥٢.

في بيوت ومجتمع المسلمين، وترتب عليه العديد من الآثار الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والتربوية؛ الأمر الذي كان يتطلب معالجات جادة وفي أبعاد مختلفة.

وقد تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام تعاملًا إنسانيًا وأخلاقيًا راقياً مع فئة العبيد، وبذل جهده للارتقاء بهم علمياً ودينياً وأخلاقياً حتى تحوّل العديد منهم إلى أعضاء فاعلين ومؤثرين في المجتمع المسلم. ومع النظرة الدونية للعبيد من قبل الأوساط الاجتماعية في المدن الإسلامية، ومنها المدينة المنورة؛ إذ كان الأهالي لا يرغبون في التزوج من الإماء والإنجاب منهن، إلا أن الإمام عمل بجهد على تغيير تلك النظرة السلبية لهم، وقد تزوّج منهن مع مكانته وشرفه ومقامه الرفيع.

«وقد كانت ظاهرة الإنجاب من الموالى غير مرغوب فيها من قبل أهل المدينة للوضع الاجتماعي الذي كان آنذاك، ومن أهم أسبابه هو عدم الرغبة في أن يكون الولد وفيه عرق غير عربي، وكانوا يرون أن ذلك يؤثر على موقع الابن بين الأمة في كفاءته أو احترام الناس إليه، حتى كان موقع الامام زين العابدين عليه السلام، فتغيرت نظرهم لذلك»^(١).

«وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي، وفاق أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً، فرغب الناس حينئذٍ في السراي»^(٢).

وقد كسر الإمام زين العابدين عليه السلام ظاهرة عدم الزواج من الإماء، فتزوَّج أمته، وهو ابن بنت رسول الله ﷺ، ولا يدانيه في النسب والحسب أحد؛ ما شجع الآخرين على التزوج منهن، بل الإنجاب أيضاً.

١ - موسوعة الإمام زين العابدين: الشيخ محسن الحسيني، ج ٢، ص ١٦٦.

٢ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٢٠، ص ٥٧. عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، ج ٤، ص ١٠.

التعامل الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بإنسانية وأخلاق رفيعة مع العبيد والإماء، ونركز البحث حول ذلك في النقاط الآتية:

١ - تعليم العبيد:

اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام كثيرًا بمسألة تربية العبيد على القيم الدينية والأخلاقية، وتعليمهم أهم مسائل وأحكام الإسلام، ثم عتقهم بعد ذلك.

وقد دفع هذا الأمر بهؤلاء العبيد إلى الولاء للإمام زين العابدين عليه السلام والبقاء على ولائهم وخطهم العقائدي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، والوفاء للإمام عليه السلام بالدفاع عنه، ورفض التعرض له بأي سوء.

٢ - تزوج الإماء والإنجاب منهن:

كان للروح القبلية والعصية القومية والأعراف الجاهلية أثرها السلبي في التعامل مع الموالى والإماء، ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام تجاوز كل تلك الأعراف والتقاليد العربية المتوارثة من الجاهلية، وتزوج بنفسه الشريفة من الإماء مع ماله من مقام رفيع، ومنزلة علمية متقدمة، ونسب عربي أصيل؛ لأنه أراد أن يثبت الأحكام الشرعية، ومقاصد الإسلام الكبرى، وتخليص المجتمع من الروح الطبقية والقبلية الخاطئة.

وحاول الأمويون النيل من مقام الإمام زين العابدين عليه السلام، والتقليل من مكانته، والغمز فيه لزواجه من أمته، إلا أن الإمام عليه السلام أجابهم بمنطق الإسلام القوي والواضح؛ فرصد عيون عبد الملك بن مروان الذين بثهم والي المدينة لمراقبة قادة الأمة ورموزها وعلى رأسهم الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قد تزوج أمته.

روى الكليني بسنده عن يزيد بن حاتم، قال: كَانَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

عَيْنُ بِالْمَدِينَةِ، يَكْتُبُ إِلَيْهِ بِأَخْبَارِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَعْتَقَ جَارِيَةً، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، فَكَتَبَ الْعَيْنُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي تَرْوِيحُكَ مَوْلَاتِكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِي أَكْفَائِكَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ تَمَجَّدَ بِهِ فِي الصُّهْرِ، وَتَسْتَنْجِبُهُ فِي الْوَلَدِ، فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرَتْ، وَلَا عَلَى وَلَدِكَ أَبْقَيْتَ، وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ رَدًّا قَوِيًّا مدعماً بالدليل والحجة، وبمنطق الإسلام، وهذا نص كتابه:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعَنِّفُنِي^(٢) بِتَرْوِيحِي مَوْلَاتِي، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ فِي نِسَاءِ قُرَيْشٍ مَنْ أَمْتَجَّدَ بِهِ فِي الصُّهْرِ، وَأَسْتَنْجِبُهُ فِي الْوَلَدِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْتَقَى فِي مَجْدٍ، وَلَا مُسْتَرَاذٌ فِي كَرَمٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكٌ يَمِينِي، خَرَجْتُ مَتَى أَرَادَ اللَّهُ^(٣) - عَزَّ وَجَلَّ - مِنِّي بِأَمْرِ التَّمَسُّ بِهٖ ثَوَابِهِ، ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سُنَّةٍ، وَمَنْ كَانَ زَكِيًّا فِي دِينِ اللَّهِ، فَلَيْسَ يُحِلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْحَسِيصَةَ، وَتَمَّمَ بِهِ النِّقِيصَةَ، وَأَذْهَبَ اللَّؤْمَ، فَلَا لُؤْمَ عَلَى أَمْرِي مُسْلِمٍ، إِنَّمَا اللَّؤْمُ لُؤْمُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالسَّلَامُ».

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ، فَقَرَأَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَشَدَّ مَا فَخَرَ عَلَيْكَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ أَلَسَنُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي تَقْلِقُ الصَّخَرَ،

١- الأكفاء: الأمثال والنظائر، جمع الكفء، وهو النظير والمساوي والمثل. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١٣٩؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ١١٧ (كفأ).

٢- التعنيف: التوبيخ، والتقريع، واللؤم، والعتاب. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٣٠٩ (عنف).

٣- في المرأة: «قوله عليه السلام: أراد الله، جملة معترضة تعليلية، أي خرجت مني بأمر التمسست بذلك الأمر ثوابه؛ لأن الله أراد وطلب مني ذلك. ويحتمل أن يكون قوله: «بأمر» متعلقاً بقوله: «أراد»، أي أمرني بذلك، والضمير في قوله: «به» راجعاً إلى الإخراج أو الخروج».

وَتَعْرِفُ مِنْ بَحْرِ. إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - يَا بُنَيَّ - يَرْتَفِعُ مِنْ حَيْثُ يَتَّضِعُ النَّاسُ^(١).

وينقل لنا التاريخ أيضًا حوارًا ساخنًا بين زيد بن علي عليه السلام وهشام بن عبد الملك الأموي، إذ إنه دَخَلَ زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ هِشَامُ أَهْلَ الشَّامِ وَأَمَرَ أَنْ يَتَضَايِقُوا فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى لَا يَتِمَكَّنَ مِنَ الْوُضُوءِ إِلَى قُرْبِهِ.

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يُوصَى بِتَقْوَى اللَّهِ، وَلَا مِنْ عِبَادِهِ أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُوصَى بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنَا أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاتَّقِهِ.

فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: أَنْتَ الْمُؤَهَّلُ نَفْسَكَ لِلْخِلَافَةِ، الرَّاجِي لَهَا؟ وَمَا أَنْتَ وَذَلِكَ لَا أُمَّ لَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ ابْنُ أُمَةٍ!

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلَةً مِنْ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ وَهُوَ ابْنُ أُمَةٍ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَقْصُرُ عَنْ مُتَهَيِّ غَايَةٍ لَمْ يُبْعَثْ، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَالنُّبُوَّةُ أَعْظَمُ أَمْ الْخِلَافَةُ يَا هِشَامُ؟ وَبَعْدُ فَمَا يَقْصُرُ بِرَجُلٍ أَبَوْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ ابْنُ أُمَةٍ؟!^(٢).

فالأمويون يتحدثون بمنطق الجاهلية، حيث العصبية والاستعلاء، بينما الإمام زين العابدين عليه السلام وابنه زيد يتحدثان بمنطق الإسلام الذي حطَّم الأعراف والعادات الجاهلية المقيتة.

٣- التسامح مع العبيد:

اتصف تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد والإماء بالرحمة والعفو والإحسان والصفح والتواضع والتسامح معهم.

١ - الكافي: الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٣٤٨، ح ٤. الوافي: ج ٢١، ص ٩٣، ح ٢٠٨٦٤؛ الوسائل: ج ٢٠، ص ٧٢، ح ٢٥٠٦٣؛ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٦٤، ح ٦.

٢ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٢٩ - ١٣٠. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج ٢، ص ١٧٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ١٨٦ - ١٨٧، ح ٥٢. وليس في الأخيرين: أَنْ يَكُونَ ابْنُ أُمَةٍ.

وقد سجل لنا التاريخ كثيرًا من القصص والشواهد على ذلك، ومنها:

أ- إِنَّ مَوْلَى لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَتَوَلَّى عِمَارَةَ ضَيْعَةٍ لَهُ، فَجَاءَ لِيَطْلِعَهَا فَأَصَابَ فِيهَا فَسَادًا وَتَضْيِيعًا كَثِيرًا، غَاظَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَاهُ وَغَمَّهُ، فَقَرَعَ الْمَوْلَى بِسَوْطٍ كَانَ فِي يَدِهِ فَأَصَابَ وَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، أَرْسَلَ فِي طَلَبِ الْمَوْلَى فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ عَارِيًا، وَالسَّوْطَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ عُقُوبَتَهُ فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّوْطَ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا هَذَا قَدْ كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنِّي مِثْلُهُ، وَكَأَنْتَ هَفْوَةٌ وَزَلَّةٌ، فَدُونِكَ السَّوْطَ وَاقْتَصَصْ مِنِّي.

فَقَالَ الْمَوْلَى: يَا مَوْلَايَ، وَاللَّهِ إِنْ ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّكَ تُرِيدُ عُقُوبَتِي، وَأَنَا مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَكَيْفَ أَقْتَصُّ مِنْكَ؟! قَالَ: وَيُحْكُ أَقْتَصَّ!

قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، أَنْتَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ، فَكَّرَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَرَارًا، وَالْمَوْلَى كُلَّ ذَلِكَ يَتَعَاضَّمُ قَوْلَهُ وَيُحَلِّلُهُ، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ يَقْتَصُّ لَهُ، قَالَ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ، فَالضَّيْعَةُ صَدَقَةٌ عَلَيْكَ، وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا^(١).

ب- جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيُّ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهَ، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأْسَهُ إِلَيْهَا.

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي.

قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

قَالَ لَهَا: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ.

قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٨ مستدرک الوسائل: النوري الطبرسي، ج ١٨، ص ٢٨٨، ح ٢٢٧٧٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٩٤.

قَالَ: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ^(١).

ت- دَعَا عَلِيٌّ بَنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، أَمَا سَمِعْتَ صَوْتِي؟
قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَمَا لَكَ لَمْ تُجِبْنِي؟

قَالَ: أَمِنْتُكَ!

قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَمْلُوكِي يَأْمَنُنِي^(٢).

وهذه القصص تدل على تسامح الإمام زين العابدين عليه السلام وتعامله بلطف ورفق وعفو وإحسان وإنسانية لا نجد لها مثيلاً ولا نظيراً إلا عند جده رسول الله ﷺ وآبائه الطاهرين.
٤- عتق العبيد سنوياً:

اتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام منهجَ تحرير العبيد؛ فكان يقيم محفلاً سنوياً لعتقهم من أجل نيل الثواب والأجر، وأيضاً تشجيع الآخرين على العتق؛ وذلك لتحقيق حرية الإنسان والتخلص من العبودية.

وكان الإمام عليه السلام يشتري كثيراً من العبيد ويعيشون معه مدة من الزمن، ثم يطلق سراحهم ويعتقهم ليعيشوا أحراراً.

فقد روي «وَمَا مِنْ سَنَةٍ إِلَّا وَكَانَ يُعْتَقُ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ رَأْسًا إِلَى أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرَ...»^(٣).

وما استخدم خادماً فوق حول، وكان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق، واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق. كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى.

١- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٨. مستدرک الوسائل: النوري

الطبرسي، ج ١، ص ٣٤٥، ح ٨٠١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٦٨، ح ٣٦.

٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٧. تاريخ مدينة دمشق: ابن

عساكر، ج ٤١، ص ٣٨٧. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٥٦، ح ٦.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ١٠٥.

ويظهر من بعض الروايات أن الإمام كان يقيم مهر جانين لعتق العبيد سنوياً: الأول في نهاية شهر رمضان، والثاني بعد الانتهاء من الوقوف بعرفة، إذ كان يقتنيهم مع قرب موسم الحج، ويعتقهم في اليوم التاسع من ذي الحجة. ونتيجة لهذا التعامل الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام أصبح له كثير من المؤيدين في هذه الشريحة الاجتماعية، ووقفوا معه في العديد من المواقف الصعبة كوقوفهم مع ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ضد الأمويين، ودفاعهم عن الإمام زين العابدين عليه السلام ضد من يحاول النيل منه، أو الانتقاص من مكانته، وحافظ كثير منهم على ولائهم للإمام عليه السلام، وتمسكهم بمنهجه العقائدي والديني والفكري لما رأوه من تعامل إنساني رفيع، ولما وجدوا عنده من أخلاق راقية وإنسانية لم يجدوا مثلها في أي مكان آخر.

لقد غير الإمام زين العابدين عليه السلام بتعامله الإنساني والأخلاقي النبيل مع العبيد حياة كثير منهم، واستطاع دمجهم في المجتمعات المسلمة، وكسب محبتهم وقلوبهم وعقولهم؛ ما جعلهم قوة إضافية لقوة المسلمين، وأتباع مدرسة أهل البيت الأطهار.

خلاصة الباب الثاني

الباب الثاني من هذا الكتاب كان موسومًا بـ «السيرة الروحية والأخلاقية للإمام زين العابدين (عليه السلام)»، ويقع في فصلين، وهما:

١ - الفصل الأول كان بعنوان: «السيرة الروحية للإمام زين العابدين (عليه السلام)» وتضمن البحث في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) المعنوية والروحية؛ إذ أكد معاصروه على أنه كان من أكثر الناس عبادة في زمانه، وأنه كثير العبادة والصلاة والتهجد والدعاء والبكاء، وقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، ويكفي أن نعلم أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة؛ كما اشتهر (عليه السلام) بين الخاصة والعامة بكثرة عباداته، وبطول سجداته لله تعالى، وبصلواته المتتالية، ووقوفه الطويل بين يدي ربه سبحانه؛ حتى لقب بزين العابدين وسيد الساجدين.

وللإمام زين العابدين (عليه السلام) حالات خاصة ومواقف مشهودة عند التهيؤ للعبادة والصلاة؛ فكان (عليه السلام) شديد الخوف والخشية من الله تعالى عندما يتهيأ ويستعد للقاء الله سبحانه، وكان من شدة خوفه وخشيته من الله عز وجل أنه كان يصفّر لونه عند الوضوء، وإذا قام إلى الصلاة ارتعدت فرائصه؛ لأنه يستشعر وقوفه بين يدي الملك الجبار، وكان (عليه السلام) أثناء الانشغال بأداء الصلاة ينقطع بكامل مشاعره وجوارحه وكيانه إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يلتفت إلى شيء آخر، ولا يشغله عنها شاغل، بل يكون بكل وجوده وقلبه مع خالقه عز وجل.

وكان كثير السجود، وإذا سجد أطال في سجوده، يدعو ربه ويناجيه، ويبكي بكاءً شديدًا حتى كأنه غُمسَ في الماء من كثرة دموعه وبكائه؛ فلُقّب بسيد الساجدين.

لقد ذاب الإمام في الله تعالى، فكان مشغولاً في معظم أوقاته بالدعاء والصلاة والعبادة، ولسانه يلهج في كل وقت بذكر الله وتسييحه وتحميده، لا

يهتم بطعام ولا شراب. يقضي نهاره بالصوم وليله بالصلاة والعبادة والدعاء. وكان من اجتهاده في العبادة أنه لا يترك النوافل، فإن فاته شيء منها قضاهما، وكان عليه السلام لا يدع صلاة الليل أبداً سواء كان في سفر أم في حضر. ثم تطرقنا في هذا الفصل إلى اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام الكبير بفريضة الحج؛ لأنه ركن من أركان الإسلام، ودعامة رئيسة من دعائمه الكبرى؛ ولذا كان الإمام عليه السلام يحج في كل عام تقريباً، وذكر بعض الرواة أنه حج أربعين حجة قربة إلى الله تعالى.

وكان الإمام عليه السلام ملازماً للحج، وله مواقف ومشاهد عظيمة في أدائه لهذه الفريضة، فقد كان يذهب إلى الحج (في بعض حججه) ماشياً على قدميه، خاشعاً ومتذللاً لله عز وجل، طالباً الأجر والثواب، والانقطاع التام إليه، والتقرب منه.

ولم يكن ذهابه إلى الحج مشياً على قدميه عن قلة راحلة، بل كان ترويضاً للنفس ومجاهدتها، وتركيزاً للفؤاد، وتعظيماً للحج؛ فهو ركن من أركان الدين، ودعامة من دعائم الإسلام، وعنصر قوة للمسلمين، ورمز لوحدهم واتحادهم.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتأثر ويتغير حاله عند الإحرام، وربما يغشى عليه من شدة خشيته وخوفه من الله تعالى، وكان عليه السلام يقضي وقته في المسجد الحرام بين صلاة وطواف ودعاء وبكاء، ويؤدّي صلاته بكل خشوع وخضوع وتذلل وسكينة، وكان يدعو الله عند الميزاب ويبكي بكاءً شديداً. وكان عليه السلام يجتهد في الصلاة في البيت الحرام والقيام حتى تورّمت قدماه، وكان يناجي ربه عند الكعبة المشرفة وهو يبكي، وكان الإمام عليه السلام في هذا المكان الطاهر يتعلق بأستار الكعبة الشريفة، ويدعو الله سبحانه ويناجيه بحرقة ولهفة في سحر الليالي، وقد أثرت عنه مناجاة عديدة في هذا المكان الذي هو من أماكن استجابة الدعاء.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام -بالإضافة لأدائه مناسك الحج، وانقطاعه إلى الله تعالى- يُعَلِّم الناس كيفية أداء الحج بصورة صحيحة، وتعليمهم طريقة الدعاء والمناجاة إلى الله تعالى في البيت الحرام، وفي المشاعر الطاهرة.

كما كان عليه السلام يستثمر وجوده في الحج للالتقاء بجموع المسلمين القادمين للحج من كل مكان، وتعريفهم بأحكام الدين، وتبيين معالم الإسلام ومفاهيمه، وحثهم على الالتزام والعمل بها.

ثم تحدثنا في هذا الفصل عن أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد أثر عنه مجموعة كبيرة من الأدعية الشريفة، وقد جمعت تحت عنوان «الصحيفة السجادية»، وتحتوي هذه الصحيفة على كنوز من المعارف الإسلامية، إذ احتوت على مفاهيم عميقة ومضامين مهمة في العقائد والمعارف الدينية، ومنظومة الأخلاق، وقيم التربية والسلوك.

واستخدم الإمام زين العابدين عليه السلام الدعاء وسيلة للتربية، ومنهجاً لصناعة الوعي عند الإنسان، فاستطاع عليه السلام أن يربي جيلاً من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين والمفسرين على فضائل الأخلاق ومكارمها، مركزاً في تربيته على وسيلة الدعاء، وتخرج من مدرسته العلمية أساطين في العلم والمعرفة، وقادة رأي وفكر، وقمم شامخة في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

والصحيفة السجادية (والتي تضم أهم أدعيته) لم تقتصر على المناجاة والدعاء والتضرع والخشوع لله تعالى وحسب، وإنما اشتملت أيضاً على كنوز من العلوم والمعارف الإسلامية بما احتوته من المسائل والقضايا العقائدية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية وغيرها.

وعُرفت الصحيفة السجادية بـ «زبور آل محمد» وبـ «إنجيل أهل البيت عليهم السلام»؛ لما تضمنته هذه الصحيفة من أدعية احتوت على جوامع الكلم، وغرر الحكم، وجواهر الفكر، فكانت ولا زالت تعدُّ مدرسة في تربية النفوس، وتزكية القلوب، وإثراء العقول.

وتحتوي أدعية الصحيفة السجادية على معانٍ ودلالات تربوية مهمة، كما تضمنت إرشادات أخلاقية وسلوكية وروحية لتربية الإنسان على الفضائل النفسية، والكمالات المعنوية، والأخلاق الفاضلة.

وتميّز الإمام زين العابدين عليه السلام في سيرته الروحية بكثرة ما روي عنه من أدعية ومناجاة لله تعالى، وحظيت أدعيته بالشهرة والانتشار لما تميزت به من أسلوب بلاغي جميل وأدب عربي فصيح؛ ما كان له وقع كبير في النفوس والقلوب، ومؤثر في العقول والألباب، ويكفي المرء أن يقرأ ما في الصحيفة السجادية من أدعية مأثورة ليجد أثر ذلك على نفسه، وقد نقلنا نماذج من جواهر أدعيته الشريفة.

وكان الإمام عليه السلام يعبر عن آرائه التربوية والأخلاقية والعقائدية والثقافية والعلمية عبر الأدعية الشريفة التي كان يتلوها آناء الليل وأطراف النهار، وهي تشكّل بمجموعها منظومة متكاملة لتربية الإنسان تفكيراً وفكراً وسلوكاً ومنهجاً.

٢- الفصل الثاني كان موسوماً بـ«السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام». تركّز فيه البحث على مكارم أخلاقه الفاضلة، إذ عُرف عليه السلام بين الخاصة والعامة بالأخلاق الحسنة، وطيب المعاشرة، ولين التعامل، والزهد في الدنيا، وسعة الحلم، والصبر على المكاره، وكثرة الكرم والجود، والرافة بالأعداء، والارتقاء بالعبيد.

وقد جسّد الإمام زين العابدين عليه السلام في سيرته الأخلاقية مكارم الأخلاق وقيم الإنسانية النبيلة في أعلى مراتبها؛ فكان مثلاً رائعاً وأنموذجاً متميزاً في تجسيد مكارم الأخلاق وفضائلها، وفي التزين بالآداب الإسلامية والقيم الإنسانية العليا.

وفصلنا الكلام عن أهم أخلاقياته، وبدأنا الحديث في هذا الفصل عن زهده في الدنيا، فاشتهر الإمام عليه السلام في زمانه بأنه كان من أزهد الناس

بلا منازع، وعُرف بشدة زهده في الدنيا، ورغبته في الآخرة؛ فأعرض عن جميع مباحج الحياة ومغرياتها، وزهد عن زخارفها وزينتها ومتعها وملذاتها، واقتصر على الضروري الأقل الذي لا يستغنى عنه من المأكَل والمشرب والملبس والمسكن وغيرها من ضروريات الحياة ولوازمها.

والإمام عليه السلام لم يكن يحث الناس على الزهد فحسب، وإنما كان يجسّد تلك الخصلة الأخلاقية أقوى تجسيد؛ فكان من أكثر الناس زهداً في الدنيا، وأشدّهم إعراضاً عنها وعن مباحجها ومتعها، ولم يكن يحفل بها ولا بمغرياتها وزينتها، وكان همّه الأكبر رضا الرب سبحانه وتعالى، والرغبة في الآخرة.

وكان الإمام عليه السلام يعظ الناس كثيراً، ويحثهم على الزهد في الدنيا، والابتعاد عن التعلق بمغرياتها وزينتها، والرغبة في الآخرة ونعيمها، فكان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويعظهم، ويرغبهم في الزهد؛ وإذا وعظ الناس عن الزهد بكى وأبكى الحاضرين؛ لأن كلامه كان يصدر من قلب إنسان في غاية الزهد والتقوى. ثم انتقلنا للحديث عن سعة حلمه، وكان من أعظم صفاته البارزة الحلم، فكان عليه السلام عظيم الحلم، كثير التحمل، يقابل الإساءة بالحلم، والسيئة بالحسنة، والإهانة بالعفو، والكلام الفظ بكلام رقيق، والاستفزاز بالتغافل، والحمق بالتجاهل.

ويعد التغافل من أعظم أنواع الحلم، ولذا كان الإمام عليه السلام يتغافل عن المسيئين له، وهذا ما فعله مع أحد المسيئين له، فمع علمه بتعمد إساءته له لكنه تغافل عنه وأغضى عن إساءته؛ لأن التغافل يؤدي إلى العيش براحة واطمئنان وسعادة.

ثم عرجنا بالحديث عن صبره، فقد عُرف الإمام عليه السلام بالصبر، وجسّد عليه السلام فضيلة الصبر أجمل تجسيد، وضرب أروع الأمثلة على الصبر الجميل، وتحمل من الخطوب والبلايا والمحن ما يعجز عن مثله أعظم الرجال وأكابر الأولياء والصالحين.

واتصف الإمام زين العابدين عليه السلام بشدة الصبر على المحن والخطوب والبلايا، ومن أعظمها ما رآه بأم عينيه في كربلاء؛ إذ رأى المصائب والمآسي التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية، فقد قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من عترة النبي ﷺ والصفوة من أصحابه أبشع قتلة، فلم يترك الجيش الأموي صغيراً ولا كبيراً، ولم يرحموا شيخاً طاعناً في السن ولا طفلاً رضيعاً، ولم يكتفوا بالقتل الشنيع، بل حرقوا الخيام، وروّعوا النساء والأطفال؛ ولذا كان عليه السلام دائم الدمعة والبكاء ليذكر الناس بيوم عاشوراء ومأساة كربلاء الدامية.

وهذا البكاء ليس خلاف الصبر، بل تعبير عما لاقاه من محن وبلايا وصبر عليها مع صعوبة ذلك، وكان هدفه من البكاء استثارة عواطف الناس ضد الحكم الأموي الذي قتل سيد الشهداء ومن معه، وحتى تبقى واقعة كربلاء حاضرة في وجدان المجتمع مهما تقادم الزمان، وهذا ما تحقق بالفعل نتيجة سلوك الإمام وندبه المستمر لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

ومن أشد المحن والخطوب بعد واقعة كربلاء التي ابتلي بها الإمام زين العابدين عليه السلام محنة الأسر مع عقائل النبوة، والطواف بهن من شارع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، وإدخاله على ابن زياد، ثم على يزيد بن معاوية مع إظهار الشماتة به ومن كان معه من أهل البيت الأطهار؛ لكن الإمام عليه السلام كان في غاية الصبر والتحمل، متوكلاً على الله تعالى، وموَكَّلاً أمره إليه سبحانه، مع رباطة جأش وقوة إباء وعزة نفس؛ فلم يستسلم أمام طواغيت زمانه، وكان يواجههم بقوة المنطق وصلابة الإيمان دون خوف أو وجل منهم.

وبعد ذلك تطرقنا في هذا الفصل إلى صفة أخرى من صفاته الأخلاقية الحميدة، وهي صفة الكرم والجود، واهتمامه بالفقراء والأيتام والمحتاجين؛ فاشتهر الإمام زين العابدين عليه السلام بالكرم والجود والسخاء والعطاء، والبر والإحسان إلى الفقراء والأيتام والمعوذين والمحتاجين، فكان عليه السلام من أسخى

الناس وأكرمهم، وأنداهم كفاً، وأكثرهم جوداً، وأشدهم برّاً ورحمة بالفقراء واليتامى والمساكين، وكان يحب مجالستهم ومصاحبتهم.

وتعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بأجلى وأنقى صور الإنسانية التي قلّ نظيرها في التعامل مع الفقراء والأيتام والمساكين والمحتاجين، وجسّد مفهوم الإنسانية عملياً في سيرته الأخلاقية الرفيعة معهم، وقد نقلنا بعض الشواهد والنماذج على ذلك.

وكان الإمام عليه السلام كثير العطف والرأفة والحنان على الفقراء والمساكين والضعفاء، وكان يسرّه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والفقراء والمرضى الذين لا حيلة لهم، ويناولهم الطعام بيده المباركة؛ ويحمل للفقراء والمساكين والأيتام الطعام أو الخطب على ظهره حتى يأتي باباً باباً من أبوابهم فيناولهم إياه. ثم عرجنا في هذا الفصل نحو صفة أخرى من صفاته الأخلاقية النبيلة، وهي رأفته بأعدائه؛ إذ عرف الإمام عليه السلام بالرأفة والشفقة والرحمة والإحسان إلى عامة الناس، ولم يقتصر ذلك على المحيطين به أو القريين منه، بل إنه كان رؤوفاً ورحيماً حتى بأعدائه؛ وهو الأمر الذي أثار فيهم، وجعل كثيراً منهم يغيّر نظرتهم للإمام عليه السلام ويعلن حبه ومودته له بعدما كان يعلن عداوته تجاهه، وقد ذكرنا بعض الشواهد والقصص على ذلك.

وختمنا هذا الفصل بالحديث عن تعامله الإنساني مع العبيد والإماء، وعن رحمته ورأفته وعطفه وتسامحه معهم، والعمل على الارتقاء بهم تربوياً وأخلاقياً وعلمياً، فقد تعامل الإمام عليه السلام معهم تعاملًا إنسانياً وأخلاقياً راقياً، وبذل جهده للارتقاء بهم علمياً ودينياً وأخلاقياً حتى تحوّل كثير منهم إلى أعضاء فاعلين ومؤثرين في المجتمع المسلم بعدما كانوا طاقة مهمة وشريحة مهمشة. ومع النظرة الدونية للعبيد من قبل الأوساط الاجتماعية في المدن الإسلامية، ومنها المدينة المنورة حيث كان الأهالي لا يرغبون في التزوج من الإماء والإنجاب منهن؛ إلا أن الإمام عمل بجهد على تغيير تلك النظرة

السلبية لهم، فتزوج منهن مع مكانته وشرفه ومقامه الرفيع.

وكسر الإمام زين العابدين عليه السلام ظاهرة عدم الزواج من الإماء، فتزوج أُمّته، وهو ابن بنت رسول الله ﷺ، ولا يدانيه في النسب والحسب أحد؛ ما شجع الآخرين على الزواج منهن، بل الإنجاب أيضًا.

واهتم الإمام عليه السلام كثيرًا بمسألة تربية العبيد على القيم الدينية والأخلاقية، وتعليمهم أهم مسائل وأحكام الإسلام، ثم عتقهم بعد ذلك.

ودفع هذا الأمر بهؤلاء العبيد إلى الولاء للإمام زين العابدين عليه السلام، والبقاء على ولائهم وخطهم العقائدي لمدرسة أهل البيت عليه السلام، والوفاء للإمام عليه السلام بالدفاع عنه، ورفض التعرض له بأي سوء.

واتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام منهج تحرير العبيد؛ فكان يقيم محفلًا سنويًا لعتقهم من أجل نيل الثواب والأجر، وأيضًا تشجيع الآخرين على العتق، وذلك لتحقيق حرية الإنسان، والتخلص من العبودية والرق.

وكان الإمام عليه السلام يشتري كثيرًا من العبيد حتى يعيشوا معه فترة من الزمن، ثم يطلق سراحهم ويعتقهم ليعيشوا أحرارًا.

ونتيجة لتعامل الإمام عليه السلام الأخلاقي والإنساني معهم أصبح كثير منهم من المؤيدين له بشدة، ووقفوا معه في العديد من المواقف الصعبة كوقوفهم مع ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ضد الأمويين، ودفاعهم عن الإمام زين العابدين عليه السلام ضد من حاول النيل منه، أو الانتقاص من مكانتهن، وحافظ كثير منهم على ولائهم للإمام عليه السلام، وتمسكهم بمنهجه العقائدي والديني والفكري لما رأوه من تعامل إنساني رفيع، ولما وجدوه عنده من أخلاق راقية وإنسانية لم يجدوا مثلها في أي مكان آخر.

لقد غير الإمام عليه السلام بتعامله الإنساني والأخلاقي النبيل مع العبيد حياة كثير منهم، واستطاع دمجهم في المجتمعات المسلمة، وكسب محبتهم وقلوبهم وعقولهم؛ ما جعلهم قوة إضافية لقوة المسلمين، وأتباع مدرسة أهل البيت الأطهار.

الباب الثالث

السيرة العلمية والفكرية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الأول: علم الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: البناء العقائدي عند الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثالث: العناية بالقرآن الكريم عند الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الرابع: جهود الإمام زين العابدين عليه السلام في نشر الحديث

الفصل الخامس: فقه الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل السادس: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية

الفصل الأول

علم الإمام زين العابدين عليه السلام

المبحث الأول: مكانته العلمية

المبحث الثاني: آثاره العلمية

المبحث الثالث: دوره العلمي



المبحث الأول

مكاته العلمية

عُرف الإمام علي بن الحسين عليه السلام بين الخاصة والعامة بغزارة العلم، وسعة المعرفة والفكر، وقوة الدليل والحجة، ولا غرابة في ذلك؛ فهو معدن العلم، ووارث الحكمة، وينبوع المعرفة؛ فشاع صيته في الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر، ومقصد العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين والمفسرين وغيرهم.

قال الشيخ المفيد: «وروى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء»^(١).

وعن علمه قال الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله): «إن علم زين العابدين هو علم آل الرسول، وعلمهم هو علم جدهم بالذات، يتلقاه الابن عن الأب عن الجد عن جبرائيل عن الله عز وجل، وقد روى الشيعة والسنة عنه العلوم والأدعية والمواعظ والتفسير والحلال والحرام والمغازي وغيرها. ولم يسند حديثاً ولا قولاً إلى صحابي أو تابعي؛ لأن الناس جميعاً تفتقر إلى أهل البيت في العلوم، ولا يفتقرون إلى أحد»^(٢).

وأجمع معاصرو الإمام علي بن الحسين عليه السلام على أنه كان أعلم وأفقه وأفضل أهل زمانه بلا منازعة، فهذا الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن (عبدالله بن العباس) على جلالة قدره وشأنه يبجل الإمام زين العابدين عليه السلام لفضله وعلمه الغزير، ويقول تعظيماً له: «مرحباً بالحبيب ابن الحبيب»^(٣).

١- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٠.

٢- الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، ص ٢٢٤.

٣- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥ هـ، ج ٤١، ص ٣٧٠. البداية والنهاية: ابن كثير، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، طبع عام ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٦، ص ٤٦٧.

وكان محمد بن مسلم القرشي، والمعروف بابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) - وهو من معاصري الإمام - ومن استفاد من علومه عليه السلام يُبدي إعجابه بشخصية وسعة علم الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات متعددة قائلاً: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام»^(١)، ويقول أيضاً: «ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه»^(٢)، وثالثة يقول: «لم أدرك بالمدينة أفضل منه»^(٣)، ورابعة ينص على أن الإمام كان أفقه أهل زمانه: «ما رأيت أحداً كان أفقه منه»^(٤) وغير ذلك من أقواله بحق الإمام زين العابدين عليه السلام التي تبين مكانته العلمية وفضله وشرفه ومقامه الرفيع.

وهذا سعيد بن المسيّب ممن صحب الإمام زين العابدين عليه السلام، ووقف على أخلاقه وسلوكه وورعه وتقواه وعلمه، يقول عنه: «ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام»^(٥).

وعن أبي حازم الأعرج، قال: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام»^(٦). وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: «علي بن الحسين أفضل هاشمي رأيت بالمدينة»^(٧)، وقال مالك: «لم يكن في أهل البيت مثله»^(٨).

١- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥ هـ، ج ٤١، ص ٣٧١.

٢- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩. تهذيب الكمال: المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج ٢٠، ص ٣٨٦. البداية والنهاية: ج ٦، ص ٤٦٨.

٣- تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٣٤٣.

٤- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٧١.

٥- تاريخ يعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٢١٢.

٦- علل الشرائع: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٣٠٩، ح ١٢.

٧- التاريخ الكبير: البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج ٦، ص ٢٦٧، رقم ٢٣٦٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩.

٨- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩.

وكذلك أجمع كل من ترجم أو قرأ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام على مكانته العلمية، فهذا الشيخ المفيد يقول عنه: «أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَبِيهِ عِلْمًا وَعَمَلًا»^(١).

وهذا محمد بن سعد صاحب الطبقات يقول عنه: «كان علي بن حسين ثقة مأمونًا، كثير الحديث، عاليًا، رفيعًا، ورعًا»^(٢)، وينقل الدميري عنه أيضًا: «كان زين العابدين ثقة مأمونًا، كثير الحديث عن رسول الله ﷺ، عالمًا، ولم يكن من أهل البيت مثله»^(٣).

وقال الذهبي في وصف الإمام زين العابدين (عليه السلام): «كان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده، وعلمه، وتألهه، وكمال عقله»^(٤).

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: «علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، زين العابدين، ومنار القاتنين، وكان عابدًا وفيًا، وجوادًا حفيًا»^(٥).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة - من علماء الأزهر - : «فعلي زين العابدين كان إمام المدينة نبلاً وعلمًا»، وقال: «كان ملء الأبصار والقلوب في بلاد الحجاز كلَّها، والذي كانت الجموع تنزاح بين يديه، من غير سلطان، ولا حكم إلا الشرف والفضيلة وكريم الخصال»^(٦).

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣.

٢ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢٢٢. البداية والنهاية، ج ٦، ص ٤٦٦.

٣ - حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ٢٠١.

٤ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ج ٣، ص ٤٨٣.

٥ - حلية الأولياء: دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٤١٤.

٦ - موسوعة طبقات الفقهاء: الشيخ جعفر السبحاني، ج ١، ص ٢٥٩، نقلاً عن كتاب: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٣٩ و ٦٤٢.

وقال في موضع آخر: «كان زين العابدين فقيهاً، واسع العلم والمعرفة، وكان يأخذ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وكان راوية للحديث تلقى عنه العلماء فقه الحديث»^(١).

وقال عنه في موضع ثالث: «إنه انصرف إلى العلم والدراسة والفحص؛ لأنه وجد في ذلك غذاء قلبه وسلوك نفسه...؛ ولذلك طلب الحديث، واتجه إليه»^(٢).

وتدل أقوال وشهادات هؤلاء الأعلام من معاصري الإمام زين العابدين عليه السلام وغيرهم ممن أرّخ وترجم عن حياته على المكانة العلمية الرفيعة للإمام عليه السلام، والإشادة بسعة علومه ومعارفه في مختلف الحقول العلمية، والإقرار بفضله وشرفه وجلالة قدره وغزارة علومه وسعة ثقافته.

١- الإمام زيد: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبع عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٨.

٢- الإمام زيد: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبع عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٧.

المبحث الثاني

آثاره العلمية

للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مجموعة من الآثار العلمية والذخائر النفيسة التي تفصح عن مكانته العلمية العالية، وغزارة معارفه، وسعة علومه، وحفظت لنا كتب الحديث والتاريخ والسيرة مجموعة من تلك الآثار العلمية المهمة، وهي:

١ - الصحيفة السجادية الكاملة:

تضم المجموعة الكاملة لأدعية الإمام زين العابدين عليه السلام ومناجاته أصبحت من الكتب المشهورة والمتداولة بين المسلمين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وقاموا بدراساتها وشرحها، والاستفادة مما احتوته من معارف وعلوم وكنوز معرفية مهمة.

وتعد الصحيفة السجادية من أبرز الآثار العلمية للإمام زين العابدين التي تدل على عمقه العلمي، وتميزه بالفصاحة والبلاغة والبيان، وتعد -بحق- جامعة للأدب العربي الفصيح، وتأتي بعد نهج البلاغة من حيث القيمة البلاغية لها. ومما يدل على أهمية ونفاسة الصحيفة السجادية ما كتب عنها من عشرات الشروح لها، وقد أحصى المحقق الكبير (آغا بزرك الطهراني) في كتابه القيم «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» مئة وخمسين شرحاً لها، كما تم ترجمتها بعدة لغات عالمية^(١).

وقال عنها: «وللأصحاب اهتمام بروايتها ويخصونها بالذكر في إجازاتهم، وهي من المتواترات عند الأصحاب لاختصاصها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر، ينتهي سند روايتها إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وزيد الشهيد ابني علي بن الحسين عن أبيهما علي بن الحسين عليهما السلام»^(٢).

١ - راجع الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٦، ص ١٢٤.

٢ - الذريعة: ج ١٥، ص ٢٠.

ولا ريب في صحة نسبة الصحيفة السجادية إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام لقوة مضامينها، وكثرة أسانيدها، وهذا ما أكد عليه العلامة المجلسي بقوله: «والذي رأيت من أسانيد الصحيفة بغير هذه الأسانيد فهي أكثر من أن تحصى، ولا شك لنا في أنها من سيد الساجدين. أما من جهة الإسناد فإنها كالقرآن المجيد وهي متواترة من طرق الزيدية أيضًا، وأما من حيث العبارة فهي أظهر من أن يذكر فهو كالقرآن المجيد في نهاية الفصاحة، وأما من جهة الإحاطة بالعلوم الإلهية فهو أيضًا ظاهر لمن كان [له] أدنى معرفة بالعلوم»^(١).

وقال السيد الأبطحي: «حقيقة إن الأدعية المعروفة بـ «الصحيفة السجادية الكاملة» هي من إنشاء فنن الدوحة النبوية المباركة الإمام السَّجَّاد زين العابدين عليه السلام، فالقارئ لها يدرك تمامًا ما قيل: «إنها تجري مجرى التنزيلات السماوية، وتسير مسير الصحف اللوحية والعرشية» لما حوته من لباب العلوم الإلهية، والمعارف اليقينية، فسطع من حروفها نور مشكاة النبوة، وفاح من كلماتها أريج رياض الإمامة؛ لذلك عرفت واشتهرت به صلوات الله وسلامه عليه اشتهاً أغناها عن مد سلاسل العنونة والإسناد، وأخرجها عن حيز الأحاد إلى حد التواتر، غير أنه كما صرح بذلك الأمير ماجد الدشتكي في إجازته للمولى محمد شفيع ربما يركن إلى طلب الإجازة في الرواية، ويعطف إلى طرق التحمل أعنة العناية، تبركاً بما جرت عليه سنن السلف الأخيار، وتأسياً بما صرف إليه وجوه الهمم من جهابذة الأخيار. ولشهرتها التي عمَّ صيتها البلدان، ولبركتها التي يستنار بها في كل وقت وأوان، انكب الكثير على استنساخها، وتهافت العديد على مقابلتها وشرحها، وأخذ الإجازة على روايتها فتجمعت بسبب ذلك أسانيد، وطرق لروايتها كثيرة متكررة ما بلغ حدها كتاب، أو نص تراثي آخر في تأريخنا»^(٢).

١- بحار الأنوار: ج ١٠٧، ص ٥٩.

٢- الصحيفة السجادية: تحقيق السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي الإصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي، قم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ص ٦٢٨.

وقال السيد محسن الأمين: «وقد اعتنى بها الناس أتم اعتناء بروايتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل والنهار والعشي والإبكار والغدوات والأسحار والتضرع إليه تعالى وطلب الحوائج منه والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار، واستنسخ منها نسخ لا تُعد ولا تحصى بالخطوط الجميلة النادرة المثلل والمزينة بجداول الذهب على ورق الترمة وما ضاهاه.

وطبعت على الحجر طبعات كثيرة وشرحها العلماء شروحاً عديدة منها شرح الشيخ البهائي المسمى «حدائق المقربين»، وأحسنها شرح السيد علي خان المدني الشيرازي صاحب سلافة العصر في أدباء العصر والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة وغيرهما، وشرحه مطبوع على الحجر في مجلد كبير، وباقي شروحها مطبوعة على الحجر في مجلد واحد»^(١).

وأشاد أهل العلم والمعرفة، وأهل الرأي والفكر، وأهل اللغة والبيان والبلاغة قديماً وحديثاً على بلاغة ومحتوى الصحيفة السجادية، فكتب المحقق الشيخ باقر شريف القرشي عن بلاغة وفصاحة الصحيفة السجادية ما نصه: «إن [الصحيفة السجادية] بلغت أرقى مراتب البلاغة والفصاحة، فلا أكاد أعرف كلاماً عربياً بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما هو أبلغ وأفصح من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد كان البارز في جمال الأسلوب، وبراعة الديباجة، ورقة الألفاظ، فلم يستعمل الإمام الكلمة إلا بعد أن تجمع مقاييس الجمال.

إن للصحيفة السجادية من الخصائص البلاغية، والمميزات الأدبية ما يعرفها، ويثمنها أهل الاختصاص من علماء البلاغة.

وقد علق الدكتور حسين علي محفوظ عليها وعلى سائر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام فقال: «وعلى الرغم من أنه (أي الدعاء المأثور عن الأئمة)

نثر فنيٍّ رائع، وأسلوب ناصع من أجناس المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير، وطرق بارعة من أنواع البيان، ومسلك معجب من فنون الكلام، والحق إن ذلك النهج العبقرى المعجز من بلاغات النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام التي لم يرق إليها غير طيرهم، ولم تسم إليها سوى أقلامهم.

فالدعاء أدبٌ جميل، وحديث مبارك، ولغة غنية، ودين قيّم، وبلاغة عبقرية، إلهية المسحة، نبوية العبرة»^(١).

وكان من مظاهر الروعة والبلاغة في أدعية الإمام عليه السلام الإطناب في وصف الجنة، وما فيها من النعم والترف، والقصور الجميلة، والسبب في ذلك تشويق الناس، وترغيبهم بأعمال البر والخير لينالوا الجنة، ويفوزوا بنعيمها، كما أطنب الإمام عليه السلام في التهويل من أمر النار، وقساوة العذاب، وذلك لزجر الناس عن اقتراف الموبقات، وإبعادهم عن ارتكاب الجرائم والمنكرات، وقد جرى الإمام بذلك القرآن الكريم الذي أطنب في كثير من آياته في وصف الجنة والنار، وذلك للأسباب التي ألمحنا إليها، وقد نصّ علماء البلاغة على أن الإطناب في ذلك من أرقى مراتب البلاغة، ومن أروع صورها»^(٢).

وعن جمال التعبير في الصحيفة السجادية كتب د. كريم الخالدي ود. حميدة البلداوي ما نصه:

«أبرز ما في هذه الصحيفة الجليلة من وجوه الجمال معانيها الروحانية التي يظهر فيها الإمام زاهدًا عابدًا منقطعًا إلى الله محبًا ذاته المقدسة هائمًا في ملكوته العظيم، قال: (أسألك أن تجعلني من أوفرهم منك حظًا، وأعلاهم عندك منزلًا، وأجزلهم من ودك قسًا، وأفضلهم في معرفتك

١ - مجلة البلاغ: العدد ٦، السنة الأولى، ص ٥٦.

٢ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (ع)، الشيخ باقر شريف القرشي، دار المعروف، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ، ج ١٦، ص ٣٢.

نصيباً فقد انقطعت إليك همّتي، وانصرفت نحوك رغبتني، فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك وهي، وإلى هواك صابتي، ورضاك بغيتي...) فهل عرفتَ ولهانَ مثل الإمام في حبه الإلهي، وهل رأيت مغرماً بربه كزين العابدين حين يقول: (فقد انقطعت إليك همّتي) و (وحدك لا لغيرك) و (انصرفت نحوك رغبتني).

هل صوّر شاعرٌ أو كاتبٌ أو متصوّفٌ في أرقى مراتب الصوفية^(١) مثل هذا الهيام بالله، فلا مال ولا بنين ولا جمال نساء أو إغراء فاتنات تنجذبُ إليها رغبة الإمام؛ بل كان الله وحده مراده، فالإمام محبٌ مدنفٌ يكابد صباة العشق ساهراً ليله وقد هجر النوم فلا ينامُ إلا ساعات قليلة يناجي ربه (ولك لا لسواك سهري وسهدي) و (لقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي) ما أكبر هذا الشوق الذي يغمر قلب الإمام لملاقاة الحبيب، لذا عبّر الإمام بهذه العبارات الرقيقة التي تفتقر إليها قصائد العشاق والمحبين (وإليك شوقي وفي محبتك وهي وإلى هواك صابتي) شوق يكبر كل يومٍ في قلب الإمام لخالقه الجليل^(٢).

وكتبنا أيضاً عن تنسيق العبارة في الصحيفة السجادية ما نصه:

«يستوقف الباحث في الصحيفة السجادية نظام بناء الجملة فيها، وترتيب الألفاظ، وتناسق العبارة مع غيرها، وملاءمة الجملة لمعنى الكلام الذي يريد إيصاله، فتبهره الصياغة العجيبة، والتناسق بين الألفاظ وكأنه يسمع أنساقاً طبيعية متجانسة تأخذ بمجامع القلوب وتسحر السمع، وكثيراً ما كنتُ أقفُ مذهولاً من دقة هذا البناء

١ - الإمام زين العابدين عليه السلام لا يوافق الصوفية في طرقها المعروفة ولا في معتقداتها الفاسدة.

٢ - قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية: أ. د. كريم حسين الخالدي، أ. د. حميدة صالح البلداوي، دار صفاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٧٦.

الجُملي واللفظي أتأمّل في أسرارهِ، أبحث عن خفايا رصفهِ وتطريزه متسائلاً كيف يوزّع الإمام الألفاظ في الجُمْل بهذه الدقّة وهذا التناسق؟ وكيف يوازن بين أركان كل جملة كي تُناظرَ أختها؟ وكيف يعادل الألفاظ بعضها مع بعض؟ هل كان يزنُ تلك الجُمْل بموازين خاصة أم أنها تأتي عفوية تتدفق كما تتدفّق عيون المياه؟ فلا يعثر الباحث على جوابٍ مقنع سوى أن الإمام قد حباه الله (جلّ وعلا) ملكةً تعبيرية تفوق قدرة الإنسان الاعتيادي مهما كان رُقيّه في التعبير شاعراً كان أم خطيباً أم كاتباً، فلم تورد لنا كتب الأدب نصوصاً فيها ما في الصحيفة السجّادية من دقّة في أنظمة البناء الجُملي، وتناسق الألفاظ، فالإمام كان يرسم بالألفاظ لوحة تعبيرية لا نظير لها إلا عند آبائه وأبنائه^(١).

وأما الأستاذ شفيق جرادي فقد عدّ الصحيفة السجّادية من أهم مصادر المعرفة الإسلامية، فكتب ما نصه:

«من المعلوم أن الدعاء والمناجاة، خصوصاً تلك الواردة في الصحيفة السجّادية، هي من أهم مصادر المعرفة الإسلامية الشيعية، علماً أن هذه الصحيفة ترجع إلى الإمام علي بن الحسين بن [علي] بن أبي طالب عليه السلام، وهو من الرّجال الكبار عند السّنة والشّيعه، إلّا أنّه وصحيفته حملاً مرجعيّة استثنائيّة عند الشيعة الإمامية.

والأدعية والمناجاة خطاب تمحّض بمضامين الخطاب القرآني وقيمه، ثم صدر عنه بروحيّة تعبّر عن رؤيتها وحبّها ونزوعها نحو الله سبحانه وتعالى، بحيث أمكن القول: إن الأدعية والمناجاة الواردة في الصحيفة السجّادية هي بمثابة القرآن الصاعد، وتنطوي هذه الأدعية على رؤية للإنسان في موقعيّته من الوجود وحقوقه الذاتيّة والاعتباريّة التي أولاه

١ - قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجّادية: أ. د. كريم حسين الخالدي، أ. د. حميدة صالح البلداوي، دار صفاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٤٧.

الله بها، كما وتتناول منهج العلاقة بين الجماعة البشريّة وبين الله سبحانه، من حيث مرتكزات هذا المنهج من الرؤية ومبانيه»^(١).

وكل من يقرأ الصحيفة السجادية يعجب وينبهر ببلاغتها وفصاحتها وبيانها الساحر؛ ويتأثر بمحتواها وكنوزها الدينية والمعرفية والتربوية والأخلاقية؛ ولذا هفت إليها النفوس، وانجذبت إليها القلوب، وتأثرت بها العقول.

وقد ذاع صيتها، واشتهرت شهرة عظيمة، وعُرفت بـ «زبور آل محمد» وبـ «إنجيل أهل البيت عليهم السلام»؛ وهي على جانب عظيم من الأهمية لما تحتويه من نفائس وكنوز دينية، ومن يقرأها أو يتأمل في معانيها يعرف شيئاً عن مكانة الإمام عليه السلام العلمية.

محتويات الصحيفة السجادية

لم تقتصر الصحيفة السجادية على المناجاة والدعاء والتضرع والخشوع لله تعالى وحسب؛ وإنما اشتملت أيضاً على كنوز من العلوم والمعارف الإسلامية بما احتوته من المسائل والقضايا العقائدية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية وغيرها.

وتحتوي الصحيفة السجادية على معاني ودلالات تربوية مهمة، كما احتوت على إرشادات أخلاقية وسلوكية وروحية لتربية الإنسان على الفضائل النفسية والكمالات الروحية والمعنوية، والأخلاق الفاضلة.

ومجموع أدعية «الصحيفة السجادية الكاملة» ٥٤ دعاء، وقد جمعها المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب موسوعة «وسائل الشيعة»، وغيره، برواية محمد بن أحمد المطهري، كما أنها طُبعت بعنوان «الصحيفة السجادية الجامعة» واحتوت على ٧٥ دعاء بعناية السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، وهناك أدعية أخرى ألحقت بالصحيفة من قبيل أدعية الأيام والمناجاة الخمسة عشرة، وأما عناوينها فهي:

١- موضوع: الحب الإلهي: قراءة في الأدبيات الشيعية التأسيسية، شفيق جرادي، مجلة المحجة، العدد ٢٩، ص ١٢٣ - ١٢٤.

- ٧- التحميد لله تعالى.
- ٨- دعاؤه في الصلاة على الرسول ﷺ.
- ٩- الصلاة على حملة العرش.
- ١٠- الصلاة على أتباع الرسل.
- ١١- دعاؤه لنفسه وخاصته.
- ١٢- دعاؤه عند الصباح والمساء.
- ١٣- دعاؤه في المهمات.
- ١٤- دعاؤه في الاستعاذة.
- ١٥- دعاؤه في طلب المغفرة.
- ١٦- دعاؤه في اللجوء إلى الله.
- ١٧- دعاؤه بخواتيم الخير.
- ١٨- دعاؤه في الاعتراف.
- ١٩- دعاؤه في طلب الحوائج.
- ٢٠- دعاؤه في الظلمات.
- ٢١- دعاؤه عند المرض.
- ٢٢- دعاؤه في الاستقالة.
- ٢٣- دعاؤه على الشيطان.
- ٢٤- دعاؤه في المحذورات.
- ٢٥- دعاؤه في الاستسقاء.
- ٢٦- دعاؤه في مكارم الأخلاق.
- ٢٧- دعاؤه في الاستكفاء.
- ٢٨- دعاؤه عند الشدة.
- ٢٩- دعاؤه بالعافية.
- ٣٠- دعاؤه لأبويه.

- ٣١- دعاؤه لأولاده.
- ٣٢- دعاؤه لجيرانه وأوليائه.
- ٣٣- دعاؤه لأهل الثغور.
- ٣٤- دعاؤه في التفرغ.
- ٣٥- دعاؤه إذا قُتِرَ عليه الرزق.
- ٣٦- دعاؤه في المعونة على قضاء الدين.
- ٣٧- دعاؤه بالتوبة.
- ٣٨- دعاؤه في صلاة الليل.
- ٣٩- دعاؤه في الاستخارة.
- ٤٠- دعاؤه إذا ابتلى ورأى مبتلى بفضيحة أو ذنب.
- ٤١- دعاؤه في الرضا بالقضاء.
- ٤٢- دعاؤه عند سماع الرعد.
- ٤٣- دعاؤه في الشكر.
- ٤٤- دعاؤه في الاعتذار.
- ٤٥- دعاؤه في طلب العفو والرحمة.
- ٤٦- دعاؤه عند ذكر الموت.
- ٤٧- دعاؤه في طلب الستر والوقاية.
- ٤٨- دعاؤه عند ختم القرآن.
- ٤٩- دعاؤه إذا نظر إلى الهلال.
- ٥٠- دعاؤه لدخول شهر رمضان.
- ٥١- دعاؤه لوداع شهر رمضان.
- ٥٢- دعاؤه يوم الفطر.
- ٥٣- دعاؤه في يوم عرفة.
- ٥٤- دعاؤه يوم الأضحى.

- ٥٥- دعاؤه في دفع كيد الأعداء.
- ٥٦- دعاؤه في الرهبة.
- ٥٧- دعاؤه في التضرع والاستكانة.
- ٥٨- دعاؤه في الإلحاح على الله.
- ٥٩- دعاؤه في التذلل لله.
- ٦٠- دعاؤه في استكشاف الهموم.
- ٦١- دعاؤه في التسبيح.
- ٦٢- دعاؤه في تمجيد الله.
- ٦٣- دعاؤه في ذكر آل محمد.
- ٦٤- دعاؤه في الصلاة على آدم.
- ٦٥- دعاؤه في الكرب والإقالة.
- ٦٦- دعاؤه مما يحذره ويخافه.
- ٦٧- دعاؤه في التذلل.
- ٦٨- دعاؤه في يوم الأحد.
- ٦٩- دعاؤه في يوم الاثنين.
- ٧٠- دعاؤه في يوم الثلاثاء.
- ٧١- دعاؤه في يوم الأربعاء.
- ٧٢- دعاؤه في يوم الخميس.
- ٧٣- دعاؤه في يوم الجمعة.
- ٧٤- دعاؤه في يوم السبت.
- ٧٥- أدعية المناجاة الخمس عشرة^(١).

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يعبر عن آرائه التربوية والأخلاقية والعقائدية والثقافية والعلمية عبر الأدعية الشريفة التي كان يتلوها آناء الليل

١- راجع الصحيفة السجادية الكاملة.

وأطراف النهار، وهي تشكل منظومة متكاملة لتربية الإنسان تفكيرًا وفكرًا وسلوكًا ومنهجًا.

٢- رسالة الحقوق:

من الآثار العلمية البارزة للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام رسالة الحقوق؛ وهي سفر عظيم، ووثيقة علمية وحقوقية هامة. تناولت الحقوق والواجبات، وهي أول وثيقة مدونة في حقوق الإنسان قبل أن يتحدث العالم بمئات السنين عن وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م ما يوضح لنا الرؤية العميقة للإمام زين العابدين عليه السلام عن ثقافة حقوق الإنسان.

وقد روى رسالة الحقوق الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) في «الخصال»^(١)، ورواها أيضًا ابن شعبة الحراني في «تحف العقول»^(٢)، ونقلها المحدث النوري في مستدركه عنه^(٣)، كما أشار إليها النجاشي (ت ٤٥٠هـ) في ترجمة أبي حمزة الثمالي (ت ١٥٠هـ) بقوله: «وله رسالة الحقوق عن علي بن الحسين عليهما السلام أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثنا الحسن بن حمزة قال: حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام»^(٤).

الإمام زين العابدين والتأسيس لحقوق الإنسان

يعد الإمام زين العابدين عليه السلام مؤسسًا لثقافة حقوق الإنسان، فهو أول من وضع رسالة لحقوق الإنسان قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان؛ لإدراكه

١- الخصال: الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٥٦٤ - ٥٧٠.

٢- تحف العقول عن آل الرسول: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٨٤ - ١٩٥.

٣- مستدرك الوسائل: دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ١١، ص ١٥٤ - ١٦٩، ح ١٢٦٦٤.

٤- رجال النجاشي: شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١١٤، رقم ٢٩٦.

أهمية احترام حقوق الإنسان المعنوية والمادية، وأنها تشكل المنطلق لبناء نظام اجتماعي متماسك، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان سلامة العلاقات الفردية والاجتماعية في إطار من الاحترام المتبادل، والتسامح تجاه الآخر، والقبول بالرأي المخالف.

ومن المهم جداً إدراج مادة لـ (حقوق الإنسان) في مناهج التعليم؛ لنشر ثقافة الحقوق بين الطلاب، وما يمكن أن يتركه ذلك من آثار إيجابية على السلوك الفردي والاجتماعي، بما يؤسس لثقافة التسامح واللين في التعامل مع المختلف دينياً ومذهبياً وفكرياً. وأما غياب ثقافة حقوق الإنسان فيؤدي إلى شيوع التعصب والتشدد والتطرف، في حين أن معرفة حقوق الذات، فضلاً عن حقوق الآخر يؤدي إلى سيادة القانون، ونمو ثقافة الاحترام والتكريم للإنسان، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، فالآية الشريفة تشير إلى تكريم الإنسان (بما هو إنسان محترم) بغض النظر عن دينه أو مذهبه أو قوميته أو لونه أو عرقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

إن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بين للناس حقوق الإنسان بعد واقعة الطف التي انتهكت فيها أبسط الحقوق الإنسانية فضلاً عن تعاليم الإسلام وأحكامه، ووجوب الالتزام بها.

مميزات رسالة الحقوق

تأتي أهمية رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام بوصفها أسبق وثيقة تحدثت عن حقوق الإنسان، في حين إن أقدم الوثائق الدولية التي صدرت عن حقوق الإنسان لا تزيد عن قرنين من الزمن؛ ذلك أن أهم ما صدر من وثائق عن حقوق الإنسان، وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر

عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٤٨ م، واقتبس هذا الإعلان قواعده من إعلان الثورة الفرنسية (التي حدثت عام ١٧٨٩ م) لحقوق الإنسان، واعترافها بالحقوق الطبيعية للأفراد.

وامتازت وثيقة «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام بأنها تطرقت إلى حقوق أكثر مما هو مدون في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ فاشتملت رسالة الحقوق على خمسين حقاً كما ذكرها صاحب كتاب «تحف العقول»، وعلى واحد وخمسين حقاً حسب رواية الشيخ الصدوق في كتابه «الخصال»؛ في حين لم يتجاوز الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن تسع وعشرين مادة، كما أشارت رسالة الإمام الحوقية إلى حقوق تجاهلتها الوثائق الدولية لحقوق الإنسان، كحق الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعبده، وهي أكبر الحقوق؛ بل أصلها.

ثم أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى حقوق الإنسان المفروضة من الله تعالى تجاه نفس الإنسان، وأنواع علاقة الإنسان بنفسه عبر رؤية الإسلام لذلك.

أهم الحقوق

بيّن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق وظائف الإنسان وواجباته تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه نفسه والآخرين، ويمكن تقسيم حقوق الإنسان الرئيسة التي أشار إليها الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته الحوقية ضمن المحاور الآتية:

١- حق الخالق وحق المخلوق (حق الله، وحق النفس).

٢- حقوق الأعضاء

وتشمل الحقوق الآتية: حق اللسان، حق السمع، حق البصر، حق اليد، حق الرجل، حق البطن، حق الفرج.

٣- حقوق الأفعال

وتشمل هذه الحقوق الآتية: حق الصلاة، حق الحج، حق الصوم، حق الصدقة، حق الهدي.

٤- حقوق الأئمة

وتشمل هذه الحقوق: حق السلطان، حق سائسك بالعلم، حق سائسك بالملك.

٥- حقوق الرعية

وتشمل حقوق الرعية الأصناف الآتية: حق رعيتك بالسلطان، حق رعيتك بالعلم، حق الزوجة، حق المملوك.

٦- حقوق الرحم

وتشمل حقوق الرحم الأصناف الآتية: حق الأم، حق الأب، حق الولد، حق الأخ، حق مولاك المنعم عليك، حق مولاك الذي أنعمت عليه.

٧- حقوق عامة الناس والأشياء

وتشمل هذه الحقوق أربعة وعشرين حقاً، منها: حق المؤذن، حق إمام الجماعة، حق الجليس، حق الصاحب، حق الخليط، حق الشريك، حق الكبير، حق الصغير، حق أهل الإسلام، حق أهل الذمة...، وغيرها من الحقوق العامة.

ونلاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام ختم رسالته الحقوقية بحقوق أهل الإسلام، وإن اختلفوا في مذاهبهم وآرائهم ومرجعياتهم الفكرية، فلكل مسلم أن يمارس عباداته وشعائره ومعتقداته بحسب مذهبه، ثم بحقوق من يشترك مع الإنسان في الأرض الواحدة والنظام السياسي الواحد، وإن اختلف معهم في الدين، لكنهم يشتركون في الإنسانية، وفي النظام السياسي الواحد، فلهم حقوق المواطنة، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، دون أن يدعوا المسلمين

إليها، ولهم الحرية في إجراء مراسيم عباداتهم، كما أن لهم أن يعملوا حسب شريعتهم في عقودهم وطلاقهم...، وغيرها من الأحوال الشخصية. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وحق أهل الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل، ولا تظلمهم ما وفوا الله عز وجل بعهده»^(١).

وتشكّل هذه الرسالة الحقوقية وثيقة تاريخية أكثر من مهمة، وهي بحاجة للمزيد من الدراسة والتحليل رغم الدراسات والشروحات المكتوبة عنها، وفيها دلالات قوية على تقدم فكر أهل البيت ومنهجهم الرباني.

رسالة الحقوق والعدالة الاجتماعية

إن تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامة، فإن الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ويدرس بدقة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين تجاه بعضهم بعضاً يتسنى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

إن العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية أو الأسرية لن تتحقق ما لم يطبق نظام الحقوق بشكل دقيق أولاً، وتنظم الأحكام والتشريعات على أساس تلك الحقوق، وفيما نعلم أن الإمام قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

والإمام قبل بيانه للحقوق يشير إلى أن هناك حقوقاً محيطة بالإنسان، ولا بد له من معرفتها، ثم يبيّن أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثم يفرع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله

١ - الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٦، ص ١٣٤، باب تفاصيل الحقوق لكل ذي حق.

تجاه نفس الإنسان، فبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه عبر المنظار الإلهي، ثم ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قيادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيان لأنواع الأئمة والمؤمنين ودرجاتهم، ثم يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأسرة وأعضائها، ثم مَنْ تشتمل عليه الأسرة من الموالى والجواري، ثم سائر ذوي الحقوق كالمؤذن والإمام في الصلاة والجليس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير...، حتى ينتهي إلى مَنْ يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثم حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية وفي النظام السياسي الذي يخضع له وإن لم يكن من أهل ملته ودينه.

وعلىنا (أفرادًا ومجتمعات) أن نستفيد من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام بأن نعطي اهتمامًا أكبر بمسألة حقوق الإنسان، ونعمل على نشر ثقافة الحقوق بين الناس، حتى يعلم كل شخص حقوقه وواجباته الفردية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، بما يحقق العدالة الاجتماعية للجميع.

٣- رسالة في الزهد:

من الآثار العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام أيضًا رسالته في الزهد، يبيّن فيها آراؤه في الزهد، ومفهومه له، وما ينبغي أن يكون عليه الإنسان الزاهد. وقد كان عليه السلام إذا وعظ الناس عن الزهد بكى وأبكى الحاضرين؛ لأن كلامه كان يصدر من قلب إنسان في غاية الزهد والتقوى والورع عن محارم الله.

روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، قال: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الزُّهْدِ وَعَظَ أَبْكَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ، وَكَانَ لَهُ صَحِيفَةٌ يَعْظُ فِيهَا النَّاسَ عَنِ الزُّهْدِ وَيَرْغَبُهُمْ فِيهِ، وَإِلَيْكُمْ نَصْهَا:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ كَيْدَ الظَّالِمِينَ، وَبَغْيِ الْحَاسِدِينَ، وَبَطُشٍ^(١) الْجَبَّارِينَ؛ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الطَّوَاعِغُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا، الْمُفْتِنُونَ بِهَا، الْمُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى حُطَامِهَا^(٢) الْهَامِدِ^(٣)، وَهَشِيمِهَا^(٤) الْبَائِدِ غَدًا^(٥)، وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا، وَازْهَدُوا فِيهَا زَهْدَكُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنْهَا، وَلَا تَرَكُّنُوا^(٦) إِلَى مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رُكُونًا مَنِ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزِلَ اسْتِيْطَانٍ، وَاللَّهُ إِنْ لَكُمْ مِمَّا فِيهَا عَلَيْهَا دَلِيلًا وَتَنْبِيْهَا مِنْ تَصْرِيفِ أَيَّامِهَا وَتَغْيِيرِ انْقِلَابِهَا وَمَثَلَاتِهَا^(٧) وَتَلَاغِيَهَا بِأَهْلِهَا، إِنَّهَا لَتَرْفَعُ الْحَمِيلَ^(٨)، وَتَضَعُ الشَّرِيفَ، وَتُورِدُ أَقْوَامًا إِلَى النَّارِ غَدًا، فَفِي هَذَا مُعْتَبَرٌ وَخُتْبَرٌ وَزَاجِرٌ لِمُنْتَبِهٍ، إِنَّ الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ - مِنْ مُظْلِمَاتِ الْفِتَنِ، وَحَوَادِثِ الْبِدَعِ، وَسُنَنِ الْجَوْرِ،

- ١- البطش: الأخذ القوي الشديد، أو الأخذ بالعنف والسطوة، يقال: بطش به يبطش وبيطش ببطشاً، أي فأخذه بالعنف والسطوة. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٣٥؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ٧٩٩ (بطش).
- ٢- قال الجوهرى: «الْحُطَامُ: مَا تَكْسَرُ مِنَ الْيَبَسِ»، وعن الأصمعي: «إِذَا تَكَسَّرَ يَبَسُ الْبَقْلِ فَهُوَ حُطَامٌ». الصحاح، ج ٥، ص ١٩٠١؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ١٣٧ (حطم).
- ٣- «الهامد»: اليابس من النبات، والبالي المسود المتغير. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٥٥٧؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٧٣ (همد).
- ٤- الهشيم من النبات: اليابس المتكسر، قال الجوهرى: «والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء». راجع: الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٥٨؛ النهاية، ج ٥، ص ٢٦٤ (هشم).
- ٥- في شرح المازندراني، ج ١١، ص ١٨٧: «البائد: الزائل الهالك، وغداً ظرف له، أو للهامد أيضاً، وهو كناية عن وقت الموت، أو قبله في أقرب الأوقات، أو بعده يوم القيامة، أو الجميع».
- ٦- الركون: السكون إلى الشيء والميل إليه، وفعله من باب نصر وعلم ومنع. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٢٦١؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥٧٩ (ركن).
- ٧- المثلات: جمع المثلة بفتح الميم وضمّ الثاء بمعنى العقوبة، ويقال: بضمّ الميم وسكون الثاء أيضاً، وجمعها: مثُلات، مثلات ومثلات. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٨١٦؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٦١٥ (مثل).
- ٨- «الخميل»: من خفي ذكره وصوته، والساقط الذي لا نباهة له. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٦٩٠ ف؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٣١٦ (خمل).

وَبَوَائِقُ^(١) الرِّمَانِ، وَهَيْبَةُ السُّلْطَانِ، وَوَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ - لَتَشْبُطُ^(٢) الْقُلُوبَ عَنْ تَنْبَهِّهَا، وَتُذْهِلُهَا عَنْ مَوْجُودِ الْهُدَى وَمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْحَقِّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَلَيْسَ يَعْرِفُ تَصَرُّفَ أَيَّامِهَا، وَتَقْلُبَ حَالَاتِهَا وَعَاقِبَةَ ضَرَرِ فَتْنِهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرُّشْدِ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْقَصْدِ، ثُمَّ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِالزُّهْدِ، فَكَّرَرَ الْفِكْرَ، وَاتَّعَظَ بِالصَّبْرِ، فَازْدَجَرَ وَزَهَدَ فِي عَاجِلِ بَهْجَةِ الدُّنْيَا، وَتَجَافَى^(٣) عَنْ لَذَائِهَا، وَرَغِبَ فِي دَائِمِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَسَعَى لَهَا سَعْيِهَا، وَرَاقَبَ الْمَوْتَ، وَشَنَأَ^(٤) الْحَيَاةَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، نَظَرَ إِلَى مَا فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِ نَيِّرَةٍ حَدِيدَةِ النَّظَرِ، وَأَبْصَرَ حَوَادِثَ الْفِتَنِ وَضَلَالَ الْبِدْعِ وَجَوْرَ الْمُلُوكِ الظَّالِمَةِ.

فَقَدْ لَعَمَرِي اسْتَدْبَرْتُ الْأُمُورَ الْمَاضِيَةَ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْفِتَنِ الْمُتْرَاكِمَةِ وَالْإِنْمِهَاكِ^(٥) فِيمَا تَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى تَجَنُّبِ الْغَوَاةِ^(٦) وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ، وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ اتَّبَعَ، فَأُطِيعَ.

١- البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية والشر الشديد. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٦٢؛ المصباح المنير، ص ٦٦ (بوق).

٢- في الأمالي للمفيد: «ليدراً». والتشيط: التعويق والشغل عن المراد، يقال: قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه وعوقه وبطأ به عنه. راجع: النهاية، ج ١، ص ٢٠٧؛ المصباح المنير، ص ٨٠ (ثبط). وفي شرح المازندراني: «وهذا- أي لتشيط- في اللفظ خبر- أي خبر «إن»- وفي المعنى زجر عن تثبط القلوب بأمثال هذه الموانع عن الحق ومعرفة أهله بالتفكير في أن هذه الأمور خارجة من القوانين العدلية، وزمانها قليل منصرم، وعقوبة مخالفة الحق وأهله شديدة دائمية».

٣- «تجافى» أي بعد واجتنب؛ من الجفاء، وهو البعد والاجتناب عن الشيء. راجع: النهاية ج ١، ص ٢٨٠؛ لسان العرب، ج ١٤، ص ١٤٨ (جفا).

٤- في الأمالي للمفيد: «وسئم». وشنأه - كمنعه وسمعه - أي أبغضه؛ من الشنأ، وهو البغض. راجع: القاموس المحيط، ج ١، ص ١٠٩؛ لسان العرب، ج ١، ص ١٠١ (شنأ).

٥- الانمهاك: التصادي في الشيء واللجاج فيه، يقال: انهمك الرجل في الأمر، أي جد ولج. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٦١٧؛ النهاية، ج ٥، ص ٢٧٤ (همك).

٦- «الغواة»: جمع الغاوي، وهو الضال الخائب والمنهمك في الباطل؛ من الغي بمعنى الضلال والخيبة والانمهاك في الباطل. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٥٠ (غوي)؛ النهاية، ج ٣، ص ٣٩٧ (غوا).

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ قَبْلِ النَّدَامَةِ وَالْحُسْرَةِ وَالْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَاللَّهِ مَا صَدَرَ^(١) قَوْمٌ قَطُّ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا إِلَى عَذَابِهِ، وَمَا آثَرَ قَوْمٌ قَطُّ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ إِلَّا سَاءَ مُنْقَلَبُهُمْ وَسَاءَ مَصِيرُهُمْ، وَمَا الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْإِفَانِ^(٢) مُؤْتَلِفَانِ، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ، وَحَثَّهُ الْخَوْفُ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ أَرْبَابَ الْعِلْمِ وَاتَّبَاعَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ، فَعَمِلُوا لَهُ وَرَغِبُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) فَلَا تَلْتَمِسُوا شَيْئًا مِمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاشْتَغِلُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْتَنِمُوا أَيَّامَهَا، وَاسْعَوْا لِمَا فِيهِ نَجَاتُكُمْ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِلتَّبَعَةِ^(٤)، وَأَذْنَى مِنَ الْعُذْرِ، وَأَرْجَى لِلنَّجَاةِ، وَقَدِّمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَةَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَلَا تُقَدِّمُوا الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَةِ الطَّوَاعِغِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا^(٥) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

١- قال الجوهري: «أصدرته فصدر، أي رجعته فرجع». وقال ابن الأثير: «الصدر - بالتحريك - رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد، يقال: صدر يصدر صدورًا وصدرًا». الصحاح، ج ٢، ص ٧١٠؛ النهاية، ج ٣، ص ١٥ (صدر).

وفي شرح المازندراني: «أي ما رجعوا عن معصية الله تعالى وما فرغوا منها إلا إلى عذابه، فيدل على مقارنة العذاب للمعصية من غير مفارقة بينهما ولا مهلة؛ فإن جهنم لمحيطة بالكافرين».

٢- في شرح المازندراني: «في المصباح: ألفته، من باب علم: أنسته وأحبته، واسم الفاعل: أليف، مثل عليم، وألف، مثل عالم، وفي القاموس: الإلف، بالكسر والألف، ككتف: الأليف، وعلى هذا يجوز في «إلفان» مدّ الألف وكسرها، وفتحها مع كسر اللام». وراجع: المصباح المنير، ص ١٨؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥٨ (ألف).

٣- طه: ٣٠.

٤- التبعة - بفتح التاء وكسر الباء - ما على أحد من حق الغير، سمّي بها لأن صاحبه يتبعه ويطلبه ويطلب منه. راجع: لسان العرب، ج ٨، ص ٣٠؛ المصباح المنير، ص ٧٢؛ شرح المازندراني، ج ١١، ص ١٩٤.

٥- في شرح المازندراني: «ومن» الأولى بيان للأمور، أو ابتدائية لها، وكذا الثانية بعطفها على الأولى من غير عاطف، وتركها شائع، ويحتمل أن يكون الثانية بياناً لطاعة الطواغيت، أو ابتدائية لها».

وفي المرأة: «قوله عليه السلام: من طاعة، «من» ابتدائية، وقوله عليه السلام: من زهرة، بيانية، أي لا تقدّموا على طاعة الله الأمور التي تحصل لكم بسبب طاعة الطواغيت، والأمور هي زهرات الدنيا، أي بهجتها ونضارتها وحسنها».

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِدَ اللَّهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ^(١)، يُحْكُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ سَيِّدٌ حَاكِمٌ غَدًا وَهُوَ مُوقِفُكُمْ وَمُسَائِلُكُمْ، فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ قَبْلَ الْوُقُوفِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَوْمَئِذٍ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُصَدِّقُ يَوْمَئِذٍ كَاذِبًا، وَلَا يُكَذِّبُ صَادِقًا، وَلَا يَرُدُّ عُذْرَ مُسْتَحِقٍّ، وَلَا يَعْذُرُ غَيْرَ مَعْذُورٍ^(٢)، لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الرُّسُلِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَقْبِلُوا مِنْ إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ مَنْ تَوَلَّوْنَهُ فِيهَا، لَعَلَّ نَادِمًا قَدْ نَدِمَ فِيمَا فَرَّطَ بِالْأَمْسِ فِي جَنْبِ اللَّهِ^(٣)، وَضَيَّعَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَةِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ. وَإِيَّاكُمْ وَصُحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ، وَمُجَاوَرَةَ الْفَاسِقِينَ، احْذَرُوا فَتَنَّتْهُمْ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَدَانَ بِغَيْرِ دِينِ اللَّهِ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ دُونَ أَمْرِ وَلِيِّ اللَّهِ، كَانَ^(٤) فِي نَارٍ تَلْتَهِبُ، تَأْكُلُ أَبَدَانًا قَدْ غَابَتْ عَنْهَا أَرْوَاحُهَا^(٥)،

١- في الأمالي للمفيد: «أنكم ونحن عباد الله» بدل «أنكم عبيد الله ونحن معكم».

٢- قال ابن الأثير: «حقيقة عذرت: محوُ الإساءة وطمستها». وقال الفيومي: «عذرتة في ما صنع عُذْرًا، من باب ضرب: رفعت عنه اللوم فهو معذور». النهاية، ج ٣، ص ١٩٧؛ المصباح المنير، ص ٣٩٨ (عذر). وفي شرح المازندراني: «أي يلوم ويعاقب من ليس له عذر في ترك ما امر به من طاعته وطاعة رسوله وطاعة ولي الأمر بعدها، إذ ليس له حجة وعذر على الله بعد البيان وإثبات الحجة لله عليه».

٣- في المرأة: «قوله عليه السلام: لعل نادماً، على سبيل المماشة، أي يمكن أن يندم نادماً يوم القيامة على ما قصر بالأمس، أي في الدنيا. في جنب الله، أي في قربه وجواره، أو في أمره وطاعته، أو مقرّي جنبه، أعني الأئمة عليهم السلام وإطاعتهم، كما ورد في الأخبار الكثيرة. والحاصل أن إمكان وقوع ذلك الندم كاف في الحذر فكيف مع تحقيقه، أو لأن بالنسبة إلى كل شخص غير متحقق. وفي تحف العقول: من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولى من لعل نادماً. وهو أظهر». وراجع: القاموس المحيط، ج ١، ص ١٤٣ (جنب).

٤- في شرح المازندراني: «قال الفاضل الأمين الإسترآبادي: «كان» بالتشديد؛ ليكون من الحروف المشبهة بالفعل، والمراد أن حاله هكذا في الدنيا في نظر أولياء الله. أقول: الجزاء حينئذ غير مرتبط بالشرط، وتقدير العائد خلاف الظاهر، والظاهر أن «كان» ناقصة».

٥- في شرح المازندراني: «قد غابت عنها أرواحها، من باب نسبة الجمع إلى الجمع بالتوزيع، والمراد بغيوبها فسادها بالمهلكات».

وَعَلَبَتْ عَلَيْهَا شِقْوَتَهَا، فَهُمْ مَوْتَى لَا يَجِدُونَ حَرَّ النَّارِ، وَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَوَجَدُوا مَضَضَ^(١) حَرِّ النَّارِ، وَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَا كُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ، وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ؛ فَانْتَفِعُوا بِالْعِظَةِ، وَتَادَّبُوا بِآدَابِ الصَّالِحِينَ^(٢).

وقد حذر الإمام عليه السلام في هذه الصحيفة المهمة عن الزهد من الاغترار بالدنيا، أو الركون إلى أهلها، واتباع الشيطان، أو طاعة أهل الباطل والفساد؛ ويأتي أهمية تركيز الإمام على الزهد في الدنيا لانتشار المفاسد الذي عمل الحكام الأمويون على إشاعته في المجتمع، ونشر الأخلاق التجارية والمادية في بلاد المسلمين حتى ينسوا ما حدث في كربلاء من مأساة بحق عترة النبي ﷺ؛ فعمل الإمام في المقابل على تذكير الناس بالآخرة، والعمل لها، وترك الركون إلى الدنيا وأهلها، والترغيب بالآخرة ونعيمها.

٤- رسالة في الحج:

روى الإمام الباقر عليه السلام وزيد بن علي والحسين الأصغر - أبناء الإمام زين العابدين عليه السلام - رسالة عن أبيهم في أحكام الحج^(٣)، وسيأتي الحديث عن بعض ما ورد عنه في أحكام الحج في الفصل الخامس من هذا الباب.

٥- تفسيره للآيات القرآنية:

روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام جمهرة من الروايات في تفسيره لبعض الآيات القرآنية، كما ورد أنه كتب بخطه الشريف القرآن الكريم، وهذا ما ستناوله بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذا الباب.

١- المَضَضُ: الألم والوجع. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ١١٠٦؛ المصباح المنير، ص ٥٧٤ (مضض).
 ٢- الكافي: ج ٨، ص ١٤، ح ١٤. ٢. الأمالي للمفيد: ص ١٩٩، المجلس ٢٣، ح ٣٣، بسنده عن الحسن بن محبوب، تحف العقول: ص ٢٥٢، عن علي بن الحسين عليهما السلام، الوافي: ج ٢٦، ص ٢٤٥، ح ٢٥٤٠٤؛ الوسائل: ج ١٦، ص ١١، ح ٢٠٨٢٨..
 ٣- الكافي: الشيخ الكليني، ج ٨، ص ١٤، ح ٢، (باب صحيفة علي بن الحسين).

٦ - مناظراته واحتجاجاته العلمية:

إن فن المناظرة والاحتجاج من الفنون العلمية التي تبين قدرة أطراف المناظرة على الحوار والرد العلمي وإفحام الخصوم بالدليل والبرهان العلمي الدقيق. وامتاز أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام بالتفوق في هذا الفن، وكانوا على أتم الاستعداد والجاهزية لمناظرة من أراد من أهل المذاهب والفرق والأديان المختلفة، وما ناظر إمام معصوم أحدًا إلا أفحمه بالرد العلمي القوي. وحفظت كتب الحديث والتاريخ والسيرة عددًا من مناظرات الإمام زين العابدين عليه السلام واحتجاجاته العلمية المدونة في العديد من الكتب والمصنفات^(١)، ومنها ما جمعه لنا الشيخ الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) من مناظراته واحتجاجاته العلمية المختلفة^(٢).

ونذكر مجموعة من تلك المناظرات والحوارات العلمية لما فيها من فوائد علمية دقيقة ومفيدة، ومنها:

أولاً - مع قاضٍ من قضاة الكوفة حول معنى القرى المباركة:

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: دَخَلَ قَاضٍ مِنْ قُضَاةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾^(٣)؟

قَالَ لَهُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهَا قِبَلَكُمْ؟
قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّهَا مَكَّةُ.

فَقَالَ: وَهَلْ رَأَيْتَ السَّرَقَ فِي مَوْضِعٍ أَكْثَرَ مِنْهُ بِمَكَّةِ؟
قَالَ: فَمَا هُوَ؟

١ - راجع بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ١٠، ص ١٤٥ - ١٤٩.

٢ - راجع كتاب الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، دار أسوة، طهران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ، ص ١١٥ - ١٦٢.

٣ - سبأ: ١٨.

قَالَ: إِنَّمَا عَنَى الرَّجَالَ.

قَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟

فَقَالَ: أَوْ مَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾^(١) وَقَالَ: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾^(٢) وَقَالَ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾^(٣) أَفَيْسَ أَلِ الْقَرْيَةِ أَوْ الرَّجَالَ أَوْ الْعِيرُ؟

قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ آيَاتٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَنْ هُمْ؟

قَالَ: نَحْنُ هُمْ.

فَقَالَ: أَوْ مَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا﴾^(٤)؟

قَالَ: آمِنِينَ مِنَ الزَّيْغِ^(٥).

قال العلامة المجلسي: «هذا أحد بطون الآية الكريمة، فالمراد بالقرى التي باركنا فيها الأئمة عليهم السلام إما بتأويل أهل القرى، أو كني عنهم بها لأنهم مجمع العلوم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»^(٦)، وبالقرى الظاهرة سفراؤهم وخواص أصحابهم الذين يوصلون علومهم إلى مَنْ دونهم كما صرح به في بعض الأخبار، وروي في بعضها أن سير الشيعة آمنين في زمن القائم عجل الله فرجه»^(٧). وأهل البيت الأطهار هم منبع البركة والخير للأمة، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «نَحْنُ أُمَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَحُجَجُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَسَادَةُ

١- الطلاق: ٨.

٢- الكهف: ٥٩.

٣- يوسف: ٨٢.

٤- سبأ: ١٨.

٥- الاحتجاج على أهل اللجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ١٣٩، رقم ١٧٨.

٦- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٣٢ ح ٤٥٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٧٩، بحار الأنوار: ج ٢٣

ص ١٧٣ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٦٢٥ ح ٨٤٣. تحف العقول: ص ٤٣٠.

٧- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ١٠، ص ١٤٥.

المؤمنين، وقادة العُرِّ المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، تُنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»^(١).

ثانياً- مع الحسن البصري وحقيقة مواعظه:

كان الحسن البصري يخطب في الحجاج، ويدعو الناس إلى اتباع بني أمية، ويضلّهم بأحاديثه ومواعظه غير الصائبة، ويعطلهم عن الطواف حول البيت الحرام، والصلاة والعبادة والدعاء، فتصدى له الإمام زين العابدين عليه السلام، واستخدم معه أسلوب طرح الأسئلة عليه حتى يكون في موقف الدفاع عن نفسه، حتى اضطر إلى ترك الخطابة والوعظ، وترك الناس يؤدون مناسك حجهم التي أتوا إليها؛ فحافظ الإمام بذلك على إيمان الحجاج، ونهى الحسن البصري عن الخطابة والوعظ؛ لأنه كان يمثل عالم السلطة الأموية ولم يكن مخلصاً في مواعظه لهم.

رَوِيَ أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام مَرَّ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ بِمَنَى، فَوَقَفَ عليه السلام عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكْ، أَسْأَلُكَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مُقِيمٌ، أَتَرْضَاهَا لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ لِلْمَوْتِ إِذَا نَزَلَ بِكَ غَدًا؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: أَفْتَحَدُّثُ نَفْسَكَ بِالتَّحَوُّلِ وَالانْتِقَالِ عَنِ الْحَالِ الَّتِي لَا تَرْضَاهَا لِنَفْسِكَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي تَرْضَاهَا؟

قَالَ: فَأُطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَقُولُ ذَلِكَ بِلاَ حَقِيقَةٍ.
قَالَ: أَفَتَرَجُو نَبِيًّا بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم يَكُونُ لَكَ مَعَهُ سَابِقَةٌ؟
قَالَ: لَا.

١- كمال الدين: ص ٢٠٧ ح ٢٢، الأمالي للصدوق: ص ٢٥٣ ح ٢٧٧، كلاهما عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام، روضة الواعظين: ص ٢٢٠ عن عمرو بن دينار، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٧، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٦ ح ١٠.

قال: أفترجو دارًا غير الدار التي أنت فيها تُردُّ إليها فتعمل فيها؟
قال: لا.

قال: أفرأيت أحدًا به مُسكَّةٌ عقلٍ رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ بهذا؟! إِنَّكَ عَلَى حَالٍ لَا تَرْضَاهَا، وَلَا تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِالانتِقَالِ إِلَى حَالٍ تَرْضَاهَا عَلَى حَقِيقَةٍ، وَلَا تَرْجُو نَبِيًّا بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا دَارًا غَيْرَ الدَّارِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَتُرَدُّ إِلَيْهَا فَتَعْمَلُ فِيهَا، وَأَنْتَ تَعِظُ النَّاسَ! قال: فَلَمَّا وَلَّى عليه السلام قال الحسنُ البصريُّ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.

قال: أَهْلُ بَيْتِ عِلْمٍ. فَمَا رُئِيَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعِظُ النَّاسَ ^(١). وفي موقف آخر للإمام زين العابدين عليه السلام مع الحسن البصري أيضًا: رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَرَأَى الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ يَعِظُهُمْ، وَكَانَ يُعْرِفُ مِنْهُ أَنْ يَرَى رَأْيَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي تَخْلِيدِ مَنْ يَعْمَلُ ذَنْبًا كَبِيرًا فِي النَّارِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا هَذَا، أَنْتَ عَلَى حَالٍ تَرْضَى لِنَفْسِكَ مَعَهَا الْمَوْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا.

فَقَالَ: أَفَأَنْتَ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْبَقَاءِ لَوْ قَتِلْتَ تُدْرِكُ فِيهِ التَّوْبَةُ؟ فَقَالَ: لَا.

فَقَالَ لَهُ: أَفَعِنْدَ الْمَوْتِ نَظْرَةٌ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا.

فَقَالَ لَهُ: أَفَبَعْدَ الْمَوْتِ عَمَلٌ؟ فَقَالَ: لَا.

فَقَالَ: فَعِظْ نَفْسَكَ وَدَعْ النَّاسَ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي قَدْ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ^(٢).

١- الاحتجاج: ج ٢ ص ١٤٠ ح ١٧٩، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٤٦ ح ٢.

٢- أعلام الدين: ص ٣٢٨.

ثالثاً- مع رجل من قريش حول زواج بني آدم

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ عليَّ بنَ الحسين عليه السلام يحدثُ رجلاً من قُريشٍ، قال: ... وَلِدَ لآدَمَ مِنْ حَوَاءَ عِشْرُونَ ذَكَرًا وَعِشْرُونَ أُنْثَى...، فَلَمَّا أَدْرَكُوا خَافَ عَلَيْهِمْ آدَمُ الْفِتْنَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ يَا هَابِيلُ لَوْزًا، وَأُنْكِحَكَ يَا قَابِيلُ إِقْلِيمًا....
فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: فَأَوْلَدَاهُمَا؟!
قال: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: فَهَذَا فِعْلُ الْمَجُوسِ الْيَوْمَ!
فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: إِنَّ الْمَجُوسَ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بَعْدَ التَّحْرِيمِ مِنَ اللَّهِ.
ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: لَا تُنْكِرْ هَذَا إِنَّمَا هِيَ شَرَائِعُ جَرَتْ، أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ زَوْجَةَ آدَمَ مِنْهُ ثُمَّ أَحَلَّهَا لَهُ؟! فَكَانَ ذَلِكَ شَرِيعَةً مِنْ شَرَائِعِهِمْ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ التَّحْرِيمَ بَعْدَ ذَلِكَ ^(١).

وأشار العلامة الطباطبائي إلى تناسل الطبقة الثانية من الإنسان بقوله:
«الطبقة الأولى من الإنسان وهي آدم وزوجته تناسلت بالازدواج، فأولدت بنين وبنات إخوة وأخوات، فهل نسل هؤلاء بالازدواج بينهم وهم إخوة وأخوات أو بطريق غير ذلك؟ ظاهر إطلاق قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ ^(٢) الآية - على ما تقدّم من التقريب - أن النسل الموجود من الإنسان إنما ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركما في ذلك غيرهما من ذكر أو أنثى، ولم يذكر القرآن لِبَثٍّ إِلَّا إِيَّاهُمَا. ولو كان لغيرهما شركة في ذلك لقال: وبثَّ منهما ومن غيرهما، أو ذكر ذلك بما يناسبه من اللفظ. ومن المعلوم أن انحصار مبدأ النسل في آدم وزوجته يقضي بازدواج بينهما من بناتهما.

١- الاحتجاج: ج ٢، ص ١٤٢، ح ١٨٠.

٢- النساء: ١.

وأما الحكم بحرمة في الإسلام وكذا في الشرائع السابقة عليه على ما يحكى فإنما هو حكم تشريعي يتبع المصالح والمفاسد لا تكويني غير قابل للتغيير، وزمامه بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فمن الجائز أن يبيحه يوماً لاستدعاء الضرورة ذلك، ثم يحرمه بعد ذلك لارتفاع الحاجة واستجابته انتشار الفحشاء في المجتمع.

والقول بأنه على خلاف الفطرة وما شرّعه الله لأنبيائه دين فطري - قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١) - فاسد؛ فإن الفطرة لا تنفيه ولا تدعو إلى خلافه من جهة تنقّرها عن هذا النوع من المباشرة - مباشرة الأخ الأخت - وإنما تبغضه وتنفيه من جهة تأديته إلى شيوع الفحشاء والمنكر وبطلان غريزة العفة بذلك وارتفاعها عن المجتمع الإنساني، ومن المعلوم أن هذا النوع من التماس والمباشرة إنما ينطبق عليه عنوان الفجور والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم، وأما المجتمع يوم ليس هناك بحسب ما خلق الله سبحانه إلا الإخوة والأخوات - والمشيئة الإلهية متعلّقة بتكثّرهم وانبثاقهم - فلا ينطبق عليه هذا العنوان.

والدليل على أن الفطرة لا تنفيه من جهة النفرة الغريزية تداوله بين المجوس أعصاراً طويلة على ما يقصّه التاريخ، وشيوعه قانونياً في روسيا على ما يُحكى وكذا شيوعه سفاحاً من غير طريق الازدواج القانوني في أوروبا^(٢). وربّما يقال: إنّه مخالف للقوانين الطبيعية وهي التي تجري في الإنسان قبل عقده المجتمع الصالح لإسعاده؛ فإن الاختلاط والاستيناس في المجتمع المنزلي يبطل غريزة التعشّق والميل الغريزي بين الإخوة والأخوات كما ذكره بعض

١- الروم: ٣٠.

٢- من العادات الرائجة في هذه الأزمنة في الملل المتمدّنة من أوروبا وأمريكا أن الفتيات يُزلن بكارتهنّ قبل الزواج القانوني والبلوغ إلى سنّه، وقد أنتج الإحصاء أن بعضها إنّما هو من ناحية آبائهنّ أو إخوانهنّ. (كما في هامش المصدر).

علماء الحقوق^(١). وفيه: إنه ممنوع كما تقدّم أولاً، ومقصود في صورة عدم الحاجة الضرورية ثانياً، ومخصوص بما لا تكون القوانين الوضعية غير الطبيعية حافطة للصالح الواجب الحفظ في المجتمع، ومتكفلة لسعادة المجتمعين، وإلا فمعظم القوانين المعمولة والأصول الدائرة في الحياة اليوم غير طبيعية^(٢).

رابعاً - مع رجل من أهل البصرة عن حروب الإمام علي عليه السلام

جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين عليه السلام، فقال: يا علي بن الحسين، إن جدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين! فهملت عينا علي بن الحسين عليه السلام دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الحصى، ثم قال: يا أبا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم، ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلما وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه.

وقد علمت صاحبة الخدب^(٣) والمستحفظون من آل محمد صلى الله عليه وآله أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأمي، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٤).

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين، إن جدك كان يقول: إخواننا بغوا علينا!

فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا﴾^(٥)؟ فهم مثلهم؛ أنجى الله عز وجل هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم^(٦).

١ - مونتسكيو في كتابه روح القوانين.

٢ - الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي، ٤ / ١٤٤.

٣ - الخدب: الجمل الشديد الصلب الضخم القوي (تاج العروس: ج ١ ص ٤٥٢ «خدب»).

٤ - طه: ٦١.

٥ - الأعراف: ٦٥.

٦ - الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٥ ح ١٧٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٤٣ ح ٣٢٧.

ونكتفي بهذه المناظرات والحوارات العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام، والتي فيها كثير من الفوائد العقائدية والعلمية والتربوية والأخلاقية. وتدل مجموع الآثار العلمية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام دلالة واضحة وقوية على مكانته العلمية العميقة، ودوره المؤثر في إثراء وإغناء وتعميق العلوم الدينية والمعارف الإسلامية.

المبحث الثالث

دوره العلمي

اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً كبيراً بنشر العلم وتعليم الناس، وأدّى دوراً كبيراً ومؤثراً في تنشيط الحركة العلمية في منطقة الحجاز، وخصوصاً في المدينة وما حولها، وتعليم الناس علوم الإسلام ومعارفه، وكتابة الحديث وتدوينه، وتبيين تفسير القرآن وتأويله، وبيان فقه الشريعة وأحكامها؛ وذلك بهدف إعداد جيل من الفقهاء والعلماء والرواة، وبناء كفاءات علمية عالية، وبسط العلم في المجتمع.

وتفرغ الإمام عليه السلام بعد رجوعه إلى المدينة المنورة واستقراره فيها إلى نشر العلوم الدينية، وبناء شخصية الإنسان المؤمن، والسعي نحو القضاء على منابح الجهل والتخلف، وصناعة الوعي والبصيرة عند أصحابه وشيعته وطلابه ومريديه ومحبيه.

وأصبح الإمام عليه السلام في المدينة المنورة بعدما عاد إليها واستقر فيها مناراً للعلم، ومنهلاً للحكمة، وينبوعاً للعلوم والمعارف، ومقصداً لطلاب العلم والمعرفة، ومرجعاً للدين، وقدوة للمؤمنين، وإماماً للمتقين.

قال المرحوم العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله) ما نصه:

«واتجه الإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام - بعد كارثة كربلاء - صوب العلم لأنه وجد فيه خير وسيلة لأداء رسالته الإصلاحية، كما وجد فيه خير ضمان لراحته النفسية التي أذابتها كوارث كربلاء، وقد هرع للانتهال من بحر علمه أبناء الصحابة، والعلماء والفقهاء، فأخذ يغذيهم بعلومه ومعارفه ليكونوا مناراً للعلم والأدب في العالم الإسلامي.

لقد انبرى الإمام عليه السلام إلى إنارة الفكر العربي والإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم، وحثهم عليه، وقد

مجدّ طلابه، وأشاد بحملته، وقد نمت بركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فأقبل الناس - بلهفة - على طلب العلم ودراسته؛ فكان حقاً من ألمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام^(١). ويضيف القرشي قائلاً: «أما الثروات الفكرية والعلمية التي أثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام فإنها تمثل الإبداع والانطلاق والتطور، ولم تقتصر على علم خاص، وإنما شملت الكثير من العلوم كعلم الفقه، والتفسير، وعلم الكلام، والفلسفة، وعلوم التربية والاجتماع، وقد عني بصورة خاصة بعلم الأخلاق، واهتم به اهتماماً بالغاً، ويعود السبب في ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية؛ فانبرى عليه السلام إلى إصلاح المجتمع وتهذيب أخلاقه»^(٢).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم ويدرس العلوم الدينية لطلاب الفقه والتفسير والحديث والكلام وغيرها من علوم ومعارف الإسلام، وكان يحضرها كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من الفقهاء والعلماء الذين وجدوا في الإمام ضالتهم لأخذ العلم من مصدره وينبوعه الذي لا ينضب.

الأخذ بناصية العلم

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يمجد العلم، ويشيد بفضله، ويحث على طلبه، وكان يقول: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلْبِ الْعِلْمِ لَطَلَبُوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ الْمُهْجِ^(٣) وَخَوْضِ اللَّجَجِ^(٤)»^(٥)؛ لما للعلم من الشرف والفضل والكمال، وبالعالم ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة، فإذا علم الإنسان بعين البصيرة

١- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (ع): ج ١٥، ص ١٢.

٢- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (ع): ج ١٥، ص ١٢ - ١٣.

٣- المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعد ما تراق مُهْجَتُهَا (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٧٠).

٤- النجّ الأمر: إذا عَظُم واختلط، ولجّة البحر: مُعْظَمُه (النهاية: ج ٤ ص ٢٣٣).

٥- الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، منية المريد: ص ١١١، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٦١ عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه صدره إلى «اللجج»، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

فضل العلم وقيّمته فإنه يكون مستعدّاً لتحمل المشاق والصعاب والمكاره من أجل طلبه والتزّين به.

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ إِلَى الْأَرْضِينَ السَّابِغَةُ»^(١). وكان يدعو إلى التمسك بناصية العلم، والتحلي بالبصيرة والفهم والوعي، فيقول عليه السلام: «اللَّهُمَّ... اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَمْسُكُوا بِعُرْوَةِ الْعِلْمِ وَأَذْبُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْفَهْمِ»^(٢).

ولأن العلم نور والجهل ظلام، العلم حياة والجهل موت، ولأن أي تقدم لأي مجتمع لا يمكن تحقيقه إلا بالعلم؛ كان الإمام عليه السلام يدعو الناس إلى التعلم والأخذ بأسباب العلم والمعرفة، والعمل بما يعلمون، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «الْعِلْمُ دَلِيلُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ وَعَاءُ الْفَهْمِ»^(٣).

وكان من دعائه عليه السلام: «ثُمَّ اسْتَغْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ، وَوَفِّقْنِي لِلتُّفُؤِ فِيهَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ، حَتَّى لَا يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِيهِ، وَلَا تَثْقُلَ أُرْكَانِي عَنِ الْخُفُوفِ فِيهَا أَلْهَمْتَنِيهِ»^(٤).

فالعلم من دون عمل لا يكفي، كما أن العمل من دون علم لا يوصل الإنسان إلى التقدم والتطور، وحتى نصنع الوعي الاجتماعي والتقدم الحضاري للأمة يجب الجمع بين العلم والعمل.

ولذا روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا لَا تَعْمَلُونَ وَلَمَّا عَمِلْتُمْ بِمَا عَلَّمْتُمْ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يُعْمَلْ بِهِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»^(٥).

١- الخصال: ص ٥١٨ ح ٤ عن جمران بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٦٨ ح ١٦.

٢- بحار الأنوار: ٩١/١٢٧/١٩.

٣- أعلام الدين: ص ٩٦.

٤- الصحيفة السجّادية: ص ١٠١ الدعاء ٢٤.

٥- بحار الأنوار: ٢/٢٨/٦.

آداب المعلم والمتعلم

أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ما ينبغي أن يتحلى به أهل العلم من صفات وآداب، وكان يحث على التواضع للعلم، ونكران الذات، وعدم التكبر على المتعلمين عنده، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «أَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا جَعَلَكَ قِيًّا لَّهُمْ فِيمَا آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَفَتَحَ لَكَ مِنْ خَزَائِنِهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَلَمْ تَحْرِقْ بِهِمْ وَلَمْ تَضْجِرْ عَلَيْهِمْ زَادَكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِنْ أَنْتَ مَنَعْتَ النَّاسَ عِلْمَكَ أَوْ حَرَقْتَ بِهِمْ عِنْدَ طَلِبِهِمُ الْعِلْمَ مِنْكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ الْعِلْمَ وَبِهَاءَهُ وَيُسْقِطَ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّكَ»^(١).

وعن تعليم الصغير قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «حَقُّ الصَّغِيرِ رَحْمَتُهُ فِي تَعْلِيمِهِ وَالْعَفْوُ عَنْهُ وَالسِّرُّ عَلَيْهِ وَالرَّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ»^(٢).

وكان عليه السلام يدعو إلى نشر العلم وعدم كتمانهِ وإلى مجانية التعليم، فكان يقول: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَحَدًا أَوْ أَخَذَ عَلَيْهِ صَفْدًا^(٣) فَلَا نَفْعَ لَهُ أَبَدًا»^(٤). وعنه عليه السلام قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَحَدًا، أَوْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَجْرًا رِفْدًا، فَلَا يَنْفَعُهُ أَبَدًا»^(٥).

ويستفاد من كلام الإمام عليه السلام عدة أمور وآداب منها: حسن الخلق، التواضع العلمي، أن يكون المعلم قدوة لطلابه، الرحمة والرفق بالمعلم ومعاونته والعفو عن زلاته، بذل العلم لطلابه وعدم كتمانهِ، عدم الضجر من تعليم المتعلمين، الابتعاد عن المفاخرة والمراء والعجب، صيانة العلم من الابتذال، بدء الدرس بموعظة أو حكمة قصيرة ومعبرة.

١- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢١ ح ٣٢١٤، الخصال: ص ٥٦٧ ح ١ كلاهما عن أبي حمزة الثمالي (ثابت بن دينار)، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٧٤ ح ٥٤، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦١ ح ٢.

٢- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٥ ح ٣٢١٤ عن ثابت بن دينار، تحف العقول: ص ٢٧٠ ح ٤٤ وزاد فيه «وتثقيفه»، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٩ ح ١.

٣- الصفد - محرقة -: العطاء.

٤- كشف الغمة: ج ٢، ص ١٠٣.

٥- حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٤٠ عن موسى بن أبي حبيب.

وذكر الإمام عليه السلام أيضًا حقوق المعلم على المتعلم، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ: التَّعْظِيمُ لَهُ، وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ، وَحُسْنُ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَالِإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ، وَأَنْ لَا تُجِيبَ أَحَدًا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، وَلَا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا، وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ، وَأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ، وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ، وَلَا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوًّا، وَلَا تُعَادِيَ لَهُ وَلِيًّا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وَتَعَلَّمْتَ عِلْمَهُ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لَا لِلنَّاسِ»^(١).

وروي عنه عليه السلام - في رواية أخرى - أنه قال: «أَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ: فَالتَّعْظِيمُ لَهُ، وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ، وَحُسْنُ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَالِإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْمَعُونَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا لَا غِنَى بِكَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ، بِأَنْ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ، وَتُخَضِّرَ فَهْمَكَ، وَتُرَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ، وَتُجَلِّيَ لَهُ بَصَرَكَ بِتَرْكِ اللَّذَاتِ وَنَقْصِ الشَّهَوَاتِ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيمَا أَلْقَى إِلَيْكَ رَسُولُهُ إِلَى مَنْ لَقِيَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ، فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيَةِ عَنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَخْنَهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدْتَهَا»^(٢).

والمستفاد من كلامه عليه السلام أن للمعلم مجموعة من الحقوق على المتعلم، منها: توقير المعلم وتعظيمه، أن يكون وفيًّا لأستاذه فلا يقبل النيل منه أو اغتيابه أو إفشاء أسرارهِ وخصوصياته، حسن الاستماع والإقبال عليه، ألا يرفع صوته عليه، أن لا تجيب بدلاً عنه، ألا تحدث أحداً في مجلسه، وألا تغتاب عنده أحداً، أن تظهر مناقبه وتستر معاييه، وألا تجالس له عدواً ولا تعادي له صديقاً، وأن تتواضع للعلم والمعلم.

ودعا الإمام عليه السلام إلى تحلي المتعلم بصفات مهمة: كالحرص على التعلم والفهم، والحلم، والصمت، والانتباه للمطالب العلمية كي يستوعبها، فقد

١- الخصال: ٥٦٧ / ١.

٢- تحف العقول: ج ٢٦٠ ص ١٥، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣ ح ٢.

روى عنه عليه السلام أنه قال: «المؤمن خلطَ علمه بالحلم، يجلس ليُعلم، وينصت ليُسلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصدقاء»^(١).

إكرام العالم وملازمته

لأهمية العالم في المجتمع، وموقعيته المتقدمة في نفع الناس بالعلم والمعرفة، ينبغي إكرامه وعدم الاستخفاف به، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال: إنَّ أمقت عبيدي إليَّ الجاهلُ المستخفُّ بحقَّ أهلِ العلم، التَّاركُ لِلاقتداءِ بهم»^(٢).

وإذا كان أمقت الناس إليه المستخف بأهل العلم فإن أحب الناس إليه الملازم لهم، والتابع للحلما، لما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال: ... إنَّ أحبَّ عبيدي إليَّ التَّقِيُّ الطَّالِبُ لِلثَّوَابِ الجَزِيلِ، اللَّازِمُ لِلْعُلَمَاءِ، التَّابِعُ لِلْحُلَمَاءِ، الْقَابِلُ عَنِ الْحُكَمَاءِ»^(٣).

وكان الإمام عليه السلام يكرم طلاب العلم، ويرحب بهم، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان أبي زين العابدين عليه السلام إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم، أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»^(٤).

وكان إذا جاءه طالب علم قال: «مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٥) في إشارة منه إلى وصية رسول الله ﷺ بإكرام العلماء الربانيين واحترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وإجلالهم.

وجذب الإمام عليه السلام بأخلاقه الفاضلة وعلومه الغزيرة كبار الفقهاء

١- بحار الأنوار: ٦٤ / ٢٩١ / ١٤.

٢- الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٣- الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، منية المريد: ص ١١١، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٤- الدر النظيم: يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي، ص ٥٨٧.

٥- الخصال: الشيخ الصدوق، ص ٥١٨.

والعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية إلى حضور مجلسه العلمي، وكانوا
يحرصون على الاستماع إليه جيداً كي يستفيدوا من دروسه ومحاضراته
وفوائده العلمية في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

الفصل الثاني

البناء العقائدي عند الإمام زين العابدين عليه السلام

المبحث الأول- في رحاب العقيدة والكلام

المبحث الثاني- مواجهة التعصب الديني

المبحث الأول

في رحاب العقيدة والكلام

البعد الأول- بناء العقائد الحقة

البعد الثاني- هدم العقائد الفاسدة



بناء وهدم

من الأمور المهمة التي اهتم بها الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً بالغاً بيان وتبيين العقائد الحقة، وبناء الأصول والمداмик الاعتقادية عند الناس، وتقوية إيمانهم بعقائد الإسلام الصحيحة.

ومن جهة أخرى هدم الإمام العقائد الفاسدة، وردَّ على الشبهات والإشكاليات العقائدية والكلامية التي كان يثيرها الملاحدة والزنادقة والمبتدعة وغيرهم من أصحاب المقالات الفاسدة والاعتقادات الباطلة للتأثير على الناس، وحرفهم عن العقائد الصحيحة.

إن الإمام عليه السلام ركَّز على بعدين مهمين في رحاب العقائد والكلام:

البعد الأول - بناء العقائد الحقة.

البعد الثاني - هدم العقائد الفاسدة.

وإليك تفصيل ذلك وبيان أهم ما قام به الإمام في هذا الجانب المهم.

البعد الأول - بناء العقائد الحقة

لبيان ما قام به الإمام عليه السلام في البعد الأول من دور مهم في بيان وتبيين العقائد الحقة، وإيضاح تفاصيل العقائد الصحيحة وأركانها نوجز الكلام في المطالب الآتية:

المطلب الأول - التوحيد:

بيّن الإمام زين العابدين عليه السلام جملة من المسائل المرتبطة بالتوحيد، وهو الأصل الأول من أصول الدين، ومن أهم ما بيّنه ما يأتي:

٣- ليس كمثله شيء:

دخل الإمام زين العابدين عليه السلام المسجد النبوي فوجد قومًا يختصمون حول معنى (التوحيد) ويتجادلون فيه، فبيّن لهم الإمام أن الله تعالى نور،

وليس كمثله شيء، ومن كان كذلك لا يمكن نعته. تقول نص الرواية:
 دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى قَوْمًا يَخْتَصِمُونَ، قَالَ
 لَهُمْ: «فِيمَ تَخْتَصِمُونَ؟».

قَالُوا: فِي التَّوْحِيدِ.

قَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ مَقَالَتَكُمْ».

قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِنَّ اللَّهَ يُعْرِفُ بِخَلْقِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): «قولوا: نورٌ لا ظلامَ فيه، وحياةٌ لا موتَ فيه،
 وصمدٌ لا مدخلَ فيه».

ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَكَانَ نَعْتُهُ لَا
 يُشَبِّهُ نَعْتَ شَيْءٍ فَهُوَ ذَاكَ»^(١).

ولأن الله تعالى ليس كمثله شيء فقد حارت العقول في كنهه عظمته،
 وعجزت العقول عن نعته، إذ ليس له في الأشياء عديل ولا نظير؛ ولذا ورد
 في الدعاء عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ، وَتَفَسَّخَتْ
 دُونَكَ النُّعُوتُ، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيائِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ»^(٢).

وعنه (عليه السلام) أيضًا قال: «اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ»^(٣).

وعنه (عليه السلام) قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ... الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ،
 وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ»^(٤).

٤ - لا يحويه مكان:

الله سبحانه وتعالى لا يحويه مكان، ولا يوصف بمكان، ولا يحده مكان،
 وليس له مكان، ولا يحل في مكان؛ لأنه ليس بجسم ولا مادة؛ ويجب

١ - جامع الأخبار: الشعيري، ص ٣٩ ح ٢٧. التوحيد: ص ٧٦ ح ٣٢. بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٠٤، ح ٣٣.

٢ - الصحيفة السجّادية: ص ١٢٩ الدعاء ٣٢.

٣ - الصحيفة السجّادية: ص ١٢٣ الدعاء ٣١.

٤ - الصحيفة السجّادية: ص ١٩ الدعاء ١.

أَنْ يُنَزَّهَ عَنِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، وَلِذَا نَقَرَأُ فِي الدَّعَاءِ الْمُرُويِّ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام: «أَنْتَ الَّذِي لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ»^(١).

وروى الصدوق بإسناده عن ثابت بن دينار، قال: سَأَلْتُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: عَنْ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - هَلْ يُوصَفُ بِمَكَانٍ؟ فَقَالَ: «تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ».

قُلْتُ: فَلِمَ أَسْرَى بِنَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: «لِإِرِيَهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِهِ وَبِدَائِعِ خَلْقِهِ». قُلْتُ: فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢). قَالَ: «ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ دَنَا مِنْ حُجُبِ النُّورِ فَرَأَى مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ تَدَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى مَلَكُوتِ الْأَرْضِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»^(٣). وروى الصدوق أيضًا بإسناده عن زيد بن علي: سَأَلْتُ أَبِي سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عليه السلام: فَقُلْتُ لَهُ...: يَا أَبَهْ، أَلَيْسَ اللَّهُ - جَلَّ ذِكْرُهُ - لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ؟ فَقَالَ: «بَلَى، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا».

قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عليه السلام لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؟ فَقَالَ: «مَعْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ﴾»^(٤) وَمَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾»^(٥) وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٦)، يَعْنِي: حُجُّوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ.

١ - الصحيفة السجادية: ص ١٨٦ الدعاء ٤٧.

٢ - سورة النجم: الآيتان ٨ و ٩.

٣ - علل الشرائع: ص ١٣١ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٢١٣ ح ٢٣٨، روضة الواعظين: ص ٧٠ وفيه «سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ...»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١٤ ح ٨.

٤ - الصافات: ٩٩.

٥ - طه: ٨٤.

٦ - الذاريات: ٥٠.

يَا بُنَيَّ إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ فَقَدْ قَصَدَ إِلَى اللَّهِ، وَالْمَسَاجِدَ بُيُوتُ اللَّهِ، فَمَنْ سَعَى إِلَيْهَا فَقَدْ سَعَى إِلَى اللَّهِ وَقَصَدَ إِلَيْهِ، وَالْمُصَلِّي مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ فَهُوَ وَقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِقَاعًا فِي سَمَاوَاتِهِ، فَمَنْ عُرِجَ بِهِ إِلَى بُقْعَةٍ مِنْهَا فَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَيْهِ. أَلَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(١) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢) ((٣)).

٥ - الله سبحانه لا يحد بحد:

أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام أن الله تعالى لا يحد بحد، ولا يصح أن يوصف بالمحدودية، ولا بما يستلزمها من أوصاف وأجزاء وكيفيات ونهايات وغيرها من الأمور التي توجب تحديده، قال الإمام عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ، عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ^(٤) مَنْ لَا يَحْدُ وَ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥)؟!»^(٦).

ومعنى قول الإمام عليه السلام - كما قال المازندراني -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ»، أي لا يكون له هذه الصفة في الواقع فلا يجوز لأحد أن يصفه بها ولا بما يستلزمها من كونه جسمًا أو صورة أو أطراف ونهايات أو ذا أجزاء وكيفيات إلى غير ذلك من الأمور الموجبة لتحديده. «عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ» أي من أن يكون له صفة؛ لأنَّ كُلَّ ذِي صِفَةٍ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْغَيْرِ نَاقِصٌ فِي حَدِّ

١ - المعارج: ٤.

٢ - فاطر: ١٠.

٣ - كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٩٨ ح ٦٠٣، التوحيد: ص ١٧٧ ح ٨، علل الشرائع: ص ١٣٣ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٥٤٤ ح ٧٢٧، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٢١ ح ١٧.

٤ - في الوافي: «بالمحدودية».

٥ - سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

٦ - الكافي: ج ١، ص ١٠٠، ح ٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٧٣، ح ٧٨، الوافي، ج ١، ص ٤١٠، ح ٣٣١.

ذاته، وفيه دلالة على أَنَّ صفاته الكمالية عين ذاته المقدسة. «كَيْفَ يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ مَنْ لَا يُحَدُّ» أي من ليس له حدّ عرفيّ ولا لغويّ لتَنَزُّهه عن الأجزاء والنهايات وتقُدُّسه عن الأطراف والغايات. ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لتَنَزُّهه عن قبول الإشارة الظاهرة الحسية والإشارة الباطنة العقلية. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ لإحاطة علمه بالمبصرات والمعقولات ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ أي البعيد عن إدراك الخلق له أو البرُّ بعباده، الَّذي يلطف بهم ويرفق من حيث لا يعلمون أو العالم الكامل في الفعل والتدبير، أو الخالق للخلق اللطيف الَّذي يعجز عن إدراك أعضائه وجوارحه أبصار الناظرين ومن تعقل خواصّه ومنافعه عقول العارفين أو فاعل اللطف رافة بعباده وهو ما يتقرَّب معه العبد من فعل الطاعة ويبعد عن المعصية، كإنزال الكتب وإرسال الأنبياء ونصب الأوصياء»^(١).

فالله سبحانه وتعالى لا يمكن حده بحد، ولا يصح وصفه بما يوجب حده، ولا يمكن للبشر أن يصفوا الله بعظمته التي له لعجزهم عن إدراكها، وقد روي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ: «لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِعَظَمَتِهِ، لَمْ يَقْدِرُوا»^(٢).

٦ - وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ:

ورد في الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «لَكَ يَا إِلَهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفُضِيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ»^(٣). والمراد بقول الإمام عليه السلام: «لَكَ يَا إِلَهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ» أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى ليس قابلاً للتعدد، وإنَّ هذا الحديث لا يتعارض مع الأحاديث التي تصف الله تعالى بأنَّه «واحد بلا عدد»، ووجه الجمع بينها يتبين من خلال

١ - شرح أصول الكافي: المولي محمد صالح المازندراني، ج ٣، ص ٢٠٠.

٢ - الكافي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٤. الوافي: ج ١، ص ٤٠٩، ح ٣٢٧.

٣ - الصحيفة السجّادية: ص ١١٨ الدعاء ٢٨.

الحديث اللاحق المنقول عن الإمام الباقر عليه السلام، فقد جاء في هذا الحديث أن معنى الواحد «المفرد الذي لا نظير له» لذا لا يقبل التشية والتعدد. من هنا لا يعدّون الواحد من الأعداد، بينما يعدّون الاثنين وما بعدها من الأعداد، إذ إنَّ في معنى العدد التشية والتعدد، وعلى هذا الأساس معنى «لك يا إلهي وحدانية العدد» أن ما يتعلق بالواحد الذي لا يقبل التعدد وليس جزءاً من الأعداد، ينطبق على الخالق أيضاً، يعني أن الله ليس قابلاً للتعدد. أما في الأحاديث التي تقول: «واحد لا بعد» فالمراد المعنى اللغوي للعدد، يعني أنه في وحدانيته تعالى غير قابل للتعدد، وبناءً على ذلك فالعبارتان «وحدانية العدد» و «واحد لا بعد» تبيان مطلباً واحداً، وهو أن الله تعالى واحد ومتفرد، وبالنتيجة لا يقبل التعدد، وهناك تفاسير أخرى ذكرت في إيضاح هذا المطلب^(١).

٧- هو الأول والآخر:

أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أن الله تعالى هو الأول بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده؛ فنقرأ في دعائه يوم عرفة: «وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ»^(٢).

ونقرأ في دعائه في التّحميد لله عز وجل ما نصّه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ»^(٣).

ويشير الإمام عليه السلام في دعائه إلى المعنى المطلق للأول والآخر، هذا المعنى لله سبحانه وحده لا يشاركه فيه غيره، فما من أوّل مطلق وآخر مطلق إلا هو عز وجل، وورد هذان اللفطان بهذا المعنى مرّة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

١- راجع: رياض السالكين: ج ٤ ص ٢٩٧. موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، ج ٤، ص ٣٢.

٢- الصحيفة السجّادية: ص ١٨٦ الدعاء ٤٧.

٣- الصحيفة السجّادية: ص ١٩ الدعاء ١.

٤- سورة الحديد: الآية ٣.

وأوضح العلامة الطباطبائي (قدس سره) معنى الأوَّل والآخِرُ بقوله: «المراد من أوَّلِيَّتِهِ وآخِرِيَّتِهِ سبحانه إحاطته بجميع الأشياء...، فكلُّ ما فُرض أوَّلًا فهو قبله، فهو الأوَّل دون الشيء المفروض أوَّلًا، وكلُّ ما فُرض آخرًا فهو بعده لإحاطة قدرته به من فوقه...، فأوَّلِيَّتِهِ وآخِرِيَّتِهِ تعالى فرعان من فروع اسمه «المحيط»، والمحيط من فروع قدرته المطلقة...، ويمكن تفريع الأسماء الأربعة على إحاطة وجوده بكلِّ شيء...، فإنَّ وجوده تعالى قبل وجود كلِّ شيء وبعده...»^(١).
والمستفاد من الروايات التي تشير إلى أوَّلِيَّة الله وآخِرِيَّتِهِ أنها تأتي بمعنى أوَّلِيَّتِهِ وآخِرِيَّتِهِ في الوجود، ومن هنا تعود أوَّلِيَّتِهِ وآخِرِيَّتِهِ إلى تفرُّده في الأزليَّة والأبدِيَّة؛ فتأمل.

٨- الخلق يدل على الخالق:

كل المخلوقات والموجودات آيات وآثار تدل على وجود الله تعالى؛ ولذا يتعجب الإمام عليه السلام أشد ما يكون التعجب من الإنسان الشاك في وجود الله تعالى وهو يرى خلقه، ومن الذي ينكر الآخرة وهو يرى الدنيا، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «وَعَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ، وَعَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى»^(٢).

وروى البرقي عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى الْخَلْقَ، وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ وَهُوَ يَرَى الْأُولَى»^(٣).

وهو فعلاً مدعاة للعجب والتعجب، فكيف يشك الإنسان بوجود الخالق عز وجل وهو يرى المخلوقات من البشر والحيوانات والنباتات وغيرها؛ إذ يستحيل أن تخلق نفسها بنفسها، بل لا بد وأن يكون لها خالق

١- الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩ ص ١٤٥.

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ٧٦.

٣- المحاسن: البرقي، ج ١، ص: ٢٤٣، ح ٢٣٠.

وهو الله سبحانه؛ ولذا قالت الرسل لأقوامها المشككة بوجود الله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، فلا مجال للشك مع رؤية السماوات بغير عمد، ورؤية الأرض وما ألقى فيها من جبال ورواسي، وخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها، ونزول الغيث من السماء وغيرها من الآيات الدالة على وجوده كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

٩- عالم بكل شيء:

الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، ومحيط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء؛ لأنه خالق كل شيء، ومحيط بكل شيء، وعلمه سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية، ولذا فعلمه مطلق لا يتناهى، وهو غير حادث ولا مكتسب.

وأشار الإمام زين العابدين (عليه السلام) في بعض أدعيته إلى ذلك بقوله: «يا الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكيف يخفى عليك يا إلهي ما أنت خلقتة؟ وكيف لا تُحصى ما أنت صنعتة؟ أو كيف يغيبُ عنك ما أنت تُدبره؟ أو كيف يستطيع أن يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك؟ أو كيف ينجو منك من لا مذهب له في غير ملكك»^(٣).

ونقرأ في دعائه في صلاة الليل: «اللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَفَايَا الْأَعْمَالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مَسْتَوْرٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلَا تَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الْأُمُورِ، وَلَا تَعْزُبُ عَنْكَ عِيَّاتُ السَّرَائِرِ»^(٤).

١- إبراهيم: الآية ١٠.

٢- لقمان: الآيتان ١٠ - ١١.

٣- الصحيفة السجادية: ص ٢٢١ الدعاء ٥٢.

٤- الصحيفة السجادية: ص ١٣٠ الدعاء ٣٢، مصباح المتهجد: ص ١٨٨ ح ٢٧٢، الإقبال: ج ٢ ص ١٥٣ عن الإمام الصادق (عليه السلام).

المطلب الثاني - النبوة:

أثنى الإمام زين العابدين (عليه السلام) في أدعيته وصلواته على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبين فضله ومقامه الرفيع، وجهاده في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وأنه خاتم النبيين وسيد المرسلين، ومن تلك الأدعية الآتي:

١ - النبي إمام الرحمة وقائد الخير:

أشار الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى أن النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نعمة امتن الله بها على هذه الأمة، ثم عدّد بعض صفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها: أنه إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة؛ ثم أوضح (عليه السلام) ما تحمله النبي من الآلام والمحن والأذى في سبيل إعلاء كلمة التوحيد وتبليغ الرسالة ونشر الفضيلة والأخلاق.

ولنقرأ ما قاله الإمام (عليه السلام) في دعائه:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجُزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ^(١)، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَكَثَّرْنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيِّكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامَ الرَّحْمَةِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَاتِ، كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ^(٢)، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ، وَأَقْصَى الْأَدْنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَرَبَّ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالِيَّ فِيكَ الْأَبْعَدَيْنِ، وَعَادِيَّ فِيكَ الْأَقْرَبَيْنِ، وَأَدَّابَ^(٣) نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ، وَأَتَعَبَهَا بِالْدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ،

١ - لَطُفَ: صَغُرَ وَدَقَّ (القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٩٥ «لطف»).

٢ - الحامّة: الخاصّة. وحامّة الرجل: أقرباؤه (الصحيح: ج ٥ ص ١٩٠٧ «حم»).

٣ - أَدَّابَ الرجل الدابة: أتعبها، دأب: جدّ و تعب (تاج العروس: ج ١ ص ٤٧٦ «دأب»).

وَشَغَلَهَا بِالنَّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْعُرْبَةِ وَحَلَّ النَّأْيَ ^(١) عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ، إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَارًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتَّى اسْتَتَبَ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ، فَتَهَدَّ ^(٢) إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا بِعَوْنِكَ، وَمُتَّقَوًّا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُجُوحَةٍ ^(٣) قَرَارِهِمْ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ فَارْفَعُهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتَّى لَا يُسَاوَى فِي مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَأُ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلٌ مَا وَعَدْتَهُ، يَا نَافِذَ الْعِدَّةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ^(٤).

٢- مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَكْرَمُ الْأُمِّيِّينَ:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين وأكرم الأميين، فقد روي عنه عليه السلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَكْمَلَ صَلَوَاتِكَ وَأَشْرَفَهَا، وَأَجْمَلَ نَحْيَاتِكَ وَالطَّهَفَهَا، وَأَشْمَلَ بَرَكَاتِكَ وَأَعْظَمَهَا، وَأَجَلَّ هِبَاتِكَ وَأَرَأَفَهَا عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَأَكْرَمِ الْأُمِّيِّينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الطَّاهِرِينَ، وَعِترتهِ النَّجَبَاءِ الْمُخْتَارِينَ، وَشِيعَتِهِ الْأَوْفِيَاءِ الْمُوَازِينَ، مِنْ أَنْصَارِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَأَدْخِلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ مَنْ دَخَلَ فِي زُمْرَتِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» ^(٥).

١- النَّأْيُ: الْبُعْدُ (لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٠٠ «نأي»).

٢- تَهَدَّى: نَهَضَ (النهاية: ج ٥ ص ١٣٤ «نهد»).

٣- الْبُجُوحَةُ: وَسَطُ الْمَحَلَّةِ، وَبُجُوحَةُ الدَّارِ: وَسْطُهَا (لسان العرب: ج ٢ ص ٤٠٧ «بحح»).

٤- الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ: ص ٢٥ الدعاء ٢؛ شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٨٦ عن الإمام علي عليه السلام.

٥- بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٦٠ ج ٢٢.

٣- بلغ الرسالة وصدع بالأمر:

أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على أن النبي محمدًا ﷺ قد بلغ الرسالة وصدع بالأمر ونصح للعباد وجاهد في سبيل الله تعالى حتى ارتفعت راية التوحيد خفاقة، وجاء الحق وزهق الباطل؛ ولذا فهو يستحق الجزاء الأوفى، فنقرأ في دعائه عليه السلام:
 «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا بَلَغَ رِسَالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِينَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِسًا، وَأَمَكْنَهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْرًا، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وَقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ، وَيَبِّضْ وَجْهَهُ، وَأَتِمِّمْ نُورَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَحِينَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَخُذْنَا مِنْهَا جَهً، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَتِهِ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِكَاسِهِ.
 وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلَاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرَامَتِكَ، إِنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَفَضْلٍ كَرِيمٍ.

اللَّهُمَّ اجْزِهِ بِمَا بَلَغَ مِنْ رِسَالَاتِكَ، وَأَدِّى مِنْ آيَاتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(١).

٤- النبي مؤيد بالنور المضيء:

أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام أن النبي ﷺ مؤيد بالنور المضيء، ومسدد بكتاب مهيمٍ على كل كتاب، جامع لكل رُشدٍ و صوابٍ، وهو القرآن الكريم؛ حتى علا الحق وظهر، وزهق الباطل وانحسر، فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال:

١- الصحيفة السجّادية: ص ١٦١ الدعاء ٤٢، مصباح المنتهجد: ص ٥٢٢ ح ٦٠٣، الإقبال: ج ١ ص ٤٥٣
 عن محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني بإسناده، المصباح للكفعمي: ص ٦٢١.

«أشهد أن محمداً نبيه المرسل، ووليه المفضل، وشهيد المستعدل، المؤيد بالنور المضيء، والمسدد بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواج الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح ببيانها، في كتاب مهيم على كل كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون، وتفصيل الشؤون، وفرص الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام فدعا إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحق وظهر، وزهق الباطل وانحسر، صلى الله عليه وآله، صلاة دائمة مهيمة لا تنقضي لها مدة، ولا ينحصر لها عدة.

اللهم صل على محمد وآل محمد، ما جرت النجوم في الأبراج، وتلاطمت البحور بالأمواج، وما ادلهم^(١) ليل داج، وأشرق نهار ذو ابتلاج، وصل عليه وآله ما تعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبرت الأفهام، وما بقي الأنام.

اللهم صل على محمد خاتم الأنبياء، وآله البررة الأتقياء، وعلى عترته النجباء، صلاة معروفة بالتَّمام والنَّساء، وباقيَّة بلا فناء وانقضاء^(٢).

المطلب الثالث - الإمامة:

الإمامة في المدرسة الإمامية أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإسلام، وقد دار سجال وجدال بين أصحاب الفرق والمذاهب حول منصب الإمامة والحاجة إليها، وصفات الإمام وغير ذلك من الأحكام والرؤى المرتبطة بها، وأوضح الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعض المسائل المرتبطة بموضوع الإمامة، نوجزها في النقاط الآتية:

١ - منزلة الأئمة:

أوضح الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مواضع متعددة منزلة الأئمة ومكانتهم الرفيعة عند الله تعالى، ومنها ما روي عنه (عليه السلام) أنه قال: «إن الله خلق محمداً

١ - ادلهم الظلام: كُثف (القاموس المحيط: ج ٤ ص ١١٣ «دلهم»).

٢ - بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٥٤ ح ٢٢.

وَعَلِيًّا وَأَحَدَ عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، فَأَقَامَهُمْ أَشْبَاحًا^(١) فِي ضِيَاءِ نُورِهِ، يَعْبُدُونَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيُقَدِّسُونَهُ، وَهُمْ الْأُئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢).

وعنه عليه السلام قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! أُعْطِينَا سِتًّا، وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّاحَةَ، وَالْفَصَاحَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنَا الصَّدِيقَ، وَمَنَا الطَّيَّارَ، وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ، وَمَنَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الْبَتُولَ، وَمَنَا سِبْطًا هَذِهِ الْأُئِمَّةُ وَسَيِّدًا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٣).

وعنه عليه السلام قال: «نَحْنُ أُئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَحُجَجُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَسَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَادَةُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَمَوَالِي الْمُؤْمِنِينَ، وَنَحْنُ أَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، وَنَحْنُ الَّذِينَ بِنَا يُمَسِّكُ اللَّهُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِنَا يُمَسِّكُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، وَبِنَا يُنْزِلُ الْغَيْثَ، تُنْشَرُ الرَّحْمَةُ، وَتَخْرُجُ بَرَكَاتُ الْأَرْضِ، وَلَوْ لَا مَا فِي الْأَرْضِ مَنَا لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا^(٤).

وعنه عليه السلام قال: «نَحْنُ أَبْوَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ عِيَّةُ عِلْمِهِ، وَنَحْنُ تَرَاجِمُهُ وَحْيِهِ، وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ، وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ^(٥).

وعنه عليه السلام قال: «نَحْنُ الْفُلُكُ الْجَارِيَةُ فِي اللَّجَجِ الْغَامِرَةِ، يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَهَا وَيَغْرُقُ مَنْ تَرَكَهَا^(٦).

١- الأشباح: ظلُّ النُّور، أبدان نورانية، بل أرواح، جمع شَيْخ، وهو الشَّخص (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٩٢٤ «شبح»).
٢- الكافي: ج ١ ص ٥٣٠ ح ٦، كمال الدين: ص ٣١٨ ح ١، الأصول الستة عشر: ص ١٣٩ ح ٣٧ كلّها عن أبي حمزة، بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٢٠٢ ح ١٤٦.

٣- مقتل الحسين للخوارزمي: ج ٢ ص ٦٩؛ بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٨.

٤- كمال الدين: ص ٢٠٧ ح ٢٢، الأمالي للصدوق: ص ٢٥٣ ح ٢٧٧، كلاهما عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام، روضة الواعظين: ص ٢٢٠ عن عمرو بن دينار، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٧، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٦ ح ١٠.

٥- معاني الأخبار: ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٢ ح ٥.

٦- ينابيع المودة: ج ١ ص ٧٦ ح ١٢ و ج ٣ ص ٣٥٩.

وعنه عليه السلام قال: «ما يَنْقِمُ النَّاسُ مِنَّا؟! فَنَحْنُ وَاللَّهِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ»^(١).

وكان من دعائه عليه السلام في يَوْمِ عَرَفَةِ: «رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرَّجْسِ وَالذَّنْسِ تَطْهِيرًا بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ»^(٢).

٢- وجوب الرجوع إلى الأئمة:

يجب على الناس الرجوع إلى أئمة أهل البيت الأطهار لأخذ معالم الدين وأحكام الإسلام منهم؛ لأنهم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بالدين وأحكامه، ولذا قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُصَابُ بِالْعُقُولِ النَّاقِصَةِ وَالْأَرْأَاءِ الْبَاطِلَةِ وَالْمَقَائِيسِ الْفَاسِدَةِ، وَلَا يُصَابُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ، فَمَنْ سَلَّمَ لَنَا سَلِمَ، وَمَنْ اقْتَدَى بِنَاهِدِي، وَمَنْ كَانَ يَعْمَلُ بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ هَلَكَ، وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا نَقُولُهُ أَوْ نَقْضِي بِهِ حَرْجًا كَفَرَ بِالَّذِي أَنْزَلَ السَّبْعَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ»^(٣).

فالإمام عليه السلام يأمر بالرجوع إلى الأئمة المعصومين، والاقتراء بهم، واتباع نهجهم، وينهى عن اتباع أهل القياس والرأي والأهواء.

٣- وجوب طاعة الإمام:

تجب طاعة الإمام المعصوم على كل مكلف، وقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على لزوم الطاعة له، فقال:

١- الكافي: ج ١ ص ٢٢١ ح ١، بصائر الدرجات: ص ٥٦ ح ٢ نحوه و ص ٥٨ ح ٩ كلها عن أبي الجارود، الإرشاد: ج ٢ ص ١٦٨، الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٨٩٢ كلاهما عن الإمام الباقر عليه السلام، إعلام الوری: ج ١ ص ٥٠٨ عن عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام وكلها نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٤٦ ح ١٠.

٢- الصحيفة السجادية: ص ١٩٠ الدعاء ٤٧، الإقبال: ج ٢ ص ٩١، المصباح للكفعمي: ص ٨٩٠.

٣- كمال الدين: ص ٣٢٤ ح ٩ عن ثابت الثمالي، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٠٣ ح ٤١.

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ، بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَمًا لِعِبَادِكَ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَالْأَيْتَقَدَّمُهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبِهَاءُ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ^(١) لَوْلِيَّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَأَعِنِّهِ بِرُكْنِكَ الْأَعَزِّ، وَاشْدُدْ أَرْزَهُ، وَقَوِّ عِزَّهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَانصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَأَمِدِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ، وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِي بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبْنِ بِهِ الضَّرَاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَاحْمَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عَوَجًا، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ»^(٢).

١ - أَوْزَعْنِي: أَيِ أَهْمَنِي وَأَوْلَعْنِي (النهاية: ج ٥ ص ١٨١ «وزع»). كَنَفَهُ: صَانَهُ وَحَفِظَهُ وَحَاطَهُ وَأَعَانَهُ، كَأَكْنَفَهُ (القاموس المحيط: ج

٢ - الصحيفة السجادية: ص ١٨٩ الدعاء ٤٧، الإقبال: ج ٢ ص ٩٠، المصباح للكفعمي: ص ٨٨٩.

البعد الثاني - هدم العقائد الفاسدة

بعد أن أوضحنا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام في بيان العقائد الحقّة والصحيحة في التوحيد والنبوة والإمامة، نشير إلى ما قام به من دور في نقض العقائد الفاسدة، وبيان بطلانها، وهدمها بالأدلة والبراهين العلمية والعقلية. وقد تصدّى الإمام عليه السلام لأصحاب التيارات والفرق الضالة والباطلة، ونوجز الكلام حولها في النقاط الآتية:

أولاً - نقض عقيدة التشبيه والتجسيم:

من الأفكار التي انتشرت في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام بين الناس نتيجة الدعم الأموي لها عقيدة التشبيه والتجسيم للذات الإلهية المقدسة، وهو ما يخالف عقيدة التوحيد الإلهي، وقد استغل المجسمة والمشبهة جهل العامة، وبعدهم عن منابع العلم والمعرفة، وجهلهم بأساليب اللغة العربية البلاغية والبيانية، فموّهوا عليهم النصوص المتضمنة لألفاظ الأعضاء كاليد والعين، فأخذوا بظاهرها ونسبوها إلى الله تعالى، وأخذوا يشبهون الله بخلقه، ويجعلون له أعضاء كالbشر؛ بينما هي مجازات مألوفة عند فصحاء العرب في نظمهم ونثرهم، فهم يعبرون باليد عن القدرة والقوة، وبالعين عن البصيرة والتدبير، وعلى ذلك قس بقية الأمثلة.

وقد تصدّى الإمام زين العابدين عليه السلام لأصحاب عقيدة التشبيه والتجسيم بكل قوة وجرأة، فهو الوحيد القادر علماً وعملاً وموقفاً على التصدي لهم، فعندما رأى جماعة منهم تتجاهر بالتشبيه والتجسيم وفي مسجد رسول الله ﷺ وتتجرأ ببيان أفكارها الفاسدة هاله الأمر، وانتفض بشدة لقبح أقوالهم، ولجأ إلى قبر جده رسول الله ﷺ وأخذ يدعو ربه مبيّناً في دعائه فساد عقيدة التشبيه والتجسيم ورافعاً صوته كي يصل للناس صوت الحق والعقيدة الصافية، وبيان فساد القول بالتجسيم والتشبيه المنافية لعقيدة التوحيد الإلهي.

روى المفيد: «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (ع) كَانَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَمِعَ قَوْمًا يُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ وَارْتَاعَ لَهُ وَنَهَضَ حَتَّى أَتَى قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَرَفَعَ صَوْتَهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَقَالَ فِي مُنَاجَاتِهِ لَهُ: إِلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةُ فَجْهْلُوكَ، وَقَدَّرُوكَ بِالتَّقْدِيرِ عَلَى غَيْرِ مَا بِهِ أَنْتَ شَبَّهُوكَ، وَأَنَا بَرِيءٌ يَا إِلَهِي مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ، لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، يَا إِلَهِي وَلَمْ يُدْرِكُوكَ، وَظَاهِرٌ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ دَلِيلُهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفِي خَلْقِكَ يَا إِلَهِي مَنَدُوحَةٌ أَنْ يُنَاوِلُوكَ^(١)، بَلْ سَوَّوْكَ بِخَلْقِكَ فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ رَبًّا فَبِذَلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعَالَيْتَ يَا إِلَهِي عَمَّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعْتُوكَ»^(٢).

إن الإمام (ع) أراد من معارضته المعلنة لعقيدة التجسيم والتشبيه، وجهره بالدعاء المتضمن لتنزيه الله عن كل ما ينافي توحيده، أراد نقض عملي لهذه العقيدة الباطلة، وبيان للناس أن ما يقوله أصحاب التجسيم والتشبيه هي اعتقادات فاسدة، وأقوال باطلة كي لا ينخدعوا بأهل الباطل فيتبعونهم، وأن عليهم تنزيه الله سبحانه عن كل تجسيم أو تشبيه.

ثانياً - موقفه من الصوفية والمتصوفة:

يعد المنهج الصوفي الذي يقوم على فكرة الانعزال عن الحياة، ولبس الصوف وأخشن اللباس، وأكل الجشب من الطعام، والعيش في الكهوف والجال أبعده ما يكون عن المنهج الذي يتبعه أئمة أهل البيت (عليهم السلام). ومع أن الإمام زين العابدين (ع) كان معروفاً بالزهد والعبادة حتى إن الصوفية قد عدّوه منهم؛ إلا أن الحقيقة أنه كان على خلاف منهجهم، فقد

١ - يعني في خلقك مستغنى باعتبار الاستدلال عن تناول ذلك والكلام فيها نفسها، وحقيقة المناولة ان تتناول ذاته عز وجل.

٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٠. ونقله عنه العلامة المجلسي في البحار: ج ٣، ص ٢٩٣، ح ١٥. كشف الغمة: ج ٢، ص ٩٠. وذكره الصدوق في الأمالي: ٤٨٧ عن الإمام الرضا (ع) وكذا في التوحيد: ١٢٤ / ٢، والعيون ١١٦ / ٥.

كان عليه السلام يعيش مع الناس، ويلبس أحسن اللباس، ويمارس دوره في الحياة إماماً مفترض الطاعة، ويقوم بشؤون الإمامة، ويوجه الناس ويرشدهم إلى طريق الحق والخير والصالح.

وكان الإمام ينظر إلى الصوفية فرقةً منحرفة، وذلك لاتباعهم نهج الانعزال والرهينة، وسكوته عن قول الحق، ومهادنتهم الظلمة والخضوع لهم، والابتعاد عن أهل البيت ونهجهم، واتباعهم طرق وأساليب خاطئة ومنحرفة في مجالس الذكر كالرقص والطرب وغيرها من أمور لا تنسجم مع الفهم الصحيح للإسلام.

وتصدّى الإمام عليه السلام للمتظاهرين بالتصوف والرهينة، وبيّن لهم أن منهجهم بعيد عن المنهج الصحيح للإسلام، كما بيّن للناس الذين ينخدعون بالمظاهر والسلوكيات القشرية أن الله لا يحبهم!

فعندما لجأ أهل مكة والحجاج إلى مجموعة من المتصوفة من البصرة وطلبوا منهم أن يدعو الله كي ينزل عليهم الغيث، ولكن الله لم يستجب دعاءهم، فبادر الإمام إلى توضيح أن هؤلاء المتصوفة ليس فيهم أحد يحبه الله تعالى!

وفي خطوة أخرى لبيان أن الحق مع الإمام زين العابدين عليه السلام أخذ يدعو الله ويستسقيه لنزول الغيث فإذا بالمطر ينزل بسرعة استجابة لدعائه، وفي هذا بيان أن الحق معه، وأن دعاة التصوف والرهينة ليسوا على حق!

روى الطبرسي: عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ ^(١) قَالَ: كُنْتُ حَاجًّا وَجَمَاعَةً عِبَادِ الْبَصْرَةِ مِثْلَ أَيُّوبَ السَّجِسْتَانِيِّ وَصَالِحِ الْمُرَوِيِّ وَعُتْبَةَ الْغُلَامِ وَحَبِيبِ الْفَارِسِيِّ وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا مَكَّةَ رَأَيْنَا الْمَاءَ ضَيْقًا، وَقَدْ اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْعَطَشُ لِقَلَّةِ الْغَيْثِ فَفَزِعَ إِلَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ وَالْحُجَّاجُ يَسْأَلُونَنَا أَنْ نَسْتَسْقِيَ لَهُمْ، فَأَتَيْنَا الْكَعْبَةَ وَطُفْنَا بِهَا

١ - ثابت البناني: قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٢٩ «ثابت البناني يكنى أبا فضالة، من أهل بدر من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قتل بصفين. وفي أصحاب علي من رجال الشيخ ص ٣٦: ثابت الأنصاري البناني يكنى أبا فضالة من أهل بدر قتل معه عليه السلام بصفين. وعليه فالراوي غيره ولعلّ البناني هنا تصحيف الثمالي، وهو ثابت بن دينار المكنى بأبي حمزة.

ثُمَّ سَأَلْنَا اللَّهَ خَاضِعِينَ مُتَضَرِّعِينَ بِهَا فَمَعِنَا الْإِجَابَةُ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا نَحْنُ
بِفَتْى قَدْ أَقْبَلَ وَقَدْ أَكْرَبْتَهُ أَحْزَانُهُ وَأَقْلَقَتْهُ أَشْجَانُهُ، فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ أَشْوَاطًا ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْنَا فَقَالَ: يَا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَيَا ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ وَيَا أَيُّوبُ السَّجِسْتَانِيِّ وَيَا صَالِحُ
الْمُرُويِّ وَيَا عُتْبَةُ الْغُلَامِ وَيَا حَبِيبُ الْفَارِسِيِّ وَيَا سَعْدُ وَيَا عُمَرُ وَيَا صَالِحُ الْأَعْمَى
وَيَا زَابِعَةُ وَيَا سَعْدَانَةُ وَيَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، فَقُلْنَا: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا فَتَى.

فَقَالَ: أَمَّا فِيكُمْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ الرَّحْمَنُ؟!

فَقُلْنَا: يَا فَتَى عَلَيْنَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْهِ الْإِجَابَةُ.

فَقَالَ: ابْعُدُوا عَنِ الْكَعْبَةِ، فَلَوْ كَانَ فِيكُمْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ الرَّحْمَنُ لِأَجَابَهُ، ثُمَّ
أَتَى الْكَعْبَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سَيِّدِي بِحُبِّكَ لِي إِلَّا
سَقَيْتَهُمُ الْغَيْثَ.

قَالَ: فَمَا اسْتَمَّ الْكَلَامَ حَتَّى أَتَاهُمُ الْغَيْثُ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ!

فَقُلْتُ: يَا فَتَى مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ؟

قَالَ: لَوْ لَمْ يُحِبَّنِي لَمْ يَسْتَرْزِنِي، فَلَمَّا اسْتَرْزَانِي عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّنِي، فَسَأَلْتُهُ بِحُبِّهِ
لِي فَأَجَابَنِي، ثُمَّ وَلَّى عَنَّا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ

مَنْ عَرَفَ الرَّبَّ فَلَمْ تُغْنِهِ

مَا ضَرَّ فِي الطَّاعَةِ مَا نَالَهُ

مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بَغَيْرِ التَّقَى

وَالْعِزُّ كُلُّ الْعِزِّ لِلْمُتَّقَى

فَقُلْتُ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَنْ هَذَا الْفَتَى؟

قَالُوا: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ^(١).

وفي هذه القصة كثير من الدروس والعبر، منها أن الحق والإخلاص
والعبادة والزهد بمفهومه الإيجابي يحسده الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو
أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسباً وحسباً، ومعرفة وعلماً.

ومنها أن دعاة التصوف والرهبانية المبتدعة ليسوا على الصراط المستقيم، وأن تظاهروهم بالتعبد والتصوف والرهبة لا يدل على صحة منهجهم بدليل أن الله لم يستجب دعاءهم، كما أن الإمام بيّن أنه لا أحد منهم يحبه الرحمن! ومنها أن الناس قد يغترون بالمظاهر الخادعة، ويغفلون أو يتغافلون عن معرفة أهل الحق والصدق والإخلاص كالإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان يعيش بالقرب منهم، ويعرفون أنه سيد العابدين والسجاد لكثرة سجوده؛ ولكنهم يسألون أهل البصرة ممن يتظاهرون بالتصوف والتعبد، ويتركون سليل النبوة وورث الإمامة، وفي هذا جانب من الظلم والمظلومية لأهل البيت عليه السلام.

وبالجملة فإن الإمام عليه السلام أراد بهذا الموقف من المتصوفة أن يهدم بنيانهم، ويبين خطأ طريقتهم، وأن الحق في اتباع نهج أئمة أهل البيت عليه السلام؛ فهم - كما قال الإمام عليه السلام - : «الْفُلُكُ الْجَارِيَةُ فِي اللَّجَجِ»^(١) الغامرة^(٢)، يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَهَا وَيَغْرُقُ مَنْ تَرَكَهَا، الْمُتَقَدِّمُ لَهُمْ مَارِقٌ^(٣)، وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُمْ زَاهِقٌ، وَالْأَلَزْمُ لَهُمْ لَاحِقٌ^(٤).

١ - التَّجُّ البحر: تلاطمت أمواجه (النهاية: ج ٤ ص ٢٣٣ «الجج»).

٢ - غَمَرَ الماءُ: كَثُرَ. وَغَمَرَهُ الماءُ: غَطَّاهُ (القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٠٤ «غمر»).

٣ - المَارِقُ: الخارج عن الدين (بجمع البحرين: ج ٣ ص ١٦٨٩ «مرق»).

٤ - مصباح المتهجد: ص ٣٦١ ح ٤٨٥، جمال الأسبوع: ص ٢٥٠، الإقبال: ج ٣ ص ٣٠٠، بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ١٩ ح ٣.

المبحث الثاني
مواجهة التعصب الديني

- مدخل تمهيدي
- مفهوم التعصب والعصبية
- تصدي الإمام زين العابدين عليه السلام للتعصب الديني



مدخل تمهيدي

نهى الإسلام عن التعصب والعصية بجميع أشكالها وأقسامها وصورها وألوانها، سواء التعصب القبلي والعشائري، أم التعصب العرقي، أم التعصب الفكري، أم التعصب الديني؛ لما للتعصب والعصية من آثار ومفاعيل وتداعيات سلبية وسيئة في حياة ومسيرة المجتمعات الإنسانية.

وقد استفاضت الروايات والأحاديث الشريفة في النهي عن التعصب والعصية. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تُعَصِّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ»^(١) وفي نَقْلٍ آخَرَ: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(٢)، وعنه ﷺ قال: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٣)، وعنه ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّْا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّْا مَنْ قَاتَلَ (عَلَى) عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّْا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ»^(٤). ويعد التعصب الديني من أخطر أنواع وأقسام التعصب والعصية وذلك لسببين وهما:

١. تأثير الدين العميق في شخصية الإنسان المسلم، فنسبة أي رأي إلى الدين الحنيف، وربط التعصب بالتدين يضيف عليه طابعاً مقدساً، وقد يدفع بالمتعصب إلى ارتكاب ممارسات خاطئة ضد المخالفين له في الرأي باسم الدين.

٢. نسبة الرأي إلى الله تعالى، والتعصب باسم الله وباسم الدين يجعل المتعصب يمارس أعمالاً مستقبحة ومستهجنة، ولكنه ينسب فعله إلى الله تعالى؛ ما يؤدي إلى النفور من الدين كله، وليس من الإنسان المتعصب فقط.

١- الكافي: ٢ / ٣٠٨ / ٢.

٢- ثواب الأعمال: ٢٦٣ / ١.

٣- الكافي: ٢ / ٣٠٨ / ٣.

٤- سنن أبي داود: ٤ / ٣٣٢ / ٥١٢١.

وقد تشوهت كثير من المفاهيم الإسلامية بفعل الفكر الأموي والممارسات الأموية المنحرفة؛ ما دفع بالإمام زين العابدين عليه السلام أن يتصدى لبيان المفاهيم الصحيحة، ونقد المفاهيم الخاطئة والفاصلة، ومنها مفهوم التعصب والعصبية.

مفهوم التعصب والعصبية

قبلولوج إلى صلب البحث يجب أن نحرر مفهوم التعصب لغة واصطلاحاً كي نحدد بدقة موضوع البحث المراد بحثه.

التعصب لغة: مادة «عصب» تدل في أصلها اللغوي على الليّ والشدّ، يقال: عصب الشيء: إذا لواه وشدّه، وعصب الشجرة: ضم ما تفرق من أغصانها، وهو مأخوذ من الشد بالعصاة، فمعنى عصب وتعصب في الحقيقة: شد العصاة، ومنه العصب لقوم الرجل وقرابته، والعصبية نسبة للعصاة، والتعصب: ميل أفراد العصاة بعضهم إلى بعض وتشددهم في المدافعة عن متصل بهم بجامعة العصبية التي كان مناطها عند العرب القرابة والعشيرة^(١). وفي لسان العرب: **العَصِيَّةُ:** أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ إِلَى نُصْرَةِ عَصَبَتِهِ وَالتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ يُنَاوِئُهُمْ ظَالِمِينَ كَانُوا أَوْ مَظْلُومِينَ. وَقَدْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِمْ إِذَا تَجَمَّعُوا فَإِذَا تَجَمَّعُوا عَلَى فَرِيقٍ آخَرَ قِيلَ: تَعَصَّبُوا. وفي الحديث: **العَصَبِيُّ مَنْ يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ.** **العَصَبِيُّ** هُوَ الَّذِي يَغْضَبُ لِعَصَبَتِهِ وَيُحَامِي عَنْهُمْ. **وَالْعَصْبَةُ:** الْأَقَارِبُ مِنْ جِهَةِ الْأَبِّ لِأَنَّهُمْ يُعَصَّبُونَ وَيَعْتَصَبُ بِهِمْ أَيُّ يُحِيطُونَ بِهِ وَيَشْتَدُّ بِهِمْ. **العَصِيَّةُ وَالتَّعَصُّبُ:** الْمُحَامَاةُ وَالْمُدَافَعَةُ: وَتَعَصَّبْنَا لَهُ وَمَعَهُ: نَصَرْنَاهُ. **وَعَصْبَةُ الرَّجُلِ:** قَوْمُهُ الَّذِينَ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ^(٢).

وفي المعجم الوسيط: (انْعَصَبَ): اشدَّ. (تَعَصَّبَ): شدَّ العصابة. والقوم

١- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج ٤، ص ٢٧١. الصحاح: الجوهري، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٧٧٤.

٢- لسان العرب: ابن منظور، ج ١، ص ٦٠٦، تاج العروس: الزبيدي، ج ٢، ص ٢٣٧.

عليهم: تَجَمَّعُوا. وفلان: كان ذا عَصِيَّة. ويقال: تعَصَّبَ له وتعَصَّبَ معه: نصره. (اعْصَوْصَبَ) القومُ: تَجَمَّعُوا وصاروا عَصْبَةً. والشَّرُّ والأمرُ: اشتدَّ^(١). وقال الطريحي في مجمع البحرين: «التعصب من العصبية، وهي المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض»^(٢).

ثم أطلق التعصب والعصبية على كل ارتباط، إلا أن هذا اللفظ أو هذين اللفظين يستعملان عادة في المفهوم الإفراطي المذموم^(٣).

وأما المعنى الاصطلاحي للتعصب فهو: «عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل الى جانب»^(٤)، والتعنت الشديد نتيجة التّماهي في الميل لأننا والإفراط في الانحياز إلى القوم أو الجماعة. وقيل معناه: «مناصرة من يهكم أمره في حق أو باطل؛ ومنه (لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ)^(٥)»^(٦).

وعُرِّفَ بتعريف آخر أكثر شمولية بأنه: «تشكيل رأي ما دون أخذ وقت كاف أو عناية للحكم عليه بإنصاف، وقد يكون هذا الرأي إيجابياً أو سلبياً، ويتمُّ اعتناقه دون اعتبار للدلائل المتاحة، وغالباً ما يطلق التعصب على الرأي السَّلبي المُعتَق بهذه الطريقة تجاه أفراد ينتمون إلى مجموعة اجتماعية معينة، وينحو الأفراد المتعصبون إلى تحريف وتشويه وإساءة تفسير، بل تجاهل الوقائع التي تتعارض مع آرائهم المحددة سلفاً، فقد يعتقد الشخص المتعصب مثلاً بأن جميع الأفراد المنتمين إلى سن معينة أو أصل قومي أو

١ - المعجم الوسيط: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول - تركيا، ص ٦٠٣.

٢ - مجمع البحرين: الطريحي، ج ٢، ص ١٢٢.

٣ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١١، ص ٤٦٨.

٤ - مفردات نهج البلاغة: سيد علي أكبر قرشي، ج ٢، ص ٧٢٢.

٥ - سنن أبي داود: ٤ / ٣٣٢ / ٥١٢١.

٦ - معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٣١٣.

عرق أو دين أو جنس أو منطقة في بلد ما، كسالى، أو غنيون أو أغنياء أو غير مستقرين عاطفياً أو جشعون»^(١).

وبناء على هذا التعريف يمكن أن نعرف التعصب الديني بأنه الانحياز والدفاع عن مسائل وآراء وأفكار دينية أو تنسب إلى الدين بسبب تأثير العواطف ولا يوجد دليل شرعي أو عقلي يدعم صحتها.

ولا نقصد بالتعصب الديني الالتزام بالدين فهذا أمر مطلوب، وإنما المقصود التعنت والتزمت بآراء تنسب إلى الدين، ولا يوجد دليل شرعي أو عقلي على صحتها.

وأوضح الإمام زين العابدين عليه السلام مفهوم العصبية المذمومة بقوله: «العَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»^(٢). فمعاونة قوم الرجل وجماعته على الظلم ظلم، وهو أمر محرم، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك - لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْعَصَبِيَّةِ - فقال: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ»^(٣).

فمن أخطر آثار ونتائج التعصب الديني هو ظلم غير المتماثل معك في الرأي الديني، وانتهاك حقوقه المعنوية والمادية للاختلاف معه في الدين أو المذهب، والشعور تجاهه بالكراهية والحقد، والإساءة إليه، وسلب كرامته الإنسانية، وهذا من أبرز تجليات الظلم وهو أمر قبيح في ذاته، ومحرم شرعاً. والتعصب والعصبية - التي أشار إليها الإمام زين العابدين عليه السلام - هي التي تركز على تفضيل الرجل قومه على الأقوام الأخرى، أو الدفاع عنهم ولو كانوا على الباطل، أو إعانة جماعته في ظلم من يختلف معهم، أو الدفاع

١ - الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج ٧، ص ١٢.

٢ - الكافي: ٢ / ٣٠٨ / ٧.

٣ - سنن أبي داود: ٤ / ٣٣١ / ٥١١٩.

عن المذهب الباطل والرأي الفاسد والانحياز له، وهذا هو التعصب المذموم والمنهي عنه. وأما حب الإنسان لأهله وقومه ومجتمعه وبلده فهو أمر فطري وطبيعي، ويعزز من هوية الإنسان وانتائه دون الإساءة للآخرين أو انتهاك حقوقهم المشروعة.

وإذا كان لابد من العصبية فليتعصب الإنسان إلى نصرة الحق، والتحلي بمكارم الأخلاق، كما قال الإمام علي عليه السلام: «إِنْ كُنْتُمْ لَا مَحَالَةَ مُتَعَصِّبِينَ فَتَعَصَّبُوا لِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ»^(١)، وعنه عليه السلام قال: «فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ يُبُوتَاتِ الْعَرَبِ، وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيَّةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِحِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْخِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبَرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكُظْمِ لِلْغِيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ»^(٢)، فهذا من التعصب الممدوح، فالانحياز إلى الحق، ومكارم الأخلاق، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور أمر مطلوب وراجح شرعاً وعقلاً، ويسمى تعصباً تسامحاً ولا مشاحة في الاصطلاح.

تصدي الإمام زين العابدين للتعصب الديني

تصدى الإمام زين العابدين عليه السلام للتعصب الديني، وعالج دوافعه وأسبابه المتعددة نظرياً وعملياً، ونشير إلى دوره ومواقفه في مواجهة التعصب في النقاط الآتية:

١. نقد العنصرية العرقية والقومية:

أشار القرآن الكريم إلى أن بداية التعصب نشأ منذ امتنع إبليس عن السجود لآدم، ورأى نفسه أنه خير منه، واعتبر أن عنصره أفضل من

١- غرر الحكم: ٣٧٣٨.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

عنصر آدم كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ
أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن
طِينٍ﴾^(١)، فمن أبرز أسباب ودوافع التعصب والعصية الرؤية العنصرية
التي تقوم على أنه أفضل عنصراً وعرقاً من الآخرين ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ
مِّنْهُ﴾، وقال الإمام عليٌّ عليه السلام: «أما إبليسُ فتعصبَ على آدمَ لأصلِهِ،
وطعنَ عليه في خَلْقِهِ، فقال: أنا ناريٌّ وأنتَ طينيٌّ!»^(٢)، وعنه عليه السلام قال:
«فافتخرَ على آدمَ بِخَلْقِهِ، وتَعَصَّبَ عليه لأصلِهِ، فعَدُوُّ الله إمامُ المتعصبين،
وسَلَفُ المُستَكبرين، الَّذي وَضَعَ أساسَ العَصِيَّةِ، ونازَعَ الله رِداءَ الجَبَرِيَّةِ،
وادرَعَ لباسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدْلِيلِ»^(٣)، فإبليس هو إمام المتعصبين،
وهو من يزيّن للناس التعصب والعصية على أساس العرق والجنس
والأصل، وهذا الدافع العنصري لا زال موجوداً وبقوة في المجتمعات
الإنسانية، إذ نجد من يعتقد أن العرق الأبيض أفضل من سائر الأعراق
الأخرى، وقديماً أيام الجاهلية كان العرب يرون أنفسهم أفضل من
سائر الأمم الأخرى، وفي أيام الأمويين ازدادت العنصرية والقومية بفعل
الترويج لثقافة أن العرب خير من غيرهم، حيث كانوا يعتبرون العرب
هم الناس، والموالي شبه الناس!

وهذه العنصرية المقيتة والعصية الجاهلية مذمومة ومنهي عنها
في تعاليم الإسلام ووصاياهِ؛ لأنها تؤدي إلى الاستخفاف والاستهانة
بالآخرين واحتقارهم، كما فعل إبليس حيث استهان بالإنسان. قال
الإمام عليٌّ عليه السلام: «اعتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخَلْقِهِ
النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلَاحِ»^(٤).

١- الأعراف: ١٢.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٣- نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٤- نهج البلاغة: الخطبة ١.

قال السيد محمد رضا الحسيني الجلاي:

«إن الأمويين - بعد إحكام قبضتهم على الحكم - اعتمدوا سياسة التفرقة العنصرية بين طوائف الأمة، والعصبية القبلية بين مختلف طبقاتها، محاولين بذلك تفتيت المجتمع الإسلامي، وتقطيع أواصر الوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية، تلك الوحدة التي شرَّعها الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، ودفعاً لها على التفرق الذي نهى عنه الله بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢). حتى وصل الأمر إلى أنه تتابع فخر النزارية على اليمنية، وفخر اليمنية على النزارية، حتى تحربت البلاد، وثارَت العصبية في البدو والحضر - كما يقول المسعودي - . وقال ابن خلدون: «إن عصبية الجاهلية نسيت في أول الإسلام، ثم عادت كما كانت، في زمن خروج الحسين عليه السلام عصبية مضر لبني أمية كما كانت لهم قبل الإسلام»^(٣). فقاموا بأعمال تسير على هذه السياسة الخارجة عن حدود الدين والشرع، مثل تأمير العرب، وتقديم العربي ولو كان خاملاً على الكفوئين من غير العرب، والسعي في تعريب كل شرائح وأجهزة الدولة، بتنصيب العرب في مناصب الديوان، والقضاء، وحتى الفقه.

وتجاوزوا كل الأحكام الشرعية في التزامهم بأساليب الحياة العربية الجاهلية، فتوغلوا في اللهو والاستهتار بالمحرمات، والظلم، والقتل، حتى تجاوزوا أعرافاً عربية سائدة بين العرب قبل الإسلام، فخانوا العهد، وأخفروا الذمة، وهتكوا العرض^(٤). ولقد بلغت تعدياتهم أن كان معاوية يعتبر الناس العرب، ويعتبر الموالي شبه الناس!^(٥).

١- الأنبياء: ٩٢.

٢- آل عمران: ١٠٣.

٣- نقله علي جلال في كتاب الحسين عليه السلام: ١٨٨/٢.

٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، ص ٧٧.

٥- تاريخ دمشق: مختصر ابن منظور، ٢٨٤/١٧.

وقد استغل الجاهلون هذا الوضع، فكان العرب لا يزوّجون الموالي^(١). وجاء في بعض المصادر أن حاكم البصرة - بلال بن أبي بردة - ضرب شخصاً من الموالي، لأنه تزوج امرأة عربية^(٢). ووصلت عدوى هذا المرض إلى علماء البلاط أيضاً فاتبعوا سياسة الأسياد، فقد وجهت إلى الزهري تهمة أنه لا يروي الحديث عن الموالي، فسئل عن ذلك؟ فاعترف به^(٣).

قال أحمد أمين المصري: «لم يكن الحكم الأموي حكماً إسلامياً يُساوى فيه بين الناس، ويُكافأ فيه المحسن عربياً كان أو مولياً، ويعاقب من أجرم عربياً كان أم مولياً، ولم تكن الخدمة للرعية على السواء، وإنما كان الحكم عربياً، والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية، لا النزعة الإسلامية»^(٤).

ولقد قاوم الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الردة الاجتماعية عن الإسلام بكل قوة، وتمكن - بحكم موقعه الاجتماعي، وأصالته النسبية - أن يقتحم على بني أمية، بلا رادع أو حرج.

قال الدكتور صبحي: «فيما كان الأمويون يقيمون ملكهم على العصية العربية عامة، كان زين العابدين عليه السلام يشيع نوعاً من الديمقراطية الاجتماعية بالرغم مما يجري في عروقه من دم أصيل، أباً وأمّاً، وقد أقدم على ما زعزع التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصية»^(٥). وقد قاوم الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك، نظرياً بما قدمه من تصريحات،

١- راجع: وسائل الشيعة: كتاب النكاح، الباب (٢٦) الحديث (٤) تسلسل (٢٥٠٦٠) ولاحظ العقد الفريد: للأندلسي (٣: ٣٦٠ - ٣٦٤).

٢- لاحظ: طبقات ابن سعد (٧: ٢٦ ق ٢). وانظر تهذيب الكمال: للمزي (٤ / ٢٧٢).

٣- الجامع لأخلاق الراوي: للخطيب (١ / ١٩٢).

٤- ضحى الإسلام: أحمد أمين، ١ / ١٨٧.

٥- نظرية الإمامة: للدكتور صبحي، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

وعملياً بما أقدم عليه من مواقف. كان يجالس مولى لآل عمر بن الخطاب، فقال له رجل من قريش - هو نافع بن جبير - أنت سيد الناس، وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد وتجلس معه؟! فقال عليه السلام: «آتي من أنتفع بمجالسته في ديني»^(١). أو قال: «إنما يجلس الرجل حيث يتتفع»^(٢).

ومن المعلوم أن ما يتتفع به الإمام عليه السلام من هذا المولى ليس إلا بنفس المجالسة، فإن هذه المجالسة تحقق للإمام غرضه السياسي من إعلان معارضته لسياسة بني أمية المبتنية على طرد الموالي وعدم احترامهم، فإذا جالسه الإمام زين العابدين عليه السلام - وهو من لا ينكر شرفه نسباً وحسباً - فإن ذلك نفس لتلك السياسة التي تبتتها الدولة ورجالها!«^(٣).

وأعتق الإمام زين العابدين عليه السلام مولاة له، ثم تزوجها، لكسر حاجز الخوف من السلطة التي كانت تمنع زواج العربي من الإماء، لكن الإمام مع علو مقامه، وشرف حسبه ونسبه أراد القضاء على الروح العنصرية التي كرسها الأمويون أيام عهدهم.

وأوضح الإمام زين العابدين عليه السلام رؤية الإسلام القائمة على احترام الإنسان، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، فقال: «لا حَسَبَ لِقَرَشِيٍّ ولا عَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَوَاضُعٍ، ولا كَرَمٍ إِلَّا بِتَقْوَى»^(٤)، وعنه عليه السلام قال: «لا يفخر أحد على أحد، فإنكم عبيد، والمولى واحد»^(٥). وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم

١ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٤، ص ٣٨٨. تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٣، ح ٨٢.

٢ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ٢١٦.

٣ - جهاد الإمام السجاد عليه السلام: السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ص ١٣٥ - ١٣٨.

٤ - بحار الأنوار: ٦٧ / ٢٨٨ / ١٩.

٥ - التذكرة الحمدونية: ابن حمدون، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م، ج ٣، ص ٣٩٠، ح ١٠٥١.

بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

وأكد رسول الله ﷺ على المساواة بين الناس، وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى، حيث قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، وَدِينُكُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّكُمْ وَاحِدٌ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٢).

وعنه ﷺ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَالِدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِسَانٌ نَاطِقٌ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ عَرَبِيٌّ، أَلَا إِنَّكُمْ وُلْدُ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(٣). وروى الشيخ المفيد: بَلَّغْنَا أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ دَخَلَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَعَظَّمُوهُ وَقَدَّمُوهُ وَصَدَّرُوهُ إِجْلَالًا لِحَقِّهِ وَإِعْظَامًا لِشَيْبَتِهِ وَاخْتِصَاصَهُ بِالْمُصْطَفَى وَآلِهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْعَجَمِيُّ الْمُتَصَدِّرُ فِيمَا بَيْنَ الْعَرَبِ؟! فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِثْلُ أَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَا فَضْلَ لِلْعَرَبِيِّ عَلَى الْعَجَمِيِّ وَلَا لِلْأَحْمَرِ عَلَى الْأَسْوَدِ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٤).

وبهذه التوجيهات والممارسات العملية واجه الإمام زين العابدين عليه السلام العصبية والتعصب الديني والعنصرية القومية والعرقية التي روج لها الأمويون أيام حكمهم، ليوضح للناس تعاليم الإسلام ووصاياہ القائمة على احترام الإنسان والمحافظة على حقوقه المعنوية والمادية.

٢. نقض المبتنيات الدينية المنحرفة:

من أهم أسباب التعصب الديني المبتنيات الدينية الخاطئة والمعتقدات المنحرفة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ

١- الحجرات: ١٣.

٢- كنز العمال: ٥٦٥٥.

٣- بحار الأنوار: ٦٧ / ٢٨٨ / ١٧.

٤- الاختصاص: ٣٤١.

لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(١). فكل أتباع دين يرون أنفسهم أنهم على حق، وأما أتباع الأديان الأخرى فهم على باطل وفي ضلال مبين، فاليهود يرون أن النصارى على باطل، والنصارى يرون اليهود أنهم على باطل، ودخل أتباع الأديان التوحيدية في صراع وتناحر وخلاف بسبب العصبية القائمة على مبتنيات عقدية ودينية لا أصل لها، ثم انتقل هذا التعصب الديني بين أتباع المذاهب في كل دين، بل في كل مذهب بين أتباع المدارس العقدية والفكرية والفقهية المتغايرة، وهذا الأمر ملموس ومشاهد ومحسوس في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة.

وفي أيام الإمام زين العابدين عليه السلام رَوَّج الأمويون وبقوة للأفكار الدينية المنحرفة التي تساعد على نمو ظاهرة التعصب الديني في الأمة، وشق عصا المسلمين، وعدم السماح للعقائد الحقّة والمبتنيات الفكرية والعقدية الصحيحة من التعبير عن نفسها، ما أدّى إلى نشوء التعصب والعصبية في المجتمع. وقد تصدّى الإمام زين العابدين عليه السلام لتلك الأفكار الدينية المنحرفة، ومن أهمها:

أ- منطق الجبر:

عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام أيام إمامته مجموعة من الأفكار العقدية والفكرية المنحرفة، وتشويه المفاهيم الإسلامية كمعنى القضاء والقدر، وأفعال الإنسان وأنه مجبور على أفعاله، والتي رَوَّج لها الأمويون لتبرير قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، وتبرئة الحكام الظلمة من أية مسؤولية تجاه أفعالهم المستقبحة شرعاً وعقلاً، ومن أهم هذه الأفكار فكرة الجبر، والتي تركز على أن أفعال الإنسان جبرية وليست اختيارية، وأنه كالجماد لا اختيار له في أفعاله وتصرفاته.

ومع ظهور مذهب الجبرية، والتشجيع على انتشاره في الأمة نشأ التعصب الديني، وعاد المجتمع إلى حمية الجاهلية الأولى، نتيجة تكميم المدارس العلمية والعقائدية الحقّة، وعدم السماح إلا للرأي الذي يتماشى مع الفكر الأموي. فقد رُوّجت فرقة الجبرية إلى إسناد الأفعال كلها لله تعالى، وأن الإنسان مجبور في أفعاله وأقواله، ولا اختيار أو إرادة له؛ ما يعني أنه مسلوب الاختيار والفعل.

وشجّع الحكم الأموي على نشر فكر هذه الفرقة المنحرفة؛ لأنها تنسب كل أفعال الحكام وتصرفاتهم المستقبحة إلى الله تعالى، وعليه لا يحق لأحد من الناس الاعتراض أو الاحتجاج عليهم!

منطق الجبرية يقول: إن كل ما هو كائن يجب أن يكون، ولعل ما هو غير كائن يجب ألا يكون، وليس لأحد الحق في الاعتراض على الحكام الظلمة لأن الله يرى مصلحة في ذلك! «وقد كانت عقيدة الجبر إحدى الدعائم الفكرية والدينية للحكم الأموي، وقد أراد الأمويون من خلال إشاعة عقيدة الجبر أن يخنقوا أية روح معارضة في المهّد، واحتضنوا عقيدة الجبر لأجل تثبيت سلطتهم والمنع من حدوث أية ثورة شعبية من المسلمين، ودافعوا عن أصحاب هذا المذهب حيث كانوا يواجهون خطر نفوذ عقيدة القدرية، التي كانت تقول بحرية الإرادة والاختيار لدى الإنسان، وأنه هو الذي يختار نوع السلوك والعمل الذي يمارسه في حياته، وإذا كان حرّاً فهو مسؤول عن أفعاله، لأن كل حرية تستتبع المسؤولية حتماً. وقد شكلت هذه العقيدة القدرية خطراً كبيراً على الأمويين الذين كانوا يخشون معارضة المسلمين لهم، ولذلك فقد اضطهدوا هذه العقيدة ودعاتها، وتمسكوا بالعقيدة المضادة لها؛ أي عقيدة الجبر التي تلائمهم في ميدان النضال السياسي، لأنها توحى إلى الناس بأن وجود الأمويين وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ليست سوى قدر محتوم من قبل الله لا يمكن تغييره ولا تبديله، فلا جدوى من الثورة عليهم»^(١).

وعندما نقرأ كلمات وأقوال حكام بني أمية نلاحظ تمسكهم بعقيدة الجبر لأنها تتلاءم مع أهدافهم السياسية والمصلحية البحتة من أجل تثبيت حكمهم، وتخدير الأمة وإعطاء شرعية دينية لاستمرار حكمهم، والقضاء على أي احتجاج أو معارضة أو اعتراض ضدهم.

وهذا ما قاله ابن زياد للإمام زين العابدين عليه السلام بأن الله قتل علي بن الحسين الأكبر، ورد عليه الإمام فوراً بأن الناس هم الذين قتلوه وليس الله من قتله، فابن زياد يتحدث بمنطق الجبر لتبرئة فعلهم الشنيع بقتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، بينما الإمام زين العابدين يتحدث بمنطق الإسلام ويستدل بالقرآن الكريم. فقد روى الشيخ المفيد: وعرض عليه [أي ابن زياد] علي بن الحسين عليه السلام فقال له: من أنت؟

فقال: أنا علي بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟

فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس.

فقال له ابن زياد: بل الله قتله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١).

فغضب ابن زياد وقال: وبك جراءة لجوابي؟ وفيك بقية للرد علي! اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فتعلقت به زينب عمته، وقالت: يا بن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثم قال: عجباً للرحم! والله إنني لأظنُّها ودَّت أني قتلتها معه، دعوهُ فإنني أراه لما به. ثم قام من مجلسه حتى خرج من القصر^(٢).

١- الزمر: ٤٢.

٢- الإرشاد: ج ٢ ص ١١٦، مشير الأحزان: ص ٩١، إعلام الوري: ج ١ ص ٤٧٢، كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٧٨، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٧؛ الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٧٥ نحوه.

والأمر نفسه دار بين الإمام زين العابدين عليه السلام ويزيد، إذ نسب قتل الإمام الحسين عليه السلام إلى الله تعالى، فرد عليه الإمام من القرآن الكريم. روى القمّي عن الصادق عليه السلام قال: لما أُدْخِلَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَبَنَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُقَيَّدًا مَغْلُولًا، فَقَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ!

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي.

قَالَ: فَغَضِبَ يَزِيدُ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ عليه السلام.

ثُمَّ قَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ هَلْ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ^(١).

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: كَلَّا مَا هَذِهِ فِينَا نَزَلَتْ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا: هَلْ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ^(٢) فَنَحْنُ الَّذِينَ لَا نَأْسَى عَلَى مَا فَاتَنَا وَلَا نَفْرَحُ بِمَا آتَانَا ^(٣).

وبهذه المواقف الجريئة ردّ الإمام زين العابدين عليه السلام على بني أمية، وبين خطأ ما كانوا يثبونه من آراء مذهب الجبرية، ونبّه المسلمين بذلك على خطورة عقيدة الجبر التي نشرها الأمويون في المجتمع الإسلامي لتبرير قتلهم للإمام الحسين عليه السلام، وتصوير أن القاتل له هو الله تعالى، حتى إن قائد الجيش الأموي عمر بن سعد بن أبي وقاص قاتل الإمام الشهيد الحسين عليه السلام لما اعترض عليه عبدالله بن مطيع العدوي بقوله: اخترت همدان والري على قتل ابن عمك؟

١- الشورى: ٣٠.

٢- الحديد: ٢٢ و ٢٣.

٣- تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦٨ ح ١٤ و ح ١٣ نحوه.

فقال عمر بن سعد: «كانت أمور قضيت من السماء!»^(١)، فنسب فعلته الشنيعة وارتكابه لأعظم جريمة بقتل الإمام الحسين عليه السلام إلى الله تعالى، وأنه قضاء من السماء!

وكان الهدف من إشاعة فكر الجبرية والمجبرة إشاعة روح التبعية للأمويين، ورفض أي خروج على الحكم حتى وإن كان الحاكم ظالماً ومتجاهراً بالفسق والفجور. وقد عمل الأمويون بكل قوة على فرض عقيدة الجبرية على المسلمين، وكل من يتهم بمخالفة ذلك يعرض نفسه للسجن وربما القتل.

لكن الإمام زين العابدين عليه السلام وبكل جرأة وشجاعة واجه ابن زياد، ورد عليه مقالته في الجبر، واستدل بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢) وقد فرّق الإمام عليه السلام بين التوفي والإماتة لعدم التلازم بينهما وعدم اتحادهما؛ فلا يصح نسبة قتل الأنبياء والأئمة والأولياء والعلماء والصالحين إلى الله تعالى، وإن كان الله هو المحيي والمميت حقيقة، ولكن القتل لا ينسب إلى الله تعالى إلا على نحو الاستحقاق أو الانتقام الإلهي أو نصر المؤمنين، ويختلف الأمر باختلاف القرائن والدلائل في نسبة ذلك إليه.

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظة القتل إلا للفاعل الحقيقي، ولا يمكن أن يقتل الله أوليائه وأحبائه، فلم ينسب القتل إليه إلا مع استحقاق المقتول للقتل، وأمّا نسبة القتل للمباشر والفاعل القريب فهو الأكثر استعمالاً وإرادة في القرآن المجيد.

ب- مفهوم القضاء والقدر:

صحّح الإمام زين العابدين عليه السلام أيضاً مفهوم القضاء والقدر، إذ روج الأمويون لفكرة أن جميع أعمالهم وتصرفاتهم إنما هو قضاء وقدر، ولا يصح لأحد الاعتراض عليهم، أو رفض حكمهم لأنه قضاء من الله وقدر على العباد.

١- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساکر، ج ٤٥، ص ٥٥.

٢- الزمر: ٤٢.

وعندما اعترض بعض الصحابة والتابعين على تعيين معاوية لابنه يزيد خليفة من بعده أجاب أن ذلك قضاء وقدر، ولا يحق لأحد أن يخالف ذلك، ولما اعترض عبدالله بن عمر على معاوية في تنصيب ابنه يزيد خليفة من بعده، قال له معاوية: «إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملأهم، وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم»^(١).

وباسم القضاء والقدر واجه معاوية عائشة لما اعترضت عليه في أمر تنصيب يزيد خليفة على المسلمين من بعده. وقال لها: «وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم»^(٢).

قال الكاتب المصري الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة»: «إنَّ معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوة فحسب، ولكن بأيديولوجية تمسُّ العقيدة في الصميم، فلقد كان يعلن في الناس أنَّ الخلافة بينه وبين عليٍّ (عليه السلام) قد احتكما فيها إلى الله، وقضى الله له على علي، وكذلك حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن أنَّ اختيار يزيد للخلافة كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة في أمرهم، وهكذا كاد يستقرُّ في أذهان المسلمين أنَّ كل ما يأمر به الخليفة حتى لو كانت طاعة الله في خلافه (فهو) قضاء من الله قد قدر على العباد»^(٣).

وقد تصدَّى الإمام زين العابدين (عليه السلام) لهذا التشويه لمفهوم القضاء والقدر والذي يجب أن يؤمن به الإنسان المسلم، فعندما سأل رجلُ الإمام زين العابدين (عليه السلام): أَبَقَدَرٌ يُصِيبُ النَّاسَ مَا أَصَابَهُمْ أَمْ بِعَمَلٍ؟ قال الإمامُ زينُ العابدينَ (عليه السلام):

١- الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ج ١، ص ١٦١.

٢- الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ج ١، ص ٢٠٥.

٣- نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية: دار النهضة العربية، طبع عام ١٩٩١م، ص ٣٣٤.

«إِنَّ الْقَدَرَ وَالْعَمَلَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَالرُّوحُ بغيرِ جَسَدٍ لَا تُحَسُّ، وَالْجَسَدُ بغيرِ رُوحٍ صُورَةٌ لَا حَرَكَاتَ بِهَا، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيًّا وَصَلَحَا، كَذَلِكَ الْعَمَلُ وَالْقَدَرُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْقَدَرُ وَاقِعًا عَلَى الْعَمَلِ لَمْ يُعْرِفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَكَانَ الْقَدَرُ شَيْئًا لَا يُحَسُّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِمُوَافَقَةٍ مِنَ الْقَدَرِ لَمْ يَمُضِ وَلَمْ يَتِمَّ، وَلَكِنَّهُمَا بِاجْتِمَاعِهِمَا قَوِيًّا، وَلِلَّهِ فِيهِ الْعَوْنُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ». ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا مِنْ أَجْوَرِ النَّاسِ مَنْ رَأَى جَوْرَهُ عَدْلًا، وَعَدَلَ الْمُهْتَدِي جَوْرًا»^(١). وبذلك بيّن الإمام زين العابدين عليه السلام المفهوم الصحيح لمعنى القضاء والقدر، وبه يتضح الفرق بينه وبين فكرة الجبر، فإذا كان الجبر يعني أن الإنسان مجبور على فعل المعاصي، وأنه مسلوب الاختيار والفعل؛ فإن القضاء والقدر لا ينافي حرية إرادة الإنسان، فالإنسان مسؤول لأنه حر في إرادته واختياره، ولو كان الإنسان مجبرًا على أفعاله، لسقط اللوم والعقاب عن المعاصي، ولما استحق المطيع ثوابًا على عمله وفعله. يقول الإمام علي عليه السلام: «يَا بَنَ آدَمَ، أَتَظُنُّ أَنَّ الَّذِي نَهَاكَ دَهَاكَ! وَإِنَّمَا دَهَاكَ أَسْفَلُكَ وَأَعْلَاكَ وَاللَّهُ بُرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وروى يونس بن عبد الرحمن عن غير واحد عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْرًا فَلَا يَكُونُ» قال: فَسَيِّلَا عَلَيْهِمَا: هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قالوا: «نَعَمْ، أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٣).

ووجوب الرضا بقضاء الله وقدره لا يعني سوى وجوب القبول والاستسلام والإيمان والإذعان لما أوجب الله علينا وبيّن لنا من أمر وحكم.

١- التوحيد: ٣٦٦ / ٤.

٢- الطرائف: ص ٣٢٩، كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٦٤ كلاهما عن الحسن البصري، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥٨ ح ١٠٨.

٣- الكافي: ج ١ ص ١٥٩ ح ٩، التوحيد: ص ٣٦٠ ح ٣، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٣٣، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥١ ح ٨٢.

إن معنى القضاء والقدر هو امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن في هذه الدنيا مجموعة من القوانين والأسباب والسنن التي وضعها الله عز وجل، وعلى الإنسان أن يتعاطى مع هذه السنن والقوانين المودعة في هذا الكون. هذا الفهم هو الذي يدفع الإنسان نحو طاعة الله عز وجل، وعدم مخالفة سنن وقوانين الكون والحياة، وعلى هذا الأساس، فالسعادة أو الشقاء الأبدى للإنسان، إنما هو نتيجة أفعاله الاختيارية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣). وهكذا فإن القضاء والقدر يعتبر مرحلة متقدمة لمعرفة الله عز وجل، ويؤدي إلى الالتزام بالشرعية، ومضاعفة العمل والنشاط والعطاء ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤).

وبذلك تصدَّى الإمام زين العابدين (عليه السلام) للعقائد المنحرفة التي كانت من مناشئ التعصب الديني، وصحَّح للمسلمين المفاهيم الصحيحة حتى لا ينخدع المسلمون بما يبيته الأمويون ومن معهم من عقائد منحرفة، وأفكار باطلة تؤدي إلى تشويه المفاهيم الإسلامية، ونشر التعصب بين المسلمين.

٣. قوة الدليل العلمي والعقلي:

من أسباب ودوافع التعصب الديني الجهل، واتباع العاطفة، وغياب الدليل العلمي والعقلي عن الأفكار المطروحة للنقاش، وإنما الاعتماد فقط على العاطفة والانفعال النفسي، فالمتعصب عادة يلجأ إلى طرح أفكاره وقناعاته بانفعال وعاطفية بعيداً عن التشخيص الموضوعي، والوعي والبصيرة مما يوقع المتعصب في أخطاء فاحشة وسوكيات خاطئة.

١- البقرة: ٢٨٦.

٢- النجم: ٣٩.

٣- الشمس: ٩-١٠.

٤- الزلزلة: ٧-٨.

وقد واجه الإمام زين العابدين عليه السلام حالة التعصب الديني بروح علمية، وكان يستدل بالقرآن الكريم عند مواجهة المتعصبين وأهل الجهل والحقد والعمى.

روى الطبري في تفسيره عن أبي الدَّيلم قال: لَمَّا جِيَءَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَسِيرًا فَأَقِيمَ عَلَى دَرَجٍ دِمَشَقَ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ وَاسْتَأْصَلَكُمْ وَقَطَعَ قُرْبَى ^(١) الْفِتْنَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَقْرَأْتَ آلَ حَم؟

قَالَ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَمْ أَقْرَأْ آلَ حَم؟

قَالَ: مَا قَرَأْتُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(٢)؟

قَالَ: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ هُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ. ^(٣)

فالإمام لم يتعصب تجاه هذا الرجل الشامي الذي ضلله الإعلام الأموي، ولكن حاوره بهدوء، واستدل عليه بالقرآن الحكيم بأن أهل البيت هم المقصودون بآية المودة.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام دائماً ما يدعو إلى ضبط الانفعال النفسي، والتحكم في الذات، ومواجهة التعصب بكبح النفس، والسيطرة على الأعصاب، فقد قال عليه السلام: «مَا تَجَرَّعْتُ جُرْعَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ

١ - كذا في المصدر، وفي تفسير ابن كثير: «قرني»، وفي تفسير الثعلبي والعمدة: «قرن»، وكلاهما موافق للسياق.

٢ - سورة الشورى: الآية ٢٣.

٣ - تفسير الطبري: ج ١٣ الجزء ٢٥ ص ٢٥، تفسير ابن كثير: ج ٧ ص ١٨٨، تفسير الثعلبي: ج ٨ ص ٣١١، تفسير الألوسي: ج ٢٥ ص ٣١ نحوه؛ العمدة: ص ٥١ ح ٤٦، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٥٢ ح ٣١.

لا أكافي بها صاحبها»^(١)، فلا يرد ما يثير الغيظ بمثلها، بل كان يكظم غيظه، ويحلم بمن أساء إليه، ويجادل أصحاب الأفكار المنحرفة والضالة والفسادة بالقرآن الكريم.

الخاتمة

واجه الإمام زين العابدين عليه السلام التعصب الديني بمفهومه السلبي نظرياً عبر أقواله وكلماته التي انتقد فيها كل ما يدعو إلى العصبية والتعصب تجاه الآخرين، وعملياً عبر سلوكياته وأفعاله كمجالسة العبيد والموالي، والتزوج بالإماء وغيرها من سبل المواجهة والتصدي للعصبية والتعصب الديني والعنصري.

ومارس الإمام زين العابدين عليه السلام عملياً محاورة ومناظرة الآخر بالدليل والبرهان والحجة؛ وكانت استدلالاته منتزعة من القرآن الكريم الذي يتفق كل المسلمين على قطعيته وحجيته؛ ما يؤكد على أهمية الحوار مع المخالف، ولأنه من الطرق الفضلى في القضاء على التعصب، وأما المتعصب الذي يرفض الحوار العلمي فإنما يعبر بذلك عن عجزه على التواصل مع الآخر، وعدم قدرته على الإقناع بالدليل والبرهان.

الفصل الثالث

العناية بالقرآن الكريم عند الإمام زين العابدين عليه السلام

المبحث الأول: الحث على اتباع القرآن والعمل بما فيه

المبحث الثاني: الإمام زين العابدين عليه السلام وتعظيم القرآن

المبحث الثالث: تجليات عناية الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرآن الكريم

المبحث الرابع: المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام



المبحث الأول

الحث على اتباع القرآن والعمل بما فيه

وصف الله عز وجل القرآن الكريم بأنه كتاب هدى وهداية، وكتاب رحمة، وكتاب بشري، وكتاب نور وبصيرة، وكتاب شفاء لما في الصدور، إذ يقول تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ولأن القرآن الحكيم فيه تبيان لكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)؛ يجب علينا لكوننا مسلمين العمل بما فيه، فالقرآن إنما أنزل ليعمل بما جاء فيه، ولتطبق أحكامه ومفاهيمه وتصوراته في الحياة.

وكان رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت الأطهار يحثون المسلمين على اتباع القرآن والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «عليكم بالقرآن، فاتخذوه إماماً وقائداً»^(٥) وقوله ﷺ: «عليكم بالقرآن؛ فإنه شافعٌ مُّشَفَّعٌ وما حلُّ مُّصَدَّقٌ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيلٍ»^(٦). وقوله ﷺ: «يُقَالُ

١- الجاثية: ٢٠.

٢- الأعراف: ٢٠٣.

٣- يونس: ٥٧.

٤- النحل: ٨٩.

٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، د. ط، ج ١، ص ٥١٥، ح ٢٣٠٠.

٦- أصول الكافي: ج ٢ ص ٥٦٤ ح ٢ عن السكوني عن الإمام الصادق عن آبائه عليه السلام، تفسير العياشي: ج ١ ص ٢ ح ١ عن محمد بن مسعود عن الإمام الصادق عن آبائه عليه السلام، النوادر للراوندي: ص ١٤٤ ح ١٩٧ عن الإمام علي عليه السلام، عنه عليه السلام، عدّة الداعي: ص ٢٦٨ كلاهما نحوه، بحار الأنوار:

لصاحب القرآن: اقرأ وارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنَزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(١). وقوله ﷺ: «الْقُرْآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتَبْيَانٌ مِنَ الْعَمَى، وَاسْتِقَالَةٌ مِنَ الْعَثَرَةِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَفِيهِ كَمَالٌ دِينِكُمْ وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمُ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»^(٣). وعنه ﷺ: «أَنْصِتُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهُدَى، وَاسْتَنْوُوا بِسُنَّتِهِ؛ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السُّنَنِ؛ وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَاسْتَضِيئُوا بِنُورِهِ؛ فَإِنَّهُ أَشْفَى لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٤). وعنه ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَنُورٌ وَهُدًى»^(٥).

وروي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْأَنْصَارِ أَيَّامَ وَفَاتِهِ فِيمَا أَوْصَى بِهِ إِلَيْهِمْ: كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي! فَإِنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْقُرْآنُ، وَفِيهِ الْحُجَّةُ وَالنُّورُ

ج ٨٩ ص ١٧ ح ١٦؛ المعجم الكبير: ج ١٠ ص ١٩٨ ح ١٠٤٥٠، المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ١٧٢ ح ١١ كلاهما عن عبدالله بن مسعود، كنز العمال: ج ١ ص ٥١٦ ح ٢٣٠٦.

١- سنن أبي داود: ص ٢٨٠ - ٢٨١ ح ١٤٦٤، سنن الترمذي: ص ٨٦٩ ح ٢٩١٤، مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ٦٢٤ ح ٦٨١٣ وفيهما «منزلتك» بدل «منزلك»، المستدرک علی الصحیحین: ج ١ ص ٧٣٩ ح ٢٠٣٠، السنن الكبرى: ج ٢ ص ٧٧ ح ٢٤٢٥ كلاهما نحوه وكلها عن عبدالله بن عمرو، كنز العمال: ج ١ ص ٥٢٠ ح ٢٣٣٠؛ مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥ عن عبدالله بن عمر عن الإمام علي ﷺ.

٢- أصول الكافي: ج ٢ ص ٥٦٥ ح ٨ عن الإمام الصادق ﷺ، تفسير العياشي: ج ١ ص ٥ ح ٨ وفيه «الأحزان» بدل «الأحداث»، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٦ ح ٢٨؛ المعجم الكبير: ج ١٨ ص ٩١ ح ١٦٥ عن الجارود نحوه.

٣- نهج البلاغة: الشريف الرضي، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ج ٣، ص ٥٩٨، وصية ٤٧. روضة الواعظين: ص ١٣٦. بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٤٩، ح ٥١. وج ٧٥، ص ١٠٠، ح ٢.

٤- أعلام الدين: ص ١٠٠، تحف العقول: ص ١٥٠، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٩٠ ح ٢.

٥- بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٥٥ ح ٤٢١.

وَالْبُرْهَانُ، كَلَامُ اللَّهِ غَضُّ جَدِيدٍ طَرِيٍّ، شَاهِدٌ وَحَكَمٌ عَادِلٌ، قَائِدٌ بِحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَحْكَامِهِ، بَصِيرٌ بِهِ، قَاضٍ بِهِ، مَضْمُونٌ فِيهِ، يَقُومُ غَدًا فَيُحَاجُّ بِهِ أَقْوَامًا، فَتَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ»^(١).

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قَدْ وَرِثْنَا نَحْنُ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ مَا تُسِيرُ بِهِ الْجِبَالُ، وَتُقَطَّعُ بِهِ الْبُلْدَانُ، وَتُحْيَا بِهِ الْمَوْتَى»^(٢)»^(٣).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءُ»^(٤).
ويكفي القرآن الكريم فخراً وشرفاً وعظمةً أنه كلام الله تعالى، فقد قال الزهري: سألت علي بن الحسين: عن القرآن؟ فقال: «كتاب الله وكلامه»^(٥).

وأكد ذلك حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام فعندما سئل: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

قَالَ عليه السلام: «هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَقَوْلُ اللَّهِ، وَكِتَابُ اللَّهِ، وَوَحْيُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ»^(٦).
إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وأنه محدث، خلقه الله تعالى، وأنزله

١- مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٢٣٧ ح ٤٥٨٨، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٧ ح ٢٧ كلاهما نقلاً عن ابن طاووس في الطرف عن الإمام الكاظم عليه السلام.

٢- إشارة إلى الآية ٣١ من سورة الرعد وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

٣- أصول الكافي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٧، بصائر الدرجات: ص ١١٥ ح ٣ نحوه وكلاهما عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه، بحار الأنوار: ج ١٤ ص ١١٣ ح ٤.

٤- أصول الكافي: ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠، ح ١، كمال الدين: ص ٦٨١ ح ٣١، معاني الأخبار: ص ١٠١ ح ٢، الأمالي للصدوق: ص ٧٧٩ ح ١٠٤٩، الغيبة للنعماني: ص ٢٢٣ ح ٦ كلها عن عبد العزيز بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٢٨ ح ٤.

٥- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ج ٣، ص ٤٨٢.

٦- التوحيد، الشيخ الصدوق، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ت، ص ٢٢٤، ح ٣.

عن طريق الوحي على الرسول الأكرم ﷺ. روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا»^(١) وقد قرأه رسول الله ﷺ بلسانه الشريف، وبلغه للناس كما أمره الله عز وجل، وتلقاه المسلمون المعاصرون له، ثم الذين من بعدهم جيلاً بعد جيل، كما نزل عليه، وكما قرأه عليهم.

المبحث الثاني

الإمام زين العابدين عليه السلام وتعظيم القرآن

من الأمور المهمة التي كانت تحظى بعناية واهتمام الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عنايته الخاصة بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً، ونشر المعارف والثقافة القرآنية بين الخاصة والعامة.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتعاهد القرآن ويحث على تعاهده، ويوصي أصحابه وتلامذته وشيعته بالعناية به، وبقرآته وتلاوته والتدبر فيه، والعمل بما جاء فيه من أحكام فقهية ودينية، وتعاليم ووصايا وإرشادات قرآنية، ووجوب الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه وزواجره.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعظم القرآن الكريم ويحث على تلاوته وقراءته والالتزام به، فقد روي عنه قوله: «عَلَيْكَ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ لَبَنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مِلَاطَهَا^(١) الْمِسْكَ، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانُ، وَحَصَاهَا اللُّؤْلُؤُ، وَجَعَلَ دَرَجَاتِهَا عَلَى قَدْرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ؛ فَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَمَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى دَرَجَةً مِنْهُ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ»^(٢).

وكان يحض على قراءة القرآن، ويرغب الناس في تلاوته ببيان الأجر والثواب لمن يتلو كتاب الله المجيد، فقد روي عنه عليه السلام قوله: «مَنْ قَرَأَ نَظْرًا مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً»^(٣). وفي رواية أخرى يبين عليه السلام أجر وثواب من

١ - المِلاط: الطين الذي يجعل بين ساقَي البناء يُملطُ به الحائط؛ أي يخلط (النهاية: ج ٤ ص ٣٥٧ «ملط»).

٢ - تفسير القمّي: علي بن إبراهيم القمي الكوفي، صححه وعلّق عليه: السيد طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ج ٢ ص ٢٦٣ عن سليمان بن داود، بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ١٩٨ ح ٨.

٣ - أصول الكافي: ج ٢ ص ٦١٢ ح ٦ عن محمد بن بشير.

يستمع إلى تلاوة القرآن؛ إذ يقول عليه السلام: «مَنْ اسْتَمَعَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (عز وجل) مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً»^(١).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يحث على ختم القرآن الكريم كاملاً، وخصوصاً في مكة المكرمة، فقد روي عنه: «مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَيَرَى مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).
وعن محمد بن بشير: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «مَنْ خَتَمَهُ [الْقُرْآنَ] كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مُؤَخَّرَةٌ أَوْ مُعَجَّلَةٌ».

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! خَتَمَهُ كُلُّهُ؟

قَالَ: «خَتَمَهُ كُلُّهُ»^(٣).

واشتهر عن الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه من أحسن الناس صوتاً في قراءته للقرآن الكريم، فكان يتلوه حق تلاوته، ويجود صوته بقراءته، حتى إن من يمر على باب داره يقف حتى يستمع لتلاوته للقرآن الكريم.

وفي إشارة إلى هذه الحقيقة قال الإمام الصادق عليه السلام: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ السَّقَاوُونَ يَمُرُّونَ، فَيَقْفُونَ بِبَابِهِ يَسْمَعُونَ»^(٤) قِرَاءَتَهُ»^(٥).

١- أصول الكافي: ج ٢ ص ٦١٢ ح ٦ عن محمد بن بشير، عِدَّة الداعي: ص ٢٧٠ عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٠١ ح ١٧.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ح ١٦٤٠ عن خالد بن ماد القلانسي عن الإمام الصادق عليه السلام، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٢٧ ح ٢٢٥٧، المحاسن: ج ١ ص ١٤٤ ح ١٩٨ عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٨٢ ح ٣٦.

٣- أصول الكافي: ج ٢ ص ٥٧٧ ح ٦، الدعوات: ص ٢٤ ح ٣١ عن الإمام الحسن عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٠٤ ح ٣١.

٤- في الوسائل والبحار: «يستمعون».

٥- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٠، رقم ٤٥. أصول الكافي: ج ٢، ص ٥٨٠، ح ١١. الوافي: ج ١٠، ص ٢٤٧، ح ٩٠٣١.

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) كَانَ يَقْرَأُ، قُرْبًا مَرَبِّهِ الْمَارُّ، فَصَعِقَ^(١) مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ»^(٢).

وكان قراء القرآن الكريم يتحلقون حول الإمام زين العابدين عليه السلام لمعرفة ما كان يقرأه، وأفضلهم، وقال سعيد بن المسيب: «كَانَ الْقُرَاءُ لَا يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ النَّاسُ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَخْرُجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣).

وفي بعض الأسفار أنه بلغ عدد القراء - حسب بعض المصادر التاريخية - ألف راكب^(٤).

وهذا يدل على تأثير القراء - وغيرهم - بتلاوة الإمام زين العابدين عليه السلام للقرآن الكريم، فالتلاوة المرتلة والجميلة ترك تأثيرها القوي في النفوس والعقول.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام دائم التلاوة لكتاب الله تعالى، ويجد فيه لذة لا تعد لها أية لذة أخرى، فكان جليسه الدائم الذي لا يفارقه هو القرآن الكريم حتى قال عليه السلام: «لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، لَمَا اسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مَعِيَ»^(٥).

١- صَعِقَ صَعَقًا: غُشِيَ عَلَيْهِ مِنْ صَوْتِ يَسْمَعُهُ، أَوْ حِسَّ، أَوْ نَحْوَهُ. وَصَعِقَ صَعَقًا: مَاتَ. ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ٩٩١ (صعق).

٢- الوافي: ج ١٠، ص ٢٤٧، ح ٩٠٣٢؛ وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٢١١، ح ٧٧٥٥، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٨٧، ح ٢٢؛ وج ٢٥، ص ١٦٤، ح ٣١.

٣- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٤٩. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): الشيخ الطوسي، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل الميدي والسيد أبو الفضل الموسويان، طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ. ش، ص ٢٠٠، رقم ١٨٦.

٤- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): الشيخ الطوسي، ص ٢٠٠، رقم ١٨٦. عوالم العلوم والمعارف

والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: الإمام علي بن الحسين (ع)، الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الاصفهاني، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، قم، ج ١٨، ص ٣٠٣.

٥- أصول الكافي: الشيخ الكليني، ضبطه وصححه وعلّق عليه الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٥٦٧، ح ١٣.

المبحث الثالث

تجليات عناية الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرآن الكريم

للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مجموعة من الأعمال والتجليات البارزة التي تدل على اهتمامه ورعايته وعنايته بالقرآن الكريم، وأهمها الآتي:

أولاً - بيان عظمة وخصائص القرآن الكريم:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام إذا ختم القرآن الكريم دعا الله تعالى بدعاء ختم القرآن المذكور في الصحيفة السجادية، وهو الدعاء الثاني والأربعون، الذي يؤكد فيه الإمام أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام، وأنه نور هداية، ومنهج حياة، ومصدر للتشريع، ومنبع فكر وعلم ومعرفة.

وقد بدأ الإمام زين العابدين عليه السلام دعاءه في ختم القرآن ببيان عظمة القرآن الكريم، وتعداد خصائصه ومميزاته، فيقول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْتَنِي عَلَى خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نَوْرًا، وَجَعَلْتَهُ مُهِمًّا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ، وَفَرَقَانًا فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَقُرْآنًا أَعَرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَضَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا، وَجَعَلْتَهُ نَوْرًا يَهْتَدِي مِنْ ظُلْمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانٍ قَسَطٍ لَا يَحِيفُ^(١) عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ، وَنَوْرَ هُدًى لَا يَطْفَأُ^(٢) عَنِ الشَّاهِدِينَ بُرْهَانُهُ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلَا تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ^(٣)».

فالقرآن الكريم - عند الإمام زين العابدين عليه السلام - هو كتاب نور، وفرقان، وبيان لمسائل الحلال والحرام، وكتاب شفاء من الأمراض القلبية والروحية، وكتاب علم ومعرفة، وميزان للحق والعدل.

١ - الْحَيْفُ: الجورُ والظلم (النهاية: ج ١ ص ٤٦٩ «حيف»).

٢ - في مصباح المتهجد: «يخفى» بدل «يطفأ».

٣ - الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٦.

وبين الإمام زين العابدين عليه السلام في بداية دعائه المفصل حول القرآن الكريم علو منزلته وعظمته، وبيان بعض خصائصه، فهو رحمة وهدى وشفاء، وميزان ومعيار للتفريق بين الحق والباطل.

ثم يشير الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إلى آداب التلاوة، ووجوب الاعتصام بالقرآن، والعمل بما فيه، ووجوب رعايته ومدارسته والاعتناء به، والتصديق بما جاء فيه، قائلًا: «اللَّهُمَّ فَإِذَا أَفَدْتَنَا الْمَعُونَةَ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَوَاسِي^(١) أَلَسْتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِحُكْمِ آيَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمَوْضِحَاتِ بَيِّنَاتِهِ^(٢)».

ثم بين الإمام عليه السلام أن الأئمة الأطهار قد ورثوا معرفة القرآن وتأويله وتفسيره من رسول الله ﷺ، وأنهم الأعرف به، والأقدر على حمل تعاليمه وأحكامه، وتفصيل مجمله، وتفسير آياته، وتبيين ناسخه ومنسوخه، إذ قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُجْمَلًا، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكْمَلًا^(٣)، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّرًا، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْنَا عَلَيْهِ لِيَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِيقْ حَمْلَهُ، اللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً، وَعَرَفْنَا بِرَحْمَتِكَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ بِهِ، وَعَلَى آلِهِ الْخُزَّانِ لَهُ^(٤)».

ثم يدعو الإمام عليه السلام إلى الاعتصام بحبله، والاهتداء بضوء نوره، والاستضاءة بمصباحه، والتماس الهدى من أحكام آياته، ومعرفة محكماته ومتشابهاته، إذ يقول عليه السلام: «وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ

١- جاس يجوس: تَرَدَّد (لسان العرب: ج ٦ ص ٤٣ «جوس»). وفي مصباح المتهجد والإقبال: «حواشي» بدل «جواسي».

٢- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٧.

٣- في مصباح المتهجد: «مجملاً».

٤- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٧.

إلى حِرْزٍ مَعْقِلِهِ، وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ جَنَاحِهِ، وَيَهْتَدِي بِضَوْءِ صَبَاحِهِ، وَيَقْتَدِي بِتَبَلُّجِ إِسْفَارِهِ، وَيَسْتَصْبِحُ بِمِصْبَاحِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ»^(١).

والقرآن الكريم وسيلة إلى هدف، ومن الخطأ تحويله إلى مجرد هدف بذاته؛ لأن القرآن وسيلة، والعمل بما فيه هو الهدف، فالقرآن الذي نزل من السماء كان وسيبقى طريقاً وصراطاً وسبيلاً ونوراً، ومن ثمَّ فالقرآن الكريم وسيلة لنيل منازل الكرامة، وسلماً للوصول إلى محل السلامة، وسبباً للنجاة في يوم القيامة، إذ يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَسَلِّمْ نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ، وَسَبَبًا نُجْزَى بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ، وَذَرِيعَةً نَقْدَمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ الْمَقَامَةِ»^(٢).

ثم يتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن آثار القرآن النفسية والروحية والعقلية والتربوية والأخلاقية على من يتمسك به، ويسير على هديه، قائلاً: «وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنَا فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي مُونِسًا، وَمِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَاتِ الْوَسْوَاسِ^(٣) حَارِسًا، وَلَا قَدَمِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي حَابِسًا، وَلَا لِسِتْنَانَا عَنِ الْخَوْصِ فِي الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسًا، وَلِجَوَارِحِنَا عَنْ اقْتِرَافِ الْآثَامِ زَاجِرًا، وَلِمَا طَوَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْهَا مِنْ تَصَفُّحِ الْأَعْيَانِ نَاشِرًا، حَتَّى تَوْصَلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ عَجَائِبِهِ، وَزَاجِرَ^(٤) أَمْثَالِهِ الَّتِي ضَعُفَتْ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عَلَى صَلَابَتِهَا عَنْ احْتِمَالِهِ»^(٥).

ثم يفصل الإمام عليه السلام تلك الآثار، التي تشمل صلاح الظاهر، وسلامة الباطن، ونظافة القلب، وطهارة الروح؛ إذ يقول عليه السلام: «وَأَدْمِ بِالْقُرْآنِ صَلاَحَ ظَاهِرِنَا، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسْوَاسِ^(٦) عَنْ صِحَّةِ

١- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٧ - ١٧٨.

٢- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٨.

٣- في مصباح المتهجد والإقبال: «الوسواس».

٤- في مصباح المتهجد والإقبال: «زواجر».

٥- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٩.

٦- في مصباح المتهجد والإقبال: «الوسواس».

صَمَائِرُنَا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ^(١) قُلُوبِنَا وَعَلَائِقَ أَوْزَارِنَا، وَاجْمَعْ بِهِ مُتَشَرَّ
أُمُورِنَا، وَأَرِوْ بِهِ فِي مَوْقِفِ الْعَرَضِ^(٢) عَلَيْكَ ظَمَأً هَوَا جِرِنَا، وَاكْسُنَا بِهِ
حُلَلَ الْأَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي نُشُورِنَا^(٣).

ولا تقتصر آثار القرآن وبركاته على من عمل به على الحياة الدنيا؛ كرغد
العيش، وسعة الرزق، وتجنب سوء الأخلاق، وعدم الوقوع في هوة الكفر
والنفاق؛ بل يتعدى ذلك إلى الآثار الأخروية، والفوز برضوان الله وجنته،
وتلك غاية الغايات، ومنتهى آمال المتقين؛ إذ يقول عليه السلام: «وَاجْبُرْ بِالْقُرْآنِ
خَلْقَتَنَا مِنْ عَدَمِ الْإِمْلَاقِ، وَسُقِ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخِصْبَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ،
وَجَنَّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ الْمَذْمُومَةَ وَمَدَانِيَ الْأَخْلَاقِ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَوَاةِ الْكُفْرِ
وَدَوَاعِي النِّفَاقِ، حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجَنَانِكَ قَائِدًا، وَلَنَا
فِي الدُّنْيَا عَنْ سُخْطِكَ وَتَعَدِّي حُدُودِكَ ذَائِدًا، وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِهِ
وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ شَاهِدًا»^(٤).

وللقرآن الكريم أثره في تهوين سكرات الموت، وتخفيف آلام الاحتضار،
وتبريد حرارة خروج الروح من الجسد؛ إذ يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في
دعائه: «وَهَوْنٌ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا كَرَبِ السَّيَاقِ، وَجَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ،
وَتَرَادُفَ الْحَشَارِجِ»^(٥) إِذَا بَلَغَتِ النَّفُوسُ التَّرَاقِيَّ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾^(٦)، وَتَجَلَّى
مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ
وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَدَافَ لَهَا مِنْ دُعَافِ^(٧) الْمَوْتِ كَأَسَا مَسْمُومَةِ الْمَذَاقِ، وَدَنَا

١- الدَّرَنُ: الوسخ (النهاية: ج ٢ ص ١١٤ «درن»).

٢- الْعَرَضُ: من أحداث الدهر من الموت والمرض - أي يوم الحساب - (لسان العرب: ج ٧ ص ١٦٩ «عرض»).

٣- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٩.

٤- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٧٩ - ١٨٠.

٥- الحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردد النفس (النهاية: ج ١ ص ٣٨٩ «حشرج»).

٦- القيامة: ٢٧.

٧- الذعاف: السم، وموت ذعاف: أي سريع يُعَجَّلُ القتل (الصحاح: ج ٤ ص ١٣٦١ «ذعف»).

مِنَّا إِلَى الْآخِرَةِ رَحِيلٌ وَانْطِلَاقٌ، وَصَارَتْ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الْأَعْنَاقِ، وَكَانَتْ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ»^(١).

وبيّن لنا الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء العميق والمركّز بالمفاهيم والمعارف القرآنية نقطة هامة وهي وجوب العمل بكل ما جاء به القرآن الكريم، وعدم الاقتصار على جوانب دون أخرى، أو الإيمان بجزء منه والكفر بالجزء الآخر.

إن الفهم التجزيئي يعني فهم القرآن بصورة مجزأة، بفصل بعضه عن بعضه الآخر، عن طريق فهم كل آية قرآنية بدون ربطها ببقية الآيات الأخرى، أو الأخذ بجانب من الآية وترك تكملتها! وهذه الطريقة تستخدم أحياناً لقضايا مصلحية وشخصية لتبرير ثقافة معينة أو للتخلي عن تحمل المسؤوليات الدينية! وقد عارض القرآن الكريم بشدة الفهم التجزيئي، وأوعد القائمين به أشد العذاب، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) هذه الآية الشريفة تنطبق كذلك على أولئك الذين يؤمنون ببعض قيم القرآن، ويتخلون عن القيم الأخرى، التي لا تتلاءم مع مصالحهم الشخصية، وقد توعد ربنا عز وجل مثل هؤلاء الصنف من الناس بالخزي في الدنيا وبالعذاب الشديد في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

إن هناك من يؤمن بجزء من القرآن، وهو (عادة) ما يتلاءم مع مصالحه وأهوائه وغرائزه الشخصية، ولكنه يكفر بالقرآن في الجانب الذي لا يتلاءم مع مصالحه، أو يكلفه ما لا يريد!

١ - الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء الثاني والأربعون، ص ١٨٠.

٢ - الحجر: ٩١ - ٩٣.

٣ - البقرة: ٨٥.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك من يأخذ بالقرآن في المجال العبادي فقط، ولكنه لا يعمل به في المجالات الأخرى؛ كالمجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتربوي والأخلاقي، اللهم إلا بمقدار ما يتلاءم مع مصالحه وأهوائه وحساباته الشخصية! وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «أَكْثَرُ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَضَعُهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ»^(١)، فتأويل القرآن من غير علم، أو تأويله بخلاف المراد، إنما يكون لأهداف مصلحة، أو فكرة خاطئة، والمطلوب هو التعامل مع القرآن كلاً لا يتجزأ، وفهمه بصورة عميقة وصحيحة وفق آليات المنهج العلمي في التفسير، وتطبيقه في الواقع الخارجي كاملاً؛ لأن القرآن الكريم منهج للحياة ودستور عمل للأمة الإسلامية.

وعلىنا بوصفنا مسلمين الاهتمام بلباب القرآن، وإلا تحولنا إلى البحث عن القشور، ولا بد من التركيز على القضايا الرئيسة والمهمة التي يشير إليها القرآن الكريم، والعمل وفقها.

والاستفادة من القرآن الكريم يجب أن تشمل كل المجالات: الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتربوية والأدبية...، وجميع شؤون الحياة الأخرى.

ثانياً- التدبر في القرآن الكريم:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يهتم بالتدبر بالقرآن الكريم تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣)، فالتدبر هو الطريق الطبيعي لفهم القرآن، والفهم هو نقطة الانطلاق نحو التطبيق

١- كنز العمال: ج ١٠، ص ١٨٧، ح ٢٨٩٧٨.

٢- النساء: ٨٢.

٣- محمد: ٢٤.

العملي لمفاهيم القرآن وأحكامه؛ أما تلاوة القرآن بدون تدبر فيعني تحويل القرآن إلى حروف بدون معانٍ، وكلمات بدون مفاهيم، وألفاظ بدون رؤى! والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن يقرأ القرآن قراءة عابرة، أو تلاوة مجردة، وإنما كان يتدبر في آياته، ويتأمل ويفكر فيما احتوته من كنوز المعرفة والعلم والحكمة والتربية والأخلاق وغيرها.

وكان الإمام عليه السلام يحث أصحابه على التدبر في القرآن، وفهم آياته، واستخراج كنوزه وخزائنه، فقد قال عليه السلام: «آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنٌ، فَكُلَّمَا قُتِحَتْ خِزَانَةٌ، يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا»^(١). إذ فيها - كما يقول المازندراني - أنواع من جواهر المعاني والأسرار والحقائق، وأصناف من فرائد اللطائف والفوائد والدقائق؛ ولذلك كان القرآن مع قلة لفظه وصغر حجمه مشتملاً على جميع ما كان وما هو كائن، وما يكون إلى يوم القيامة^(٢).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام عندما يتدبر في آية يتفاعل وجدانياً وعاطفياً إلى درجة أنه يتغيّر شكله، ويصفّر لونه، وترتعد فرائضه، تقول الرواية: «وَكَانَ عليه السلام إِذَا قَرَأَ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣) يُكْرِّرُهَا حَتَّى كَادَ^(٤) أَنْ يَمُوتَ»^(٥). وذلك لتدبره العميق وفهمه الدقيق لمعاني هذه الآية الشريفة، فكان يتفاعل بكل كيانه ووجدانه مع ما ترمز إليه من دلالات وإشارات في يوم القيامة.

ولا عجب في ذلك، فإن من يعرف القرآن الكريم حق المعرفة يتأثر به

١- أصول الكافي: ج ٢، ص ٥٧٤، ح ٢. الوافي: ج ١٠، ص ٢٣٩-٢٤٠، ح ٨٩٩٩؛ وسائل الشيعة: ج ٦، ص ١٩٨، ح ٧٢٢٢.

٢- شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ١١، ص ٣٥.

٣- الفاتحة: ٤.

٤- في الوافي وتفسير العياشي: «يكاد». وفي تفسير العياشي: «وكاد» بدل «حتى كاد».

٥- أصول الكافي: ج ٢، ص ٥٦٧، ح ١٣.

أشد التأثر، ويتفاعل بكل كيانه أشد التفاعل؛ وقد أشار القرآن الكريم بنفسه لذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).
وعلى التلمذ على القرآن الكريم، عبر التدبر في آياته، والتأمل والتفكير في أسرارهِ وعجائبهِ، والعمل على تطبيق تعاليمهِ، والالتزام بأوامره ونواهيه، والاستفادة منه في كل شؤون الحياة حتى نكون من أهل القرآن المخلصين!

ثالثاً- الاهتمام بالتفسير:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبرز المفسرين للقرآن الكريم في زمانه، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، يقول المؤرخون: «إنه كان صاحب مدرسة لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن»^(٢).

وأخذ عنه أيضاً ابنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في تفسيره الذي رواه عنه زياد بن المنذر الزعيم الروحي للفرقة الجارودية^(٣).

وقد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً كبيراً بتفسير القرآن الكريم، وخصوصاً آيات العقائد، إذ تناول القرآن الكريم العقائد في آيات كثيرة وسور متعددة، ويأتي اهتمام الإمام عليه السلام بذلك لبيان العقائد الحقّة من العقائد الفاسدة التي كان يروج لها الزنادقة والملاحدة وغيرهم.
رابعاً- العناية بعلوم القرآن الكريم:

١- الحشر: ٢١.

٢- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ج ١٥، ص ٣٣٩.

٣- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ج ١٥، ص ٣٣٩.

اعتنى الإمام زين العابدين عليه السلام بعلوم القرآن الكريم، وساهم في إثرائها وتوسعتها، فبالإضافة لعلم التفسير اهتم الإمام عليه السلام ببيان فضائل القرآن، وأسباب النزول، والقراءات القرآنية، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والقصص في القرآن الكريم.

إن بيان فضائل السور القرآنية من أهم علوم القرآن، إذ «من أنواع علوم القرآن المفردة بالتصنيف فضائل القرآن، ذكره عامة من ألف في علوم القرآن وتناولت فضل القرآن على الجملة، وفضل السور بعينها، والآيات على الخصوص، وقد جرت عادة المفسرين ممن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيه من الترغيب، والحث على قراءتها وحفظها، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في آخرها، والعلة في ذلك أنها صفات لها، والصفة تستدعي تقديم الموصوف»^(١).

وأوضح الإمام زين العابدين عليه السلام فضل بعض السور والآيات القرآنية، فعن فضل البسملة قال عليه السلام: «إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا أُقِيمَتْ جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى قَرِينِ الْإِمَامِ فَيَقُولُ: هَلْ ذَكَرَ رَبَّهُ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ ذَهَبَ، وَإِنْ قَالَ: لَا، رَكِبَ عَلَى كَتِفَيْهِ، فَكَانَ إِمَامَ الْقَوْمِ حَتَّى يَنْصَرِفُوا». فقليل له: لَيْسَ يَفْرَوْنَ الْقُرْآنَ؟

قَالَ: «بَلَى، لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا هُوَ الْجَهْرُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٢).

وعن فضل سورة الرحمن روى الإمام زين العابدين عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ سُرَّةُ الرَّحْمَنِ جَلَّ ذِكْرُهُ»^(٣).

وعن فضل قراءة سورة القدر قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «مَنْ

١- الإمام زين العابدين عليه السلام وجهوده في علوم القرآن: عبد الله شمخي موسى الياسري، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ، ص ١٤١.

٢- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٦، ص ٧٥، ح ٧٣٨٧. بحار الأنوار: ج ٦٠، ص ٢٠٢، ح ٢٤.

٣- مستدرک الوسائل: ج ٤، ص ٣٥١، رقم ٤٨٨٦. كنز العمال: ج ١، ص ٥٨٢، ح ٢٦٣٨.

قَرَأَ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ عِنْدَ فُطُورِهِ وَعِنْدَ سَحُورِهِ، كَانَ فِيمَا بَيْنَهُمَا كَأَلْتَشْحَطُ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

ومن علوم القرآن الكريم الأخرى التي عني بها الإمام زين العابدين عليه السلام علم أسباب النزول، وهو: «اسم لعلم من علوم القرآن، وأول ظهور لهذا الاصطلاح كان في القرن السابع، إذ توصل العلماء إلى أن أموراً قد وقعت في عصر الوحي، واقتضت نزول الوحي بشأنها، ويبقى الحكم حكماً نافذاً، وإن رفع السبب الذي من أجله نزل، وانتفى المسبب، لذلك اشتهر القول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنه لا يخصص الحكم، وكانت أسباب النزول طريقاً قوياً في فهم الكتاب العزيز، بل عدَّ أكثر المفسرين قدرةً على إتقان التفسير وتحقيقه أكثرهم علماً بأسباب النزول.

لكن ما ذكره المفسرون وعلماء القرآن من أسباب النزول يدلنا بوضوح على أن مرادهم ليس هو خصوص ما كان سبباً، أي العلة التي نزلت الآية من أجلها؛ وإنما سبب النزول يشمل كل القضايا التي كان النزول في إطارها، وما يرتبط بنزول الآيات بنحو مؤثر في دلالتها ومعناها، بغض النظر عن الزمان والمكان؛ بل يصدق على ما يخالف زمان النزول بالمضي والاستقبال»^(٢).

وقد بين الإمام زين العابدين عليه السلام أسباب النزول لبعض الآيات والسور القرآنية، ومنها: آية الولاية، إذ قال الإمام عليه السلام عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٣) إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام عندما تصدق بخاتمه في الصلاة^(٤).

ونظراً لاهتمام القرآن الكريم بسرد قصص مجموعة من الأنبياء والمرسلين،

١- الإقبال: السيد ابن طاووس، ج ١، ص ٢٤٠.

٢- الإمام زين العابدين عليه السلام وجهوده في علوم القرآن: عبد الله شمخي موسى الياصري، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ، ص ١٤٩-١٥٠.

٣- المائدة: ٥٥.

٤- مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ص ١٥٩.

وقصص الأولياء الصالحين، وقصص عباد الله المخلصين، لأخذ العبرة والعظة منها كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، فقد أولى الإمام زين العابدين عليه السلام عناية كبيرة ببيان تفاصيل بعض تلك القصص القرآنية، وكشف النقاب عن أبعادها وأسرارها وجوانبها المختلفة للاستفادة منها في أخذ الدروس والعبر بأحسن استفادة.

والإمام زين العابدين عليه السلام عندما يسرد القصص القرآني، ويكشف تفاصيلها، وأبرز أسماء شيوخها، ويربطها بواقعها الزمني والمستقبلي، كان عليه السلام يروي تلك التفاصيل عن علم ومعرفة؛ لأنه أخذ العلم عن آبائه عن رسول الله ﷺ، فهم الأعلام بتفسير القرآن الكريم مصداقاً لصفتهم بتراجم القرآن الكريم.

ومن جهة أخرى فإن هذا يدل على الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام زين العابدين عليه السلام في إغناء هذا الفن القصصي القرآني، وما بينه وكشفه من أسرار وتفاصيل حول قصص الأنبياء عليهم السلام كقصة يعقوب، وقصة يوسف، وقصة موسى.

وما أوضحه وبينه من تفاصيل قصص الماضين من غير الأنبياء ممن ذكرت في القرآن الكريم؛ كقصة هابيل وقايل، وقصة أصحاب الرس، وقصة أصحاب السبت.

خامساً- كتابة المصحف الشريف بخطه:

يوجد في المكتبة الرضوية في مشهد مصحف شريف منسوب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام كتبه بخطه الشريف، [وقد رأيت به بنفسي عند زيارتي للمكتبة الرضوية في حرم الإمام علي الرضا عليه السلام]، وقد كتب بالخط الكوفي، جاء في

١- يوسف: ٣.

٢- الأعراف: ١٦٧.

آخره: «قوله الحق وله الملك إن الله لا يخلف الميعاد، كتبه المنتظر لوعده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»^(١).

المبحث الرابع

المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام مفتاح تمهيدي

في القرآن الكريم أسرار وغوامض، وفيه آيات محكمات وآخر متشابهات، لا يعرف معناها ومقصدها إلا الله تعالى والراسخون في العلم. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)، والمراد بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم أئمة أهل البيت الأطهار كما ورد في العديد من الأحاديث الشريفة^(٢).

ونحن بحاجة للرجوع إليهم لمعرفة تفسير القرآن بصورة دقيقة وصحيحة، فالقرآن الكريم نزل في بيوتهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من تكلم في تفسير القرآن الكريم، ومن بعده أئمة أهل البيت الأطهار^(٣)، ومنهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي ورد عنه تفسيره لبعض الآيات القرآنية وتأويله لها.

١- آل عمران: ٧.

٢- راجع: بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٣، ص ١٨٨.

٣- راجع: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٧، ص ٣٤٥-٣٤٦.

نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام

من أجل تعميم الفائدة والاستفادة من المنهج التفسيري للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام المبثوث في كتب التفسير والحديث نذكر نماذج - على سبيل المثال لا الحصر - من تفسيره لبعض الآيات القرآنية، ومنها:

١- معنى الصمد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١):

أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام معنى الصمد في الآية المباركة، فقال: «الصَّمَدُ: الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَوُودُهُ حِفْظُ شَيْءٍ، وَلَا يَعَزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ»^(٢).

وعنه عليه السلام قال: «الصَّمَدُ: هُوَ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، وَالصَّمَدُ: الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ فَخَلَقَهَا أَضْدَادًا وَأَشْكَالًا وَأَزْوَاجًا، وَتَقَرَّدَ بِالْوَحْدَةِ بِلَا ضِدٍّ وَلَا شَكْلٍ وَلَا مِثْلٍ وَلَا نِدٍّ»^(٣).

٢- تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٤):

أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام المقصود من هاتين الآيتين بقوله: «ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَنَا مِنْ حُجُبِ النُّورِ فَرَأَى مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ تَدَلَّى ﷺ فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى مَلَكَوَتِ الْأَرْضِ؛ حَتَّى ظَنَّ أَنََّّهُ فِي الْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»^(٥).

٣- تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(٦):

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير هذه الآية: «يَعْنِي بِأَرْضٍ لَمْ تُكْتَسَبْ

١- الإخلاص: ٢.

٢- التوحيد: ٩٠ / ٣.

٣- التوحيد: ٩٠ / ٤.

٤- النجم: ٨ و ٩.

٥- علل الشرائع: ج ١، ص ١٣٢.

٦- إبراهيم: ٤٨.

عَلَيْهَا الذُّنُوبُ، بَارِزَةً لَيْسَتْ عَلَيْهَا جِبَالٌ وَلَا نَبَاتٌ كَمَا دَحَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»^(١).

٤- تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾^(٢):

فسر الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الآية الشريفة بقوله: «إن الثمن البخس

الذي اشتروا به يوسف كان عشرين درهماً»^(٣).

٥- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾^(٤):

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ:

إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ

قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٥)

مَا هَذَا الْحَقُّ الْمَعْلُومُ؟

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَام): «الْحَقُّ الْمَعْلُومُ: الشَّيْءُ يُخْرِجُهُ

مِنْ مَالِهِ لَيْسَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَا مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَتَيْنِ».

قَالَ: فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الزَّكَاةِ وَلَا مِنَ الصَّدَقَةِ، فَمَا هُوَ؟

فَقَالَ: «هُوَ الشَّيْءُ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ إِنْ شَاءَ أَكْثَرَ، وَإِنْ شَاءَ أَقَلَّ

عَلَى قَدْرِ مَا يَمْلِكُ».

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَمَا يَصْنَعُ بِهِ؟

قَالَ: «يَصِلُ بِهِ رَحْمًا، وَيُقَوِّي بِهِ ضَعْفًا، وَيَحْمِلُ بِهِ كَلًّا، أَوْ يَصِلُ بِهِ أَخًا

لَهُ فِي اللَّهِ، أَوْ لِنَائِبَةٍ تَنْوِبُهُ».

١- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم الحسيني البحراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج ٥، ص ٢٦٣، ح ٨. بحار الأنوار: ج ٧، ص ١١٠، ح ٣٩. تفسير

العياشي: ج ٢، ص ٣٦٠.

٢- يوسف: ٢٠.

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت لبنان،

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٥، ص ٣٣٧.

٤- المعارج: ٢٤.

٥- المعارج: ٢٤ - ٢٥.

فَقَالَ الرَّجُلُ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَفْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) ﴿٢﴾.

٦- تفسير قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٣):

فسر الإمام زين العابدين عليه السلام معنى الصَّفْحَ الجميل في هذه الآية الشريفة:

﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٤) بقوله عليه السلام: «العَفْوُ مِنْ غَيْرِ عِتَابٍ»^(٥).

٧- تفسير آية المودة:

قال حكيم بن جبير: سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَنْ هَذِهِ

الآيَةِ:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٦)؟

قَالَ: «هِيَ قَرَابَتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)»^(٧).

وفي تفسير الطبري تأكيد على المعنى نفسه، فقد روى الطبري عن أبي

الدَّيْلَمِ: لَمَّا جِيءَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَسِيرًا فَأَقِيمَ عَلَى دَرَجٍ دِمَشْقَ،

قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ وَاسْتَأْصَلَكُمْ

وَقَطَعَ قُرْبَى^(٨) الْفِتْنَةِ!

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «أَقْرَأَتِ الْقُرْآنَ؟».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «أَقْرَأَتِ آلَ حَم؟».

١- الأنعام: ١٢٤.

٢- الوافي: ج ١١، ص ١٨٩، ح ٩٧١٩؛ وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤٩، ح ١١٤٩١؛ بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٢٦٨.

٣- الحجر: ٨٥.

٤- الحجر: ٨٥.

٥- الأمالي للصدوق: ٤١٦ / ٥٤٧. وسائل الشيعة: الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،

بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج ١٢، ص ١٧١، ح ١٥٩٨٩.

٦- الشورى: ٢٣.

٧- تفسير فرات: أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي،

بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ج ٢، ص ٣٩٢ ح ٥٢٣، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٤٧ ح ١٧.

٨- كذا في المصدر، وفي تفسير ابن كثير: «قرني»، وفي تفسير الثعلبي والعمدة: «قرن»، وكلاهما موافق للسياق.

قال: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَمْ أَقْرَأْ آلَ حَم؟
 قال: «مَا قَرَأْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)».
 قال: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ هُمْ؟
 قال: «نَعَمْ»^(٢).

٨- تفسير الفواحش:

أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام معنى الفواحش الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(٣)، فقال عليه السلام: «ما ظهر: نكاح نساء الأب، وما بطن: الربا»^(٤).

٩- المقصود بالبرهان الذي رآه يوسف:

فسّر الإمام زين العابدين عليه السلام البرهان الذي رآه يوسف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٥) بقوله عليه السلام: «كان في ذلك البيت صنم فألقت المرأة ثوباً عليه وقالت: أستحي عنه. فقال يوسف: تستحي من الصنم، فأنا أحق أن أستحي من الواحد القهار»، فتذكر الله سبحانه وتعالى في تلك اللحظة منعه منها، والاستحياء منه عز وجل، والعلم بأن ذلك معصية هو البرهان الذي جعله يمتنع عن ارتكاب الفاحشة.

ثم إن اللطف - كما يقول الشيخ الطبرسي - الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال، أو قبلها، فاختار عنده الامتناع عن المعاصي، وهو ما يقتضي

١- الشورى: ٢٣.

٢- تفسير الطبري: ج ١٣ الجزء ٢٥ ص ٢٥، تفسير ابن كثير: ج ٧ ص ١٨٨، تفسير الثعلبي: ج ٨ ص ٣١١، تفسير الآلوسي: ج ٢٥ ص ٣١ نحوه؛ العمدة: ص ٥١ ح ٤٦، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٥٢ ح ٣١.
 ٣- الأعراف: ٣٣.

٤- ما نزل من القرآن في أهل البيت: الحسين بن الحكم الحبري، ص ١١. شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي النجفي، ج ٢٨، ص ٩٨.

٥- يوسف: ٢٤.

كونه معصوماً، لأن العصمة هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح، والامتناع من فعلها؛ ويجوز أن يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم، كما يجوز أن يكون بمعنى الإدراك^(١).

١٠- الحديث عن الجنة:

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢) إنه قال: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَدَخَلَ وَلِيُّ اللَّهِ إِلَى جَنَّتِهِ وَمَسَاكِينِهِ، وَاتَّكَأَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنْهُمْ عَلَى أَرِيكَتِهِ، حَفَّتْهُ خُدَامُهُ، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ الثَّمَارُ، وَتَفَجَّرَتْ حَوْلَهُ الْعُيُونُ، وَجَرَتْ مِنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَارُ، وَبُسِطَتْ لَهُ الزَّرَائِيُّ، وَصُفِّفَتْ لَهُ النَّهَارِقُ، وَأَتَتْهُ الْخُدَّامُ بِمَا شَاءَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ ذَلِكَ.

قال: وَيَخْرُجُ عَلَيْهِمُ الْخُورُ الْعَيْنُ مِنَ الْجَنَانِ، فَيَمْكُثُونَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ إِنَّ الْجَبَّارَ يُشْرِفُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَوْلِيَائِي وَأَهْلَ طَاعَتِي وَسُكَّانَ جَنَّتِي فِي جَوَارِي، أَلَا هَلْ أُبَيِّتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّمَّا أَنْتُمْ فِيهِ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَآيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِّمَّا نَحْنُ فِيهِ! نَحْنُ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُنَا وَلَذَّتْ أَعْيُنُنَا مِنَ النِّعَمِ فِي جَوَارِ الْكَرِيمِ.

قال: فَيَعُودُ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَعَمْ، فَأَتِنَا بِخَيْرٍ مِّمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِضَايَ عَنْكُمْ وَمَحَبَّتِي لَكُمْ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

قال: فَيَقُولُونَ: نَعَمْ يَا رَبَّنَا، رِضَاكَ عَنَّا وَمَحَبَّتُكَ لَنَا خَيْرٌ لَّنَا وَأَطْيَبُ لِأَنْفُسِنَا.

١- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦ م، ج ٥، ص ٣٤٤.

٢- التوبة: ٧٢.

ثُمَّ قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) «(٢)».

١١- معنى التسنيم:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ «(٣)» ما نصه:

«هُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُهُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ السَّابِقُونَ: رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَئِمَّةُ وَفَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِيمَانٍ - يَتَسَنَّمُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعَالِي دُورِهِمْ «(٤)»».

١٢- تفسير قوله تعالى: ﴿... مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ «(٥)»:

فسر الإمام زين العابدين عليه السلام الآية المباركة بقوله: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًّا يُقَالُ لَهُ: سَعِيرٌ، إِذَا خَبَتْ جَهَنَّمَ فَتَحَ سَعِيرُهَا [وهو قوله: ﴿كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ «(٦)»».

١٣- معنى البرزخ:

فسر الإمام زين العابدين عليه السلام معنى البرزخ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ

١- التوبة: ٧٢.

٢- تفسير العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ج ٢ ص ٩٦ ح ٨٨، بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٤١ ح ٥٧.

٣- المطففين: ٢٧- ٢٨.

٤- تأويل الآيات الظاهرة: السيد شرف الدين علي الحسيني الاستربادي النجفي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ، ج ٢ ص ٧٧٧ ح ١٠ عن أبي حمزة عن الإمام الباقر عن أبيه عليهما السلام عن جابر، بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٥٠ ح ٨٥. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤١١. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج ٢، ص ٣٢٦.

٥- الإسراء: ٩٧.

٦- البرهان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ١٠٩، ح ٢. تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١٨، ح ١٦٩. تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٥١.

بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^(١) قائلًا: «هو القبر، وإنَّ لَهُمْ فِيهِ لَمَعِيشَةً ضَنْكًا. والله، إنَّ القبرَ كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أو حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»^(٢).

والمعنى نفسه عن البرزخ ورد عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «الْبَرْزَخُ القبر، وفيه الثَّوَابُ والعِقَابُ بين الدُّنْيَا والآخِرَةِ، والدليل على ذلك أيضًا قول العالم - أي الإمام الكاظم - عليه السلام: والله، ما نخاف عليكم إِلَّا الْبَرْزَخَ»^(٣).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضًا: «والله، أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ!». قلتُ: وما الْبَرْزَخُ؟

قال: «القبر، مُنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

١٤- في معنى الواقعة والخافضة والرافعة:

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾^(٥) قال: «﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني القيامة. ﴿خَافِضَةٌ﴾ خفضت والله بأعداء الله إلى النار. ﴿رَّافِعَةٌ﴾ رفعت والله أولياء الله إلى الجنة»^(٦).

١٥- فلسفة القصاص:

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وبيان فلسفة القصاص ما نصه: «لأنَّ مَنْ هَمَّ بِالْقَتْلِ

١- المؤمنون: ١٠٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٤٨، ح ١٠. الخصال: الشيخ الصدوق، ص ١٢٠، ح ١٠٨.

٣- تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ٥، ص ١٠١، ح ١٢١.

٤- فروع الكافي: الشيخ الكليني، ضبطه وصححه وعلّق عليه الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٣٠، ح ٣.

٥- الواقعة: ١ - ٣.

٦- الخصال: الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٦٤، ح ٩٥.

فَعَرَفَ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ فَكَفَّ لِذَلِكَ عَنِ الْقَتْلِ كَانَ حَيَاةً لِلَّذِي (كَانَ) هَمَّ بِقَتْلِهِ، وَحَيَاةً لِهَذَا الْجَانِي الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ، وَحَيَاةً لِغَيْرِهِمَا مِنَ النَّاسِ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْقِصَاصَ وَاجِبٌ لَا يَجْرَوْنَ عَلَى الْقَتْلِ مَخَافَةَ الْقِصَاصِ»^(١).

فالإمام عليه السلام يشير إلى فلسفة القصاص وأنه حياة ونجاة؛ لأنه يمنع من ارتكاب القتل، الذي هو من أعظم المحرمات في الإسلام، فيكون ذلك نجاة لمن نوى القتل ولمن هو ضحيته، لأن في القصاص زجرًا وردعًا عن ارتكاب جريمة القتل بحق الأبرياء، وبذلك يكون القصاص وقاية وعلاجًا في آن واحد.

ونكتفي بهذه النماذج من تفسير الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي كان يعتني أشد العناية بتفسير آيات الذكر الحكيم، وبيان غوامضه وأسراره، وسيجد المتبع لتفسيره كثيرًا مما ورد عنه عليه السلام في تفسير وتأويل وبيان الآيات الشريفة لكتاب الله المجيد.

١ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: محمد الصالحى الأنديمشكى، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ. ش، ص ٥٦٧، رقم ٣٥٤.

نتائج وملاحظات

في ختام هذا الفصل عن عناية الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالقرآن الكريم، وبيان دوره في إثراء العلوم القرآنية المختلفة، والحث على تلاوة القرآن وتفسيره، والتدبر في آياته، وفهم معانيه ومقاصده وأسراره وعجائبه وخزائنه؛ نسجل أبرز النتائج والملاحظات المهمة في النقاط الآتية:

١- أجمع معاصرو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، كما اتفق المؤرخون جميعاً على فضله وشرفه ومكانته العلمية الشاخصة وشخصيته العظيمة، وأجمعوا كذلك على سعة علومه، وغزارة معارفه، وأنه أعلم وأفقه وأفضل أهل زمانه.

٢- كشفت آثاره ورسائله العلمية، وعطاؤه في التفسير والتأويل، وما روي عنه من أخبار وأحاديث، وفقهه، وكلام وعقائد، وتفسير لآيات القرآن الكريم، ومعارف دينية. كشفت مستوى مقامه العلمي الرفيع، وفضله ومنزلته العلمية التي لا يقاس بها أحد في زمانه.

٣- كان الإمام زين العابدين عليه السلام يعظم القرآن الكريم، ويحث على تعاهده، ويوصي أصحابه وتلامذته وشيعته بالعناية به، وبقرآته وتلاوته والتدبر فيه، والعمل بما جاء فيه من أحكام فقهية ودينية، وتعاليم ووصايا وإرشادات قرآنية، ووجوب الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه وزواجره.

٤- أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في ختم القرآن المذكور في الصحيفة السجادية، وهو الدعاء الثاني والأربعون، عظمة وخصائص القرآن الكريم، كما أكد فيه على أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام، وأنه نور هداية، ومنهج حياة، ومصدر للتشريع، ومنبع فكر وعلم ومعرفة.

٥- كان للإمام علي بن الحسين عليه السلام دور بارز في العناية بالقرآن الكريم، وإثراء العلوم القرآنية المختلفة، وبيان بعض أسرار وكنوز ومعارف القرآن الكريم، وإغناء علم التفسير، وإثراء الثقافة والمعارف القرآنية.

- ٦- اهتمَّ الإمام زين العابدين عليه السلام اهتمامًا كبيرًا بتفسير القرآن الكريم، وكان يحث أصحابه وتلامذته على التدبر في القرآن، وفهم آياته، واستخراج كنوزه وخزائنه، وعدم قراءة القرآن قراءة مجردة، أو تلاوة عابرة.
- ٧- اعتنى الإمام زين العابدين عليه السلام بعلوم القرآن الكريم، وساهم في إثرائها وتوسعتها، فبالإضافة لعلم التفسير اهتمَّ الإمام عليه السلام ببيان فضائل القرآن، وأسباب النزول، والقراءات القرآنية، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والقصص والأمثال في القرآن الكريم.

الفصل الرابع

جهود الإمام زين العابدين عليه السلام في نشر الحديث

- نشر الحديث في زمن المنع
- من روى عنهم
- من روى عنه
- رواياته عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)
- رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام
- رواياته عن الإمام الحسين عليه السلام



نشر الحديث في زمن المنع

اعتنى الإمام زين العابدين عليه السلام بنشر الحديث وتدوينه عناية كبيرة، لما له من أهمية بالغة في الحفاظ على السنة الشريفة، ومعرفة معالم الدين وأبعاده، واستنباط الأحكام الشرعية، والإحاطة بتفاصيل الشريعة الإسلامية، وبيان العقائد الإسلامية...، وغيرها من العلوم والمعارف الإسلامية.

ويعد الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم الرواة في عصر التابعين وأهمهم، ومن الأئمة الحفاظ للحديث الشريف، وكانت لأحاديثه ورواياته أهمية كبيرة عند علماء الحديث، وقد روى عنه رواية السنة والشيعة في كتبهم وموسوعاتهم الحديثية والتاريخية.

وتعدُّ الأحاديث المروية عن طريق الإمام زين العابدين عليه السلام، وتلك المنقولة عنه من الروايات الموثوقة، لأنها أخذت من مصدر ثقة وأمين ومأمون على الدين والدنيا؛ لأنه متصل اتصالاً مباشراً بمهبط الوحي وبيت الرسالة والنبوة، وإسناده أقوى إسناد، فهو يروي عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ؛ ولذا اعتنى أئمة الحديث وحفاظه بأحاديثه ورواياته أشد الاعتناء؛ لأنه كان من أعظم أئمة الحديث في عصر التابعين، وأحفظهم له، وأقربهم إلى رسول الله ﷺ نسباً ومنهجاً.

وعاش الإمام عليه السلام في زمن منعت فيه السلطات الحاكمة نشر الحديث أو تدوينه، وكانت تعاقب من يقوم بذلك أشد العقاب؛ لكن الإمام قاوم ذلك المنع، ونشر الحديث الشريف بين أصحابه ورواته وتلامذته حتى يحفظ السنة النبوية الشريفة من الاندثار والضياع والنسيان.

قال السيد محمد رضا الجلاي: «عاش الإمام السَّجَّاد عليه السلام، فترة نشاطه إماماً للشيعة، من سنة (٦١ - ٩٥) مدة الثلث الأخير من القرن الأول.

والقرن الأول بالذات هو فترة المنع الحكومي من رواية الحديث ونقله وكتابته وتدوينه، قبل أن يرفع هذا المنع بقرار من قبل الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز.

وكانت عملية منع الحديث - تدويناً ورواية - بدأت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، واستمر عليها الحكام الذين تسنموا أرائك الخلافة...، فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً، ولا هيئاً.

ولقد قاوم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم هذه السياسة المخربة ضد أهم مصادر الفكر الإسلامي، فكانوا إلى جانب كتابتهم للحديث، وإيداعه المؤلفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثه، على طول تلك الفترة! ^(١).

لقد عُرف الإمام عليه السلام بين الخاصة والعامة بكثرة الحديث وروايته كما أشار إلى ذلك ابن سعد حيث قال: «كان علي بن حسين ثقة مأموناً، كثير الحديث» ^(٢)، وينقل الدميري عنه أيضاً: «كان زين العابدين ثقة مأموناً، كثير الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ^(٣).

وقال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمد النويري (٦٧٧ - ٧٣٧ هـ) عنه أيضاً أنه كان كثير الحديث بما نصه: «وكان (رحمه الله) ثقة، ورعاً، مأموناً، كثير الحديث» ^(٤).

١ - جهاد الإمام السجاد عليه السلام: السيد محمد رضا الحسيني الجلاي: ص ٨٢.

٢ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢٢٢. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٤. البداية والنهاية: ج ٦، ص ٤٦٦.

٣ - حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ، ج ١، ص ٢٠١.

٤ - نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج ٢١، ص ٣٢٤.

وكذا قال عنه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر الدمشقي (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ) بما نصه: «كان علي بن الحسين: ثقةً مأموناً، كثير الحديث»^(١).

وقد عدّه الحافظ الذهبي من الحفاظ الكبار، وترجم له في طبقات الحفاظ الكبار^(٢)، وهذا يدحض قول من ادعى أنه كان: «قليل الحديث»^(٣) فتأمل. ولا شك أن تصدي الإمام زين العابدين عليه السلام لرواية الحديث عن آبائه عن جده رسول الله ﷺ في زمن منع تدوين الحديث وكتابته كان تحدياً قوياً لسياسة المنع، وكسراً لمحاصرة الحديث وطمسه، وبفضل هذا التحدي استطاع الإمام وبمساعدة رواته وأصحابه أن ينشروا الحديث الشريف على نطاق واسع.

ولم يكتفِ الإمام برواية الحديث، بل كان يدعو إلى تطبيق السنة والأخذ بها، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا عُمِلَ بِالسُّنَّةِ وَإِنْ قَلَّ»^(٤).

قال الفيض الكاشاني في بيان هذا الحديث: «السبب فيه أن الأعمال البدنية ليس لها كثير فضل إلا بالنيات القلبية والاعتقادات اليقينية، والعمل بالسنة منوط بقصد طاعة الشرع وامتنال الأمر وانقياد الرسول فهو لاشتماله على معنى الطاعة وهيئة التسليم والخضوع يكون لا محالة ثوابه أكثر وإن قلَّ عدده، وأجره أعظم وإن صغر مقداره من العمل المجرد عن هذه النيات وإن كثر وعظم»^(٥).

١- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٢.

٢- راجع: تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج ١، ص ٧٤.

٣- تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٣٠٥.

٤- الكافي: ج ١، ص ٧٠، ح ٧. المحاسن: ص ٢٢١، كتاب مصابيح الظلم: ح ١٣٣، بسنده عن يونس

بن عبد الرحمن. الوافي: ج ١، ص ٢٩٨، ح ٢٣٧.

٥- الأصول الأصيلية: الفيض الكاشاني، ص ٧٤.

وكان الإمام عليه السلام يندد بمن يستهزئ بحديث رسول الله ﷺ، ويدعو عليه، فقد روى الكليني بإسناده عن جابر، قال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: «مَا نَذِرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِالنَّاسِ، إِنْ حَدَّثْنَاهُمْ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضَحِكُوا، وَإِنْ سَكْتْنَا لَمْ يَسْعَنَا»^(١). ثم يبين جزاء مَنْ يَهْزَأُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعاقبته السيئة.

من روى عنهم

روى الإمام زين العابدين عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وعن عمه الإمام الحسن عليه السلام، وعن جده أمير المؤمنين عليه السلام، وعنهم عن جده رسول الله ﷺ. كما روى عن بعض الصحابة كعبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري وغيرهم. قال ابن الجوزي: «أسند علي بن الحسين عن أبيه، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وصفية وأم سلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن خلق كثير من التابعين»^(٢).

وقال ابن عساكر: «روى عن أبيه وعمه، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم»^(٣)، وأم سلمة وصفية بنت حيي، وزوجتي النبي ﷺ، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن مرجانة، وعمر بن عثمان بن عفان»^(٤).

وقال الذهبي ما نصه: «حدّث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة»^(٥).

- ١- الكافي: ج ٣، ص ٢٣٤، ح ٤. الوافي: ج ٢٥، ص ٦٠٨، ح ٢٤٧٥٣. البحار: ج ٦، ص ٢٥٩، ح ٩٦؛ و ج ٤٦، ص ١٤٢، ح ٢٥.
- ٢- صفة الصفوة: ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٨.
- ٣- لا يمكن للإمام أن يروي عن مروان بن الحكم - وأمثاله - لأنه ليس بمحل ثقة لنقل الحديث، فتأمل.
- ٤- تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٠.
- ٥- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٤، ص ٣٨٦. أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٦٢.

من روى عنه

روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام خلق كثير من الرواة، ومنهم ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وابنه زيد الشهيد، وغيرهما من أبنائه وأحفاده. كما روى عنه طلابه وأصحابه ورواته وغيرهم.

قال ابن شهر آشوب: «روى عنه الطبري وابن البيع وأحمد وأبو داود وصاحب الحلية والأغاني وقوت القلوب وشرف المصطفى وأسباب نزول القرآن والفائق والترهيب عن الزهري وسفيان بن عيينة ونافع والأوزاعي ومقاتل والواقدي ومحمد بن إسحاق»^(١).

وقال ابن عساكر عن الرواة عنه: «روى عنه: الزهري، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحكيم بن جبير، وعبدالله بن مسلم بن هرمز، وابنه أبو جعفر محمد بن علي»^(٢).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «حدّث عنه أولاده: أبو جعفر محمد، وعمر، وزيد المقتول، وعبدالله، والزهري، وعمرو بن دينار، والحكم بن عتيبة، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن عبيدالله، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، وأبوه عمر، والققعقاع بن حكيم، وأبو الأسود يتيمة عروة، وهشام بن عروة، وأبو الزبير المكي، وأبو حازم الأعرج، وعبدالله بن مسلم بن هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم»^(٣).

وذكر السيد محسن الأمين أسماء عدد ممن رووا عنه، فقال: «روى عنه الزهري وسفيان بن عيينة ونافع والأوزاعي ومقاتل والواقدي ومحمد بن إسحاق؛ وروى عنه بالواسطة: الطبري وابن البيع وأحمد بن حنبل وابن بطة وأبو داود وأصحاب الحلية والأغاني وقوت القلوب وشرف المصطفى وأسباب النزول

١- مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦١.

٢- تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٦٠.

٣- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٣، ص ٤٧٨، رقم الترجمة ٦٠٤.

والفائق والترغيب والترهيب. ومن رجاله من الصحابة: جابر الأنصاري وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيّب وغيرهم؛ ومن التابعين: سعيد بن جبير وأبو خالد الكابلي وسلمة بن دينار وغيرهم كثيرون؛ ومن أصحابه: يحيى بن أم الطويل وأبو حمزة الثمالي وعلي بن رافع والسدي والضحاك وطاوس وأبان بن تغلب وسدير الصيرفي وقيس بن رمانة وغيرهم»^(١).

وذكر النووي في ترجمته للإمام أسماء بعض من رووا عنه، قائلاً: «روى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى الأنصاري، والزّهرري، وأبو الزّناد، وزيد بن أسلم، وحكيم بن جبير، وابنه أبو جعفر محمد بن علي، وغيرهم»^(٢). وقد اعتبروا أن أصحّ أسانيد الزّهرري هو ما رواه عن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال أبو بكر بن أبي شيبة: «أصحّ الأسانيد كلها الزّهرري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي»^(٣).

وجاء في موسوعة طبقات الفقهاء ما نصه: «وقد أسّس الإمام زين العابدين عليه السلام مدرسة للفقّه والحديث، وقد أحصى أكثر من مئة وستين من التابعين والموالي ممن كانوا ينهلون من معينه، ويروون عنه. حدّث عنه: سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو الزّناد، ويحيى بن أم الطويل، وعمرو بن دينار، والزّهرري، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وطائفة»^(٤).

والملاحظ أن رواته من مختلف المذاهب الإسلامية، وهذا يعني أنهم كانوا يجلسون إليه، ويحضرون بحوثه العلمية، ويسمعون ما ينقله ويقولونه من أحاديث وروايات شريفة، ثم ينقلونها لغيرهم من الرواة والمحدثين.

١- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٩٨.

٢- تهذيب الأسماء واللغات: النووي، ص ٢٤٤، رقم الترجمة ٤٢٦.

٣- تهذيب الأسماء واللغات: النووي، ص ٢٤٤، رقم الترجمة ٤٢٦.

٤- موسوعة طبقات الفقهاء: الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٥٨.

رواياته عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

اشتملت موسوعات الحديث على مجموعة كبيرة من الأحاديث والروايات الشريفة التي رواها الإمام زين العابدين عليه السلام مسندة عن آبائه الطاهرين عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وأخرى مرسلة بمعنى أنه لم يذكر فيها رجال السند، فينسب الإمام الحديث مباشرة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله، دون أن يذكر رجال السند إليه، وسواء كانت رواياته مسندة أم مرسلة فهي حجة إذا صحَّ طريق سندها إليه، وإلا فهي تخضع لضوابط الجرح والتعديل، وتعامل كبقية الأخبار التي فيها الصحيح والحسن والموثق والضعيف.

ونختار لكم شطرًا من أحاديثه ورواياته التي رواها عن جده رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وهي:

- ١- روى الصدوق بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»^(١).
- ٢- روى الصدوق بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَلَّ التَّحَبُّبُ إِلَى النَّاسِ»^(٢).
- ٣- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «حُبِّي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَاهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النَّشُورِ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ»^(٣).

١- الخصال: ص ٥٣ ح ٦٨، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٢٨ ح ٦ كلاهما عن أبي الصلت الهروي عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السلام)، بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٧٠ ح ١٣.

٢- الخصال: ص ١٥ ح ٥٥؛ المعجم الأوسط: ج ٥ ص ١٢٠ ح ٤٨٤٧ وليس فيه «بِالله عَزَّ وَجَلَّ».

٣- الخصال: ص ٣٦٠ ح ٤٩، فضائل الشيعة: ص ٤٧ ح ٢، الأمالي للصدوق: ص ٦٠ ح ١٧، بشارة المصطفى: ص ١٧ كلها عن جابر عن الإمام الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، كفاية الأثر: ص ١٠٨ عن واثلة بن الأسقع، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٥٨ ح ٣.

٤- روى الصدوق بإسناده عن علي بن زيد، عن علي بن الحسين قال: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «يَا عَلِيُّ، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّكَ لَأَفْضَلُ الْخَلِيفَةِ [الْخَلِيفَةِ] بَعْدِي، يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَصِيِّي وَإِمَامُ أُمَّتِي، مَنْ أَطَاعَكَ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَاكَ عَصَانِي»^(١).

٥- روى الصدوق بإسناده عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا عَلِيُّ، مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّكَ وَأَحَبَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وَلَدِكَ فَلِيَحْمَدِ اللَّهُ عَلَى طَيْبِ مَوْلَدِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَتْ وَلَا دُتُّهُ، وَلَا يُبْغِضُنَا إِلَّا مَنْ خَبِثَتْ وَلَا دُتُّهُ»^(٢).

٦- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ حُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٣).

٧- روى ابن جرير الطبري (الإمامي) بإسناده عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام، قال: «أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ لِفَاطِمَةَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا): الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِكَ»^(٤).

٨- روى الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام،

١- الأُمالي للصدوق: ص: ١٢، ح: ١٠.

٢- معاني الأخبار: ص ١٦١ ح ٣، علل الشرائع: ص ١٤١ ح ٣، الأُمالي للصدوق: ص ٥٦٢ ح ٧٥٦، بشارة المصطفى: ص ١٧٧، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٤٦ ح ٥.

٣- فضائل الشيعة: ص ٤٩ ح ٦.

٤- دلائل الإمامة: ص ٤٤٤ ح ٤١٧، كشف الغمّة: ج ٣ ص ٢٥٨، بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٧٨ ح ٣٧؛ ذخائر العقبى: ص ٢٣٦.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرِضْ؛ وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَمْ يَرْضَ^(١)، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢)»^(٣).

٩- روى الطوسي بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَيَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٤).

١٠- روى الطوسي بإسناده عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، وَالْجُلُوسُ إِلَيْهِمْ عِبَادَةٌ»^(٥).

١١- روى الطوسي بإسناده: عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الدُّنْيَا دُولٌ، فَمَا كَانَ لَكَ مِنْهَا أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ، وَمَنْ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُ مِمَّا فَاتَ اسْتِرَاحَ بَدْنُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ قَرَّتْ عَيْنُهُ»^(٦).

١- في المرأة: «قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): فلم يرض، سواء كان في الدعاوي أو في الاعتذار عما ينسب. والرضا في الأول هو أن يقطع عما حلف عليه، ولا يتعرض لأخذه بتقاص ولا غيره؛ وفي الثاني هو أن لا يغضب عليه بعد ذلك، ولا يتعرض له بسوء، بل يصدق فيه بما يحلف عليه إن لم يعلم خلافه».

٢- في الفقيه والتهذيب والاستبصار: «من شيء» بدل «عز وجل».

٣- الكافي: ج ٧، ص ٤٣٨، ح ١. التهذيب: ج ٨، ص ٢٨٣، ح ١٠٤٠. النوادر للأشعري: ص ٥٠، ح ٩٠، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن الثمالی. وفي الفقيه: ج ٣، ص ١٨٧، ح ٣٧٠٢، والتهذيب: ج ٦، ص ٣٤٩، ح ٩٨٧؛ والاستبصار: ج ٣، ص ٥٤، ذيل ح ١٧٥، مرسلاً عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، مع اختلاف يسير. فقه الرضا عليه السلام، ص ٢٥٠، مع اختلاف يسير. الوافي، ج ١٦، ص ١٠٥٥، ح ١٦٦٧٦؛ الوسائل، ج ٢٣، ص ٢١١، ح ٢٩٣٩٠.

٤- الأمالي للطوسي: ص ٣٤٥، ح ٧١٠.

٥- الأمالي للطوسي: ص ٣٢٥، ح ٣٩٢.

٦- الأمالي للطوسي: ص ٣٢٥، ح ٣٩٣.

١٢- روى الطوسي بإسناده: عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ، وَانْتَظَارُ الْفَرَجِ عِبَادَةٌ»^(١).

١٣- روى الطوسي بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ أُعْطِيتَ ثَلَاثَةً مَا لَمْ أُعْطَ أَنَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أُعْطِيتُ؟

فَقَالَ: «أُعْطِيتَ صَهْرًا مِثْلِي وَلَمْ أُعْطَ، وَأُعْطِيتَ زَوْجَتَكَ فَاطِمَةَ وَلَمْ أُعْطَ، وَأُعْطِيتَ مِثْلَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَلَمْ أُعْطَ»^(٢).

١٤- روى الطوسي بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ»^(٣).

١٥- روى المفيد بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّهِيدِ، عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْإِيمَانُ قَوْلٌ مَقُولٌ، وَعَمَلٌ مَعْمُولٌ، وَعِرْفَانُ الْعُقُولِ»^(٤).

١٦- روى الكليني بإسناده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ

١- بحار الأنوار: ج ٥٢، ص: ١٢٢، ح ٣.

٢- الأُمالي للطوسي: ص: ٣٤٤، ح ٧٠٨.

٣- الأُمالي للطوسي: ص: ٣٤٣، ح ٧٠٤.

٤- الأُمالي للمفيد: ص ٢٧٥ ح ٢، الأُمالي للطوسي: ص ٣٦ ح ٣٩ كلاهما عن أبي الصلت الهروي عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السَّلام)، بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٦٧ ح ٢٠.

عليه وآله): « ما يُوضَعُ في ميزانِ امرئِ يومَ القيامةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ »^(١).

١٧- روى الكليني بإسناده عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « مَنْ أَحَبَّ السَّبِيلَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - جُرْعَتَانِ: جُرْعَةٌ غَيِظُ تَرْذُهَا بِحَلْمٍ، وَجُرْعَةٌ مُصِيبَةٌ تَرْذُهَا بِصَبْرٍ »^(٢).

١٨- روى الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، قال: سمعتُ علي بن الحسين عليهما السلام يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « كَفَى بِالْمُرءِ عَيْبًا أَنْ يُصِرَّ مِنَ النَّاسِ مَا يَغْمَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ »^(٣).

١٩- روى الكليني بإسناده عن علي بن أبي علي، عن أبي عبد الله، عن أبيه: عن علي بن الحسين (صلوات الله عليهم)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »^(٤).

٢٠- روى صاحب الجعفریات بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السّنة)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

١- الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٢.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١١٠، ح ٩. الخصال: ص ٥٠، باب الاثنين، ح ٦٠؛ الأمالي للمفيد: ص ١١١، المجلس ١، ح ٨، بسند آخر عن زين العابدين عليه السلام، من دون الإسناد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ الزهد: ص ١٤٦، ح ٢٠٨، بسند آخر عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، من دون الإسناد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وفي كلّها مع اختلاف يسير. تحف العقول: ص ٢١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام، الوافي: ج ٤، ص ٤٤٦، ح ٢٣٠٢؛ الوسائل: ج ١٢، ص ١٧٦، ح ١٦٠٠٥؛ البحار: ج ٦٨، ص ٤١١، ح ٢٧.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٠، ح ٢. معاني الأخبار: ص ٣٣٥، ذيل الحديث الطويل؛ الوافي: ج ٥، ص ٨٨٥، ح ٣٢٢١.

٤- الكافي: ج ٢، ص ١٨٩، ح ٤. مصادقة الإخوان: ص ٦٠، ح ٣، مرسلاً عن جعفر بن محمد، عن علي بن الحسين عليهما السلام. كامل الزيارات: ص ١٤٦، الباب ٥٨، ح ٤، بسند آخر عن أبي عبد الله عليه السلام. الوافي: ج ٥، ص ٦٥٤، ح ٢٧٩٩؛ البحار: ج ٧١، ص ٢٨٩، ح ١٧.

وَالِهِ): «الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، يَقْضُونَ حَوَائِجَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَإِذَا قَضَى بَعْضُهُمْ حَوَائِجَ بَعْضٍ، قَضَى اللَّهُ لَهُمْ حَاجَاتِهِمْ»^(١).

٢١- روى صاحب الجُعْفَرِيَّاتِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ ضَمِنَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَاجَةً لَهُ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ لَهُ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَةً أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»^(٢).

٢٢- روى الكليني بإسناده عن الوصافي: عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ، وَأَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ؛ فَإِنَّ الرَّحِمَ لَهَا لِسَانُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ذَلْقُ^(٣) تَقُولُ: يَا رَبِّ صَلِّ مَنْ وَصَلَنِي، واقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي، فَالرَّجُلُ لِيُرَى بِسَبِيلِ خَيْرٍ إِذَا أَتَتْهُ الرَّحِمُ الَّتِي قَطَعَهَا، فَتَهْوِي بِهِ إِلَى أَسْفَلِ قَعْرِ فِي النَّارِ»^(٤).

٢٣- روى البرقي بإسناده عن سعيد بن المسيب، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَكُونُ بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا كُرِبْتُمْ وَاغْتَمَمْتُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَفَرَجَ عَنْكُمْ؟!». قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّنَا لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ ادْعُوا بِمَا بَدَأَ لَكُمْ»^(٥).

١- الجعفریات: ص ١٩٧. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١٢، ص: ٤٠١، ح ١٤٤١٧.

٢- الجعفریات: ص ١٩٧. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١٢، ص: ٤٠٢، ح ١٤٤١٨.

٣- «ذلّق»، أي فصيح بليغ، هكذا جاء في الحديث على فعل بوزن صُرد. ويقال: طَلَّقَ ذَلْقًا، وَطَلَّقَ ذَلْقًا، وَطَلَّقَ ذَلِيقًا. ويراد بالجميع المضاء والنفاذ. وَذَلَّقَ كُلَّ شَيْءٍ حِدَّهُ. النهاية، ج ٢، ص ١٦٥ (ذلّق).

٤- الكافي: ج ٢، ص ١٥٦، ح ٢٩. الخصال: ص ٣٢، باب الواحد، ح ١١٢، بسند آخر عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ عيون الأخبار: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٥٧، بسند آخر عن الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام، من دون الإسناد إلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وفيها مع اختلاف يسير. الزهد: ص ١٠٥، ح ١٠٧، بسند آخر عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، الوافي: ج ٥، ص ٥٠٦، ح ٢٤٤٣؛ البحار: ج ٧١، ص ١٣٠، ح ٩٦.

٥- المحاسن: البرقي، ص ٣٢. بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٢٠٨، ح ١١.

٢٤- روى الحسين بن سعيد الكوفي بإسناده عن حكم بن حسين، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنْ عَمَلٍ قَبِيحٍ إِلَّا قَدْ عَمَلْتُهُ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟». قَالَ: أَبِي.

قَالَ: «فَاذْهَبْ فَبَرِّهْ».

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَوْ كَانَتْ أُمُّهُ!»^(١).

٢٥- روى الطوسي بإسناده عن سعيد بن المسيّب، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قَالَ: يَا سَعِيدُ، أَخْبَرَنِي أَبِي الْحُسَيْنُ، عَنْ أَبِيهِ (عليهما السلام)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عَنْ جَبْرِيلَ، عَنْ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي آمَنَ بِي وَصَدَّقَ بَكَ، وَصَلَّى فِي مَسْجِدِكَ رَكَعَتَيْنِ عَلَى خَلَاءٍ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا غُفِرَتْ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٢).

٢٦- روى زيد بن علي، عن أبيه عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِمَنْ يُغْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَحْفَةٍ، فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ مِنَ الطَّعَامِ لَهُ رَائِحَةٌ وَطَعْمٌ لَيْسَ لِلْآخِرِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَمُرُّ بِهِ الطَّائِرُ فَيَشْتَهِيهِ فَيَخْرُجُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِمَّا طَبِيخًا وَإِمَّا مَشْوِيًّا، مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنَ الشَّهْوَةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَكُونُ فِي جَنَّةٍ مِنْ جَنَّاتِهِ بَيْنَ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ إِذْ يَشْتَهِي ثَمَرَةً مِنْ تِلْكَ الشَّارِ، فَتَدَلَّى إِلَيْهِ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا أَرَادَ. وَلَوْ أَنَّ حُورِيًّا مِنْ حُورِهِمْ بَرَزَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَأَعَشَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَلَا فَتَنَ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ»^(٣).

١- الزهد: حسين بن سعيد، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ، ص ٣٥، ح ٩٢. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٢، ح ٨٨.

٢- رجال الكشي: ج ١ ص ٣٣٤ ح ١٨٨، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٣٤، الثاقب في المناقب: ص ٣٥٦ ح ٢٩٥، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٥٠ ح ٨.

٣- مسند زيد: ص ٤١٧.

٢٧- روى البرقي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «فِي الْجَنَّةِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ، وَفِي النَّارِ ثَلَاثُ دَرَكَاتٍ: فَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ لِمَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ وَنَصَرَنَا بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَفِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ مَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ وَنَصَرَنَا بِلِسَانِهِ، وَفِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ مَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ. وَفِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ النَّارِ مَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَفِي الدَّرَكِ الثَّانِيَةِ مِنَ النَّارِ مَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِلِسَانِهِ، وَفِي الدَّرَكِ الثَّالِثَةِ مِنَ النَّارِ مَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ»^(١).

٢٨- روى الصدوق بإسناده عن زيد بن علي، عن أبيه الإمام زين العابدين، عن آبائه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ آذَى شَعْرَةَ مَنْنِي فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَنَهُ اللَّهُ مِلءَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

٢٩- روى الكليني بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ: طُوبَى لِمَنْ طَابَ خُلُقُهُ»^(٣)، وَطَهَّرَتْ سَجِيَّتُهُ»^(٤)، وَصَلَحَتْ سِرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ»^(٥).

٣٠- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يُؤْمِنْ

١- المحاسن: ج ١ ص ٢٥١ ح ٤٧٢. بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٩٣ ح ٥٣.

٢- عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ج ١ ص ٢٥٠ ح ٣. بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٠٦ ح ١٣.

٣- في مرآة العقول: ج ٨، ص ٣٤٠: «خلقه، بضم الخاء، أي تخلّق بالأخلاق الحسنة. ويحتمل الفتح أيضاً، أي يكون مخلوقاً من طينة حسنة».

٤- «السَّجِيَّة»: الخُلُقُ والطبيعة. الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٧٢ (سجا).

٥- الكافي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ١. الوافي: ج ٤، ص ٤٧٣، ح ٢٣٧٧؛ الوسائل: ج ١٥، ص ٢٨٤، ح ٢٠٥٢٨؛ البحار: ج ٧٢، ص ٢٩، ح ٢٢.

بَقْدَرِي، فَلَيْلَتَمَسْ إِيَّاهَا غَيْرِي». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «فِي كُلِّ قَضَاءٍ اللَّهُ خَيْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ»^(١).

٣١- رَوَى حُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ الْكُوفِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُنْجِيَاتُ؟

قَالَ: «خَوْفُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ^(٢) فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْمُهْلِكَاتُ؟

قَالَ: «هَوَى مُتَّبِعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٣).

٣٢- رَوَى صَاحِبُ الْجَعْفَرِيَّاتِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ وَقَرَ ذَا شَيْبَةٍ لِشَيْبَتِهِ، آمَنَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

٣٣- رَوَى ابْنُ زَهْرَةَ الْحَلَبِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَيْسُرُ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَا رَأَاهُ مَغْمُومًا بِالْمُدَاعَبَةِ، وَكَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُبَغِّضُ الْمُعْبَسَّ فِي وَجْهِ إِخْوَانِهِ»^(٥).

١- التوحيد: ص ٣٧١ ح ١١، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٤١ ح ٤٢.

٢- القصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يفتقر. لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٤ (قصد).

٣- الزهد: حسين بن سعيد الكوفي، ص ٩٨، ح ١٨٠. المحاسن: ج ١، ص ٦٢، باب الثلاثة، ح ٣ عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي حمزة، عن الصادق أو السجاد عليهما السلام، عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ الحكايات للمفيد: ص ٩٧، باب في الوصية بالورع...، ح ١٢ بسند آخر عن أبي حمزة، وفيهما مع اختلاف يسير. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٧، باب المنجيات والمهلكات، ح ٥.

٤- الجعفریات: ص ١٩٦، النوادر للراوندي: ص ٩٩ ح ٥٣ كلاهما عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٣٧ ح ٥.

٥- الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان لابن زهرة الحلبي: ص ٨٢، كشف الريبة: ص ٨٣.

٣٤- روى الراوندي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ وَانْقَتَلَ^(١)، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَأْخُذَ سُبْحَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُسَبِّحُكَ وَأُحْمَدُكَ وَأُهَلِّلُكَ وَأُكَبِّرُكَ وَأُجَبِّدُكَ بَعْدَ مَا أُدِيرُ بِهِ سُبْحَتِي»، وَيَأْخُذُ السُّبْحَةَ فِي يَدِهِ وَيُدِيرُهَا وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالتَّسْبِيحِ، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ مُحْتَسَبٌ لَهُ، وَهُوَ حِرْزٌ إِلَى أَنْ يَأْوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ وَوَضَعَ سُبْحَتَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَهِيَ مُحْسُوبَةٌ لَهُ مِنَ الْوَقْتِ إِلَى الْوَقْتِ»^(٢).

٣٥- روى السيوطي بإسناده: عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُ الْمَشْيَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ، إِلَّا ابْتُلِيَ بِعَوْنِهِ مَنْ يَأْتُمُّ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْجَرُ فِيهِ»^(٣).

٣٦- روى ابن حنبل بإسناده: عن ابن شهاب الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٤).

٣٧- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٥).

١- انْقَتَلَ: انْصَرَفَ (تاج العروس: ج ١٥ ص ٥٦٤ «قتل»).

٢- الدعوات: ص ٦١ ح ١٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢٠٠ ح ٤١.

٣- الدر المنثور: ج ١ ص ٥٠٩ نقلاً عن الأصبهاني؛ الذريعة الطاهرة: ص ١١٠ ح ١٥٠ نحوه.

٤- مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٤٢٩ ح ١٧٣٧، المعجم الكبير: ج ٣ ص ١٢٨ ح ٢٨٨٦، المعجم الأوسط: ج ٨ ص ٢٠٢ ح ٨٤٠٢، المعجم الصغير: ج ٢ ص ١١١، مسند الشهاب: ج ١ ص ١٤٥ ح ١٩٤، تاريخ دمشق: ج ٧ ص ٤١ ح ١٦٠١، الذريعة الطاهرة: ص ١٠٩ ح ١٤٤ كلها عن الزهري؛ كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٧٣.

٥- كمال الدين: ص ٢٠١ ح ٤٥ عن الحسن بن علي بن فضال عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٠٢ ح ١ عن الحسن بن الجهم عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٩١ ح ٢٣ صحيح مسلم: ج ١ ص ١٣٠ ح ٢٣٢٢.

٣٨- روى الصدوق بإسناده عن ثابت بن أبي صفية، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن سيد النبيين محمد بن عبد الله خاتم النبيين، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي وَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِي، وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ أَمْرِي، وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ بَعْدِي مَا فَرَضَهُ مِنْ طَاعَتِي، وَنَهَاكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِي، وَجَعَلَهُ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، وَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، حُبُّهُ إِيْمَانٌ وَبُغْضُهُ كُفْرٌ، وَحُبُّهُ مُحِبِّي، وَبُغْضُهُ مُبْغِضِي، وَهُوَ مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(١).

٣٩- روى الخزاز القمي بإسناده عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا حُسَيْنُ، أَنْتَ الْإِمَامُ وَأَخُو الْإِمَامِ وَابْنُ الْإِمَامِ، تَسَعَّةٌ مِنْ وَلَدِكَ أُمَنَاءُ مَعْصُومُونَ، وَالتَّاسِعُ مَهْدِيُّهُمْ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ»^(٢).

٤٠- روى صاحب الجعفریات بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «صَلَّاتُكُمْ عَلَيَّ مُجَوِّزَةٌ لِدُعَائِكُمْ، وَمَرْضَاةٌ لِرَبِّكُمْ، وَزَكَاةٌ لِأَبْدَانِكُمْ»^(٣).

١- الأموال للصدوق: ص ٦٥ ح ٣٠؛ بشارة المصطفى: ص ١٦٠؛ مئة منقبة: ص ٧٠ عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (رحمه الله)، عن علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن فضيل، عن ثابت أبي حمزة، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وزاد فيه: «فَمَنْ عَصَى أَبَاهُ حُشِرَ مَعَ وَلَدِ نُوْحٍ حَيْثُ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ * قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ...» الآية. ثم قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): اللَّهُمَّ انصر من نصره، واخذل من خذله، ووال له وعاد عدوه. ثم بكى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وودّعه - ثلاث كرات - بمشهد جمع من المهاجرين والأنصار وكانوا حوله جالسين يكون؛ بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٩١ ح ٤.

٢- كفاية الأثر: ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٦١ ح ٢٣١.

٣- الجعفریات: ص ٢١٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٥، ص: ٣٢٩، ح ٦٠١٠.

٤١- روى صاحب الجعفریات بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ، وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَيَّ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، فَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُمْ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ»^(١).

٤٢- روى صاحب الجعفریات بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(٢).

٤٣- روى الشيخ المفيد بإسناده عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الصَّفَّارِ، عَنْ ابْنِ عَيْسَى، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ ابْنِ حَازِمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَا مِنْ خُطْوَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خُطْوَتَيْنِ: خُطْوَةٌ يَسُدُّ بِهَا صَفًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخُطْوَةٌ إِلَى ذِي رَحِمٍ قَاطِعٍ يَصِلُهَا؛ وَمَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَتَيْنِ: جُرْعَةٌ غِيْظٍ يَرُدُّهَا مُؤْمِنٌ بِحِلْمٍ، وَجُرْعَةٌ جَزَعٍ يَرُدُّهَا مُؤْمِنٌ بِصَبْرٍ، وَمَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ: قَطْرَةٌ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمْعٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^(٣).

١- الجعفریات: ص ٢١٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٥، ص: ٣٥١، ح ٦٠٦٣.

٢- الجعفریات: ص ٢١٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٥، ص: ٣٥٢، ح ٦٠٦٥.

٣- مجالس المفيد: ص ٥. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٢، ح ١٣.

رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام

روى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام طائفة من الأحاديث والروايات عن جده أمير المؤمنين عليه السلام، نختار إليكم شطراً منها، وهي:

١- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين (صلوات الله عليهما)، قال: حَدَّثَنَا أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: «الْأَعْمَالُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: فَرَائِضُ، وَفَضَائِلُ، وَمَعَاصِي.

وَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَبِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِرِضَى اللَّهِ وَقَضَاءِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَمَشِيَّتِهِ وَعِلْمِهِ. وَأَمَّا الْفَضَائِلُ فَلَيْسَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَكِنْ بِرِضَى اللَّهِ وَبِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدْرِ اللَّهِ وَبِمَشِيَّتِهِ وَبِعِلْمِهِ.

وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلَيْسَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَكِنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدْرِ اللَّهِ وَبِمَشِيَّتِهِ وَبِعِلْمِهِ، ثُمَّ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا»^(١).

٢- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين (عليهم السلام) أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْفَى أَرْبَعَةً فِي أَرْبَعَةٍ: أَخْفَى رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ؛ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئاً مِنْ طَاعَتِهِ فَرْبَمَا وَافَقَ رِضَاهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى سَخَطُهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَتِهِ فَرْبَمَا وَافَقَ سَخَطُهُ مَعْصِيَتَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى إِجَابَتُهُ فِي دَعْوَتِهِ؛ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئاً مِنْ دُعَائِهِ فَرْبَمَا وَافَقَ إِجَابَتَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى وَلِيَّتُهُ فِي عِبَادِهِ؛ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَرْبَمَا يَكُونُ وَلِيَّتَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ»^(٢).

١- التوحيد: ص ٣٧٠ ح ٩، الخصال: ص ١٦٨ ح ٢٢١، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٤٢ ح ٤٤، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٣٨ كلها عن أبي أحمد الغازي عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السلام)، صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام): ص ٢٧٨ ح ٢٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٩ ح ٣٦.

٢- الخصال: ص ٢٠٩ ح ٣١، معاني الأخبار: ص ١١٢ ح ١، كمال الدين: ص ٢٩٦ ح ٤ كلها عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عن أبيه عليه السلام، معدن الجواهر: ص ٤٢ عن الإمام الحسين عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٦٣ ح ٤.

٣- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «للمُسْرِفِ ثَلَاثُ عَلامَاتٍ: يَأْكُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَلْبَسُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَشْتَرِي مَا لَيْسَ لَهُ»^(١)»^(٢).

٤- روى الحافظ أبو نعيم الإصبهاني بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي عليه السلام، قال: «أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةً: إِعْطَاءُ الْحَقِّ مِنْ نَفْسِكَ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي الْمَالِ»^(٣).

٥- روى الكليني بسند حسن عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَقُولُ: اللَّهُمَّ مَنْ عَلِيَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَالتَّقْوِيضِ إِلَيْكَ، وَالرِّضَا بِقُدْرِكَ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(٤).

٦- روى الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّمَا الدَّهْرُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ أَنْتَ فِيهَا بَيْنُهُنَّ: مَضَى أَمْسٍ بِمَا فِيهِ، فَلَا يَرْجِعُ أَبَدًا، فَإِنْ كُنْتَ عَمِلْتَ فِيهِ خَيْرًا، لَمْ تَحْزَنْ لِدَهَابِهِ، وَفَرَحْتَ بِمَا اسْتَقْبَلْتَهُ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ فَرَطْتَ فِيهِ، فَحَسَرْتَكَ شَدِيدَةً لِدَهَابِهِ وَتَفَرِيطِكَ فِيهِ، وَأَنْتَ فِي يَوْمِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنْ عَدٍ فِي غِرَّةٍ^(٥)، وَلَا تَدْرِي لَعَلَّكَ لَا تَبْلُغُهُ، وَإِنْ بَلَغَتْهُ لَعَلَّ حَظَّكَ فِيهِ فِي التَّفْرِيطِ مِثْلُ حَظِّكَ فِي الْأَمْسِ الْمَاضِي عَنْكَ.

فَيَوْمٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ قَدْ مَضَى أَنْتَ فِيهِ مُفَرِّطٌ، وَيَوْمٌ تَنْتَظِرُهُ لَسْتَ أَنْتَ مِنْهُ

١- المراد أنه يجاوز عن حده يأكل ويلبس ما يكون هو فوق شأنه ويشتري متاعاً ليس له أن يشتريه.

٢- الخصال: ص ٩٨ ح ٤٥. وعنه في بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٠٤، ح ١.

٣- حلية الأولياء: ج ١ ص ٨٥ عن أحمد بن عامر الطائي عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، كنز العمال: ج ١٦ ص ٢٣٨ ح ٤٤٣٠٠.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٥٨١، ح ١٤. التهذيب: ج ٣، ص ٧٤، ح ٢٣٣؛ المقنعة: ص ١٧٧ الوافي: ج ٩، ص ١٦٦١، ح ٨٩٢٠.

٥- في مرآة العقول: «الغِرَّة، بالكسر: الغفلة، أي اغتررت بالغد وسوّفت العمل إليه غافلاً عن أنك لا تعلم وصولك إليه، وعدم تفريطك فيه».

عَلَى يَقِينٍ مَنْ تَرَكَ التَّفْرِيطَ، وَإِنَّمَا هُوَ يَوْمُكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ، وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ عَقَلْتَ^(١) وَفَكَّرْتَ فِيمَا فَرَطْتَ فِي الْأُمْسِ الْمَاضِي مِمَّا فَاتَكَ فِيهِ مِنْ حَسَنَاتٍ أَلَّا تَكُونَ اكْتَسَبْتَهَا، وَمِنْ سَيِّئَاتٍ أَلَّا تَكُونَ أَفْصَرْتَ عَنْهَا، وَأَنْتَ مَعَ هَذَا مَعَ اسْتِقْبَالِ غَدٍ عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ مِنْ أَنْ تَبْلُغَهُ، وَعَلَى غَيْرِ يَقِينٍ مَنْ اكْتَسَابَ حَسَنَةً، أَوْ مَرْتَدَعَ^(٢) عَنْ سَيِّئَةٍ مُحِيطَةٍ؛ فَأَنْتَ مِنْ يَوْمِكَ الَّذِي تَسْتَقْبِلُ عَلَى مِثْلِ يَوْمِكَ الَّذِي اسْتَدْبَرْتَ. فَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَيْسَ يَأْمُلُ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَهُ الَّذِي أَصْبَحَ فِيهِ وَلَيْلَتُهُ، فَاعْمَلْ^(٣) أَوْ دَعْ، وَاللَّهُ الْمُعِينُ عَلَى ذَلِكَ^(٤).

٧- روى الكليني بإسناده عَنْ أَبِي حَمَزَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «صَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفَجْرَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ فِي مَوْضِعِهِ حَتَّى صَارَتِ الشَّمْسُ عَلَى قَيْدٍ^(٥) رُوحٍ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، يُخَالِفُونَ^(٦) بَيْنَ جَبَاهِهِمْ وَرُكْبِهِمْ، كَأَنَّ زَفِيرَ

١- قرأ العلامة المازندراني: «إن عقلت» بكسر الهمزة، حيث قال: «الظاهر أن مضمون الشرط والجزاء، وهو «فاعمل عمل رجل» فاعل ينبغي؛ يعني ينبغي لك التفكير فيما فرطت في الماضي بترك الحسنات وفعل السيئات، مع عدم الوثوق بإدراك المستقبل وعدم اليقين بفعل الحسنة وترك السيئة فيه على تقدير إدراكه؛ فإن هذا يوجب العمل في يومك الذي أصبحت فيه تداركاً لما فات وتلافياً لما هوأت...». وقال العلامة الفيض الكاشاني: «أن عقلت، بفتح الهمزة إن أثبت الواو بعده، وإلا فبالكسر. وفي بعض النسخ: وددت، بدل «وفكرت» من دون واو، وعليها فالكسر متعين، و«إلا» في الموضعين للتخصيص». وقرأ العلامة المجلسي: «إن عملت»، ثم قال: «هذا الكلام يحتمل وجوهاً: الأول: أن يكون بفتح «أن» فهو فاعل «ينبغي». الثاني: أن يكون الفاعل مقدراً بقرينة «فاعمل». الثالث: أن يكون مضمون جملة الشرط، وهو «إن عقلت» والجزاء، وهو «فاعمل» فاعل «ينبغي». ولا يخلو شيء منها من التكلف، ولعل الأول أظهر». راجع: شرح المازندراني: ج ١١، ص ١٨١؛ الوافي: ج ٤، ص ٣١٨؛ مرآة العقول: ج ١١، ص ٣٥٦.

٢- «مرتدع» بفتح الدال، مصدر ميمي عطف على «اكتساب».

٣- في مرآة العقول: «تكرير «فاعمل» للتأكيد... وما قيل: إن «فاعمل» ثانياً على بناء الإفعال و «أودع» على أفعل التفضيل مفعوله، فهو في غاية البعد والركاكة».

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٥٣، ح ١. الوافي: ج ٤، ص ٣١٧، ح ٢٠٠٨؛ الوسائل: ج ١٦، ص ٩٢، ح ٢١٠٦٩.

٥- القيد: المقدار. راجع: لسان العرب، ج ٥، ص ١٩٦ (قيد).

٦- في شرح المازندراني: «أي يضعون جباههم على التراب خلف وضع رُكْبِهِمْ عليه، يأتون بأحدهما عقب الآخر».

النَّارِ فِي آذَانِهِمْ؛ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا دُوا^(١) كَمَا يَمِيدُ^(٢) الشَّجَرُ، كَأَنَّمَا الْقَوْمُ بَاتُوا^(٣) غَافِلِينَ».

قَالَ: «ثُمَّ قَامَ، فَمَا رُئِيَ صَاحِكًا حَتَّى قُبِضَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)»^(٤).

٨- روى المفيد بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «وَاللَّهِ، مَا بَرَأَ اللَّهُ مِنْ بَرِيَّةٍ أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَمَنْنِي وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنَحَتَهَا لِطَلْبَةِ الْعِلْمِ مِنْ شِيعَتِنَا»^(٥).

٩- روى الطبرسي بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، قَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَجْبُرُ عِبَادَهُ عَلَى الْمَعَاصِي أَوْ يُكَفِّرُهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَلَا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ، وَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ، وَلَا تُصَلُّوا وَرَاءَهُ، وَلَا تُعْطَوْهُ مِنَ الزَّكَاةِ شَيْئًا»^(٦).

١٠- روى صاحب عيون الأخبار بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ عليه السلام: «لَا دِينَ لِمَنْ دَانَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(٧).

١١- روى النعمان المغربي بإسناده عن سعيد بن طريف، أنه قال: حدثني علي بن الحسين عليه السلام، أنه قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ أَتَدْرُونَ مَا يَتَّبِعُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ؟» فسكتوا.

١- ماد يميز: مال وتحرك. النهاية: ج ٤، ص ٣٧٩ (ميز). وفي مرآة العقول: «مادوا، أي اضطربوا وتحركوا واقشعروا من الخوف».

٢- «تميد» باعتبار جنس الشجر. ومادوا: أي اضطربوا.

٣- في البحار: «ما باتوا». وفي مرآة العقول: «وفي بعض النسخ: ماتوا، أي كائهم بسبب غفلتهم أموات غير أحياء».

٤- الكافي: ج ٢، ص ٢٣٦، ح ٢. الزهد: ص ٨٤، ح ٥٣؛ الأمالي للمفيد: ص ١٩٦، المجلس ٢٣، ح ٣٠، بسند آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام. الوافي: ج ٤، ص ١٧٤، ح ١٧٨٥؛ البحار: ج ٤١، ص ٢٤، ح ١٧؛ وج ٤٢، ص ٢٤٧، ح ٤٩؛ وج ٦٧، ص ٣٦٠، ح ٦٣.

٥- الاختصاص: ص ٢٣٤، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨١ ح ٦٩.

٦- الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ٣٠٣ عن إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٢٤ ح ١٦.

٧- عيون الأخبار: ٢: ٤٣ الحديث ١٤٩. صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ص ٧٩، ح ١٧١.

فقال عليه السلام: «يتبعه الولد، يتركه فيدعو له بعد موته ويستغفره. ويتبعه الصدقة أوقفها في حياته، فيتبعه أجرها بعد موته. ويتبعه السنة الصالحة يعمل بها، فيعمل بها بعد موته فيتبعه أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقض من أجرهم شيئاً»^(١).

١٢- روى زيد عن أبيه الإمام زين العابدين، عن أبيه، عن الإمام علي عليه السلام، قال: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَالْيَتُّ غَاصُّ بِمَنْ فِيهِ، قَالَ: ادْعُوا لِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَدَعَوْتُهُمَا، فَجَعَلَ يَلْتَمُهُمَا حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَجَعَلَ عَلِيٌّ عليه السلام يَرْفَعُهُمَا عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: دَعُهُمَا يَتَمَتَّعَانِ مِنِّي وَأَتَمَّتْ مِنْهُمَا، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُهُمَا بَعْدِي أَثَرَةٌ»^(٢).

ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي خَلَفْتُ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَسُتِّي وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، فَالْمُضِيعُ لِكِتَابِ اللَّهِ كَالْمُضِيعِ لِسُتِّي، وَالْمُضِيعُ لِسُتِّي كَالْمُضِيعِ لِعِترتي، أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَنَ يَفْتَرِقَا حَتَّى أَلْقَاهُ عَلَى الْحَوْضِ»^(٣).

١٣- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام، قال: بَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ يُعَبِّئُهُم لِلْحَرْبِ، إِذَا أَتَاهُ شَيْخٌ عَلَيْهِ شَحْبَةٌ^(٤) السَّفَرِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقِيلَ: هُوَ ذَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ سَمِعْتُ فِيكَ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا أَحْصِي، وَإِنِّي أَظُنُّكَ سَتُغْتَالُ، فَعَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «نَعَمْ يَا شَيْخُ، مَنْ اعْتَدَلَ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ اشْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا، وَمَنْ كَانَ غَدُهُ شَرَّ يَوْمِيهِ فَهُوَ مُحْرَقٌ، وَمَنْ

١- شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج ٣، ص ٢٦٧.

٢- استأثر فلان بالشيء: استبد به، والاسم الأثره - بالتحريك - (مجمع البحرين: ج ١ ص ١٥ «أثر»).

٣- مسند زيد: ص ٤٠٤.

٤- الشَّحْبُ: المتغير اللون والجسم من سفرٍ أو مرضٍ (النهاية: ج ٢ ص ٤٤٨ «شحب»).

لَمْ يُبَالِ بِمَا رَزَى^(١) مِنْ آخِرَتِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ دُنْيَاهُ فَهُوَ هَالِكٌ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَاهَدِ
النَّقْصَ مِنْ نَفْسِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الْهُوَى، وَمَنْ كَانَ فِي نَقْصٍ فَاَلَمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ.
يَا شَيْخُ، ارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ، وَأَتِّبِ إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ
يُؤْتَى إِلَيْكَ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ! أَمَا تَرَوْنَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا يُمَسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ
شَتَّى؛ فَبَيْنَ صَرِيعٍ يَتَلَوَّى، وَبَيْنَ عَائِدٍ وَمَعُودٍ، وَآخِرَ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَآخَرَ لَا
يُرجى، وَآخَرَ مُسَجَّى، وَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ
عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي يَصِيرُ الْبَاقِي».

فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ صَوْحَانَ الْعَبْدِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيُّ سُلْطَانٍ أَغْلَبُ
وَأَقْوَى؟

قَالَ: «الهُوَى».

قَالَ: فَأَيُّ ذُلٍّ أَذُلُّ؟

قَالَ: «الْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا».

قَالَ: فَأَيُّ فَقْرٍ أَشَدُّ؟

قَالَ: «الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ».

قَالَ: فَأَيُّ دَعْوَةٍ أَضَلُّ؟

قَالَ: «الدَّاعِي بِمَا لَا يَكُونُ».

قَالَ: فَأَيُّ عَمَلٍ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «التَّقْوَى».

قَالَ: فَأَيُّ عَمَلٍ أَنْجَحُ؟

قَالَ: «طَلَبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ».

قَالَ: فَأَيُّ صَاحِبٍ لَكَ شَرٌّ؟

قال: «الْمَزِينُ لَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قال: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَشَقَى؟

قال: «مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ».

قال: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَقْوَى؟

قال: «الْحَلِيمُ».

قال: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَشْح؟

قال: «مَنْ أَخَذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ أَكْيَسُ؟

قال: «مَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ مِنْ غِيٍّ، فَمَالَ إِلَى رُشْدِهِ».

قال: فَمَنْ أَحْلَمَ النَّاسِ؟

قال: «الَّذِي لَا يَغْضَبُ».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ أَثْبَتُ رَأْيًا؟

قال: «مَنْ لَمْ يَغْرِه النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ تَغْرِه الدُّنْيَا بِتَشَوُّفِهَا^(١)».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ أَحَقُّ؟

قال: «الْمُغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَهُوَ يَرَى مَا فِيهَا مِنْ تَقَلُّبِ أَحْوَالِهَا».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ حَسْرَةً؟

قال: «الَّذِي حُرِمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

قال: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَعْمَى؟

قال: «الَّذِي عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ، يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ الثَّوَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قال: فَأَيُّ الْقَنُوعِ أَفْضَلُ؟

قال: «الْقَانِعُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

قال: فَأَيُّ الْمَصَائِبِ أَشَدُّ؟

١- تشوَّف فلان لكذا: طمح بصره إليه، ثم استعمل في تعلق الآمال والتطلُّب (المصباح المنير: ص

قال: «المُصِيبَةُ بِالْدينِ».

قال: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عز وجل؟

قال: «انتظارُ الفَرَجِ».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ؟

قال: «أَخَوْفُهُمُ اللَّهُ، وَأَعْمَلُهُمُ بِالتَّقْوَى، وَأَزْهَدُهُمُ فِي الدُّنْيَا».

قال: فَأَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل؟

قال: «كَثْرَةُ ذِكْرِهِ، وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ بِالْدُّعَاءِ».

قال: فَأَيُّ الْقَوْلِ أَصْدَقُ؟

قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

قال: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل؟

قال: «التَّسْلِيمُ وَالْوَرَعُ».

قال: فَأَيُّ النَّاسِ أَصْدَقُ؟

قال: «مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ عَلَيَّ الشَّيْخُ فَقَالَ: «يَا شَيْخُ، إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ خَلْقًا ضَيِّقَ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ نَظَرًا لَهُمْ، فَزَهَّدَهُمْ فِيهَا وَفِي حُطَامِهَا، فَارْغَبُوا فِي دَارِ السَّلَامِ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا، وَصَبَرُوا عَلَى ضَيْقِ الْمَعِيشَةِ، وَصَبَرُوا عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَاشْتَقَوْا إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ عز وجل مِنَ الْكَرَامَةِ، فَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَكَانَتْ خَاتِمَةُ أَعْمَالِهِمُ الشَّهَادَةُ، فَلَقُوا اللَّهَ عز وجل وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَوْتَ سَبِيلٌ مِّنْ مَّضَى وَمِنْ بَقِيَ، فَتَزَوَّدُوا لِآخِرَتِهِمْ غَيْرَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَبَسُوا الْحَشْنَ، وَصَبَرُوا عَلَى الْبَلْوَى، وَقَدَّمُوا الْفَضْلَ، وَأَحْبَبُوا فِي اللَّهِ وَأَبْغَضُوا فِي اللَّهِ عز وجل، أُولَئِكَ الْمَصَابِيحُ وَأَهْلُ النِّعَمِ فِي الْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ».

قَالَ الشَّيْخُ: فَأَيْنَ أَذْهَبُ وَأَدْعُ الْجَنَّةَ، وَأَنَا أَرَاهَا وَأَرَى أَهْلَهَا مَعَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! جَهَّزْنِي بِقُوَّةٍ أَتَقَوَّى بِهَا عَلَى عَدُوِّكَ.

فَأَعْطَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سِلَاحًا وَحَمَلَهُ، وَكَانَ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَضْرِبُ قُدُمًا، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَعْجَبُ بِمَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَرْبُ أَقْدَمَ فَرَسَهُ حَتَّى قُتِلَ (رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) وَأَتْبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَوَجَدَهُ صَرِيعًا، وَوَجَدَ دَابَّتَهُ وَوَجَدَ سَيْفَهُ فِي ذِرَاعِهِ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِدَابَّتِهِ وَسِلَاحِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَقَالَ: «هَذَا وَاللَّهِ السَّعِيدُ حَقًّا؛ فَتَرَحَّمُوا عَلَى أَخِيكُمْ»^(١).

١ - كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨١ ح ٥٨٣٣، معاني الأخبار: ص ١٩٨ ح ٤ كلاهما عن عبد الله بن بكر المرادي عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣٧٦ ح ١، الأمالي للطوسي: ص ٤٣٥ ح ٩٧٤؛ الأمالي للصدوق: ص ٤٧٧ ح ٦٤٤ عن عبد الله بن بكر المرادي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن الحسين عليه السلام. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ص ٤٩٢، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

رواياته عن الإمام الحسين عليه السلام

روى الإمام زين العابدين عليه السلام جمهرة من الأحاديث والروايات عن أبيه سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وإليك طائفة منها:

١- روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليه السلام قَالَ: «مَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ؛ فَائْتِكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَتَّقِلَ مِنْ سَجْنٍ إِلَى قَصْرِ!؟ وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَّقِلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى سَجْنٍ وَعَذَابٍ.

إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَنَّ الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هَوْلَاءٍ إِلَى جَنَّتِهِمْ، وَجِسْرٌ هَوْلَاءٍ إِلَى جَحِيمِهِمْ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ»^(١).

٢- روى الصدوق بإسناده عن الثمالي، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام، قَالَ: «نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَقْبَلَ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ (أَرَادَ) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يُوسُفَ فِي جَمَالِهِ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي سَخَائِهِ، وَإِلَى سُلَيْمَانَ فِي بَهْجَتِهِ، وَإِلَى دَاوُدَ فِي حِكْمَتِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»^(٢).

٣- روى الكليني بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قَالَ: «أَوْصَانِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»^(٣).

٤- روى المفيد عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا صَبَّحَتِ الْخَيْلُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْهُمْ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ^(٤) فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلَتْهُ

١- معاني الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٣، الاعتقادات: ص ٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٧ ح ٢.

٢- أمالي الصدوق: ٣٩١. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٥، ح ٢.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ ح ٥. الخصال: ص ١٦ ح ٥٩، الأمالي للصدوق: ص ٢٤٩ ح ٢٧٢، روضة الواعظين: ص ٥١٠، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٥٣ ح ١٦.

٤- شِمَتَ بِهِ يَشْمَتُ: إِذَا فَرَحَ بِمَصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ (المصباح المنير: ص ٣٢٢ «شمت»).

بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجَتْهُ وَكَشَفَتْهُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ»^(١).

٥- روى الخزاز القمي بإسناده عن عبدالله بن إبراهيم، عن أبيه، عن جدّه: عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليه السلام، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ فِيمَا بَشَّرَنِي بِهِ: يَا حُسَيْنُ! أَنْتَ السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ، أَبُو السَّادَةِ، تِسْعَةٌ مِنْ وَلَدِكَ أَيْمَّةٌ أَمْنَاءُ، التَّاسِعُ قَائِمُهُمْ، أَنْتَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ، أَبُو الْأَيْمَةِ، تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِكَ أَيْمَةٌ أَبْرَارٌ، وَالتَّاسِعُ مَهْدِيهِمْ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، يَقُومُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمْتُ فِي أَوَّلِهِ»^(٢).

٦- روى الطبراني بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام، قال: «أَحِبُّونَا بِحُبِّ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولًا»^(٣).

٧- روى الجويني الخراساني بإسناده عن علي بن الحسين [زين العابدين] عليه السلام، قال: «سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ عليه السلام يَقُولُ: لَوْ شِئْتُمُنِي رَجُلٌ فِي هَذِهِ الْأُذُنِ وَأَوْمَأَ إِلَى الْيُمْنَى وَاعْتَذَرَ لِي فِي الْأُخْرَى، لَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَرِدُ الْحَوْضَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْعُذْرَ مِنْ مُحَقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ»^(٤).

١- الإرشاد: ج ٢ ص ٩٦، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٢٣، تاريخ دمشق: ج ١٤ ص ٢١٧ وفيه «غاية» بدل «رغبة» وكلاهما عن أبي خالد الكاهلي، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٦١ كلّها من دون إسناد إلى المعصوم.

٢- كفاية الأثر: ص ١٧٦، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٣٠ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٤ ح ٢١٠.

٣- المعجم الكبير: ج ٣ ص ١٢٨ ح ٢٨٨٩، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٩٧ ح ٤٨٢٥ نحوه؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٠١ عن الحسن بن الجهم عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام عنه عليه السلام وليس فيه صدره، بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٣٤ ح ٦؛ تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٧٦ ح ٨٩٨؛ النوادر للراوندي: ص ١٢٥ ح ١٤٣.

٤- نظم درر السمطين: ص ٢٠٩.

الفصل الخامس

فقه الإمام زين العابدين عليه السلام

- دوره في إثراء علم الفقه
- المختار من فقه الإمام زين العابدين عليه السلام
- أهل الفتيا ممن أخذوا عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)



دوره في إثراء علم الفقه

أولى الإمام زين العابدين عليه السلام علم الفقه عناية كبيرة، لماله من أهمية بالغة في تعريف الناس بأحكام الإسلام، وبيان مسائل الحلال والحرام، والإجابة عن تساؤلات المكلفين، وتبيين الرأي الشرعي لهم.

وكان الإمام أعلم الناس في مسائل الفقه وأحكام الدين في زمانه، فقد نزل الوحي في بيوتهم، وانطلق العلم من ديارهم؛ ولذا ورد: تَشَاجَرُ هُوَ عليه السلام وَبَعْضُ النَّاسِ فِي مَسَائِلَ مِنَ الْفَقْهِ، فَقَالَ عليه السلام: «يَا هَذَا إِنَّكَ لَوْ صُرْتَ إِلَى مَنْزِلِنَا لَأَرَيْنَاكَ أَثَارَ جَبْرِئِيلَ فِي رِحَالِنَا، أَفَيَكُونُ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنَّا؟!»^(١).

وقد اهتم الإمام بتأهيل فقهاء وعلماء ربانيين كي ينشروا الفقه الإسلامي وغيره من المعارف الإسلامية في أماكن تواجدهم في البلاد الإسلامية، وكان للإمام حلقة خاصة في مسجد رسول الله ﷺ يلقي فيها دروسه العلمية من فقه وتفسير وعقائد وحديث وغيرها من المعارف الإسلامية على تلامذته وطلابه ورواته وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة.

وتخرج من حلقاته العلمية التي كان يعقدها في المسجد النبوي وفي بيته، عدد من كبار العلماء والفقهاء الذين أثروا بدورهم فيما بعد علم الفقه وأبوابه المختلفة.

قال السيد محسن الأمين: «وكانت مدرسته في داره وفي المسجد، وأخذ عنه فقهاء الحجاز وعلماءه، ومن يأتي من الآفاق للحج، ودُونُوا مَا أَخَذُوهُ عَنْهُ، ورواه عنهم الناس»^(٢).

وقال السيد محمد باقر الصدر: «بدأ الإمام علي بن الحسين عليه السلام حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ يَحَدِّثُ النَّاسَ بِصُنُوفِ الْمَعْرِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ وَفَقْهِ وَفِيضٍ عَلَيْهِمْ مِنْ عُلُومِ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ،

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٩١.

٢- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٩٨.

ويمرّن النابهين منهم على التفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه والأساس لحركته الناشطة. وقد استقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء وحملة الكتاب والسنة»^(١).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام أفقه الناس في عصره بلا منازع. شهد له بذلك معاصروه وطلابه؛ فهذا ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) يقرّ بأنه كان أفقه أهل زمانه قائلاً: «ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه»^(٢).

وجاء عن عدد من معاصري الإمام الإقرار له بالفضل والفقه، وأنه لا يوجد أحد أفقه منه، ففي حلية أبي نعيم وتاريخ النسائي: رَوَى عَنْ أَبِي حَازِمٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَالزُّهْرِيِّ، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: «مَا رَأَيْتُ هَاشِمِيًّا أَفْضَلَ مِنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَلَا أَفْقَهَ مِنْهُ»^(٣).

وعده الشافعي (إمام المذهب الشافعي) بأنه «أفقه أهل المدينة»^(٤).

وهذا الاعتراف للإمام زين العابدين عليه السلام بأنه كان أفقه أهل زمانه من قبل معاصريه أو القريبين من عصره، وبعضهم من مناصريه، أو من مدارس ومذاهب أخرى يدل على اشتهاار الإمام بالفقه بين أهل العلم والفقه من الخاصة والعامة، وأنه كان مقصد كبار الفقهاء والعلماء لأخذ المسائل الفقهية منه، فكان يتردد عليه بعض كبار الصحابة والتابعين لأخذ معالم دينهم منه.

١- راجع مقدمته في الصحيفة السجادية الكاملة: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ١٢.

٢- سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٣، ص ٤٧٩. تهذيب الكمال: المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج ٢٠، ص ٣٨٦. البداية والنهاية: ج ٦، ص ٤٦٨.

٣- مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٩.

٤- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٢٧٤. مناقب أهل البيت: المولى حيدر الشيرواني، ص ٢٥٨.

المختار من فقه الإمام زين العابدين عليه السلام

بعد رجوع الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة المنورة بعد واقعة كربلاء، واستقراره فيها، أخذ في تعليم الفقه الإسلامي لفقهاء وعلماء المدينة ومن حولها، وتبيين مسائل الحلال والحرام للناس؛ فانتشر علمه وفقهه بين الخاصة والعامة، ونقل عنه فقهاء الحجاز وغيرهم من علم الفقه وغيره من العلوم والمعارف الإسلامية كثيرًا من النصوص الفقهية والمسائل الشرعية وغيرها.

واعتمد الفقهاء والمجتهدون في استنباطهم للأحكام الشرعية على جملة من الأحاديث الفقهية المعتبرة المروية عنه، والتي شملت عدة أبواب من الفقه، مثل: أحكام الأموات، المساجد، الصلاة، الصوم، الخمس، الحج، النكاح، الأطعمة والأشربة، اليمين، الوصية وغيرها.

ونختار منها بعض النماذج والشواهد للإفادة والاطلاع على دور الإمام زين العابدين عليه السلام وجهوده في إثراء الفقه الإسلامي، وهي:

باب أحكام الأموات

- استحباب كتابة دعاء الجوشن الكبير على الكفن:

يستحب أن يكتب على الكفن دعاء الجوشن الكبير، والعلة فيه جعل قبره نورًا وتبشيره بالجنة، فعن الشيخ إبراهيم الكفعمي (رحمه الله) في جنة الأمان، عن السجاد زين العابدين عن أبيه عن جده عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله في بعض غزواته، وعليه جوشن^(١) ثقیل آله ثقله فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: اخلع هذا الجوشن، واقرأ هذا الدعاء، فهو أمان لك ولأمتك إلى أن قال: ومن كتبه على كفيه استحي الله أن يعذبه بالنار إلى أن قال: قال

١- الجوشن: الدرع، والحديد الذي يلبس من السلاح على الصدر (لسان العرب - جشن - ج ١٣ ص ٨٨).

الحُسَيْنُ عليه السلام: أَوْصَانِي أَبِي عليه السلام بِحِفْظِ هَذَا الدُّعَاءِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَنْ أَكْتُبَهُ عَلَى كَفِّهِ، وَأَنْ أُعَلِّمَهُ أَهْلِي وَأَحْتَهُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْجَوْشَنَ الْكَبِيرَ^(١).

وَرَوَاهُ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ^(٢)، بِهَذَا السَّنَدِ، وَزَادَ فِيهِ: وَمَنْ كَتَبَ فِي جَامٍ بِكَافُورٍ أَوْ مِسْكِ ثُمَّ غَسَلَهُ وَرَشَهُ عَلَى كَفِّ مَيِّتٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَبْرِهِ أَلْفَ نُورٍ، وَآمَنَهُ مِنْ هَوْلٍ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَرَفَعَ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَيَدْخُلُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى قَبْرِهِ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ، وَيُوسِّعُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ مَدَّ بَصَرِهِ^(٣).

باب أحكام المساجد

١ - استحباب التطيُّب عند التوجه إلى المسجد:

يستحب التطيُّب ولبس الثياب الفاخرة عند التوجه إلى المسجد، واستدل على ذلك بسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روى الكليني بسنده^(٤) عَنْ الْحُسَيْنِ^(٥) بْنِ يَزِيدَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام اسْتَقْبَلَهُ مَوْلَى لَهُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزٌّ وَمِطْرَفٌ خَزٌّ وَعِمَامَةٌ خَزٌّ وَهُوَ مُتَغَلِّفٌ بِالْغَالِيَةِ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِلَى مَسْجِدِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَخْطُبُ الْخُورَ الْعَيْنَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٦).

وروى الكليني بسنده^(٧) أَيضًا: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: «خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لَيْلَةً وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزٌّ وَكِسَاءُ خَزٌّ قَدْ غُلِّفَ لِحِيَّتُهُ بِالْغَالِيَةِ،

١ - جنة الأمان (المصباح): هامش ص ٢٤٦، وعنه في البحار: ج ٧٨ ص ٣٣١ ح ٣٢.

٢ - البلد الأمين: ص ٣٢٦ وقد نقل الدعاء دون السند، ولعلّه كان في نسختي المصنّف والمجلّسي (رحمهما الله)، فتأمل.

٣ - مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٢، ص: ٢٣٢، ح ١٨٧٦.

٤ - الكافي: ج ٦، ص ٥١٧، ح ٥.

٥ - في نسخة - الحسن. (هامش المخطوط).

٦ - وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٢٢٨، ح ٦٤٠٧.

٧ - الكافي: ج ٦، ص ٥١٦، ح ٣.

فَقَالُوا: فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْطُبَ الْخُورَ الْعَيْنَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»^(١).

٢- استحباب تفريق الصلاة في أماكن متعددة:

يستحب تفريق الصلاة في أماكن متعددة؛ لأنها تشهد للمصلي يوم القيامة، ولذلك كان الإمام زين العابدين عليه السلام يصلي في عدة بقاع، فقد ورد عن حُمرانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، كَانَ لَهُ خَمْسُ مِثَّةٍ نَخْلَةٍ، وَكَانَ يُصَلِّي عِنْدَ كُلِّ نَخْلَةٍ رَكْعَتَيْنِ»^(٢).

باب الصلاة

أولاً- أفعال الصلاة:

١- من واجبات الصلاة:

أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى بعض أفعال الصلاة وواجباتها، وأهم مستحباتها المؤكدة كالتعقيب، فقد نقل ابن شهر آشوب^(٣) عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَئِيسِ الْعَابِدِينَ عليه السلام: تَعْرِفُ الصَّلَاةَ؟ فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ عليه السلام: «مَهْلًا يَا أَبَا حَازِمٍ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ الْخُلَمَاءُ الرَّحْمَاءُ»، ثُمَّ وَاجَهَ السَّائِلَ فَقَالَ: «نَعَمْ أَعْرِفُهَا».

فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْعَالِهَا وَتُرُوكِهَا وَفَرَائِضِهَا وَنَوَافِلِهَا حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ: مَا افْتِتَاحُهَا؟

قَالَ: «التَّكْبِيرُ».

قَالَ: مَا بُرْهَانُهَا؟

قَالَ: «الْقِرَاءَةُ».

١- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٢٢٩، ح ٦٤٠٨.

٢- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ١٨٨، ح ٦٢٩٤.

٣- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٣٠ وعنه في البحار: ج ٨١ ص ٢٤٤ ح ٣٥.

قَالَ: مَا خُشُوْعُهَا؟
 قَالَ: «النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ».
 قَالَ: مَا تَحْرِيمُهَا؟
 قَالَ: «التَّكْيِيرُ».
 قَالَ: مَا تَحْلِيلُهَا؟
 قَالَ: «التَّسْلِيمُ».
 قَالَ: مَا جَوْهَرُهَا؟
 قَالَ: «التَّسْبِيحُ».
 قَالَ: مَا شِعَارُهَا؟
 قَالَ: «التَّعْقِيبُ».
 قَالَ: مَا تَمَامُهَا؟
 قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».
 قَالَ: مَا سَبَبُ قَبُولِهَا؟
 قَالَ: «وَلَا يَتَنَّا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا».
 فَقَالَ: مَا تَرَكْتَ لِأَحَدٍ حُجَّةً، ثُمَّ نَهَضَ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) وَتَوَارَى^(٢).

٢- بطلان الصلاة بالتكفير:

التكفير هو وضع المصلي إحدى اليدين على الأخرى في حال القيام، وهو من مبطلات الصلاة عندنا؛ لجملة من الأخبار، منها ما في الخبر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ أَخِي: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: وَضَعَ الرَّجُلُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فِي الصَّلَاةِ عَمَلٌ، وَلَيْسَ فِي الصَّلَاةِ عَمَلٌ»^(٣).

١- الأنعام: ٢٤.

٢- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٤، ص: ١١٢، ح ٤٢٦٣.

٣- وسائل الشيعة: ج ٧، ص: ٢٦٦، ح ٩٢٩٨.

ومعنى «لَيْسَ فِي الصَّلَاةِ عَمَلٌ» كما نقل الشيخ يوسف البحراني: «أي لا ينبغي أن يعمل في الصلاة عمل غير أفعال الصلاة، أو هو بدعة ولا يجوز الابتداع فيها، أو هو فعل كثير كما فهمه بعض الأصحاب»^(١).
 ويعضد ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: «وَلَا تُكْفِّرُ^(٢) فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الْمُجُوسُ»^(٣).

ثانياً- موجبات قبول الصلاة:

١- إقبال القلب:

إن عمدة شرائط قبول الصلاة إقبال القلب فيها، فلا يقبل منها إلا ما حضر قلبه فيها، لما رواه أبو حمزة الثمالي قال: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُصَلِّي فَسَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ (منكبيه)، قَالَ: فَلَمْ يُسَوِّهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ. قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟
 فَقَالَ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ كُنْتُ؟ إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَلَاةٌ إِلَّا مَا أَقْبَلَ مِنْهَا».

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَلَكْنَا.

فَقَالَ: «كَلَّا، إِنَّ اللَّهَ مُتَمِّمٌ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّوَافِلِ»^(٤).

٢- الخشوع والانقطاع إلى الله تعالى:

من موجبات قبول الصلاة الخضوع والخشوع في الصلاة، وَاسْتِخْضَارَ عَظَمَةِ اللَّهِ، وَاسْتِشْعَارَ هَيْبَتِهِ وَخَشْيَتِهِ والخوف منه، وذلك تأسيًا بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والأئمة المعصومين عليهم السلام، فقد ورد عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ

١- الحقائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني، ج ٩، ص ١٢.

٢- التكفير في الصلاة: هو الانحناء الكثير حال القيام قبل الركوع قال في النهاية. والتكفير أيضًا وضع إحدى اليدين على الأخرى. (مجمع البحرين ٣-٤٧٧).

٣- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٤٦٤، ح ٧٠٨١.

٤- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٤٧٨، ح ٧١٠٩.

أبي عبدالله عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَإِذَا سَجَدَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى يَرْفُضَ ^(١) عَرَقًا».

وَعَنْ جَهْمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ سَاقُ شَجَرَةٍ، لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّكَتِ الرِّيحُ مِنْهُ» ^(٢).

وَعَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَشِيَ لَوْنُهُ لَوْنٌ آخَرُ؟

فَقَالَ لِي: «وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَعْرِفُ الَّذِي يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ» ^(٣).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَرَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ غَشِيَ لَوْنُهُ لَوْنٌ آخَرُ» ^(٤).

٣- الاعتقاد بالولاية الحقة:

من موجبات قبول الصلاة الاعتقاد بالولاية الحقة لأئمة أهل البيت الأطهار، لما ورد في صحيح أبي حمزة الثمالي قَالَ: قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «أَيُّ الْبِقَاعِ أَفْضَلُ؟». فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ.

فَقَالَ لَنَا: «أَفْضَلُ الْبِقَاعِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا عُمَرَ مَا عُمَرَ نُوْحَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ بِغَيْرِ وَلَايَتِنَا لَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ شَيْئًا» ^(٥).

وَسُئِلَ عليه السلام: عَنْ سَبَبِ قَبُولِ الصَّلَاةِ؟

قَالَ: «وَلَايَتُنَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا» ^(٦).

١- يرفض عرقاً: أي يسيل ويجري. (مجمع البحرين ٤/ ٢٠٧).

٢- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٤٧٤، ح ٧٠٩٧.

٣- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٤٧٤، ح ٧٠٩٨.

٤- وسائل الشيعة: ج ٥، ص: ٤٧٤، ح ٧٠٩٩.

٥- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٣، ص: ٥٧، ح ٣٠١٣.

٦- وسائل الشيعة: ج ١، ص: ١٢٢، ح ٣٠٨.

٧- المناقب لابن شهر آشوب: ٤/ ١٣١.

ثالثاً- موانع قبول الصلاة:

١- حب الدنيا:

من موانع قبول الصلاة حب الدنيا بحيث تحيط به من كل الجوانب، فلا يفكر في شيء سواها فتشغله عن الصلاة، لما روي في الخبر عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»^(١).

٢- العجب بالعبادة:

من موانع قبول الصلاة إعجاب المصلي بعبادته؛ لأن ذلك ينافي الإخلاص، لما ورد في صحيح الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوَى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٢).

رابعاً- من شروط الصلاة:

١- اشتراط النية:

يشترط في صحة الصلاة النية، وهي ركن تبطل الصلاة بتركها عمداً كان أو سهواً، فلا تصح الصلاة بلا نية، بل تعدُّ النية في مطلق العبادات، فلا تصح من دونها؛ ويدل على ذلك ما في صحيح أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ»^(٣).

٢- جواز الصلاة في الخبز:

تجوز الصلاة في وبر وجلد الخبز، وهو مما استثني مما لا يؤكل لحمه - بالإضافة إلى أجزاء الإنسان كشعره وأظفاره - لعدة نصوص، منها ما في صحيحة الحلبي قال: سَأَلْتُهُ عَنْ لُبْسِ الْخَزْرِ؟

١- الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب حب الدنيا والحرص عليها، ح ٢٥٩٣، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه وعلي بن محمد جميعاً، عن القاسم بن محمد. الخصال: ص ٢٥، باب الواحد، ح ٨٧، بسند آخر عن أبي عبد الله عليه السلام. مصباح الشريعة: ص ١٣٧، الباب ٦٤، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الوافي: ج ٤، ص ٣٩٢، ح ٢١٧٦؛ وج ٥، ص ٨٩٢، ح ٣٢٣٨؛ البحار: ج ٧٠، ص ٥٩، ح ٢٩.

٢- وسائل الشيعة: ج ١، ص ١٠٥، ح ٢٥٤.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٨٤، ح ١. وسائل الشيعة: ج ١، ص ٤٧، ح ٨٣.

فَقَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْبَسُ الْكِسَاءَ الْخَزَّ فِي الشِّتَاءِ، فَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ بَاعَهُ وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَكُلَ ثَمَنَ ثَوْبٍ قَدْ عَبَدْتُ اللَّهَ فِيهِ»^(١).

وما في خبر أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ الْخَزَّ بِخَمْسِينَ دِينَارًا وَالْمُطْرَفَ الْخَزَّ بِخَمْسِينَ دِينَارًا»^(٢).

وما في رواية الحسن بن علي الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ الْجُبَّةَ الْخَزَّ وَالْمُطْرَفَ الْخَزَّ وَالْقَلَنْسُوءَةَ الْخَزَّ فَيَشْتُو فِيهِ، وَيَبِيعُ الْمُطْرَفَ فِي الصَّيْفِ وَبِتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾»^(٣)^(٤).

ولا يخفى أنَّ الظاهر أنَّ لا يكون الخبز هو الأرناب أو ذكرها، بل الخبز إنما يقال على ذكر الأرناب كما تدلُّ عليه أغلب الكلمات من أهل اللغة، كما أنَّه لا يطلق الخبز على الثوب المعمول من صوفها أو وبرها ممزوجًا بالإبريسم أو غير ممزوج، لمخالفته لما يظهر من الأخبار الواردة عن الأئمة (عليهم السلام)، من أنَّه حيوان بحريٌّ يخرج من الماء أو تصاد من الماء وإذا فقد الماء تموت كما في بعضها، أو أنَّه ثوب منسوج من الوبر والإبريسم كما في بعضها الآخر.

ويدلُّ على أنَّه ليس المراد بالخبز هو الأرناب أو ذكرها، ما يظهر من بعض الأخبار من عدم جواز الصلاة في وبر الخبز المغشوش بوبر الأرناب، فإنَّ ظاهره أنَّ وبر الخبز يغير وبر الأرناب. نعم لا ينبغي

١- وسائل الشيعة: ج ٤، ص: ٣٦٦، ح ٥٤٠٧.

٢- الكافي: ج ٦، ص ٤٥٠، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ٤، ص: ٣٦٤، ح ٥٣٩٩.

٣- الأعراف: ٣٢.

٤- الكافي: ج ٦، ص ٤٥١، ح ٤. وسائل الشيعة: ج ٤، ص: ٣٦٤، ح ٥٤٠٠.

توهُم المنافاة بين ما يظهر من بعضهم من أَنَّهُ كلب الماء، ومن آخر من أَنَّهُ غنم البحر، ومن ثالث من أَنَّهُ وبر السمك، لأنَّ الظاهر أنَّ مرجع ذلك كُلِّه إلى شيء واحد، غاية الأمر ثبوت الاختلاف في التشبيه كما لا يخفى.

وكيف كان؛ فالظاهر أَنَّهُ لا إشكال في كونه حيواناً من الحيوانات المائية، كما يدلُّ عليه رواية ابن أبي يعفور^(١)، ورواية عبدالرحمن بن الحجاج^(٢) وغيرهما من الروايات، وإطلاقه على الثوب المنسوج من وبره إِنَّمَا هو باعتبار إطلاقه على نفسه^(٣).

باب الصلوات الواجبة

أولاً - صلاة المسافر:

١ - علة بقاء صلاة الفجر على حالها في السفر والحضر:

يجب الإتيان بصلاة الفجر ركعتين سواء في السفر أم الحضر، والعلة في ذلك ما رواه سعيد بن المسيَّب أَنَّهُ سَأَلَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَقَالَ لَهُ: مَتَى فُرِضَتِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا هِيَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: «بِالْمَدِينَةِ حِينَ ظَهَرَتِ الدَّعْوَةُ وَقَوِيَ الْإِسْلَامُ، وَكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْجِهَادَ، زَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ سَبْعَ رَكَعَاتٍ فِي الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ، وَفِي الْعَصْرِ رَكَعَتَيْنِ، وَفِي الْمَغْرِبِ رَكَعَةً، وَفِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ رَكَعَتَيْنِ، وَأَقَرَّ الْفَجْرَ عَلَى مَا فُرِضَتْ بِمَكَّةَ؛ لِتَعْجِيلِ عُرُوجِ مَلَائِكَةِ اللَّيْلِ إِلَى السَّمَاءِ، وَلِتَعْجِيلِ نُزُولِ مَلَائِكَةِ النَّهَارِ إِلَى الْأَرْضِ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١- راجع الرواية في كتاب: وسائل الشيعة، ج ٤، ص: ٣٥٩ - ٣٦٠، ح ٥٣٩٠.

٢- راجع الرواية في كتاب: وسائل الشيعة، ج ٤، ص: ٣٦٢ - ٣٦٣، ح ٥٣٩٥.

٣- نهاية التقرير في مباحث الصلاة: تقرير بحث البروجردي للشيخ الفاضل اللكراني، مركز فقه الأئمة الأطهار، قم، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٣٥٤.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(١) يَشْهَدُهُ الْمُسْلِمُونَ وَتَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ^(٢).

ثانيًا - صلاة الجماعة:

١ - اشتراط العدالة:

يشترط في إمام الجماعة أن يكون عادلاً، إذ لا يجوز الائتھام بالفاسق إجماعاً. وتتحقق العدالة بوجود ملكة تبعث على الالتزام بالواجبات واجتناب المحرمات، وأشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أعلى مراتب العدالة. روى أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الإحتجاج عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ حَسَنَ سَمْتَهُ وَهَدْيَهُ وَتَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ وَتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ فَرُويِدًا لَا يُعَرِّتُكُمْ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ الدُّنْيَا وَرُكُوبُ الْمَحَارِمِ مِنْهَا لِضَعْفِ نَبْتِهِ وَمَهَانَتِهِ وَجُبْنِ قَلْبِهِ فَتَنْصَبَ الدِّينَ فَخًا لَهَا فَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْتَلُ النَّاسَ بِظَاهِرِهِ فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ، وَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ فَرُويِدًا لَا يُعَرِّتُكُمْ فَإِنَّ شَهَوَاتِ الْخَلْقِ مُحْتَلِفَةٌ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَإِنْ كَثُرَ وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءَ قَبِيحَةٍ فَيَأْتِي مِنْهَا مُحَرَّمًا، فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنِ ذَلِكَ فَرُويِدًا لَا يُعَرِّتُكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عَقَلَهُ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَى عَقْلِ مَتِينٍ فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ بِعَقْلِهِ، وَإِذَا وَجَدْتُمُ عَقْلَهُ مَتِينًا فَرُويِدًا لَا يُعَرِّتُكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا أَمَعَ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ أَوْ يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ وَكَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرَّئَاسَاتِ الْبَاطِلَةِ وَزُهْدُهُ فِيهَا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، وَيَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرَّئَاسَةِ الْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ الْأَمْوَالِ وَالنَّعْمِ الْمُبَاحَةِ الْمُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعُ طَلَبًا لِلرَّئَاسَةِ، إِلَى

١- الإسراء: ٧٨.

٢- وسائل الشيعة: ج ٤، ص: ٥١، ح ٤٤٩١. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣١٢، ح ١، باب ١٦.

أَنْ قَالَ: وَلَكِنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ نِعَمَ الرَّجُلِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ تَبَعًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَاءِ اللَّهِ، يَرَى الذَّلَّ مَعَ الْحَقِّ أَقْرَبَ إِلَى عِزِّ الْأَبَدِ مِنَ الْعِزِّ فِي الْبَاطِلِ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَذَلِكُمْ الرَّجُلُ نِعَمَ الرَّجُلِ فِيهِ فَتَمَسَّكُوا وَبَسُتَتْهُ فَاقْتَدُوا وَإِلَى رَبِّكُمْ بِهِ فَتَوَسَّلُوا، فَإِنَّهُ لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ وَلَا تُحْيَبُ لَهُ طَلِبَةٌ»^(١).

وعلق صاحب الجواهر على هذا الحديث بما نصه:

«إلا أنه مع كونه غير معلوم السند، ومرويًا في غير الكتب الأربعة، ومحملاً للتعريض به إلى أناس خاصين كالأول والثاني وأصحابهما، وقاصراً عن معارضة غيره من الأخبار المكتفية بحسن الظاهر حتى على مذهب الخصم». قال في الوسائل: «إنه بيان لأعلى مراتب العدالة، لا لأدناها، بل قال: إنه مخصوص بمن يؤخذ عنه العلم ويقتدى به في الأحكام الدينية، كما هو ظاهر، لا بإمام الجماعة والشاهد، وهو جيد جداً»^(٢).

باب الصوم

الأول - أقسام الصوم:

أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أقسام الصوم، إذ ينقسم إلى أربعة: واجب، ومندوب، ومحرم، ومكروه، وإليك التفصيل:

١ - الصوم الواجب:

يجب صوم شهر رمضان وقضاؤه لمن فاتته صومه، وصوم الكفارة ككفارة من أفطر متعمداً في شهر رمضان، وكفارة الظهار، وصوم ما يجب بالنذر أو العهد أو اليمين، وصوم الثالث من أيام الاعتكاف، وصوم بدل الهدي لمن لم يجده في الحج وغيرها من أصناف الصوم الواجب، لجملة من النصوص، ومنها ما رواه الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: «أَمَّا الْوَاجِبَةُ»^(٣) فَصِيَامُ

١ - وسائل الشيعة، ج ٨، ص: ٣١٧، ح ١٠٧٧٧.

٢ - جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ١٣، ص ٣٠١.

٣ - في الوافي وتفسير القمي والخصال: «الواجب».

شَهْرِ رَمَضَانَ، وَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فِي كَفَّارَةِ الظُّهَارِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾^(١)، وَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فِيمَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ^(٢)، وَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فِي قَتْلِ الْخَطَا^(٣) لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْعَتَقَ وَاجِبٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٤)؛ وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ وَاجِبٌ^(٥)؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٦): ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾^(٧) هَذَا لِمَنْ لَا يَجِدُ الْإِطْعَامَ^(٨)، كُلُّ ذَلِكَ مُتَتَابِعٌ وَلَيْسَ بِمُتَفَرِّقٍ؛ وَصِيَامُ أَذَى حَلَقِ الرَّأْسِ وَاجِبٌ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾^(٩) فَصَاحِبُهَا فِيهَا بِالْخِيَارِ، فَإِنْ صَامَ^(١٠)، صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ وَصَوْمُ الْمُتَعَةِ وَاجِبٌ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهُدْيَ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ فَلَمَّا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهُدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ

١- المجادلة: ٣ - ٤ ..

٢- في الوافي وتفسير القمّي والخصال: + / «متعمداً».

٣- في مرآة العقول: «قوله ﷺ: في قتل الخطأ، إنما خصّ به؛ لأنّه المذكور صريحاً في الآية للاحتجاج عليه بها. ويحتمل أن يكون ذكره على المثال».

٤- النساء: ٩٢.

٥- في الوافي والفقهاء وتفسير القمّي: + / «لم يجد الإطعام».

٦- في الوافي والفقهاء وتفسير القمّي والخصال: + / «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ».

٧- المائدة: ٨٩.

٨- في الوافي والفقهاء وتفسير القمّي والخصال: - / «هذا لمن لا يجد الإطعام». وفي مرآة العقول: «قوله ﷺ: لمن لا يجد الإطعام، أي لم يجده، أو لم يجد أخويه أيضاً، وهما العتق والكسوة، وإمّا تركها ﷺ للظهور».

٩- البقرة: ١٩٦.

١٠- في التهذيب وتفسير القمّي: «شاء».

كاملَةٌ»^(١)»^(٢). فيجب الصوم بدل الهدي لمن لم يجده، وهو عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع كما تدل عليه الآية الشريفة.

٢- الصوم المحرم:

يحرم صوم العيدين: الفطر والأضحى، وصوم أيام التشريق لمن كان بمنى، وصوم الوصال، وصوم الصمت، وصوم وفاء نذر المعصية، ويدل عليه روايات عديدة، ومنها ما رواه الزُّهْرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: «وَأَمَّا الصَّوْمُ الْحَرَامُ فَصَوْمُ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. إِلَى أَنْ قَالَ: وَصَوْمُ الْوَصَالِ^(٣) حَرَامٌ، وَصَوْمُ الصَّوْمِ حَرَامٌ، وَصَوْمُ نَذْرِ الْمُعْصِيَةِ حَرَامٌ، وَصَوْمُ الدَّهْرِ^(٤) حَرَامٌ»^(٥).

٣- الصوم المندوب:

يستحب صوم كل أيام السنة في الجملة ما عدا الأيام التي يحرم أو يكره صيامها، ولكن يتأكد الاستحباب في بعض الأيام كصوم أيام البيض من كل شهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر؛ وصوم شهر رجب وشعبان كلياً أو بعضاً، وصوم عرفة، لعدة روايات منها ما رواه الزُّهْرِيُّ عَنْ

١- البقرة: ١٩٦.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٨٤، ح ١.

٣- في مرآة العقول: «قوله عليه السلام: وصوم الوصال، ذهب الشيخ في النهاية وأكثر الأصحاب إلى أن صوم الوصال هو أن ينوي صوم يوم وليلة إلى السحر، وذهب الشيخ في الاقتصاد وابن إدريس إلى أن معناه أن يصوم يومين مع ليلة بينهما، وإنما يحرم تأخير العشاء إلى السحر إذا نوى كونه جزءاً من الصوم، أمّا لو أخره الصائم بغير نية فإنه لا يحرم فيما قطع به الأصحاب، والاحتياط يقتضي اجتناب ذلك». وللمزيد راجع: النهاية: ص ١٧٠؛ الاقتصاد: ص ٢٩٣؛ السرائر: ج ١، ص ٤٢٠؛ المختصر النافع: ص ٧١؛ كشف الغطاء: ج ٢، ص ٣٢٤؛ جواهر الكلام: ج ١٧، ص ١٢٩.

٤- في مرآة العقول: «قوله عليه السلام: وصوم الدهر، حرمة صوم الدهر إمّا لاشتتاله على الأيام المحرّمة إن كان المراد كلّ السنة، وإن كان المراد ما سوى الأيام المحرّمة فلعله إمّا يحرم إذا صام على اعتقاد أنّه سنة مؤكّدة؛ فإنّه يتضمّن الافتراء على الله تعالى. ويمكن حمله على الكراهة، أو التقية لاشتتار الخبر بهذا المضمون بين العامة».

٥- الكافي: ج ٤، ص ٨٥، ح ١.

عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: «وَأَمَّا الصَّوْمُ الَّذِي صَاحِبُهُ فِيهِ بِالْخِيَارِ فَصَوْمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالْخَمِيسِ^(١)، وَصَوْمُ أَيَّامِ الْبَيْضِ، وَصَوْمُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَصَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ^(٢)».

٤- الصوم المكروه:

يكره الصوم (والكراهة هنا بمعنى قلة الثواب أو الحزازة) في مواضع، ومنها: صوم عاشوراء، وصوم الضيف ندباً من دون إذن مضيفه، لعدة روايات منها ما رواه الزُّهْرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: «وَأَمَّا صَوْمُ الْإِذْنِ: وَالضَّيْفُ لَا يَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهِ^(٣)؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَنْ نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ، فَلَا يَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ^(٤)».

ويؤيده ما في صحيح الفضل بن يسار عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَجُلٌ بَلَدَةً فَهُوَ ضَيْفٌ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِ دِينِهِ حَتَّى يَرْحَلَ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ أَنْ يَصُومَ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ لِئَلَّا يَعْمَلُوا لَهُ الشَّيْءَ فَيُفْسِدَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصُومُوا إِلَّا بِإِذْنِ الضَّيْفِ لِئَلَّا يَخْتَشِمَهُمْ فَيَشْتَهِيَ الطَّعَامَ فَيُتْرَكَهُ لِمَكَانِهِمْ^(٥)».

الثاني - أحكام الصوم:

١- يوم الشك:

لا يصح صوم يوم الشك بنية أنه من رمضان، ولكن يصح صومه بنية الندب أو القضاء وما أشبهه، ولو اتضح بعد ذلك أنه من رمضان يجزيه ذلك ولا يجب عليه القضاء، ويدل عليه روايات عديدة ومنها ما رواه الزُّهْرِيُّ

١- في الوافي والفتاوى وتفسير القمي والخصال وفقه الرضا: + / «والاثنين».

٢- الكافي: ج ٤، ص ٨٦، ح ١.

٣- في فقه الرضا: «صاحب البيت».

٤- الكافي: ج ٤، ص ٨٦، ح ١.

٥- علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٦٨، ح ٢، باب ١١٥.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: «وَصَوْمُ يَوْمِ الشَّكِّ أَمْرُنَا بِهِ وَنَهَيْنَا عَنْهُ، أَمْرُنَا بِهِ أَنْ نَصُومَهُ مَعَ صِيَامِ شَعْبَانَ، وَنَهَيْنَا عَنْهُ أَنْ يَنْفَرِدَ الرَّجُلُ بِصِيَامِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ النَّاسُ».

فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَامَ مِنْ شَعْبَانَ شَيْئًا كَيْفَ يَصْنَعُ؟
قَالَ: «يَنْوِي لَيْلَةَ الشَّكِّ أَنَّهُ صَائِمٌ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَجْزَأَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَضُرَّهُ».

فَقُلْتُ: وَكَيْفَ يُجْزِي صَوْمُ تَطَوُّعٍ عَنْ فَرِيضَةٍ؟
فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ تَطَوُّعًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ عَلِمَ بِذَلِكَ لِأَجْزَأَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْفَرَضَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْيَوْمِ بَعِينِهِ»^(١).
وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي صَحِيحِ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي صُمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَكَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، أَفَأَقْضِيهِ؟
قَالَ: «لَا، هُوَ يَوْمٌ وَقُتَتْ لَهُ»^(٢).

ويدل على عدم صحة صوم يوم الشك بنية أنه من رمضان ما ورد عن الإمام الباقر ابن الإمام زين العابدين، ففي صحيح مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: فِي الرَّجُلِ يَصُومُ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ مِنْ رَمَضَانَ؟
فَقَالَ: «عَلَيْهِ فَضَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ»^(٣).

٢- تناول المفطر سهواً لا يبطل الصوم:

إذا تناول الصائم مفطراً من المفطرات سهواً فلا يبطل صومه؛ لجملة من النصوص منها ما عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: «وَأَمَّا صَوْمُ الْإِبَاحَةِ لِمَنْ أَكَلَ وَشَرَبَ نَاسِيًا أَوْ قَاءَ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ فَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَأَجْزَأَ عَنْهُ صَوْمُهُ»^(٤).

١- وسائل الشيعة: ج ١٠، ص: ٢٢، ح ١٢٧٣٧.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٠، ص: ٢٠، ح ١٢٧٣١.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٠، ص: ٢٥، ح ١٢٧٤٣.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٠، ص: ٥٢، ح ١٢٨٠٨.

ويؤيده ما في صحيح محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَنْ صَامَ فَنَسِيَ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلَا يُفْطِرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ نَسِيَ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَيْتَمَّ صِيَامُهُ»^(١).

باب الخمس

١ - قسمة الخمس:

يقسم الخمس إلى قسمين: نصف للإمام عليه السلام ويسمى سهم الإمام، ونصف للأيتام والفقراء وابن السبيل من الهاشميين ويسمى نصف السادة. ويدل على أن المراد بذي القربى في آية الخمس هو الإمام المعصوم جملة من الروايات منها ما قاله علي بن الحسين عليه السلام لشيخ من الشام: «هَلْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟». قال: نَعَمْ.

قال: «وَجَدْتُ لَنَا فِيهِ حَقًّا خَاصَّةً دُونَ الْمُسْلِمِينَ؟».

قال: لَا.

قال: «مَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟».

قال: بَلَى، قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ.

قال: «فَمَا قَرَأْتَ الْأَنْفَالَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٢) أَتَدْرُونَ مَنْ هُمْ؟». قال: لَا.

قال: «فَإِنَّا نَحْنُ هُمْ»^(٣).

ويؤيده ما في رسالة عبدالله بن بكير عن بعض أصحابه عن أحدهما (عليهما السلام) قال: «خُمُسُ اللَّهِ لِلْإِمَامِ وَخُمُسُ الرَّسُولِ لِلْإِمَامِ وَخُمُسُ ذَوِي الْقُرْبَى لِقَرَابَةِ الرَّسُولِ لِلْإِمَامِ»^(٤).

١- وسائل الشيعة: ج ١٠، ص: ٥٢، ح ١٢٨١٠.

٢- الأنفال: ٤١.

٣- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٧، ص: ٢٨٩، ح ٨٢٤٥.

٤- وسائل الشيعة: ج ٩، ص: ٥١٠، ح ١٢٦٠١.

وفي صحيح ابن أبي نصرٍ عن الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، فَقِيلَ لَهُ: فَمَا كَانَ لِلَّهِ فَلِمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: «لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَهُوَ لِلْإِمَامِ»^(٢).

باب الحج

١ - فضل الحج:

للحج فضل عظيم وثواب جزيل، لجملة من الروايات منها ما روي عن أبي حمزة الثمالي، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: تَرَكْتَ الْجِهَادَ وَخُشُوتَهُ، وَلَزِمْتَ الْحَجَّ وَلِينَهُ؟ قَالَ: وَكَانَ مُتَكِيًّا، فَجَلَسَ، وَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: إِنَّهُ لَمَّا وَقَفَ بِعَرَفَةَ، وَهَمَّتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): يَا بَلَالُ، قُلْ لِلنَّاسِ: فَلْيُنْصِتُوا»^(٣)، فَلَمَّا أَنْصَتُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): إِنَّ رَبَّكُمْ تَطَوَّلَ^(٤) عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَغَفَرَ لِحَسَنِكُمْ، وَشَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ»^(٥)، فَأَفِضُوا مَغْفُورًا لَكُمْ.

١ - الأنفال: ٤١.

٢ - وسائل الشيعة: ج ٩، ص: ٥١٢، ح ١٢٦٠٥.

٣ - الإنصات: السكوت لاستماع شيء؛ يقال: أنصت، أي سكت سكوت مستمع. راجع: ترتيب كتاب العين، ج ٣، ص ١٧٩٦؛ النهاية، ج ٥، ص ٦٢ (نصت).

٤ - «تَطَوَّلَ» أي امتنَّ، أو تَفَضَّلَ، أي أناله من فضله؛ من الطَّوَّل، وهو المنَّ والفضل والإعطاء والإنعام. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٥٥؛ المصباح المنير، ص ٣٨١ (طول).

٥ - «شَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ» أي قبل شفاعتهم فيهم. والمُشَفَّعُ: الذي يقبل الشفاعة. والمُشَفَّعُ: الذي تُقْبَلُ شفاعته. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٤٨٥؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ٩٨٥ (شفع).

قَالَ: وَزَادَ غَيْرُ الثَّمَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «إِلَّا أَهْلَ التَّبَعَاتِ»^(١)؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَذْلٌ يَأْخُذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ جَمْعٍ^(٢)، لَمْ يَزَلْ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَيَسْأَلُهُ لِأَهْلِ التَّبَعَاتِ، فَلَمَّا وَقَفَ بِجَمْعٍ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: قُلْ لِلنَّاسِ، فَلْيُنْصِتُوا، فَلَمَّا أَنْصَتُوا، قَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَغَفَرَ لِحَسَنِكُمْ، وَشَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ، فَأَفِضُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، وَضَمِّنَ لِأَهْلِ التَّبَعَاتِ مِنْ عِنْدِهِ الرِّضَا»^(٣).

٢- استحباب تكرار الحج:

يستحب تكرار الحج والعمرة والإدمان عليهما مع توافر القدرة والإمكانية، لجملة من النصوص منها ما ورد عَنْ خَالِدِ الْقَلَانِسِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حُجُّوا وَاعْتَمِرُوا تَصِحَّ أَبْدَانُكُمْ، وَتَتَسَّعَ أَرْزَاقُكُمْ، وَتُكْفَوْنَ مَثُونَاتِ عِيَالِكُمْ»^(٤)، وَقَالَ: «الْحَاجُّ مَغْفُورٌ لَهُ، وَمَوْجُوبٌ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمُسْتَأْنَفٌ لَهُ الْعَمَلُ، وَمَحْفُوظٌ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٥).

ويؤيده ما في صحيح أبي مُحَمَّدٍ الْفَرَّاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- «التَّبَعَاتِ»: جمع التَّبَعَةِ، وهو ما يتبع المالَ من نوائب الحقوق، وهو من تَبَعَتْ الرجل بحَقِّي؛ أو هو الشيء الذي لك فيه بغيّة شبه ظُلُمَةٍ ونحوها. قال العلامة الفيض: «التَّبَعَاتِ: حقوق الناس؛ فإنّها تتبع الظالم». راجع: النهاية، ج ١، ص ١٧٩؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ٩٤٩ (تبع).

٢- «جَمْعٌ»: علم للمزدلفة؛ سُمِّيَتْ به لاجتماع الناس فيها، أو لأنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَهْبَطَا اجتمعَا بها. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ١١٩٨؛ النهاية، ج ١، ص ٢٩٦ (جمع).

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٨، ح ٢٤. ثواب الأعمال: ص ٧١، ح ٧، بسنده عن ابن أبي عمير. الوافي: ج ١٢، ص ٢٢٦، ح ١١٧٨٨؛ الوسائل: ج ١١، ص ٩٥، ح ١٤٣٣٠.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٢، ح ١. ثواب الأعمال: ص ٧٠، ح ٣، الدعوات: ص ٧٦، ح ١٨١، مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٥١٨، ح ١٨٠٥. بحار الأنوار: ج ٦٢، ص ٢٦٧، ح ٤٧.

٥- وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٩، ح ١٤١١٣.

يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ^(١)؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ^(٢) خَبَثَ الْحَدِيدِ^(٣)».

٣- علة أن الطواف سبعة أشواط:

يشترط في صحة الطواف حول الكعبة المشرفة إكمال سبعة أشواط متوالية، والعلة في ذلك ما رواه الصدوق بسنده عن أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: لِمَ صَارَ الطَّوْفُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ؟ قَالَ: «لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) فَرَدُّوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٥) قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وَكَانَ لَا يَحْجُبُهُمْ عَنْ نُورِهِ فَحَجَبَهُمْ عَنْ نُورِهِ سَبْعَةَ آلَافِ عَامٍ، فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، فَرَحَّهُمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ لَهُمُ الْبَيْتَ الْمُعْمُورَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَجَعَلَهُ مَثَابَةً، وَوَضَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ تَحْتَ الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ، فَجَعَلَهُ ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٧) فَصَارَ الطَّوْفُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، وَاجِبًا عَلَى الْعِبَادِ، لِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ شَوْطًا وَاحِدًا^(٨).

١- في المرأة: «قوله عليه السلام: تابعوا بين الحج والعمرة، أي افعلوا الحج بعد العمرة، والعمرة بعد الحج، أو اتسوا بهما مكرراً».

٢- «الكير»- بالكسر-: كير الحداد، وهو زق - وهو وعاء- أو جلد غليظ ذو جافات ينفخ به الحداد النار. وأما المبنى من الطين فهو الكور بالواو. وأما ابن الأثير فإنه أطلق الكير على المبنى من الطين. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٨١١؛ النهاية، ج ٤، ص ٢١٧ (كير).

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١٢. التهذيب: ج ٥، ص ٢٢، ح ٦٥؛ والنوادر للأشعري: ص ١٣٩، ح ٣٥٩ الوافي: ج ١٢، ص ٢٢٠، ح ١١٧٦٧؛ الوسائل: ج ١١، ص ١٢٣، ح ١٤٤١٣.

٤- البقرة: ٣٠.

٥- البقرة: ٣٠.

٦- البقرة: ٣٠.

٧- البقرة: ١٢٥.

٨- علل الشرائع: ج ٢، ص: ٣٨٩، ح ١، باب ١٤٣.

٤ - استحباب الاجتهاد يوم عرفة في الدعاء:

يستحب في يوم عرفة الاجتهاد في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، لأنه من أفضل ميطان إجابة الدعاء، لجملة من الروايات، منها ما في الخبر المتقدم عن أبي حمزة الثمالي، قال: قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: تَرَكْتَ الْجِهَادَ وَخُشُونَتَهُ، وَلَزِمْتَ الْحُجَّ وَلِينَهُ؟

قَالَ: وَكَانَ مُتَكِبًّا، فَجَلَسَ، وَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: إِنَّهُ لَمَّا وَقَفَ بِعَرَفَةَ، وَهَمَّتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

يَا بَلَاءُ، قُلْ لِلنَّاسِ: فَلْيُنِصِّتُوا^(١)، فَلَمَّا أَنْصَتُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ رَبَّكُمْ تَطَوَّلَ^(٢) عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَغَفَرَ لِحُسْنِكُمْ، وَشَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ^(٣)، فَأَفِضُوا مَغْفُورًا لَكُمْ^(٤).

٥ - تقسيم الهدى أثلاثاً:

يجب بعد رمي جمرة العقبة في حج التمتع في اليوم العاشر ذبح واحد من الغنم أو البقر أو نحر واحد من الإبل في منى. والمشهور بين الفقهاء أنه يجب تقسيم الأضحية أثلاثاً: ثلثاً لنفسه، وثلثاً للفقراء، وثلثاً للمؤمنين هدية؛ وذهب جمع من الفقهاء إلى استحباب ذلك، والعلة من التقسيم إطعام المساكين والفقراء والجيران وغيرهم، وإدخال السرور في قلوبهم، لما رواه الصدوق بإسناده عن أبي جميلة عن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ لَحْمِ الْأَضَاحِيِّ؟

١ - الإنصات: السكوت لاستماع شيء؛ يقال: أنصت، أي سكت سكوت مستمع. راجع: ترتيب كتاب العين، ج ٣، ص ١٧٩٦؛ النهاية، ج ٥، ص ٦٢ (نصت).

٢ - «تطوّل» أي امتنّ، أو تفضّل، أي أناله من فضله؛ من الطّوّل، وهو المنّ والفضل والإعطاء والإنعام. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٥٥؛ المصباح المنير، ص ٣٨١ (طول).

٣ - «شَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ» أي قبل شفاعتهم فيهم. والمُشَفَّعُ: الذي يقبل الشفاعة. والمُشَفَّعُ: الذي تُقْبَلُ شفاعته. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٤٨٥؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ٩٨٥ (شفع).

٤ - ثواب الأعمال: ص ٧١، ح ٧، بسنده عن ابن أبي عمير. الوافي: ج ١٢، ص ٢٢٦، ح ١١٧٨٨؛ الوسائل: ج ١١، ص ٩٥، ح ١٤٣٣٠.

فَقَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ عليهما السلام يَتَصَدَّقَانِ بِالثُّلْثِ عَلَى جِيرَانِهِمَا، وَبِثُلْثٍ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَبِثُلْثٍ يُمَسِّكَانِهِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ»^(١).

وروى الكليني بسنده^(٢): عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ حُومِ الْأَصَاحِي؟

فَقَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَأَبُو جَعْفَرٍ عليهما السلام يَتَصَدَّقَانِ بِثُلْثٍ عَلَى جِيرَانِهِمْ، وَبِثُلْثٍ عَلَى السُّؤَالِ، وَبِثُلْثٍ يُمَسِّكَانِهِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ»^(٣).

ويؤيدهما في تقسيم الأضحية أثلاثاً ما رواه الشيخ في الموثق، عَنْ شُعَيْبِ الْعَقْرُقُونِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سُقْتُ فِي الْعُمْرَةِ بَدَنَةً فَأَيْنَ أَنْحَرُهَا؟ قَالَ: «بِمَكَّةَ».

قُلْتُ: «أَيَّ شَيْءٍ أُعْطِي مِنْهَا؟».

قَالَ: «كُلُّ ثُلْثًا وَأَهْدِ ثُلْثًا وَتَصَدَّقْ بِثُلْثٍ»^(٤).

وصحيحة سيف التمار قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنْ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٥)

قَدِمَ حَاجًّا فَلَقِيَّ أَبِي، فَقَالَ: إِنِّي سُقْتُ هَدِيًّا فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟

فَقَالَ لَهُ أَبِي: «أَطْعِمِ أَهْلَكَ ثُلْثًا وَأَطْعِمِ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ثُلْثًا وَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ ثُلْثًا»^(٦) وهي وإن كانت واردة في سياق البدنة الذي هو مستحب

في العمرة إلا أنه لا يحتمل الاختصاص بذلك^(٧).

ويستدل أيضاً على تقسيم الهدي أثلاثاً بما ورد في القرآن الكريم بقوله

تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٨) بعد ضمّه إلى قوله تعالى:

١- علل الشرائع: ج ٢، ص: ٤١٨، ح ٣، باب ١٧٨.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٤٩٩، ح ٣.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٤، ص: ١٦٣، ح ١٨٨٧٧.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٤، ص: ١٦٥، ح ١٨٨٨٢.

٥- في المصدر: سعد بن عبد الملك.

٦- وسائل الشيعة: ج ١٤، ص: ١٦٠، ح ١٨٨٦٧.

٧- دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: الشيخ باقر الإيرواني، ج ١، ص ٤٩٢.

٨- الحج: ٢٨.

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾^(١)، فَإِنَّ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ تَشْتَرِكَانِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى وَجوب الأكل، وتدل الأولى على وجوب إطعام البائس الذي هو الفقير غير المتمكن من الخروج والطواف بالأبواب، والثانية على وجوب إطعام القانع (الذي يقنع بما أعطي)، والمعتَر (وهو المارُّ الذي يتوقع إطعامه)، ولأنَّ القانع والمعتَر لم يؤخذ في مفهومهما عنوان الفقر، فيكون المستفاد من مجموع الآيتين لزوم التقسيم إلى ثلاث حصص بالشكل المتقدم.

هذا، وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ القانع والمعتَر قسمان من الفقير، وبذلك يكون المستفاد من الآيتين لزوم التقسيم إلى قسمين لا ثلاثة: قسم للحاج نفسه وقسم للفقراء. ثمَّ إنَّ وجوب الأكل على تقدير القول به يختص بالمتمكن كما هو واضح؛ إلا أنَّ أصل وجوبه محل تأمُّل لقرب احتمال أن يكون الأمر به واردًا مورد توهم الحظر؛ ومن ثمَّ يكون المقصود منه نفي التحريم^(٢).

والقول بعدم الوجوب في تقسيم الأضحية أثلاثًا هو ما ذهب إليه جمع من الفقهاء، ومنهم السيد السبزواري الذي قال: «فمقتضى أصالة البراءة عدم وجوب شيء عليه لا الأكل ولا الإهداء ولا الصدقة، بل يفعل بهديه كل ما شاء وأراد، لقاعدة السلطنة، وأصالة بقاء ملكه عليه».

ويرد السيد السبزواري على من قال بالوجوب بقوله: «فالأصل في المقام قول الله جل جلاله: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾^(٤)، وربما يقال: بظهورهما في الوجوب. وفيه:

أولاً: ما أدعي من ورودهما مورد توهم الحظر، فلا يستفاد منها الوجوب حيث أن أهل الجاهلية كانوا يتنزهون عن الأكل، لأنها صدقة فيكون مفادهما

١- الحج: ٣٦.

٢- دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: الشيخ باقر الإيرواني، ج ١، ص ٤٩٢.

٣- الحج: ٢٨.

٤- الحج: ٣٦.

حينئذٍ لا بأس بالأكل منها ولا وجه للتنزه عن الأكل؛ لأنها هدية إلى الله تعالى لا أن تكون صدقة.

وثانيًا: أنهما لبيان كيفية التقسيم وليس في مقام إيجاب حكم، ويشهد له الاختلاف في التعبير في قوله تعالى: ﴿وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(١) تارة و﴿الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾^(٢) أخرى، فإنه يناسب مطلق الرجحان لا الإيجاب. وثالثًا: إنها إرشاد إلى ما هو السيرة المألوفة في الضحايا من إمساك بعضها والإهداء ببعض، والصدقة بالبعض الآخر.

ورابعًا: إن سياق الآيتين سياق الترغيب إلى الآداب والخيرات كما لا يخفى على من راجع تمامهما، وكذا الأخبار الواردة في تفسيرهما، فاستفادة الوجوب منهما في المقام مشكلة جدًا، ويشهد له أيضًا أنه لو كان ذلك واجبًا لصار معروفًا عند الناس، ولما احتاج الرواة إلى السؤال عن الصادق عليه السلام كما يأتي في الأخبار. فتلخص من جميع ما مر أن المرجع هو الأصل بعد عدم استفادة وجوب الأكل من هذه الأدلة.

وأما كلمات الفقهاء فلا إجماع في البين (لا منقولاً، ولا محصلاً) على وجوبه. نعم اختاره جمع منهم المحقق في الشرائع، ومستندهم ما تقدم من الأدلة مع المناقشة فيها فلا معدل عن أصالة عدم الوجوب مع ملاحظة الكلمات أيضًا. نعم لا ريب في الاستحباب لعدم قصور الأدلة المزبورة عن إثباته بعد البناء على المسامحة فيه^(٣).

قال صاحب الجواهر: «وعلى كل حال، فلا ريب في استحباب التلث المزبور في هدي التمتع، فإن النصوص وإن لم تنص عليه بخصوصه إلا أنه مع إمكان شمول خبر الأضاحي له قد يقال بأن المراد منها بيان الكيفية التي

١- الحج: ٢٨.

٢- الحج: ٣٦.

٣- مهذب الأحكام: السيد السبزواري، ج ١٤، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

لا تفاوت فيها بين الواجب والندب، كما أنه لا ريب في عدم اعتبار الفقر في ثلث الإهداء، بل -إن لم يكن الإجماع- لا يعتبر فيه الإيمان، خصوصاً مع الندرة في تلك الأمكنة والأزمنة»^(١).

٦- استحباب تولي الناسك الذبح بيده:

يستحب أن يتولى الناسك ذبح أضحيته بيده، وإن لم يحسن الذبابة جعل يده مع يد الذابح، لما في صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَجْعَلُ السَّكِّينَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ ثُمَّ يَقْبِضُ الرَّجُلُ عَلَى يَدِ الصَّبِيِّ فَيَذْبَحُ»^(٢).

٧- توقير الحاج:

ينبغي توقير القادم من الحاج والاحتفاء به، لأن ذلك موجباً لمشاركته الأجر والثواب، لما في الخبر عن علي بن عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ لَمْ يَحْجَّ، اسْتَبْشِرُوا بِالْحَاجِّ، وَصَافِحُوهُمْ، وَعَظِّمُوهُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ، تُشَارِكُوهُمْ فِي الْأَجْرِ»^(٣).

وما في رواية سليمان الجعفري، عمن رواه: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ: بَادِرُوا بِالسَّلَامِ عَلَى الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ، وَمُصَافَحَتِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَالِطَهُمُ الدُّنُوبُ»^(٤).

١- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ١٩، ص ١٦٠.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ١٥١، ح ١٨٨٤٧.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٤، ح ٤٨. المحاسن: ص ٧١، كتاب ثواب الأعمال: ح ١٤٢، عن عمرو بن عثمان. الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢٢٦٤، مراسلاً عن علي بن الحسين عليهما السلام. الوافي: ج ١٤، ص ١٢٩٩، ح ١٤٣٠٢؛ الوسائل: ج ١١، ص ٤٤٥، ح ١٥٢١٩.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٦، ح ١٧. الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢٢٦٥، مراسلاً من دون التصريح باسم المعصوم عليه السلام. الوافي: ج ١٤، ص ١٢٩٩، ح ١٤٣٠٣؛ الوسائل: ج ١١، ص ٤٤٥، ح ١٥٢١٨.

باب النكاح

أولاً - ما يستحب عند إرادة التزويج:

١ - استحباب الخطبة أمام العقد:

تستحب الخطبة أمام العقد بما يشتمل على الحمد والشهادتين والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة عليهم السلام والوصية بالتقوى والدعاء للزوجين^(١).
 جملة من النصوص منها ما رواه الكليني بسنده عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام: «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ يَتَزَوَّجُ وَهُوَ يَتَعَرَّقُ عَرَقًا يَأْكُلُ مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - وَقَدْ زَوَّجْنَاكَ عَلَى شَرْطِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِذَا حَمَدَ اللَّهُ فَقَدْ خُطِبَ»^(٢).
 ثانيًا - ما يستحب في النفقة:

١ - استحباب التوسعة على العيال:

تستحب التوسعة على العيال، وقد وردت بها روايات كثيرة منها ما رواه الكليني بإسناده: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: «أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ^(٣) عَلَى عِيَالِهِ»^(٤).

٢ - استحباب الاقتصاد في النفقة:

ورد الحث والترغيب في الاقتصاد في الإنفاق والاعتدال فيه، بمعنى مراعاة التوسعة على العيال من دون إسراف ولا تقتير، ومن جملة تلك الروايات ما رواه الكليني بإسناده عن يونس عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثَلَاثُ مُنْجِيَاتٍ: فَذَكَرَ الثَّلَاثَ الْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرُ»^(٥).

١ - العروة الوثقى: ج ٥، ص ٤٨٥.

٢ - الكافي: ج ٥، ص ٣٦٨، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص: ٩٦، ح ٢٥١٢٧.

٣ - في نسخة: أوسعكم (هامش المخطوط).

٤ - وسائل الشيعة: ج ٢١، ص: ٥٤٠، ح ٢٧٨٠٦.

٥ - وسائل الشيعة: ج ٢١، ص: ٥٥٢، ح ٢٧٨٤٥.

ويعضده ما في المعبرة عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١)، قَالَ: «الْقَوَامُ هُوَ الْمَعْرُوفُ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ عَلَى قَدْرِ عِيَالِهِ وَمَوْئِتِهِ الَّتِي هِيَ صَلَاحٌ لَهُ وَهُمْ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا»^(٢).

ثالثاً- ما يستحب ويكره في تسمية الأولاد:

١- استحباب التسمية باسم علي:

يستحب تسمية الأولاد بالأسماء المستحسنة، ومنها التسمية باسم «علي»، لعدة روايات منها ما في صحيح عبدالرحمن بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُرْزَمِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَفْرِضَ^(٣) لِشَبَابٍ قُرَيْشٍ، فَفَرَضَ لَهُمْ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟

فَقُلْتُ: «عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ».

فَقَالَ: مَا اسْمُ أَخِيكَ؟

فَقُلْتُ: «عَلِيٌّ».

قَالَ: عَلِيُّ وَعَلِيٌّ؟ مَا يُرِيدُ أَبُوكَ أَنْ يَدَعَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ إِلَّا سَمَّاهُ عَلِيًّا؟ ثُمَّ فَرَضَ لِي، فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي، فَأَخْبَرْتُهُ.

فَقَالَ: «وَيْلِي عَلَى ابْنِ الزَّرْقَاءِ دَبَّاعَةِ الْأَدَمِ»^(٤)، لَوْ وُلِدَ لِي مِئَةٌ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أُسَمِّيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا عَلِيًّا»^(٥).

١- الفرقان ٢٥-٦٧.

٢- وسائل الشيعة: ج ٢١، ص: ٥٥٦، ح ٢٧٨٦٠.

٣- الفرض: العطية الموسومة. الصحاح، ج ٣، ص ١٠٩٧ (فرض).

٤- «الأدم»: جمع الأديم، وهو الجلد ما كان. وقيل: الأحمر. وقيل: هو المدبوغ. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٩ (أدم).

٥- الكافي: ج ٦، ص ١٩، ح ٧. الوافي: ج ٢٣، ص ١٣٢٣، ح ٢٣٣٢٠؛ الوسائل: ج ٢١، ص ٣٩٥، ح ٢٧٣٩٤؛ البحار: ج ٤٤، ص ٢١١، ح ٨.

وذكر ابن شهر آشوب: عن يحيى بن الحسن: قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: «واعجباً لأبيك، سمى علياً وعلياً! فقال عليه السلام: «إنَّ أبي أحبُّ أباه، فسَمَّى بِاسْمِهِ مِرَاراً»^(١).

ويعضده ما في صحيح سليمان الجعفري، قال: سمعتُ أبا الحسن (الرضا) عليه السلام يقول: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمُ محمدٍ، أو أحمد، أو علي^(٢)، أو الحسن، أو الحسين^(٣)، أو جعفر، أو طالب، أو عبد الله، أو فاطمة من النساء»^(٤).

وإذا كان في التسمية بأسماء النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام الخيرات والبركات، فإن في الاستهزاء بها النقرة والعذاب، فقد قال صاحب مستدرک سفينة البحار: «ذكر في الإحقاق من طريق العامة قصة رجل هزل وهزأ باسم علي، فانكسر عنقه ومات من ساعته ودفنوه في مقبرة. فأمر الحاكم بعد ثلاثة أيام حين علم بذلك أن يخرج من القبر، ويلقى في المزبلة، فأخرج وألقوه في المزبلة»^(٥).

٢- كراهة بعض الكنى:

يستحب تكنية المولود ذكراً كان أو أنثى بالكنى الحسنة، ويكره التكنية ببعض الكنى، كأبي عيسى، وأبي الحكم، وأبي مالك، وأبي القاسم لمن كان اسمه محمداً، وأبي مرة، لجملة من الروايات، ويدل على كراهة الكنية الأخيرة ما في موثق زرارة، قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ رجلاً كان يغشى^(٦) عليَّ بن الحسين عليه السلام، وكان يكنى أبا مرة^(٧)، فكان إذا استأذن عليه يقول: أبو مرة

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٧٣، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٢٩.

٢- في «بح» والتهذيب: «وأحمد وعلي».

٣- في التهذيب: «والحسن والحسين».

٤- الكافي: ج ٦، ص ١٩، ح ٩. التهذيب: ج ٧، ص ٤٣٨، ح ١٧٤٨. الوافي: ج ٢٣، ص ١٣٢٣، ح ٢٣٣٢١؛ الوسائل: ج ٢١، ص ٣٩٦، ح ٢٧٣٩٥.

٥- مستدرک سفينة البحار: الشيخ علي النازي الشاهرودي، ج ١٠، ص ٤٤٨.

٦- قال الجوهرى: «غشى الرجل غشياناً، أي جاءه». الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٤٧ (غشي).

٧- قال الفيروزآبادي: «أبو مرة: كنية إبليس». القاموس المحيط، ج ١، ص ٦٥٩ (مر).

بِالْبَابِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِاللهِ إِذَا جِئْتَ إِلَى بَابِنَا^(١)، فَلَا تَقُولَنَّ: أَبُو مُرَّة^(٢). ووجه الكراهة لأن (أبا مرة) هو كنية الشيطان، بل أشهرها. ويشهد بكراهة الكنى الأخرى ما ورد في موثق السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نَهَى عَنْ أَرْبَعِ كُنَى: عَنْ أَبِي عَيْسَى، وَعَنْ أَبِي الْحَكَمِ، وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ^(٣)، وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ إِذَا كَانَ الْإِسْمُ مُحَمَّدًا^(٤)»^(٥).

١- في الوسائل: «إِلَى ثَانِيًا».

٢- الكافي: ج ٦، ص ٢١، ح ١٧. الوافي: ج ٢٣، ص ١٣٢٦، ح ٢٣٣٣٠؛ الوسائل: ج ٢١، ص ٣٩٩، ح ٢٧٤٠٥. ٣- في المرأة: «قوله: عن أبي عيسى، قيل: لعل السر في ذلك مراعاة الأصل؛ فإن عيسى لم يكن له أب، والحكم ومالك من أسائه تعالى. فنهى عن هذه الكنى رعاية للأصل، كما أمر بأساء العبودية رعاية لمعنى الاشتقاق. وعلى هذا ينبغي أن يكون مثل عبد النبي مكروهًا كما ذهب إليه بعض العامة. وفيه تأمل».

٤- في المرأة: «قوله: وعن أبي القاسم، فيه دلالة على أمور: الأول: التسمية بمحمد بدون التكنية، ولا خلاف في أفضلية هذه التسمية عندنا وعند أكثر العامة. ونقل محيي السنة البغوي عن بعضهم المنع من هذه التسمية، سواء كنّى بأبي القاسم أو لا، وفي ذلك حديث: تسمون أولادكم بمحمد ثم تلعنوهم. وكتب عمر إلى الكافة: ولا تسموا بمحمد، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمدًا، حتى ذكر له جماعة أن النبي ﷺ ساءهم بذلك فتركهم.

وقال عياض: لا حجة لهم في شيء من ذلك، أمّا الحديث فهو غير معروف، وعلى تسليمه فالنهي عن لعن من اسمه محمد، لا عن التسمية بمحمد، ثم نقل أحاديث كثيرة في الترغيب في التسمية بمحمد كقوله: ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة، الخ.

الثاني: التكنية بأبي القاسم بدون التسمية بمحمد، ولا خلاف فيه عندنا وعند أكثر العامة. ونقل القرطبي عن بعضهم النهي عن هذه التكنية، سواء كان الاسم محمدًا أو لا. واحتجوا بما رواه مسلم عن النبي ﷺ: لا تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنتي. ورد ذلك بأن المقصود الجمع بدليل ما رواه جابر عنه ﷺ: من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنتي، ومن يكنى بكنتي فلا يتسمى باسمي. ثم المانعون من هذه التكنية اختلفوا، فقال مالك وجماعة: النهي مقصور على زمنه ﷺ لئلا يلتبس نداء غيره بندائه... وقال بعضهم: يعم النهي بعد زمنه أيضًا.

الثالث: الجمع بين محمد وأبي القاسم. والمشهور بيننا وبينهم المنع منه، وروي أنه جوز ذلك لمحمد بن الحنفية.

٥- الكافي: ج ٦، ص ٢١، ح ١٥. التهذيب: ج ٧، ص ٤٣٩، ح ١٧٥٢. الخصال: ص ٢٥٠، باب الأربعة، ح ١١٧، بسنده عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليه السلام عن النبي ﷺ. فقه الرضا عليه السلام: ص ٢٣٩، مع اختلاف سير. الوافي: ج ٢٣، ص ١٣٢٦، ح ٢٣٣٢٨؛ الوسائل: ج ٢١، ص ٤٠٠، ح ٢٧٤٠٦؛ البحار: ج ١٦، ص ٤٠١.

باب الأطعمة والأشربة

١- كراهة المبالغة في أكل اللحم الذي على العظم:

تكره المبالغة في أكل اللحم الذي على العظم، لما روي عن أبي حمزة قال: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: «لَا تَنْهَكُوا الْعِظَامَ؛ فَإِنَّ لِلْجَنِّ فِيهَا نَصِيبًا، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَهَبَ مِنَ الْبَيْتِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

٢- استحباب إطعام الجائع وسقي الظمان:

يستحب إطعام الجائع وسقي الظمان، لما رواه الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَقَى مُؤْمِنًا مِنْ ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ»^(٢).

باب الذبابة

١- كون الذابح مسلماً:

يشترط في الذابح أن يكون مسلماً، ولا يشترط فيه الذكورة، بل يصح للمرأة المسلمة الذبح، لما في صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: «كَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام جَارِيَةٌ تَذْبَحُ لَهُ إِذَا أَرَادَ»^(٣).

وعن عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ ذَبِيحَةِ الْجَارِيَةِ هَلْ تَصْلُحُ؟

قَالَ: «إِذَا كَانَتْ لَا تَنْخَعُ وَلَا تَكْسِرُ الرَّقَبَةَ فَلَا بَأْسَ». وَقَالَ: «قَدْ كَانَتْ لِأَهْلِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام جَارِيَةٌ تَذْبَحُ لَهُمْ»^(٤).

١- كراهة الذبح ليلاً:

يكره الذبح ليلاً، لما في رواية أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ

١- وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص: ٤٠٢، ح ٣٠٨٩٢.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٢٠١، ح ٥. إرشاد القلوب: الديلمي: ج ١، ص: ١٤٧.

٣- وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص: ٤٥، ح ٢٩٩٤٨.

٤- وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص: ٤٤، ح ٢٩٩٤٣.

الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَقُولُ لِغُلَامَانِهِ: «لَا تَذْبَحُوا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^(١).

باب المكاسب المحرمة

١- حرمة التكسب بالخمير:

يحرم ولا يصح التكسب بالخمير وسائر المسكرات؛ لأنه رجس من عمل الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٢).

ويحرم الخمر بجميع أقسامه وأنواعه، وقد عدَّ الخمر في بعض الأخبار الواردة عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتَّةً، وفي بعضها خمسة، فروى العِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(٣) عَنْ عَامِرِ بْنِ السَّمُطِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «الْخُمْرُ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: التَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْعَسَلِ وَالذُّرَّةِ»^(٤).

وروى الكليني بإسناده عَنْ الْحَسَنِ الْخَضْرَمِيِّ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «الْخُمْرُ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنَ التَّمْرِ، وَالزَّبِيبِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالْعَسَلِ»^(٥).

ويؤيده ما في صحيح عبدالرحمن بن الحجاج عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْخُمْرُ مِنْ خَمْسَةٍ: الْعَصِيرُ مِنَ الْكَرْمِ»^(٦)، وَالنَّقِيعُ^(٧)

١- وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص: ٤١، ح ٢٩٩٣٦.

٢- المائدة: ٩٠.

٣- تفسير العِيَّاشِيِّ: ج ١، ص ١٠٦، ح ٣١٣.

٤- وسائل الشيعة: ج ٢٥، ص: ٢٨١، ح ٣١٩١٢.

٥- الكافي: ج ٦، ص ٣٩٢، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ٢٥، ص: ٢٧٩، ح ٣١٩٠٨.

٦- «الكرم»: شجرة العنب، واحدها: كَرْمَةٌ. لسان العرب، ج ١٢، ص ٥١٤ (كرم).

٧- «النقيع»: شراب يتخذ من زبيب أو غيره، يُنْقَع - أي يُتْرَك - في الماء من غير طبخ. النهاية، ج ٥، ص ١٠٩ (نقع).

مِنَ الزَّبِيبِ، وَالبِتْعُ^(١) مِنَ الْعَسَلِ، وَالْمِرْزُ^(٢) مِنَ الشَّعِيرِ، وَالنَّبِيدُ مِنَ التَّمْرِ^(٣).
واختلاف تسمية الأنواع لا ينافي الاشتراك في معنى الخمرية، وأنها مسكرة، وكل
مسكر من الشراب إذا خمر فهو خمر، لما رواه عليُّ بنُ إبراهيم في تفسيره^(٤) عَنْ أَبِي الْجَارُودِ
عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾^(٥) الْآيَةُ: «أَمَّا الْخَمْرُ:
فَكُلُّ مُسْكِرٍ مِنَ الشَّرَابِ إِذَا أُخْمِرَ فَهُوَ خَمْرٌ، وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ (فقليله) فَحَرَامٌ»^(٦).

٢- حرمة الغناء:

الغناء فعله واستماعه من المحرمات الأكيدة، لجملة من الروايات، ومنها ما في
مرسل الفقيه قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام: عَنْ شِرَاءِ جَارِيَةٍ لَهَا صَوْتُ؟
فَقَالَ: «مَا عَلَيْكَ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَذَكَرْتَكَ الْجَنَّةَ، يَعْنِي بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالزُّهْدِ
وَالْفَضَائِلِ الَّتِي لَيْسَتْ بِغِنَاءٍ، فَأَمَّا الْغِنَاءُ فَمَحْظُورٌ»^(٧).

٣- حرمة التكسب بآلات اللهو:

يحرم ولا يصح التكسب بآلات اللهو وضعًا وتكليفيًا، كما يحرم الاستماع
إلى آلات اللهو (كالموسيقى اللهوية)، لجملة من الروايات، ومنها ما في رواية
مُوسَى بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: «لَا يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً فِيهَا
بَرَبْطٌ»^(٨) يُقَعِّعُ وَنَايَةً^(٩) تُفَجِّعُ^(١٠).

١- البتع - بسكون التاء -: نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن، وقد تحرَّك التاء كَقَمَعَ وَقَمَعَ. النهاية،
ج ١، ص ٩٤ (بتع).

٢- المِرْزُ - بكسر الميم وسكون الراء -: الشراب المتخذ من الشعير. مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٤ (مرز).

٣- الكافي: ج ٦، ص ٣٩٢، ح ١. التهذيب، ج ٩، ص ١٠١، ح ٤٤٣. فقه الرضا عليه السلام: ص ٢٨٠ الوافي: ج
٢٠، ص ٥٩٣، ح ٢٠٠٧٧. الوسائل: ج ٢٥، ص ٢٧٩، ح ٣١٩٠٧.

٤- تفسير القمّي: ١- ١٨٠.

٥- المائدة: ٩٠.

٦- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٨٠. وسائل الشيعة: ج ٢٥، ص: ٢٨٠، ح ٣١٩١١.

٧- الفقيه: ج ٤، ص ٦٠، ح ٥٠٩٧. وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٢٢، ح ٢٢١٥٠.

٨- البربط - العود، وهو من آلات اللهو. (مجمع البحرين - بربط - ٤ - ٢٣٧).

٩- في نسخة: فاية، والفاية - الضرب والشق (هامش المخطوط)، وفي المصدر: تاية.

١٠- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ٣١٣، ح ٢٢٦٢٩.

٤- حرمة التنجيم:

التنجيم المحرم هو الإخبار بأمور غيبية بناء على معرفة طوابع النجوم وحركاتها، أو الاعتقاد بتأثير الكواكب على الكون والإنسان بالاستقلال أو بالشاركة في التأثير، لأنه ادعاء كاذب، ومخالف للضرورة من الدين، جملة من الأخبار منها ما في رواية أبي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ: «الذُّنُوبُ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعَمَ الْبَغْيُ عَلَى النَّاسِ»، إِلَى أَنْ قَالَ: «وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَوَاءَ السَّحَرُ وَالْكِهَانَةُ وَالْإِيمَانُ بِالنُّجُومِ وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(١).

ويؤيده ما رواه الصدوق بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَنَّهُ نَهَى عَنْ عِدَّةٍ خِصَالٍ مِنْهَا: النَّظَرُ فِي النُّجُومِ»^(٢).

٥- حرمة معاونة الظالم:

يحرم إعانة الظالم في ظلمه، وفي كل محرم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٣).

والروايات في ذلك متواترة، منها ما في صحيح أبي حمزة عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَصُحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ»^(٤). ويعضده ما ورد عن ابنه الإمام الباقر عليه السلام، ففي صحيح أبي بصير قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام: عَنْ أَعْمَالِهِمْ؟

فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَا، وَلَا مَدَّةَ قَلَمٍ، إِنَّ أَحَدَهُمْ^(٥) لَا يُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِهِ مِثْلَهُ أَوْ حَتَّى يُصِيبُوا مِنْ دِينِهِ مِثْلَهُ، الْوَهْمُ مِنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ»^(٦).

١- وسائل الشيعة: ج ١١، ص: ٣٧٢، ح ١٥٠٤٦.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٤٣، ح ٢٢٢٠٣.

٣- هود: ١١٣.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٧٧، ح ٢٢٢٨٩.

٥- في التهذيب: أحدهم (هامش المخطوط).

٦- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٧٩، ح ٢٢٢٩٣.

وأوضح الشيخ مرتضى الأنصاري بالتفصيل حكم معونة الظالمين، فقال: «معونة الظالمين في ظلمهم حرام، بالأدلة الأربعة، وهو من الكبائر. أما معونتهم في غير المحرمات فظاهر كثير من الأخبار حرمتها أيضًا، لكن المشهور عدم الحرمة حيث قيدوا المعونة المحرمة بكونها في الظلم».

وبعد أن استعرض الروايات الواردة في الموضوع بالتفصيل قال: «وقد تبين مما ذكرنا أن المحرم من العمل للظلمة قسماً:

أحدهما: الإعانة لهم على الظلم.

والثاني: ما يعد معهم من أعوانهم والمنسوين إليهم، وأما ما عدا ذلك فلا دليل معتبر على تحريمه»^(١).

وقال السيد السبزواري: «وأما إعانتهم في غير المحرمات فليست محرمة، للأصل، وإطلاق أدلة تلك الأمور واجباً كان أو مندوباً، أو مباحاً، مضافاً إلى دعوى الإجماع على عدم حرمة إعانتهم في غير الحرام، وجريان السيرة على إعانتهم في الواجبات والمباحات والمندوبات»^(٢).

وقيل: إن مقتضى الإطلاقات شمول الحرمة للجميع، لوجود بعض الأخبار الدالة على ذلك، كما في خبر صفوان بن مهران الجمال قال دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام، فقال لي: «يَا صَفْوَانُ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ حَسَنٌ جَمِيلٌ مَا خَلَا شَيْئًا وَاحِدًا».

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَيُّ شَيْءٍ؟

قَالَ: «إِكْرَاؤُكَ جِمَالَكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ» يَعْنِي هَارُونَ.

قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَكْرَيْتُهُ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا لِلصَّيْدِ وَلَا لِلْهَوَى، وَلَكِنِّي أَكْرَيْتُهُ لِهَذَا الطَّرِيقِ يَعْنِي طَرِيقَ مَكَّةَ، وَلَا أَتَوَلَّاهُ بِنَفْسِي وَلَكِنِّي أَبْعَثُ مَعَهُ غُلَامَانِي.

١- انظر كتاب المكاسب: الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسسة النعمان، بيروت لبنان، طبع عام ١٤١٠هـ.

١٩٩٠م، ج ١، ص ١٥٣ ١٥٥.

٢- مهذب الأحكام: السيد السبزواري، ج ١٦، ص ١٦٢.

فَقَالَ لِي: «يَا صَفْوَانُ، أَيْتَعُ كِرَاؤُكَ عَلَيْهِمْ».

قُلْتُ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَتُحِبُّ بَقَاءَهُمْ حَتَّى يُخْرِجَ كِرَاؤُكَ».

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ بَقَاءَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَانَ وَرَدَ النَّارَ».

قَالَ صَفْوَانُ: فَذَهَبْتُ فَبِعْتُ جِمَالِي عَنْ آخِرِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى هَارُونَ

فَدَعَانِي فَقَالَ لِي: يَا صَفْوَانُ، بَلَغَنِي أَنَّكَ بَعْتَ جِمَالَكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: وَلَمْ؟

قُلْتُ: أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ وَإِنَّ الْغُلَّامَانَ لَا يَفُونُ بِالْأَعْمَالِ.

فَقَالَ: هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِهَذَا، أَشَارَ عَلَيْكَ بِهَذَا

مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ.

قُلْتُ: مَا لِي وَلِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ؟

فَقَالَ: دَعِ هَذَا عَنْكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا حُسْنُ صُحْبَتِكَ لَقَتَلْتُكَ^(١).

ويرد على ذلك بوجوه: أولاً: أنها مقيدة بخبر التحف المروي عن الصادق عليه السلام:

«فَالْعَمَلُ لَهُمْ، وَالْكَسْبُ مَعَهُمْ بِجَهَةِ الْوِلَايَةِ لَهُمْ، حَرَامٌ مُحَرَّمٌ»^(٢).

وثانياً: إعراض المشهور عنها أسقطها عن العمل بإطلاقها.

وثالثاً: إنها محمولة على ما إذا استلزم العمل لهم زيادة شوكتهم ومحبتهم

واستيلائهم على الظلم، ومع عدم ذلك كله فلا وجه للحرمة.

وبالجملة، في البين عناوين: الإعانة لهم في ظلمهم، والتعظيم لهم،

ومحبتهم، وما يوجب زيادة شوكتهم، والإعانة لهم في المباحات من غير

أن يوجب ذلك كله.

١- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٨٢، ح ٢٢٣٠٥.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ٨٣، ح ٢٢٠٤٧.

والأول حرام بالأدلة الأربعة.

وكذا الثاني والثالث والرابع إن رجع إلى جهة ظلمهم، وجميع الأدلة راجعة إلى ذلك بعد رد بعضها إلى بعض.

وأما الأخير فمقتضى الأصل الإباحة بعد عدم الدليل على الحرمة. والحاصل حيثية الظلم حيثية تعليلية، تدور الحرمة مدار ثبوتها وجوداً وعدمًا^(١).

باب اليمين

١- الحلف بالله:

لا ينعقد اليمين إلا بأن يكون الحلف بالله عز وجل أو أحد أسمائه الحسنی التي لا يشاركه فيها غيره، لعدة روايات منها ما في صحيح أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْذُقْ، وَمَنْ لَمْ يَصْذُقْ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢). دلت بالمفهوم على عدم وجوب التصديق والرضا بمن لم يحلف بالله وإن حلف بغيره، وكذا حرم الحلف بغير الله، فيكون فاسدًا^(٣).

وقال الشيخ مغنية: «وليس من معنى هذا أن اليمين بغير الله محرمة، بل المراد أنها لا تكون شرعية تترتب عليها الآثار المنصوص عليها في الشريعة إلا إذا كان الحلف بالله.

قال صاحب الجواهر: «السيرة القطعية على جواز الحلف بغير الله مضافاً إلى الأصل، وإلى وجوده في النصوص»^(٤).

١- مهذب الأحكام: السيد السبزواري، ج ١٦، ص ١٦٤.

٢- وسائل الشيعة: ج ٢٣، ص: ٢١١، ح ٢٩٣٩٠.

٣- مستند الشيعة: المحقق النراقي، ج ١٧، ص ٤٦٦.

٤- جواهر الكلام: ج ٣٥، ص ٢٣٢.

نشير إلى بعض الروايات التي نقلت عن الأئمة الأطهار أَنَّهُم كانوا يحلفون بجدِّهم الرسول الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ونسبتهم إِلَيْهِ»^(١).

باب الوصية

١- جواز رجوع الموصي عن الوصية:

يجوز للموصي الرجوع عن الوصية ما دام حيًّا؛ لأن الوصية جائزة وليست بلازمة، ولا يترتب عليها أي أثر حال حياة الموصي، فأثرها إنما يكون فيما بعد الموت؛ للروايات المستفيضة منها ما في رواية يُونُسَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): «لِلرَّجُلِ أَنْ يُغَيِّرَ وَصِيَّتَهُ: فَيُعْتَقَ مَنْ كَانَ أَمَرَ بِمِلْكِهِ، وَيَمْلِكَ مَنْ كَانَ أَمَرَ بِعِتْقِهِ، وَيُعْطِيَ مَنْ كَانَ حَرَمَهُ، وَيُحْرِمَ مَنْ كَانَ أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَمُتْ»^(٢). أي الموصي.

ويعضده ما في صحيح عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يَقُولُ: «لِلْمُوصِي أَنْ يَرْجِعَ فِي وَصِيَّتِهِ إِنْ كَانَ فِي صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ»^(٣). وما في موثق بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قَالَ: «لِصَاحِبِ الْوَصِيَّةِ أَنْ يَرْجِعَ فِيهَا، وَيُحْدِثَ فِي وَصِيَّتِهِ مَا دَامَ حَيًّا»^(٤).

باب الحدود

١- حرمة الزنى:

الزنى من المحرمات الكبيرة؛ لما فيه من الفساد والتحلل الأخلاقي، والقضاء على الأسرة، واختلاط الأنساب، وهو موجب للحد بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ

١- فقه الإمام جعفر الصادق (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): محمد جواد مغنية، ج ٥، ص ٣٦.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٩، ص: ٣٠٣، ح ٢٤٦٥٢.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٩، ص: ٣٠٣، ح ٢٤٦٥٣.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٩، ص: ٣٠٣، ح ٢٤٦٥٤.

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهَذَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(١).

والروايات في تحريمه مستفيضة منها ما في صحيح أبي حمزة قال: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي مُبْتَلَى بِالنِّسَاءِ، فَأَزْنِي يَوْمًا وَأَصُومُ يَوْمًا فَيَكُونُ ذَا كَفَّارَةٍ لِّذَا.

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، فَلَا تَزْنِ وَلَا تَصُمْ».

فَاجْتَذَبَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: «يَا أَبَا زَنْةَ ^(٢) تَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَتَرْجُو أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ» ^(٣).

٢- حد الزنى بالمحارم:

من زنى بذات محرم من النسب كالأم والبنت والأخت وجب قتله بالسيف، محصناً كان أم غير محصن، شيخاً كان أم شاباً، لعدة روايات منها ما رواه الشيخ الصدوق بإسناده: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ عَامِرِ بْنِ السَّمُطِ ^(٤) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: فِي الرَّجُلِ يَقَعُ عَلَى أُخْتِهِ؟ قَالَ: «يُضْرَبُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ بَلَغَتْ مِنْهُ مَا بَلَغَتْ، فَإِنْ عَاشَ خُلِدَ فِي السَّجْنِ حَتَّى يَمُوتَ» ^(٥).

قال صاحب الجواهر: «بلا خلاف أجده فيه كما اعترف به غير واحد، بل الإجماع بقسميه عليه، بل المحكي منهما مستفيض كالنصوص الدالة على ذلك في الجملة» ^(٦).

١- النور: ٢- ٣.

٢- أباً زنة كنية القرد (القاموس المحيط ٤- ٢٣٤).

٣- وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص: ٣٠٧، ح ٢٥٦٨٦.

٤- في المصدر: عمرو بن السمط.

٥- وسائل الشيعة: ج ٢٨، ص: ١١٦، ح ٣٤٣٥٧.

٦- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ٤١، ص ٣٠٩.

ونكتفي بهذا المقدار من المسائل الفقهية التي استنبطها الفقهاء من أحاديثه الفقهية الموثقة في كتب الحديث المعتبرة، وإلا فإن المتتبع للموسوعات الفقهية الاستدلالية سيجد طائفة كبيرة من الأحكام الشرعية التي اعتمد فيها الفقهاء على ما روي عنه وصحَّ عندهم الاعتماد عليها لصحة سندها وسلامة متنها.

أهل الفتيا مَن أخذوا عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)

عرف الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه أفقه أهل زمانه، وكان أعلم أهل عصره بأحكام الإسلام ومسائله بشهادة معاصريه، وكان عدد من كبار الصحابة والتابعين، ومن أكابر الفقهاء وأساطين العلماء يأخذون مسائل الفقه وأحكام الدين من الإمام مباشرة، ومنهم:

١ زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين (عليه السلام).

٢ أبو حمزة الثمالي.

٣ سعيد بن جبير الوالبي.

٤ سعيد بن المسيّب.

٥ أبان بن تغلب.

٦ ابن شهاب الزهري.

٧ عمر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام).

١ - عمرو بن دينار.

١ - الحكم بن عتيبة.

١ - زيد بن أسلم.

١١ يحيى بن سعيد.

١٢ أبو الزناد.

١٣ علي بن جدعان.

١٤ مسلم البطين.

١٥ حبيب بن أبي ثابت.

١٦ عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان.

١٧ القعقاع بن حكيم.

١٨ هشام بن عروة.

١٩ أبو الزبير المكي.

٢٠ أبو حازم الأعرج.

٢١ عبدالله بن مسلم بن هرمز.

٢٢ محمد بن الفرات التميمي^(١).

وسياتي ترجمة بعضهم بشيء من التفصيل في الفصل السادس والآخر من هذا الباب؛ فراجع.

١- راجع: تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٣٩ - ١٤٠. وغيره من كتب الأعلام والتراجم.

الفصل السادس
مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية
صناعة الصفوة العلمية
أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام وتلامذته



صناعة الصفوة العلمية

من أوليات أعمال الإمام زين العابدين عليه السلام التي عني بها عناية كبيرة إعداد وبناء صفوة علمية متميزة من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين وغيرهم، وتأهيل أصحابه وطلابه وتلامذته الثقات علمياً ومعرفياً وفكرياً، من أجل بناء كفاءات وكوادر علمية في مختلف حقول العلم والمعرفة قادرة على نشر ثقافة الإسلام وأحكامه.

وكان كبار العلماء والفقهاء والرواة، وطلاب العلم والمعرفة يحرصون أشد الحرص على حضور دروسه العلمية التي كان يلقيها في المسجد النبوي؛ إذ كان له مجلس علمي معروف، وكان يحضره بقايا الصحابة وأعلام التابعين وأكابر الفقهاء وأفاضل العلماء كي ينهلوا من علومه الغزيرة، ومعارفه الواسعة.

وكان للإمام زين العابدين عليه السلام حلقة علمية خاصة به في مسجد رسول الله ﷺ للتعليم والتدريس من أجل بناء وإعداد جيل من الفقهاء والعلماء الربانيين كي يخدموا الأمة دينياً وعلمياً، وكان يعلم أصحابه وتلامذته أحكام الدين ومعالمه؛ وكان يلتف حوله كبار الفقهاء والعلماء ليأخذوا من علومه الثرية، وينهلوا من معارفه الدينية، ويستضيئوا من غرر حكمه الفصيحة، ومواعظه البليغة؛ بيد أنه لا يمكن الحصول على العلم الصحيح إلا عن طريق أئمة أهل البيت الأطهار؛ فهم - كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام - : «شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي»^(١).

ولأن الإمام زين العابدين عليه السلام كان قطب الرchy في زمانه، وأعلم الناس في عصره، فقد التف حوله العلماء، وتلمذوا على يديه، وكثر طلابه وأصحابه. قال السيد محسن الأمين: «كثرت تلاميذ زين العابدين والآخذون عنه في أنواع العلوم، وكانت مدرسته في داره وفي المسجد،

١ - مصباح المتهجد: ص ٣٦١ ح ٤٨٥، جمال الأسبوع: ص ٢٥٠، بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ١٩ ح ٣.

وأخذ عنه فقهاء الحجاز وعلماءه، ومن يأتي من الآفاق للحج، ودوّنوا ما أخذوه عنه ورواه عنهم الناس»^(١).

وروى عنه فقهاء الإسلام من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء^(٢).

وهذا الأمر ما كان ليتحقق لولا جهود الإمام زين العابدين عليه السلام وعنايته الكبيرة بأصحابه ورواته ورجاله الذي بذل من أجل تعليمهم وتربيتهم الشيء الكثير من أجل بناء كفاءات متميزة وطاقات علمية خلقة، ساهمت في نشر العلوم والمعارف في ذلك العصر على نطاق واسع.

ونظراً لمكانة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية، وخصائصه الشخصية النادرة، ومقامه الرفيع، وأخلاقه العظيمة؛ فقد كانت تنجذب إليه النفوس، وترتاح إليه القلوب، ويتهافت على مجلسه العلمي أهل العلم من بقايا الصحابة وعيون التابعين وأكابر الفقهاء وخيرة العلماء لينهلوا من علومه الغزيرة، ومعارفه الثرية.

وأوضح الشيخ محمد حسن آل ياسين أن عدد رواة الإمام زين العابدين عليه السلام وأصحابه قد بلغوا المئات، وهم من مختلف المذاهب الإسلامية، وجدوا فيه الغدير العذب للعلم والمعرفة، فتتلمذوا في مدرسته، ونهلوا من علومه الغزيرة، قائلاً:

«وحسبنا من تصور هذه الحقيقة ثم إدراكها وتصديقها بما لا يقبل الشك أو التردد أن نعلم أن الرواة عن الإمام من طلاب العلم والباحثين من جمهور المسلمين على اختلاف منازعهم ومذاهبهم قد بلغوا المئات، الأمر الذي يدل بقناعة ويقين على أنه كان المنهل الروي والغدير العذب الذي يجد

١- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٩٨.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٠. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٩٨.

فيه الظامئون ما يحقق رغبتهم في الاطلاع على مسائل الدين وعلوم القرآن وأسرار الشريعة وأبواب المعرفة في مجمل منطلقاتها الإنسانية الواسعة^(١).

وسجلت لنا كتب الرجال والرواة والفهرسة والطبقات ومعاجم الحديث والأعلام أسماء أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ورواته، الذين تتلمذوا على يديه، وحضروا بحوثه العلمية، ورووا عنه، وقد برز منهم النخبة والصفوة الخيرة من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين والمفسرين وغيرهم من أصحاب التخصصات العلمية المختلفة، والآثار العلمية المتنوعة، وقد كان لهم - فيما بعد - دور فاعل ومهم في نشر تراث الإمام زين العابدين عليه السلام بين النخب والخواضر العلمية البارزة، وحفظ رواياته وأحاديثه من الضياع والاندثار، ونشر تراثه العلمي بين الأنام.

وتخرج من المدرسة العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام كوكبة من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين وغيرهم، وكان الكثير منهم من أهل المعرفة والفهم والوعي والبصيرة بأمور دينهم وزمانهم.

وذكر علماء الرجال قوائم بأسماء أصحاب ورواة الإمام زين العابدين عليه السلام، فمنهم من اقتصر على أسماء البارزين منهم كالشيخ البرقي (ت ٢٧٤هـ) في كتابه «الرجال» والمعروف بـ «رجال البرقي»، ومنهم من لم يحصر أصحابه بالموالين له، بل شمل غيرهم كما فعل الشيخ الطوسي في كتابه «الأبواب» والمعروف بـ «رجال الطوسي».

وأحصى الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في كتابه كوكبة من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام مرتبة وفق الحروف الهجائية، فبلغوا (١٧٠) شخصاً^(٢)؛ تحت عنوان: «أصحاب أبي محمد علي بن الحسين عليهما السلام». واكتفى البرقي (ت ٢٧٤هـ) بذكر أسماء أبرز أصحاب الإمام ورواته؛

١ - سيرة الأئمة الاثني عشر: الإمام علي بن الحسين، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ج ١، ص ٤٥٧.

٢ - رجال الطوسي: ص ١٠٩ - ١٢٠.

فبلغ عددهم (٣٣) شخصاً^(١)، وجاء تحت عنوان «أصحاب أبي محمد علي بن الحسين عليهما السلام».

وأما من العلماء المعاصرين فقد ترجم السيد علي البروجردي في كتابه «طرائف المقال» ما مجموعه (١٣٤) اسماً^(٢)، تحت عنوان «الطبقة الثامنة والعشرون».

وأما الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله) فأحصى (١٨٨) شخصاً من رواة وأصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، وذكر أسماءهم مرتبة على الحروف الهجائية، لكنه اكتفى في غالب الأحيان بذكر أسمائهم مع الإشارة لتواريخ وفاة بعضهم^(٣).

وأما الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله) فقد ترجم حياة كوكبة من الرواة والأصحاب بشكل موضوعي متسلسل مرتبة على الحروف الهجائية، فترجم (١٦٥) اسماً، مع ذكر مصنفاتهم ومؤلفاتهم إن وجدت، مع الإشارة إلى درجة وثاقة بعضهم وعدالتهم^(٤).

وصدر حديثاً عن العتبة الحسينية المقدسة موسوعة بعنوان: «أصحاب الإمام السَّجَّاد عليه السلام ومعاصروه والرايون عنه»، للسيد محمد جواد الحسيني الجلاي، الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، وتقع في اثني عشر مجلداً، وتمتاز بسعة الترجمة لكل واحد من أصحاب الإمام والرواة عنه، وعلاقته بالإمام، واستعراض روايته عنه في مصادر أهل البيت عليهم السلام.

وروى أصحاب الإمام زين العابدين عليهم السلام عنه في مختلف العلوم

١- رجال البرقي: ص ٦٤ - ٧٢.

٢- طرائف المقال: السيد علي البروجردي، ج ٢، ص ٥٤ - ٦٠.

٣- راجع: سيرة الأئمة الاثني عشر: الإمام علي بن الحسين، محمد حسن آل ياسين، ج ١، ص ٤٥٨ - ٤٦٩.

٤- راجع: موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج ١٦، ص ٢١٤ - ٢٨٧.

والمعارف الدينية من العقائد والفقه والحديث والتفسير والأدعية والأخلاق وغيرها الكثير من الأحاديث والروايات المدونة في الموسوعات الحديثية والتاريخية الكبرى.

ولم يقتصر الإمام زين العابدين عليه السلام على تعليم أصحابه وتلامذته علوم الدين، بل كان يعتني بتهذيب أخلاقهم وتزكية نفوسهم عبر الأدعية والمواعظ التربوية والأخلاقية؛ ولذا فقد تخرج من مدرسته العلمية جيلٌ متميزٌ من الفقهاء والمحدثين والرواة والمفسرين والكتّاب وغيرهم من أهل العلم والوعي والبصيرة والأخلاق؛ وكان لهؤلاء الفضل الأكبر - فيما بعد - في نشر تراث الإمام زين العابدين عليه السلام العلمي بين الأمة، وإيصال علوم أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى مختلف الحواضر والمدن العلمية الكبرى.

وفي ذلك دلالة قوية على جهود الإمام زين العابدين عليه السلام الكبيرة، وعنايته الفائقة بصناعة كفاءات علمية كفؤة وقادرة على توجيه الأمة دينياً وعلمياً، وبسط العلم والمعرفة بين الناس، وخاصة فيما يرتبط بنشر أحاديث رسول الله ﷺ، وعقائد الإسلام ومفاهيمه، ومعالم الدين وأحكامه.

أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام وتلامذته

حظي بشرف التلمذ في مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية كوكبة من كبار الفقهاء، وزبدة العلماء، وأعلام الرواة، وعيون المحدثين، وأبرز المفسرين وغيرهم، وقد حازوا جميعاً على شرف صحبة الإمام عليه السلام وحضور مجالسه ودروسه العلمية، ومحاضراته التخصصية، والاستماع إلى بحوثه العقائدية والقرآنية والفقهية، والاستفادة من علومه ومعارفه الواسعة، وحفظ ونشر ما يرويه من أحاديث شريفة عن آبائه عليهم السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتدوينها في الكتب والرسائل والمصنفات العلمية.

وبرز بعض أصحابه وتلامذته في علوم العقائد والكلام، وبعضهم في علوم القرآن والتفسير، وبعضهم في علوم الفقه، وبعضهم في علوم الحديث، وبعضهم في العلوم العقلية؛ فكان منهم الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثون والمفسرون وغيرهم، وكان لبعضهم دور فاعل - فيما بعد - في نشر ما تعلموه وسمعوه مباشرة من الإمام زين العابدين عليه السلام، وحفظ تراثه العلمي وتدوينه، ونشره في الآفاق والخواضر العلمية الكبرى.

وأصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ورواته ليسوا في مرتبة علمية واحدة؛ إذ تختلف درجاتهم ومراتبهم ووثاقتهم، كما هو شأن أصحاب كل إمام من الأئمة الأطهار؛ إذ تتفاوت درجات العدالة والوثاقة والضبط والحفظ عندهم، كما تتفاوت درجاتهم العلمية قوة وضعفاً، وكذلك يتفاوت عطاؤهم من حيث غزارة التأليف والتصنيف وقلته، وكثرة الرواية وندرته، فقد نجد أن لبعضهم مجموعة من الكتب والمؤلفات في حين أن البعض الآخر له كتاب واحد أو مدونة أو رسالة صغيرة، وبعضهم يروي عن الإمام طائفة كبيرة من الأحاديث والروايات في حين أن بعضهم لا يروي إلا النزر القليل جداً. وسبق أن ترجمت لبعض أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام حين ترجمت

عن أصحاب ابنه في كتابي «حياة الإمام الباقر عليه السلام» من الأصحاب المشتركين بينهما، وسأكتفي هنا بترجمة أبرز أصحابه ورواته وتلامذته بصورة مختصرة ممن لم أذكرهم سابقاً، وهم:

١- أبان بن أبي عياش البصري (ت ١٣٨ هـ):

يكنى أبا إسماعيل، تابعي. عدّه الشيخ البرقي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام (١).

وعدّه الشيخ الطوسي أيضاً من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام (٢). كما عدّه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وقال عنه: «تابعي، ضعيف» (٣)، وذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (٤).

وقال ابن الغضائري: «إنه تابعي، روى عن أنس بن مالك، وروى عن علي بن الحسين عليهما السلام، ضعيف لا يلتفت إليه، وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه» (٥). وقد ضعفه جمع، ومنهم ابن الغضائري، والشيخ الطوسي كما مرّ؛ لكن العلامة المامقاني مال إلى مدحه، قائلاً: «الجزم بضعفه مشكل؛ بعد تسليم مثل سليم بن قيس كتابه إليه، وخطابه بابن الأخ. ومن لاحظ حال سليم بن قيس مال إلى كون الرجل متشيعاً ممدوحاً، وأن نسبة وضع الكتاب إليه لا أصل لها، وإذا انضمّ إلى ذلك قول الشيخ أبي عليّ في المنتهى: «إنّي رأيت أصل تضعيفه من المخالفين» من حيث التشيع تقوى ذلك، والعلم عند الله تعالى. بل بعد إثبات وثاقة سليم تثبت وثاقة أبان هذا بتسليمه الكتاب المذكور إليه» (٦).

١- رجال البرقي: ص ٧١، رقم الترجمة ٢٩.

٢- رجال الطوسي: ص ١٠٩، رقم الترجمة ١٠٦٧.

٣- رجال الطوسي: ص ١٢٦، رقم الترجمة ١٢٦٤.

٤- رجال الطوسي: ص ١٦٢، رقم الترجمة ١٨٨٥.

٥- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ١، ص ١٥٣، رقم الترجمة ٢٢.

٦- تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبدالله المامقاني، ج ٣، ص ٦٨، رقم الترجمة ١٤ / ٢٤.

روى أبان عن أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، وخُليد العَصْرِي، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، ومسلم بن يسار، ومسلم البطين، ومُورِّق العجلي، وغيرهم. وهو الذي روى كتاب سُليم بن قيس الهلالي.

روى عنه الحسن بن صالح بن حيٍّ، وحمّاد بن سَلَمَة، وسفيان الثوري، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وفُضيل بن عياض، ومَعْمَر بن راشد، ويزيد بن هارون، وآخرون.

وقد عُدَّ من أصحاب الأئمة: السَّجَّاد والباقر والصادق عليهم السلام، ووقع في أسناد بعض الروايات عن أئمة أهل البيت، حيث روى فيها عن سليم بن قيس الهلالي، وروى عنه إبراهيم بن عمر اليماني، وعمر بن أُذينة^(١).

٢- إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد ربه الأسدي:

فقيه من فقهاء الشيعة، ووجه من وجوههم، وهو من أسرة علمية مشهورة ومعروفة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

عَدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، وقال: «إنه عاش إلى أيام أبي عبدالله الصادق عليه السلام»^(٢)، كما عَدَّه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام^(٣)، وذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(٤).

وقال عنه النجاشي في رجاله: «إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد ربه بن أبي ميمونة بن يسار مولى بنى أسد، وجه من وجوه أصحابنا، وفقيه من فقهاءنا، وهو من بيت الشيعة، عمومته: شهاب، وعبد الرحيم، ووهب، وأبوه: عبد الخالق، كلهم ثقات، رووا عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، وإسماعيل نفسه روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب رواه عنه جماعة»^(٥).

١- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٢٦٨، رقم الترجمة ٨٢.

٢- رجال الطوسي: ص ١١٠، رقم الترجمة ١٠٧٥.

٣- رجال الطوسي: ص ١٢٥، رقم الترجمة ١٢٥٠.

٤- رجال الطوسي: ص ١٥٩، رقم الترجمة ١٧٨٥.

٥- رجال النجاشي: ص ٢٩، رقم الترجمة ٥٠.

٣- إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي:

عَدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(١)، كما عَدَّه الشيخ من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، قائلاً: «إنه أبو محمد القرشي المفسر»^(٢). وذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقال عنه: «تابعي، سمع من أبي الطفيل، مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام وكان فقيهاً، وروى عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً»^(٣). وعَدَّه البرقي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام^(٤).

وأضاف العلامة بعدما نقل ما قاله الشيخ الطوسي: «ونقل عن ابن عقدة أَنَّ الصادق عليه السلام تَرَحَّم عليه، وحكى عن ابن نمير أَنَّهُ قال: إِنَّه ثقة. وبالجمله؛ فحديثه أَعْتَمَدُ عليه»^(٥).

وروى جماعة من ثقات أصحاب الصادق عليه السلام عن إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، عن أبي جعفر عليه السلام، مثل: أبان بن عثمان، وحماد بن عثمان، وجميل بن دراج، وإسحاق بن عمار، وصفوان بن يحيى. كما روى جماعة من ثقات أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام عنه، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام، منهم هشام بن سالم^(٦).

وقد كان أحد وجوه رجال الشيعة، فقيهاً، قليل الحديث. روى له الشيخ الكليني في الكافي، والشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام والاستبصار في عدة موارد^(٧).

٤- أم البراء:

راوية للحديث، عَدَّها الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، وقال: «وقيل: هي حَبَّابة الوالبيّة»^(٨).

١- رجال الطوسي: ص ١٠٩، رقم الترجمة ١٠٦٢.

٢- رجال الطوسي: ص ١٢٤، رقم الترجمة ١٢٤٣.

٣- رجال الطوسي: ص ١٥٩، رقم الترجمة ١٧٨٠.

٤- رجال البرقي: ص ٩٢، رقم الترجمة: ٨٩.

٥- خلاصة الأقوال: العلامة الحلي: ج ١، ص ١٥٨، رقم الترجمة: ٣/٣١.

٦- تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي: السيد محمد علي الأبطحي، ج ٤، ص ١٧٧.

٧- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٢٨٧، رقم الترجمة: ٩٦.

٨- رجال الطوسي: ص ١٢٠، رقم ١٢٢٨.

وعدها البرقي أيضًا في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام التي روت عنه^(١).

وقال المامقاني في تنقيح المقال: «ما يفيد ظاهر كلام الشيخ كونها إمامية، وحالها مجهول، ويبعد كونها حباة الوالدية، إن كنية حباة أم الندى، إلا أن تكون لها كنيستان»^(٢).

٨- ثابت بن دينار (ت ١٥٠ هـ):

والمشهور بأبي حمزة الثمالي، عده البرقي في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام. وقال عنه: «أبو حمزة الثمالي، ثابت بن دينار، وكنية دينار أبو صفية»^(٣).

وعده الشيخ الطوسي في رجاله تارة من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، وقال فيه: «مات سنة ١٥٠ هـ»^(٤)، وتارة ثانية من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «ثابت بن دينار، أبو صفية الأزدي الثمالي الكوفي. يكنى أبا حمزة»^(٥). وتارة ثالثة في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(٦).

وقال الشيخ النجاشي: «ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي، واسم أبي صفية: دينار، مولى، كوفي، ثقة. استشهد ثلاثة من أولاده مع الثائر العظيم زيد بن علي بن الحسين، وهم: نوح، ومنصور، وحمزة.

لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبدالله وأبا الحسن عليه السلام، وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم، ومعتمديهم، في الرواية والحديث. وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه.

١- رجال البرقي: ص ٣٨٠، رقم ١.

٢- تنقيح المقال: الشيخ المامقاني، ج ٣، ص ٧٠.

٣- رجال البرقي: ص ٦٦، رقم ١٢.

٤- رجال الطوسي: ص ١١٠، رقم ١٠٨٣.

٥- رجال الطوسي: ص ١٢٩، رقم ١٣٠٧.

٦- رجال الطوسي: ص ١٧٤، رقم ٢٠٤٧.

وروى عنه العامة، ومات في سنة خمسين ومائة^(١).

وقال الصدوق في المشيخة، عند ذكر طريقه إليه: «أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي، ودينار يكنى أبا صفية، وهو من حي (طي) (من) بني ثعل، ونسب إلى ثماله، لأن داره كانت فيهم، وتوفي سنة (١٥٠)، وهو ثقة، عدل، قد لقي أربعة من الأئمة علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر عليه السلام»^(٢).

روى أبو حمزة الثمالي عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وشهر بن حوشب، وعبدالله بن الحسن، وأبي رزين الأسدي.

روى عنه أبان بن تغلب، وأبو أيوب الخزاز، وعلي بن رئاب، والحسن بن محبوب، وعاصم بن حميد الحنط، وأبان بن عثمان، وابن مسكان، وأسد بن أبي العلاء، وحكم الحنط، وداود الرقي، وسيف بن عميرة، وعائذ الأحسي، وعبدالله بن سنان، وشعيب العرقوفي، وصفوان الجمال، وعيسى بن بشير، ومحمد بن مسلم، ومعاوية بن عمار، ومالك بن عطية الأحسي، وهشام بن سالم، ومحمد بن الفضيل، وجميل بن درّاج، وعبدالله بن أبي يعفور، وطائفة. وكان من كبار علماء عصره في الفقه والحديث وعلوم اللغة وغيرها.

أخذ العلم عن الأئمة الأربعة: زين العابدين والباقر والصادق والكاظم عليه السلام وروى عنهم، وكان منقطعاً إليهم مقرباً عندهم.

وهو من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، وقد وقع في أسناد كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام تبلغ ثلاثمائة وواحدًا وستين موردًا.

وروى له أيضًا الترمذي، والنسائي في «مسند علي» وله حديث عند ابن ماجه في كتاب الطهارة، وقد ألف أبو حمزة الثمالي كتبًا منها كتاب

١- رجال النجاشي: ص ١١٤، رقم ٢٩٦.

٢- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ٤، ص ٢٩٤، رقم الترجمة ١٩٦٠.

«النوادر» وكتاب «الزهد» وكتاب «تفسير القرآن» الذي نقل عنه الإمام الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» وذكره الثعلبي أيضًا في تفسيره وأخرج الكثير من رواياته.

وروى أبو حمزة «رسالة الحقوق» عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وروى عنه أيضًا دعاء السحر الكبير في شهر رمضان المبارك والمعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي^(١).

٩- حبابة الوالية:

حبابة بنت جعفر الوالية الأسدية، أم الندى، من رواة الحديث، ممدوحة، وكانت قد أدركت أمير المؤمنين عليه السلام وعاشت إلى زمن الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

قال ابن داود الحلي: من رواة الحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر عليهم السلام^(٣). وقد دعاها الإمام زين العابدين عليه السلام فطوّل الله عمرها، لما روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إِنَّ حَبَابَةَ الْوَالِيَّةِ دَعَا لَهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا شَبَابَهَا، وَأَشَارَ إِلَيْهَا بِإِصْبَعِهِ فَحَاضَتْ لَوَقْتِهَا، وَلَهَا يَوْمٌ مِئَةُ سَنَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ»^(٤).

وروى الشيخ الطوسي: «وبقيت إلى أيام الرضا عليه السلام... وهو عليه السلام آخر من لقيتهم، وماتت بعد لقائها إياه وكفنها في قميصه»^(٥).

وهي صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه، وأخبرها أنّ من قدر أن يطبع فيها كما طبع فهو إمام، وأتت بها إلى الأئمة عليهم السلام واحدًا بعد واحد، وهم يطبعون فيها، إلى أن انتهت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فطبع فيها، وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر^(٦).

١- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٤، رقم ١٠٨.

٢- رجال الكشي: ص ١٩٨، رقم ١٨٢.

٣- رجال ابن داود الحلي: ص ٦٩ الرقم ٣٧٤.

٤- كمال الدين: الشيخ الصدوق، ص ٥٣٧، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٧، ح ١٣.

٥- كتاب الغيبة: الشيخ الطوسي، ص ٧٥، ح ٨٢.

٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثا: ج ٢، ص ٣٠.

روى الشيخ الكليني بسنده عن حَبَابَةَ الْوَالِيَّةِ، قَالَتْ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شُرْطَةٍ ^(١) الْخَمِيسِ ^(٢) وَمَعَهُ دِرَّةٌ ^(٣)، لَهَا سَبَابَتَانِ ^(٤)، يَضْرِبُ بِهَا بَيَّاعِي الْجَرِّي ^(٥) وَالْمَارْمَاهِي وَالزَّمَارِ ^(٦)، وَيَقُولُ لَهُمْ: «يَا بَيَّاعِي مُسُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجُنْدِ بَنِي مَرْوَانَ».

فَقَامَ إِلَيْهِ فُرَاتُ بْنُ أَحْنَفَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا جُنْدُ بَنِي مَرْوَانَ؟
قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ: «أَقْوَامٌ حَلَقُوا اللَّحَى، وَفَتَلُوا الشَّوَارِبَ» ^(٧)، فَمَسَحُوا ^(٨).

١- قال ابن الأثير: «الشُّرْطَةُ: أَوَّلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ تَشْهَدُ الْوَقْعَةَ». النهاية، ج ٢، ص ٤٦٠ (شرط).
٢- قال ابن الأثير: «الخميس: الجيش، سُمِّيَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مَقْسُومٌ بِخَمْسَةِ أَقْسَامٍ: الْمَقْدَمَةُ، وَالسَّاقَةُ، وَالْمِئْمَنَةُ، وَالْمِيسَرَةُ، وَالْقَلْبُ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ تُخَمَّسُ فِيهِ الْغَنَائِمُ». النهاية، ج ٢، ص ٧٩ (خمس).
٣- «الدِّرَّةُ»: الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا، أَوْ هِيَ السَّوْطُ. والجمع: دِرَرٌ. (الصحاح، ج ٢، ص ٦٥٦؛ المصباح المنير، ص ١٩٢ (درر)).

٤- «سَبَابَتَانِ». و «السَّبَابَةُ» عِنْدَ الْمَازَنْدَرَانِيِّ وَالْفَيْضِ: الشُّقَّةُ، وَعِنْدَ الْمَجْلِسِيِّ: رَأْسُ السَّوْطِ. وَلَكِنَّ الْمَوْجُودَ فِي اللُّغَةِ: السَّبَابَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ مِنَ الْأَصَابِعِ. و «السَّبَّ» و «السَّيْبَةُ» بِمَعْنَى الشُّقَّةِ مِنَ الثِّيَابِ أَيْ نَوْعِ كَانٍ، أَوْ مِنَ الْكَتَانِ. وَلَعَلَّ مَا فِي الْمَتْنِ: سَبَابَتَانِ، وَالْمَرَادُ: طَرْفَانِ. رَاجِعُ: شَرْحُ الْمَازَنْدَرَانِيِّ، ج ٦، ص ٢٦٤؛ الْوَاقِعِيُّ، ج ٢، ص ١٤٤؛ مِرَاةُ الْعُقُولِ، ج ٤، ص ٧٩؛ لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١، ص ٤٥٦-٤٥٧ (سبب).

٥- قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «الْجَرِّيُّ: ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ». وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ يُشَبِّهُ الْحَيَّةَ، وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ: مَارْمَاهِي» وَعَلَيْهِ فَالْعَطْفُ لِلتَّفْسِيرِ. الصَّحَاحُ، ج ٢، ص ٦١١؛ النِّهَايَةُ، ج ١، ص ٢٦٠ (جرر).

٦- فِي كِمَالِ الدِّينِ: +/ «وَالطَّافِي». وَقَالَ الْمَجْلِسِيُّ: «وَكَذَا الزَّمَارُ بِكَسْرِ الزَّيِّ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ»، أَيْ هُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ لَا فُلُوسَ لَهُ مِثْلُ الْجَرِّيِّ وَالْمَارْمَاهِي، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْهُ فِي اللُّغَةِ، نَعَمْ فِي الْقَامُوسِ وَالتَّاجِ: زَمِيرٌ، كَسَكَيْتَ: نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ لَهُ شَوْكٌ نَاتِي وَسَطُ ظَهْرِهِ، وَلَهُ صَخَبٌ وَ قَتَ صَيْدَ الصِّيَادِ إِيَّاهُ وَقَبْضَهُ عَلَيْهِ. رَاجِعُ: مِرَاةُ الْعُقُولِ، ج ٤، ص ٧٩؛ الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ج ١، ص ٥٦؛ تَاجُ الْعُرُوسِ، ج ٦، ص ٤٧ (زمر).

٧- «فَتَلُوا الشَّوَارِبَ»، أَيْ لَوَّاهَا، مِنَ الْفَتْلِ، وَهُوَ لِي الشَّيْءِ كَلَيْكَ الْجَبَلُ وَكَفَتَلَ الْفَتِيلَةَ. رَاجِعُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١١، ص ٥١٤ (قتل).

٨- «مَسَحُوا»، مِنَ الْمَسْخِ، وَهُوَ تَحْوِيلُ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ أَقْبَحَ مِنْهَا. وَقِيلَ: تَحْوِيلُ خُلُقٍ إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى. لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ٣، ص ٥٥ (مسخ).

فَلَمْ أَرِ نَاطِقًا أَحْسَنَ نُطْقًا مِنْهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَتَقْفُو أَثَرَهُ^(١) حَتَّى قَعَدَ فِي رَحْبَةِ^(٢) الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا دَلَالَةُ الْإِمَامَةِ يَرْحُمَكَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «أَتَيْنِي بِتِلْكَ الْحَصَاةِ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَصَاةٍ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَطَبَعَ^(٣) لِي فِيهَا بِخَاتَمِهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا حَبَابَةُ إِذَا ادَّعَى مُدَّعِ الْإِمَامَةِ، فَقَدَرُ أَنْ يَطْبَعَ كَمَا رَأَيْتَ، فَأَعْلَمِي أَنَّهُ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ؛ وَالْإِمَامُ لَا يَعْزُبُ^(٤) عَنْهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ». قَالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى قُبِضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَقَالَ: «يَا حَبَابَةُ الْوَالِيَّةُ» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ.

فَقَالَ: «هَاتِي مَا مَعَكَ».

قَالَتْ: فَأَعْطَيْتُهُ فَطَبَعَ فِيهَا كَمَا طَبَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَتْ: ثُمَّ أَتَيْتُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَرَّبَ وَرَحَّبَ^(٥)، ثُمَّ قَالَ لِي: «إِنَّ فِي الدَّلَالَةِ دَلِيلًا عَلَى مَا تُرِيدِينَ^(٦)، أَفْتَرِيدِينَ دَلَالَةَ الْإِمَامَةِ؟». فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي.

فَقَالَ: «هَاتِي مَا مَعَكَ» فَنَاوَلْتُهُ الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا.

١- «أَقْفُوا أَثَرَهُ»، أي أتبعه. لسان العرب، ج ١٥، ص ١٩٤ (قفا).

٢- رَحْبَةُ الْمَسْجِدِ وَالِدَارُ: ساحتها ومُتَسَعِهَا. وَسَمَّيْتُ الرَّحْبَةَ رَحْبَةً لِسَعَتِهَا بِمَا رَحَّبْتُ، أي بما اتسعت. لسان العرب، ج ١، ص ٤١٤ (رحب).

٣- «الطَّبَعَ»: الحَتَمُ، وهو التأثير في الطين ونحوه. الصحاح، ج ٣، ص ١٢٥٢ (طبع).

٤- «لَا يَعْزُبُ»: لَا يَغِيبُ. يقال: عَزَبَ عَنِّي فُلَانٌ يَعْزُبُ وَيَعْزُبُ، أي بَعُدَ وَغَاب. الصحاح، ج ١، ص ١٨١ (عزب).

٥- «فَقَرَّبَ»، أي أدناني من نفسه، ودعاني إلى مكان قريب. و «رَحَّبَ»، أي رحَّب بها، أي قال بها: مرحبًا، أو دعاه إلى الرَّحْبِ والسَّعة. لسان العرب، ج ١، ص ٤١٤ (رحب).

٦- ذكر المجلسي هاهنا وجوهاً، ثالثها أن يكون المعنى أن في دلالتني على ما في ضميرك دلالة على الإمامة؛ حيث أقول: إنك تريد دلالتها، ونقل رابعها عن بعض الأفاضل، وهو أن «في» بتشديد الياء خبر «إن»، و «الدلالة» اسمها، و «دليلاً» بدلُه، و «على ما تريد» صفة «دليلاً». راجع: مرآة العقول، ج ٤، ص ٨١.

قَالَتْ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَدْ بَلَغَ بِيَ الْكِبَرُ إِلَى أَنْ أُرْعِشْتُ^(١) - وَأَنَا أَعُدُّ يَوْمِيذٍ مِائَةً وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً - فَرَأَيْتُهُ رَاكِعًا وَسَاجِدًا وَمَشْغُولًا بِالْعِبَادَةِ، فَيَسْتُ مِنَ الدَّلَالَةِ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِالسَّبَابَةِ، فَعَادَ إِلَيَّ شَبَابِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، كَمْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا؟ وَكَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا مَا مَضَى، فَنَعَمْ؛ وَأَمَّا مَا بَقِيَ، فَلَا^(٢)».

قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ لِي: «هَاتِي مَا مَعَكَ» فَأَعْطَيْتُهُ الْخِصَاءَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا. ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَبَعَ لِي فِيهَا؛ ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَبَعَ لِي فِيهَا؛ ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَبَعَ لِي فِيهَا؛ ثُمَّ أَتَيْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَبَعَ لِي فِيهَا^(٣).

وقد عرفت حباة الوالدية بالاجتهاد في العبادة، والمداومة على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وتشرفت بملاقاة عدد من الأئمة الأطهار، وأخذت عنهم جميعاً، وروت عن الحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر (عليه السلام)، عاشت مؤمنة سعيدة وماتت مطمئنة حميدة.

١٠- حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي (ت ١١٩هـ):

عَدَّه الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ (عليه السلام)^(٤)، وَكَذَلِكَ عَدَّه الْبَرْقِيُّ فِي رَجَالِهِ^(٥).

١- في كمال الدين: «أُعِييت». وقوله: «ارْعِشْتُ» من رَعَشَ يَرْعَشُ رَعَشًا وارتعش، أي ارتعد، أي اضطرب. لسان العرب، ج ٦، ص ٣٠٤ (رعرش).

٢- في مرآة العقول: «أما ما مضى فنعم، أي لنا سبيل إلى معرفته، أو السؤال عنه موجه، أو اخبرك بأن يكون (عليه السلام) أخبرها ولم تذكر للراوي، أو ذكره ولم يذكره الراوي، وقس عليه قوله: أما ما بقي فلا، والامتناع من الإخبار إما لاختصاص علمه بالله تعالى، أو لعدم المصلحة في الإخبار».

٣- الكافي: ج ١ ص ٣٤٦ ح ٣، كمال الدين: ص ٥٣٦ ح ١، الثاقب في المناقب: ص ١٤٠ ح ١٣٢، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٦٠، إعلام الوري: ج ١ ص ٤٠٨، الوافي: ج ٢ ص ١٤٣، ح ٦١٤؛ الوسائل: ج ٢، ص ١١٦، ح ١٦٦١؛ وج ٢٤، ص ١٣١، ح ٣٠١٥٧. بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٧٥ ح ١. المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٢٩٩.

٤- رجال الطوسي: ص ١١٢، رقم الترجمة: ١١٠٠.

٥- رجال البرقي: ص ٧٠، رقم الترجمة: ٢٧.

كان تابعياً، وأحد كبار فقهاء الكوفة في زمانه، روى عن علي زين العابدين عليه السلام، وعن أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وزيد بن وهب الجهني، ولم يدرك علي بن أبي طالب فروايتَه عنه مرسلة^(١).

عدّه في رجال الشيعة كل من ابن قتيبة في معارفه، والشهرستاني في «الملل والنحل». حدّث عن ابن عباس، وأمّ سلمة، وقيل: لم يسمع منهما، وحدّث عن: أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وأبي وائل، وآخرين.

روى عنه: عطاء بن أبي رباح، وحُصين، والأعمش، وأبو الزبير، وابن جريج، وشعبة، والثوري، والمسعودي، وحمزة الزيات، وآخرون.

رُوي عن أبي بكر بن عياش، قال: وكان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع: حبيب بن أبي ثابت و.. وكان هؤلاء أصحاب الفتيّا.

عدّ من أصحاب الإمام علي بن الحسين، والباقر، والصادق عليهم السلام. وثقه ابن معين، والعجلي، والنسائي.

له نحو مائتي حديث كما ذكر البخاري. وحديثه موجود في الكتب الستة.

وروى له الكليني (قدّس سرّه) في «الكافي» ثلاث روايات. توفي سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل: سبع عشرة. وكان من أبناء الثمانين^(٢).

١١- الحسين ابن الإمام زين العابدين عليه السلام (ت ١٥٧ هـ):

الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب أبيه، وروى عنه^(٣). وذكره في أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) قائلاً: «تابعي أخوه»^(٤)، وفي أصحاب الصادق (عليه السلام) قائلاً: «عمّ أبي عبدالله (عليه السلام) تابعي مدني»^(٥).

١- رجال البرقي: ص ٧٠، رقم الترجمة: ٢٧، الهامش رقم ٢.

٢- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٣٢١، رقم الترجمة: ١١٧.

٣- رجال الطوسي: ص ١١٢، رقم الترجمة: ١٠٩٨.

٤- رجال الطوسي: ص ١٣٠، رقم الترجمة: ١٣٢٨.

٥- رجال الطوسي: ص ١٨٢، رقم الترجمة: ٢١٥٧.

وصفه الإمام الباقر عليه السلام بالحلم، فقال: «وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا»^(١)
قال عنه الشيخ المفيد: «كان فاضلاً ورعاً، روى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين، وعمته فاطمة بنت الحسين، وعمه أبي جعفر»^(٢).
وفي عمدة الطالب: «كان عفيفاً محدثاً فاضلاً، يكنى أبا عبد الله، وعقبه عالم كثير في الحجاز والعراق والشام والعجم والعرب»^(٣).
وقال عبد الله بن سراج الدين محمد الرفاعي في رسالته المسماة بصحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار: «وأما الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام فهو المحدث الفاضل العلامة البحر العظيم»^(٤).
مات سنة سبع وخمسين ومائة، ودفن بالبقيع، وله أربع وسبعون سنة^(٥).

١٢- حكيم بن جبير:

عده البرقي في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، ووصفه بـ «المطعمي»^(٦)، نسبة إلى جده مطعم. وكذا عده الشيخ الطوسي من أصحابه عليه السلام، قائلاً: «حكيم بن جبير بن مطعم بن عدي بن عبد مناف القرشي المدني»^(٧).
روى عن علي بن الحسين بن جبير بن مطعم بن عدي بن عبد مناف القرشي المدني، وأبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، وإبراهيم النخعي.
روى عنه سدير بن حكيم الصيرفي، وسليمان الأعمش، وسفيان الثوري، وزائدة بن قدامة^(٨).

١- الناصريات: الشريف المرتضى، ص ٦٤.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٦٠.

٣- عمدة الطالب: ابن عتبة، ص ٤٠٣.

٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين: ج ٦، ص ١١١.

٥- رجال الطوسي: ص ١٨٢، رقم الترجمة: ٢١٥٧..

٦- رجال البرقي: ص ٦٥، رقم ٩.

٧- رجال الطوسي: ص ١١٢، رقم ١٠٥٢.

٨- رجال البرقي: ص ٦٥، هامش رقم ٤.

١٣- زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب:

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ^(١).

كان بارزاً في قومه، وعليه سيماء الصلاح والشهامة والهيبة والكرامة، وكان كثير البر والعطاء، ومن أهل الكرم والجود والسخاء.

وقد مدحه أكابر علمائنا مدحاً عاماً، فقال عنه الشيخ المفيد: «وأما زيد بن الحسن (رضي الله عنه) فكان يلي صدقات رسول الله ﷺ، وأسنّ (بني الحسن)، وكان جليل القدر، كريم الطبع، ظريف النفس، كثير البر، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله» ^(٢).

وتوفي زيد سنة ١٢٠ بين مكة والمدينة بموضع يقال له ساجر وهو ابن تسعين سنة كما في إرشاد المفيد وتهذيب التهذيب، وفي عمدة الطالب: «عاش مئة سنة، وقيل: خمساً وتسعين، وقيل: تسعين» ^(٣).

١٤- زيد ابن الإمام زين العابدين (ت ١٢١ هـ):

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا الحسين. عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ^(٤). وذكره في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، مع إضافة جملة: «أبو الحسين، أخوه» ^(٥). كما ذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قائلاً: «مدني، تابعي، قتل سنة إحدى وعشرين ومئة، وله اثنتان وأربعون سنة» ^(٦).

وفي تكملة نقد الرجال: «اتفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله، وقد روي في ذلك أخبار كثيرة حتى عقد ابن بابويه في العيون

١- رجال الطوسي: ص ١١٣، رقم الترجمة: ١١٢٧.

٢- الإرشاد: ص ١٨٥.

٣- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٧، ص ٩٥، رقم ٣٨٧.

٤- رجال الطوسي: ص ١١٣، رقم الترجمة: ١١٢٦.

٥- رجال الطوسي: ص ١٣٥، رقم الترجمة: ١٤٠٦.

٦- رجال الطوسي: ص ٢٠٦، رقم الترجمة: ٢٦٥٥.

بأباً لذلك. وعن الشهيد في قواعده في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انه صرح بأن خروجه كان بإذن الامام عليه السلام»^(١).

وقال عنه الشيخ المفيد: «كان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بشارات الحسين عليه السلام»^(٢).

وقال عنه الأردبيلي: «هو جليل القدر، عظيم المنزلة، قتل في سبيل الله وطاعته، ورد في علو قدره روايات يضيق المقام عن إيرادها»^(٣).

وقد وقع بعنوان زيد بن علي في إسناد عدة من الروايات تبلغ أربعة وستين مورداً. وروى في جميع ذلك عن آبائه عليهم السلام، وفي بعضها عن أبيه عن آبائه عليهم السلام.

وروى عنه أبو خالد الواسطي في موردين، وعمر بن خالد في البقية إلا مورد واحد روى عنه فيه هاشم بن يزيد^(٤).

واستفاضت الروايات في مدح زيد وجلالته، وأنه طلب بخروجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، ولم يكن يدعو لنفسه، ولما بلغ الإمام الصادق عليه السلام مقتله حزن عليه حزناً عظيماً حتى بان عليه^(٥).

١٥- سعيد بن جبیر (ت ٩٥هـ):

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، قائلاً: «سعيد بن جبیر، أبو محمد، مولى بني والبة، أصله الكوفة، نزل مكة، تابعي»^(٦).

١- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٧، ص ١٠٧.

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد: ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

٣- جامع الرواة: محمد علي الأردبيلي، ج ١، ص ٣٥٧.

٤- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ٨، ص ٣٦٩، رقم الترجمة: ٤٨٨٠.

٥- راجع: الإرشاد: الشيخ المفيد: ص ٢٥٩.

٦- رجال الطوسي: ص ١١٤، رقم الترجمة: ١١٣٢.

وكان سعيد بن جبير أحد الأعلام المبرزين من التابعين، ومن أبرز العلماء في عصره، ولذا «كان يسمى جهبذ العلماء، وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه»^(١).

وكان قارئاً للقرآن ومفسراً له، فقيهاً فاضلاً، عابداً ورعاً، عارفاً بصيراً. قال عنه أبو نعيم الأصفهاني: «الفقيه البكّاء، والعالم الدّعاء، السعيد الشهيد، السديد الحميد»^(٢).

وقال عنه ابن كثير الدمشقي: «كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه، وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح»^(٣).

روى عن ابن عباس، وعبدالله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي سعيد الخدري، وآخرين. وروى عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السلمي. روى عنه أبو صالح السمان، وأيوب السخيتاني، وثابت بن عجلان، وأبو المقدام ثابت بن هُرمز، وحبيب بن أبي ثابت، وحمّاد، وسالم الأفطس، وسلمة بن كهيل، وخلق كثير.

ومن كلام سعيد: «التوكل على الله جماع الإيمان». وكان يدعو: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك». وقال: «إن الخشية أن تخشى الله حتى تحوّل خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن». له في «الخلاف» ثلاثون مورداً في الفتاوى^(٤).

وقد وردت روايات في مدحه والثناء عليه، قال الفضل بن شاذان: «ولم

١- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٩٠. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٧، ص ٢٣٤. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١١٥.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الخافظ الأصفهاني، ج ٤، ص ٢٧٢.

٣- البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١١٦.

٤- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٣٧١، رقم الترجمة: ١٥١.

يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي...»^(١).

وقال الكشي في ترجمته: حدثني أبو المغيرة، قال: حدثني الفضل، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن سعيد بن جبير كان يأتهم بعلي بن الحسين عليه السلام، وكان علي عليه السلام يشني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، وكان مستقيماً»^(٢).

وذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف، قال له: أنت شقي بن كسير؟

قال: أمي كانت أعرف باسمي سمتني سعيد بن جبير.

قال: ما تقول في أبي بكر وعمر، هما في الجنة أو في النار؟

قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، وإن دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: أيهم أحب إليك؟

قال: أرضاهم لخالفه.

قال: فأيهم أرضى للخالف؟

قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال: أبيت أن تصدقني.

قال: بل لم أحب أن أكذبك^(٣).

١- رجال الكشي: ص ١٩٩، رقم ١٨٤.

٢- رجال الكشي: ص ٣٠٢ - ٣٠٣، رقم ١٩٠.

٣- رجال الكشي: ص ٣٠٢ - ٣٠٣، رقم ١٩٠.

وقد أمر الحجاج بضرب عنقه، فسقط رأسه إلى الأرض، ولم يبق الحجاج بعد قتله إلا أيامًا قلائل حتى هلك، وكان الحجاج يستيقظ مذعورًا فزعًا؛ لأنه كان يرى سعيد بن جبير في منامه، وهو أخذ بمجامع ثوبه، فيقول: يا عدو الله فيم قتلتنني؟ فيقول: مالي ولسعيد بن جبير! مالي ولسعيد بن جبير! (١). حتى هلك سريعًا في شر مودة نتيجة أعماله الإجرامية، وقتله للعلماء والصالحين.

وذكر زكريا القزويني (ت ٦٨٢هـ): كان الناس إذا سألوا بالكوفة ابن عباس يقول: أتسألوني وفيكم سعيد بن جبير؟!

وكان سعيد ممن خرج على الحجاج وشهد دير الجماجم، فلما انهزم ابن الأشعث لحق سعيد بمكة، وبعد مدة بعثه خالد بن عبدالله القسري، وكان واليًا على مكة من قبل الوليد ابن عبد الملك، إلى الحجاج تحت الاستظهار، وكان في طريقه يصوم نهارًا ويقوم ليلاً، فقال له الموكل به: إني لا أحب أن أهلك إلى من يقتلك، فاذهب أي طريق شئت!

فقال له سعيد: إنَّه يبلغ الحجاج أنك خليتني وأخاف أن يقتلك!

فلما دخل على الحجاج قال له: من أنت؟

قال: سعيد بن جبير!

قال: بل أنت شقي بن كسير!

قال: سمّني أمي!

قال: شقيت!

قال: الغيب يعلمه غيرك!

فقال له الحجاج: لأبدلنك من دنياك نارًا تتلظى!

فقال سعيد: لو علمت أن ذاك إليك ما اتّخذت إلهًا غيرك!

قال: ما تقول في الأمير؟

قال: إن كان محسنًا فعند الله ثواب إحسانه، وإن كان مسيئًا فلن يعجز الله!

قال: فما تقول فيّ؟

قال: أنت أعلم بنفسك!

فقال: تب في علمك!

فقال: أذم أسوأك ولا أسرك.

قال: تب!

قال: ظهر منك جور في حدّ الله وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله!

قال: والله لأقطعنك قطعًا قطعًا ولأفرقن أعضائك عضوًا عضوًا!

قال: فإذا تفسد عليّ دنيائي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك!

قال: الويل لك من الله!

قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار!

فقال: اذهبوا به واضربوا عنقه.

فقال سعيد: إني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول

الله، لتستحفظه حتى ألقاك بها يوم القيامة! فذهبوا به فتبسّم، فقال

الحجاج: لم تبسّمت؟

فقال: لجرأتك على الله تعالى!

فقال الحجاج: أضجعوه للذبح! فأضجع.

فقال: ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١).

فقال الحجاج: اقلبوا ظهره إلى القبلة.

قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢).

قال: كبّوه على وجهه.

١- الأنعام: ٧٩.

٢- البقرة: ١١٥.

فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(١) فذبح من قفاه!^(٢)

وعن خالد بن خليفة، عن أبيه، قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلمّا بان رأسه قال: لا إله إلا الله مرّتين والثالثة لم يتمّها، وعاش الحجاج بعده خمسة عشر يوماً، وقع الدود في بطنه، وكان يقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ كلّما أردت النوم أخذ برجلي!^(٣)

وروى المؤرخ المعروف المسعودي حادثة القتل الشنيع ما نصه:
وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير، فذكر عون بن أبي راشد العبدى قال: لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له: ما اسمك؟ قال: اسمي سعيد بن جبير.

قال: بل شقي بن كسير!

قال: أبي كان أعلم باسمي منك.

قال: لقد شقيت وشقي أبوك.

قال له: الغيب إنما يعلمه غيرك.

قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

قال: لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت لها غيرك.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك.

قال: بل اختر يا شقي لنفسك، فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها.

١ - طه: ٥٥.

٢ - آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا القزويني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

٣ - آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني، ص ٢٥٦.

فأمر به الحجاج، فأخرج ليقتل، فلما ولى ضحك، فأمر الحجاج برده، وسأله عن ضحكه، فقال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك، فأمر به فذبح، فلما كبَّ لوجهه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي، فذبح واحتز رأسه.

ولم يعيش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الأكلة فمات من ذلك، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد: يا قوم مالي ولسعيد بن جبير؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي! ^(٣). وقد ذكر أنه أخذه السل، وهجره الرقاد ^(٤).

وتوفي سعيد سنة خمس وتسعين عن سبع وخمسين سنة ^(٥). قضاهما في العبادة والتهجد وتلاوة القرآن الكريم، ونشر العلم والفضيلة والأخلاق، ورواية الحديث ونشره.

١٦- سعيد بن المسيّب المخزومي (ت ٩٤ هـ):

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، قائلاً: «سعيد بن المسيّب بن حزن، أبو محمد المخزومي، سمع منه وروى عنه عليه السلام، وهو من الصدر الأول» ^(٤).

وعده البرقي في رجاله أيضاً من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ^(٥). قال عنه الذهبي في تذكّره: «سعيد بن المسيّب، الإمام، شيخ الإسلام، فقيه المدينة، أبو محمد المخزومي، أجلّ التابعين، ولد لسنتين مضتا من

١- مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٦.

٢- البدء والتاريخ: البلخي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٤٥٥.

٣- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا القزويني، ص ٢٥٦.

٤- رجال الطوسي: ص ١١٤، رقم الترجمة: ١١٣١.

٥- رجال البرقي: ص ٦٦، رقم الترجمة: ١٠.

خلافة عمر وسمع من عمر شيئاً وهو يخطب، وسمع من عثمان وزيد بن ثابت وعائشة وسعد وأبي هريرة، وخلق، وكان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة قوَّالاً بالحق... وقال أحمد بن حنبل وغيره: مراسلات سعيد صحاح، وقال قتادة: ما رأيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيَّب، وكذا قال الزهري ومكحول وغير واحد، وصدقوا^(١).

وقال عنه أيضاً في سيره: «الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه»^(٢).

وقال عنه أيضاً في دول الإسلام: «مات عالم أهل زمانه، وسيد التابعين سعيد بن المسيَّب المخزومي وقد قارب ثمانين سنة»^(٣).

فابن المسيَّب عند علماء الجمهور إمام في الحديث، وإمام في الفقه، ومصادرهم مليئة بأحاديثه وآرائه الفقهية.

وأما علماؤنا فقد اتفقوا على أنه كان شيعياً واختلفوا على وثاقته وعدالته؛ فوثقه بعضهم، وقدح فيه البعض الآخر، وتوقف آخرون!

وبعد أن ناقش السيد الخوئي (قدس سره) الروايات القادحة فيه وردّها، قال: «إن الصحيح هو التوقف في أمر الرجل لعدم تمامية سند المدح والقدح، ولقد أجاد المجلسي حيث اقتصر على نقل الخلاف في حال الرجل من دون ترجيح»^(٤).

وجاء في ترجمة ابن المسيَّب في موسوعة طبقات الفقهاء: ولد بالمدينة سنة ثلاث عشرة، وقيل: خمس عشرة.

روى عن عثمان، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وكان زوج ابنته، وعائشة، وأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وابن عباس، وآخرين.

١- تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج ١، ص ٥٤، رقم ٣٨.

٢- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٤، ص ٢١٧، رقم الترجمة: ٨٨.

٣- دول الإسلام: الذهبي، ص ٥٤.

٤- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ٨، ص ١٣٩، رقم الترجمة ٥١٩٠.

روى عنه ابنه محمد، والزهرى، وقتادة، وشريك، وإدريس بن صبيح، وعبد الكريم الجزري، وعلي بن جدعان، وآخرون.

روي عن الفضل بن شاذان، قال: لم يكن في زمن علي بن الحسين عليهما السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس.. وذكر منهم سعيد بن المسيب، ثم قال: سعيد بن المسيب رباه أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) وكان حزن جد سعيد أوصى إلى أمير المؤمنين ^(٢).

وروي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفهمهم في زمانه» ^(٣).

وكان عنده أمر عظيم من بني أمية وسوء سيرتهم، وكان لا يقبل عطاءهم، فلما عقد عبدالملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد، أبى سعيد ذلك، فضربه هشام بن إسماعيل المخزومي عامل المدينة ستين سوطاً، وألبسه تَبَانًا من شعر وأمر به، فطيف به ثُمَّ سجن.

قيل له: ادعُ على بني أمية، فقال: اللهم أعز دينك، وأظهر أولياءك وأخز أعداءك في عافية لأمة محمد صلوات الله عليه وآله.

نقل عنه الشيخ الطوسي إحدى وسبعين فتوى في «الخلافا».

كما وقع سعيد بن المسيب في إسناد جملة من الروايات في الكتب الأربعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تبلغ أربعة عشر مورداً، فقد روى عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعن جابر بن عبد الله، وسلمان، وعلي بن أبي رافع، وروى عنه أبان بن تغلب، وغالب الأسدي، وأبو حمزة الثمالي.

توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها ^(٤).

١- قال العلامة الحلي في الخلاصة: ٢/ ٢٠: هذه الرواية فيها توقف.

٢- رجال الكشي: ص ١٩٩، رقم ١٨٤.

٣- رجال الكشي: ص ٢٠٣، رقم ١٨٩. الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ١٢١.

٤- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٣٧٥ - ٣٧٦، رقم الترجمة: ١٥٤.

١٧- عامر بن واثلة الكناني (ت ١٠٠هـ):

عَدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، قائلاً: «عامر بن واثلة الكناني، يكنى أبا الطفيل، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام»^(١). وذكره البرقي في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، كما عدَّه من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٣).

وترجمه السيد الأمين في أعيانه قائلاً: «أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني. ولد عام أحد وتوفي سنة ١٠٠، وهو آخر من مات من الصحابة وشهد مع علي صفين، وكان من خلصي أنصاره. وقال بعض المجلات: إن له ديوان شعر، طبعه بعض مستشري الألمان»^(٤). وكان شاعراً موهوباً، وخطيباً فصيحاً، فقد «كان شاعر كنانة وأحد فرسانها، روى عن الرسول ﷺ طائفة من الأحاديث، وحمل راية علي بن أبي طالب في بعض وقائع. توفي سنة ١٠٠ هـ»^(٥).

وذكر آغا بزرك الطهراني أن له ديوان شعر بعنوان: «(ديوان أبي الطفيل) أدرك ثماني سنين من حياة النبي ﷺ، ولد في عام أحد، وهو آخر من مات من الصحابة كما في مختصر الذهبي أنه مات (١١٠)»^(٦).

كان عامر بن واثلة من خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وممن حارب مع المختار الثقفي في تتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وآخر من مات ممن رأى النبي ﷺ.

١٨- عبدالله بن شريك العامري:

يكنى أبا المحجل، روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر عليهما السلام، وكان عندهما وجهاً مقدماً^(٧).

١- رجال الطوسي: ص ١١٨، رقم ١١٩٢.

٢- رجال البرقي: ص ٤٢، رقم ٣٧.

٣- رجال البرقي: ص ٦٤، رقم ٢.

٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج ٧، ص ٤٠٨، رقم الترجمة: ١٤١٩.

٥- الأنساب: سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، ج ٢، ص ٤٥، هامش رقم ٢٤.

٦- الذريعة: آقا بزرك الطهراني، ج ٩، ص ٤٥.

٧- خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ج ٢، ص ١٥٣، رقم الترجمة: ٢٧/٦١١.

عده البرقي في رجاله من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ^(١).

كان تابعياً، من كبراء أهل الكوفة، روى عن علي زين العابدين، وعن أبي جعفر الباقر، وعن أبي عبدالله الصادق، وعن عبدالله بن عباس، وعن سويد بن غفلة.

روى عنه أبو مريم عبد الغفار الأنصاري، وعقبة بن بشير الأسدي، وسفيان بن عيينة، وقال: جالسناه، وكان ابن مائة سنة. وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة، ويعقوب بن سفيان، وقال النسائي: ليس به بأس ^(٢).

١٩- عبدالله ابن الإمام زين العابدين:

عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ^(٣).

ويلقب بالباهر لجماله، قيل: ما جلس مجلساً إلا بهر جماله وحسنه من حضر، وأمه أم أخيه محمد الباقر عليه السلام، ومات وهو ابن سبع وخمسين سنة ^(٤). قال عنه الشيخ المفيد: «وكان عبدالله بن علي بن الحسين أخو أبي جعفر عليه السلام يلي صدقات رسول الله ﷺ وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان فاضلاً فقيهاً. وروى عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخباراً كثيرة، وحديث الناس عنه وحملوا عنه الآثار» ^(٥).

قال ابن حجر العسقلاني في ترجمته: «عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي. روى عن أبيه وجده الأكبر علي بن أبي طالب مرسلًا وجده لأمه الحسن بن علي ابن أبي طالب.

١- رجال البرقي: ص ٧٨، رقم ٢٦.

٢- رجال البرقي: ص ٧٨، رقم ٢٦، الهاشمي: رقم ٣.

٣- رجال الطوسي: ص ١١٦، رقم ١١٦٩.

٤- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: الشيخ عباس القمي، ج ٦، ص ٧٣.

٥- الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٨.

روى عنه عمارة بن غزية، وموسى بن عقبة، وعيسى بن دينار، ويزيد بن أبي زياد.

ذكره ابن حبان في الثقات وقال: أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. قلت: وصحح الترمذي حديثه والحاكم^(١).

٢٠- عبد المؤمن بن القاسم (ت ١٤٧ هـ):

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢). كما ذكره في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، قائلاً: «عبد المؤمن بن القاسم أخو أبي مريم الأنصاري»^(٣). وفي أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قائلاً: «عبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن قيس بن فهد»^(٤) الكوفي أبو عبدالله الأنصاري، أسند عنه^(٥).

قال عنه النجاشي: «عبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن قيس بن قهد الأنصاري، روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، ثقة، هو وأخوه، وهو أخو أبي مريم عبد الغفار بن القاسم. وقيس بن قهد صحابي ذكره في «ذيل المذيل».

يكنى عبد المؤمن بأبي عبدالله، كوفي، توفي سنة سبع وأربعين ومائة وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

له كتاب يرويه جماعة، منهم سفيان إبراهيم بن مرثد الحارثي^(٦).

١- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، ج ٥، ص ٢٨٤، رقم الترجمة: ٥٥٧.

٢- رجال الطوسي: ص ١١٨، رقم ١٢٠٢.

٣- رجال الطوسي: ص ١٤٢، رقم ١٥٢٨.

٤- قال التستري في قاموس الرجال ج ٧، ص ٤: في نسخ رجال الشيخ والنجاشي «فهد» بالفاء - في الموضعين - والصواب «قهد» بالقاف.

٥- رجال الطوسي: ص ٢٤١، رقم ٣٣١٢.

٦- رجال النجاشي: ص ٢٣٩، رقم الترجمة: ٦٥٥.

٢١- عمران بن ميثم التمار:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ^(١).
 وثقه النجاشي وقال: «مولى، ثقة، روى عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام» ^(٢).
 وقال التستري: «ثُمَّ إِنَّ الوسيط عنون أربعة: «عمران بن ميثم الأسدي الكوفي» عن رجال الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام. ثُمَّ «عمران بن ميثم الكوفي» أيضًا كذلك. ثُمَّ «عمران بن ميثم التمار» عنه في أصحاب علي بن الحسين عليه السلام. ثُمَّ «عمران بن ميثم بن يحيى الأسدي» عن النجاشي، مع أَنَّ الكلَّ واحد. ومورد روايته عن الصادق عليه السلام» ^(٣).

ولذا قال صاحب مستدركات علم رجال الحديث في ترجمته: «عمران بن ميثم بن يحيى الأسدي الكوفي التمار: ثقة بالاتفاق. من أصحاب السَّجَّاد والباقر والصادق (صلوات الله عليهم). وروى عن أبيه» ^(٤).

٢٢- الفرزدق الشاعر (ت ١١٠ هـ):

كان الفرزدق شاعرًا موهوبًا ومشهورًا، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، قائلًا: «الفرزدق الشاعر، ويكنى أبا فراس» ^(٥).
 وعده أيضًا ابن شهر آشوب من أصحاب السَّجَّاد عليه السلام ^(٦).
 واسم الفرزدق: «هَمَّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع» ^(٧).

١- رجال الطوسي: ص ١١٨، رقم ١١٩٧.

٢- رجال النجاشي: ص ٢٨٠، رقم الترجمة: ٧٨٥.

٣- راجع: قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري، ج ٨، ص ٢٥٥.

٤- مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النازي الشاهرودي، ج ٦، ص ١٣١، رقم الترجمة: ١١٢٠٣.

٥- رجال الطوسي: ص ١١٩، رقم ١٢٠٨.

٦- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ١٤، ص ٢٧٩، رقم الترجمة: ٩٣٣٤.

٧- اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير، ج ٣، ص ١٦٥.

والفرزدق الشاعر «سمع ابن عمر وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة، روى عنه مروان الأصفر وابن أبي نجيح وابنه لبطة وأشعث بن عبد الملك وكان في شبابه يكنى أبا مكية»^(١).

وقد سجل التاريخ قصيدته الميمية الرائعة التي مدح فيها الإمام زين العابدين عليه السلام وبيّن فيها فضائله ومناقبه عندما أنكر هشام بن عبد الملك معرفته به، فأثارت تلك القصيدة غضبه وأمر بسجن الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة.

قال عنه السيد حسن الصدر: «الشاعر الشهير، أشعر الشعراء في عصره وأفخرهم، شيعي إمامي»^(٢).

قال السيد المرتضى في الدرر والغرر: «وكان الفرزدق شيعياً مائلاً إلى بني هاشم. قال: وكان قد نزع في آخر عمره عمّا كان من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً عن الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً»^(٣).

وقال في رياض العلماء: «أبوفراس الفرزدق الشاعر الماهر المعاصر لجرير المعروف بالفرزدق الشيعي الإمامي المادح لمولانا علي بن الحسين عليهما السلام بقصيدة معروفة في كتب رجال أصحابنا كالكتّبي وغيره. وقد مدحه أصحاب الرجال من علمائنا وعدّوه من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام»^(٤).

قصيدته الميمية

من القصائد المشهورة للفرزدق قصيدته الرائعة في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام، والتي تعرف بالقصيدة الميمية، وقد قالها عندما حج

١- إكمال الكمال: ابن ماکولا، ج ٧، ص ٥٧.

٢- تكملة أمل الآمل: السيد حسن الصد، ج ٤، ص ٢١٣.

٣- أمالي المرتضى: ج ١، ص ٤٥.

٤- رياض العلماء: ج ٤، ص ٣١٤ - ٣١٥. تكملة أمل الآمل: السيد حسن الصد، ج ٤، ص ٢١٣.

هشام بن عبد الملك في خلافة أبيه أو أخيه الوليد، فطاف بالبيت، ولما أراد أن يستلم الحجر الأسود لم يستطع من كثرة الزحام، فنُصب له منبر فجلس عليه، وبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام، فالتف الناس حوله، ورحبوا به، ثم أخذ يطوف بالبيت الحرام، ولما أراد أن يستلم الحجر الأسود تنحى الناس عنه احتراماً له وإجلالاً وهيبة منه وتعظيماً له، فأثار ذلك غضب هشام وانزعاجه الشديدين، فهو ابن الحاكم الذي لم يلتفت إليه أحد، وهذا الهاشمي يقبل عليه الناس بكل لطفة ومحبة وشوق!

ولذا لما سأله أهل الشام: من هذا؟ زعم أنه لا يعرفه!

فقال الفرزدق قصيدته المشهورة في مدح الإمام وبيان فضائله ومناقبه، وهو الأمر الذي جعل هشام يزداد غضباً وحنقاً، وأمر بحبس الفرزدق ومحو اسمه من ديوان العطاء!

روى الفتال النيسابوري - وغيره نحوه - : أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ، فَنُصِبَ لَهُ مِنْبَرٌ وَأُطَافَ بِهِ أَهْلُ الشَّامِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبِهِمْ رَائِحَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَجَّادَةٌ كَأَنَّهَا رُكْبَةٌ عَنْزٍ، فَجَعَلَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَإِذَا بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ تَنَحَّى النَّاسُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا، فَعَاظَ ذَلِكَ هِشَامًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِهِشَامٍ: مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ هَابَهُ النَّاسُ هَذِهِ الْهَيْبَةَ وَأَفْرَجُوا لَهُ عَنِ الْحَجَرِ؟

فَقَالَ هِشَامٌ: لَا أَعْرِفُهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرُغَبُ فِيهِ أَهْلُ الشَّامِ.

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ - وَكَانَ حَاضِرًا - : لَكِنِّي أَعْرِفُهُ!

فَقَالَ الشَّامِيُّ: مَنْ هُوَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟

فَقَالَ:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأَّتُهُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
هَذَا عَلِيُّ رَسُولُ اللَّهِ وَالِدُهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يُنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
يَنْشُقُّ نُورَ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
بِكَفِّهِ خَيْرُ زُرَّانٍ رِيحُهُ عَبَقُ
مُشْتَقَّةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا وَفَدُوا
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ
مِنْ جَدِّهِ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
عَمَّ الْبَرِّيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
أَمَسَتْ بُنُورُ هُدَاهُ تَهْتَدِي الظُّلُمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَتْتَهِي الْكَرَمُ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
رُكْنُ الْحُطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَيَّمُ
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ فِي
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ [وَا] الشَّيْمُ
حُلُو الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ
بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِ الْقَلَمِ
وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
عَنْهَا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ

يَسْتَوْكِفَانِ

تَزِينُهُ خَصَلَتَانِ الْخُلُقِ وَالْكَرَمِ

رَحْبُ الْفِنَاءِ أَدِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ

كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنَجَّى وَمُعْتَصِمٌ

وَيُسْتَرَدُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ

أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ

وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمٌ

خِيَمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِاللَّيْلِ هُضْمٌ

سَيَّانٌ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا

لَا وَلَوِيَّةَ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمُ

فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمَمُ

كَلَّتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يُخْشَى بَوَادِرُهُ

لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ نَقِيبَتُهُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمْ

يُسْتَدْفَعُ الشُّوْءُ وَالْبَلَوَى بِحُبِّهِمْ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بُعْدَ غَايَتِهِمْ

هُمْ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أَزَمَتْ أَزَمَتْ

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يُحْلَلَ الدَّمُ سَاحَتَهُمْ

لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ

مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفِ أَوْلِيَّةَ ذَا

قَالَ: فَغَضِبَ هِشَامٌ وَأَمَرَ بِحَبْسِ الْفَرَزْدَقِ، فَحُبِسَ بِعُسْفَانَ بَيْنَ مَكَّةَ
وَالْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ. وَقَالَ: أَعَذَرْنَا يَا أَبَا فِرَاسٍ فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوَصَلْنَاكَ بِهِ،
فَرَدَّهَا، وَقَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا قُلْتُ الَّذِي قُلْتُ إِلَّا لِرِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَمَا كُنْتُ لِأُخَذَ شَيْئًا فَرَدَّهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا قَبِلْتَهَا، فَقَدْ رَأَى

اللَّهُ مَكَانَكَ، وَعَلِمَ نَيْتَكَ فَقَبِلَهَا، فَجَعَلَ الْفَرَزْدَقَ يَهْجُو هِشَامًا وَهُوَ فِي الْحَبْسِ، فَكَانَ مِمَّا هَجَا بِهِ قَوْلُهُ:

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنٌ لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عُيُوبُهَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ^(١).

وروى القطب الراوندي وغيره أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام حَجَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ^(٢)، فَاسْتَجْهَرَ^(٣) النَّاسُ مِنْهُ عليه السلام وَتَشَوَّفُوا لَهُ، وَقَالُوا لِهِشَامٍ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ هِشَامٌ: لَا أَعْرِفُ؛ لِئَلَّا يُرْغَبَ فِيهِ. فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ - وَكَانَ حَاضِرًا -: بَلْ أَنَا أَعْرِفُهُ:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائَتُهُ وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

إِلَى آخِرِهَا.

فَبَعَثَهُ هِشَامٌ، وَحَبَسَهُ، وَمَحَا اسْمَهُ مِنَ الدِّيَّانِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِصَلَةٍ، فَرَدَّهَا وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ إِلَّا دِيَانَةً. فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ أَيْضًا، وَقَالَ: قَدْ شَكَرَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا طَالَ الْحَبْسُ عَلَيْهِ - وَكَانَ يُوْعَدُّهُ بِالْقَتْلِ - شَكَا إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَدَعَا لَهُ فَخَلَّصَهُ اللَّهُ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّهُ مَحَا اسْمِي مِنَ الدِّيَّانِ.

١ - روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ص: ٢٢٠ - ٢٢٢. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٧٧ - ٢٧٩. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٦٨ - ٨٧٣. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٦، ص ٤٧٤. ينابيع المودة: القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٤٣٨.

٢ - قبض الإمام زين العابدين عليه السلام قبل أن يستلم هشام بن عبد الملك الخلافة، لأنه تولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ، والإمام استشهد سنة ٩٥ هـ، فالصحيح ما ورد في مصادر أخرى أنه حج في خلافة أبيه عبد الملك أو أخيه الوليد.

٣ - هكذا جاءت في المصدر، وفي الإرشاد: «فاستجهر الناس من جماله». وَجَهَرَهُ: عَظَّمَ فِي عَيْنِهِ. يُقَالُ: جَهَرْتُ الرَّجُلَ وَاجْتَهَرْتَهُ: إِذَا رَأَيْتَهُ عَظِيمَ الْمَنْظَرِ. وَرَجُلٌ جَهِيْرٌ: أَيُّ ذُو مَنْظَرٍ (النهاية: ج ١ ص ٣٢٠ «جهر»).

فَقَالَ: كَمْ كَانَ عَطَاؤُكَ؟

قَالَ: كَذَا. فَأَعْطَاهُ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَالَ عليه السلام: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَ. فَمَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ أَنْ مَضَى أَرْبَعُونَ سَنَةً^(١).

قال ابن الأثير: مات الفرزدق الشاعر سنة عشر ومئة، وله إحدى وتسعون سنة^(٢).

٢٣- وردان أبو خالد الكابلي:

عَدَّهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام، قَائِلًا: «كُنْكَرٌ، يَكْنَى أَبَا خَالِدٍ الْكَابِلِ، وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ وَرْدَانٌ»^(٣).

وَعَدَّهُ الْبَرْقِيُّ أَيْضًا مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام، قَائِلًا: «أَبُو خَالِدٍ الْكَابِلِي، كُنْكَرٌ»^(٤)، وَيُقَالُ: اسْمُهُ: وَرْدَانٌ»^(٥).

وَرَوَى الْكُشِّي - بِطَرِيقٍ ضَعِيفٍ - أَنَّهُ مِنْ حَوَارِي عَالِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام^(٦).
ثُمَّ رَوَى أَنَّ أَبَا خَالِدٍ الْكَابِلِيَّ خَدَمَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ دَهْرًا وَمَا كَانَ يَشْكُ أَنَّهُ إِمَامٌ حَتَّى سَأَلَهُ مِنْهُ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ: الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام وَعَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْتَنِي حَتَّى عَرَفْتُ إِمَامِي^(٧).
ثُمَّ رَوَى - بِطَرِيقٍ مُرْسَلٍ - عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام [إِلَّا ثَلَاثَةً وَعَدَّ مِنْ جَمَلَتِهِمْ أَبَا خَالِدٍ الْكَابِلِيَّ]^(٨).

١- الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٦٧ ح ١٠، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٤١ ح ٢٢، وراجع الإرشاد: ج ٢ ص ١٥٢. الأمالي للمرتضى: ج ١ ص ٤٩.

٢- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٥، ص ١٥٥.

٣- رجال الطوسي: ص ١١٩، رقم ١٢١٣.

٤- هو لقبه على الأشهر، وقيل: اسمه الذي سمته به أمه.

٥- رجال البرقي: ص ٦٥، رقم ٧.

٦- نقد الرجال: التفريحي، ج ٥، ص ٢٥، رقم الترجمة: ٥٦١٦.

٧- راجع نص الحديث في رجال الكشي: ص ٢٠٤، رقم ١٩٢.

٨- راجع نص الحديث في رجال الكشي: ص ٢٠٦، رقم ١٩٤. نقد الرجال: التفريحي، ج ٥، ص ٢٥، رقم الترجمة: ٥٦١٦.

وقال الشيخ الطوسي في الفهرست: «أبو خالد القمط، له كتاب. وقال ابن عقدة: اسمه كنكر، روى عنه: ابن سماعه ومحمد بن سنان»^(١).

روى عن علي زين العابدين (المتوفى ٩٤هـ)، ومحمد الباقر (المتوفى ١١٤هـ).
وروى عنه سدير حكيم الصيرفي، وهشام بن سالم الجواليقي، وعبد الحميد بن عواض الطائي.

روي أنه لجأ إلى مكة خوفاً من الحجاج الثقفي، وأخفى نفسه فنجا^(٢).

٢٤- مالك بن عطية:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٣).
قال عنه النجاشي: «مالك بن عطية الأحمسي أبو الحسين، البجلي، الكوفي، ثقة. روى عن أبي عبدالله عليه السلام. له كتاب يرويه جماعة»^(٤). كما وثقه العلامة الحلي في الخلاصة^(٥).

طبقة في الحديث

وقع بعنوان مالك بن عطية في إسناده كثير من الروايات تبلغ ستة وتسعين مورداً.
روى عن أبي عبدالله عليه السلام، وعن أبي بصير، وأبي حمزة الثمالي، وأبي عبيدة، وأبي عبيدة الحذاء، وأبيه، وابن أبي يعفور، وأبان بن تغلب، وثوير بن أبي فاختة، وداود بن فرقد، وزياد بن المنذر، وسعيد الأعرج، وسليمان بن خالد، وسورة بن كليب، وضريس الكناسي، وعائذ الأحمسي، وعامر بن جذاعة، وعبد الأعلى بن أعين، وعنبسة بن مصعب، ومحمد بن مسلم، ومعروف بن خربوذ، ومنهال القصاب، ويونس بن عمار، ويونس بن عمار بن فيض أبي الحسن الصيرفي التغلبي الكوفي.

١- الفهرست: ص ٢٦٣، رقم ٨٢٦.

٢- رجال البرقي: ص ٦٥، هامش رقم ١.

٣- رجال الطوسي: ص ١٢٠، رقم ١٢٢٠.

٤- رجال النجاشي: ص ٤٠٤، رقم الترجمة: ١١٣٢.

٥- خلاصة الأقوال: العلامة الحلي: ج ٢، ص ٣٩٥، رقم ١٠٠٨/٢.

وروى عنه ابن رئاب، وابن محبوب، والحسن بن محبوب، وعبدالله بن عبدالرحمن، وعبدالله بن القاسم، وعلي بن الحكم، ومحمد بن سنان. وروى بعنوان مالك بن عطية الأحمسي، عن أبي حمزة الثمالي، وروى عنه علي بن الحكم. وروى عن معروف بن خربوذ المكي، وروى عنه الحسن بن محبوب^(١).

٢٥- محمد بن جبير بن مطعم:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢)، كما عده ابن شهر آشوب من رجاله^(٣)، وهو أحد الخمسة الذين كانوا معه في أول أمره كما روى الكشي^(٤).

قال عنه ابن كثير الدمشقي: «كان من علماء قريش وأشرافها، وله روايات كثيرة، وكان يعقل حجة مجها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة»^(٥).

وقال عنه الذهبي في ترجمته: «محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، أبو سعيد القرشي النوفلي المدني، أخو نافع». روى عن أبيه، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، ومعاوية.

روى عنه بنوه: جبير، وعمر، وإبراهيم، وسعيد، وابن شهاب، وسعد بن إبراهيم الزهريان، وعمر بن دينار، وآخرون. قال ابن سعد: كان ثقةً، قليل الحديث.

وقال الواقدي: توفي بالمدينة في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقيل في خلافة سليمان بن عبد الملك^(٦).

١- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج ١٥، ص ١٧٧-١٧٨، رقم الترجمة: ٩٨٣٩.

٢- رجال الطوسي: ص ١١٩، رقم ١٢١٤.

٣- المناقب: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

٤- رجال الكشي: ص ١٩٩، رقم ١٨٤.

٥- البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ٢١١.

٦- تاريخ الإسلام: الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ٦، ص ٤٦٢.

٢٦- محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ):

عَدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكنه اعتبره «عدو»^(١). لكن السيد الخوئي قال: «يظهر أنَّ نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت، بل الظاهر عدم صحَّتها»^(٢).

والزهري وإن كان من كبار علماء العامة، ومن المقربين للبلاط الأموي، إلا أنه كان يعظَّم الإمام زين العابدين عليه السلام ويظهر محبته له، وقد كان يجالسه كثيراً واستفاد من علومه ومعارفه، وروى عنه الكثير من الروايات والأخبار، وله عدَّة روايات مذكورة في الكافي، والفقيه، والتهذيب.

ومما جاء في ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء:

محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر المدني. روى عن جابر الأنصاري، وأنس، وسهل بن سعد، وأبي الطفيل عامر، وعلي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، وسعيد بن المسيب، وطائفة. حدَّث عنه عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، وعمر بن دينار، وقتادة بن دعامة، وآخرون.

وكان أحد كبار الفقهاء والحفاظ والمحدثين، نزل الشام واستقر بها، ولزم عبدالمك بن مروان، وهشام بن عبدالمك، وكان يزيد بن عبدالمك قد استقضاه. ذُكر أنَّ محمد بن نوح جمع فتاواه في ثلاثة أسفار ضخمة مرتبة على أبواب الفقه. وله في «الخلافة» مائة وعشرة موارد في الفتاوى.

وروي أنَّه كان يحفظ ألفين ومائتي حديث نصفها مسند. وله عدَّة روايات مذكورة في «الكافي» و«من لا يحضره الفقيه» و«تهذيب الأحكام». ثُوِّقَ سنة أربع وعشرين ومائة، وقيل ثلاث، وقيل غير ذلك^(٣).

١- رجال الطوسي: ص ١١٩، رقم ١٢١٨.

٢- معجم رجال الحديث: ج ١٦، ص ٢٠٦.

٣- موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٥٢٣، رقم الترجمة: ٢٥٥.

٢٧- محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكنه أضاف «وقيل: ليس له عنه رواية»^(١).

وقال آخرون: روى عن ابن عمه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وصاهره على ابنته خديجة، وعن أبيه عمر، وعبيد الله بن أبي رافع، وعمه محمد ابن الحنفية. وروى عنه ابنه عبد الله، وسفيان الثوري، ويحيى بن سعيد الأنصاري. وكان أحد رجال بني هاشم عقلاً ونبلاً ودينًا. توفي بعد سنة ١٣٢ هـ، وله ٦٣ سنة^(٢).

٢٨- مسلم بن علي البطين:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٣)، وكذا عده البرقي من أصحابه عليه السلام^(٤).

روى عن علي بن الحسين عليه السلام، وعن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي. روى عنه سليمان الأعمش المتوفى ١٤٨ هـ، وعمار الدهني. وثقه ابن معين، وأحمد بن حنبل، وأبو حاتم، والنسائي^(٥).

٢٩- المنهال بن عمرو الأسدي الكوفي:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٦)، وعده البرقي من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام^(٧)، كما عده من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام أيضًا^(٨).

١- رجال الطوسي: ص ١٢٠، رقم ١٢١٩.

٢- رجال البرقي: ص ٦٩، هامش رقم ١.

٣- رجال الطوسي: ص ١١٩، رقم ١٢١٧.

٤- رجال البرقي: ص ٦٨، رقم ٢٠.

٥- رجال البرقي: ص ٥٨، هامش رقم ٧.

٦- رجال الطوسي، ص ١١٩، رقم ١٢١٦.

٧- رجال البرقي: ص ٦٢، رقم ١٣.

٨- رجال البرقي: ص ٦٨، رقم ١٩.

روى عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأبي جعفر الباقر عليه السلام، وأبي عبدالله الصادق عليه السلام، وله في أحوال السَّجَّاد عليه السلام أخبار لطيفة ^(١)، وكان كثير الاعتناء برواية فضائل أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم ^(٢).

روى عن أنس بن مالك، وعبدالرحمن وزر بن حبيش، وأبي عمر زاذان، وسعيد بن جبير.

وروى عنه حجاج بن أرطاة، وزيد بن أبي أنيسة، وشعبة، والمسعودي، وسوار بن مصعب، وآخرون. وثقه ابن معين وغيره، وقال الدارقطني: صدوق ^(٣).

٣٠- ميمون القداح المكي:

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ^(٤)، كما ذكره في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «ميمون القداح مولى بني مخزوم، مكي» ^(٥)، وعده كذلك من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «ميمون القداح، المكي، مولى بني هاشم، روى عنهما» ^(٦).

وعده البرقي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «ميمون القداح، مولى بني مخزوم» ^(٧)، كما ذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأضاف: «مكي» ^(٨). روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام.

روى عنه ابنه عبد الله، وأبان بن عثمان، ومحمد بن عبد الجبار، ومعاوية بن وهب ^(٩).

١- خاتمة المستدرک: الميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ٩، ص ١٤٤، رقم الترجمة: ٢٩٥٨.

٢- رجال البرقي: ص ٦٢، رقم ١٣، الهامش رقم ٤.

٣- تاريخ الإسلام: ج ٧، الذهبي، ص ٤٨٣، رقم ٥٧٥.

٤- رجال الطوسي: ص ١٢٠، رقم ١٢٢٣.

٥- رجال الطوسي: ص ١٤٥، رقم ١٥٨٣.

٦- رجال الطوسي: ص ٣٠٩، رقم ٤٥٧٥.

٧- رجال البرقي: ص ١١٥، رقم ١٨٨.

٨- رجال البرقي: ص ١٢٨، رقم ٥١.

٩- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي: ج ٢٠، ص ١٢٧، رقم الترجمة ١٢٩٧٨.

وكان ميمون القداح شديد الولاء لأئمة أهل البيت الأطهار، وقريباً منهم، وكثير الاتصال بهم، وبصيراً بكلامهم، وواعياً لمقاصدهم، ويدل على ذلك ما رواه الكليني بسنده: عَنْ سَلَامِ بْنِ سَعِيدٍ الْمُخْزُومِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ عَابِدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَابْنُ شُرَيْحٍ فَقِيهٌ أَهْلُ مَكَّةَ - وَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَيْمُونُ الْقَدَّاحُ مَوْلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام - فَسَأَلَهُ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فِي كَمْ ثَوْبٍ كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟

قَالَ: «فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ: ثَوْبَيْنِ صُحَارِيِّينَ^(١)، وَثَوْبٍ حَبْرَةٍ^(٢)، وَكَانَ فِي الْبُرْدِ قَلَّةٌ». فَكَأَنَّمَا أَزُورُ^(٣) عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «إِنَّ نَخْلَةَ مَرِيمَ إِنَّمَا كَانَتْ عَجْوَةً^(٤)، وَنَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَا نَبَتَ مِنْ أَصْلِهَا كَانَ عَجْوَةً، وَمَا كَانَ مِنْ لُقَاطٍ^(٥) فَهُوَ لَوْنٌ^(٦)».

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ لِابْنِ شُرَيْحٍ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؟ فَقَالَ ابْنُ شُرَيْحٍ: هَذَا الْغُلَامُ يُخْبِرُكَ؛ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ - يَعْنِي مَيْمُونٌ - فَسَأَلَهُ، فَقَالَ مَيْمُونٌ: أَمَا تَعْلَمُ مَا قَالَ لَكَ؟

١ - «صُحَارٍ»: قرية باليمن ينتسب الثوب إليها. وقيل: هو من الصُّحْرَةِ، وهي حُمْرَةٌ كَالْغُبْرَةِ. يقال: ثَوْبٌ أَصْحَرُ وَصُحَارِيٌّ. النهاية، ج ٣، ص ١٢ (صحر).

٢ - الْحَبِيرُ مِنَ الْبُرُودِ: مَا كَانَ مَوْشِيًّا مَخْطُطًا. يقال: بُرْدٌ حَبِيرٌ، وَبُرْدٌ حَبْرَةٌ بوزن عَنَبَةٍ عَلَى الْوَصْفِ وَالْإِضَافَةِ، وَهُوَ بُرْدُ يَمَانٍ. والجمع حَبِرٌ وَحَبَرَات. النهاية، ج ١، ص ٣٢٨ (حبر).

٣ - «أزور»، أي عدل وانحرف؛ من الأزورار عن الشيء بمعنى العدول عنه. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٦٧٣ (زور).

٤ - «العَجْوَةُ»: ضرب من أجود التمر بالمدينة، ونخلتها تسمى لَبْنَةً. الصحاح، ج ٦، ص ٢٤١٩ (عجو).

٥ - «اللُقَاطُ»: مَا كَانَ سَاقِطًا مِنَ الشَّيْءِ التَّافِهِ الَّذِي لَا قِيَمَةَ لَهُ وَمِنْ شَاءَ أَخَذَهُ. لسان العرب، ج ٧، ص ٣٩٣ (لقط).

٦ - «الْلَوْنُ»: نوع من النخل. وقيل: هو الدَّقْلُ، وهو أَرْدَا التمر. وقيل: النخل كُلُّهُ مَا خَلَا الْبَرْنِيَّ وَالْعَجْوَةَ. ويسميه أهل المدينة الألوان، واحده: لَبْنَةٌ. راجع: النهاية، ج ٤، ص ٢٧٨ (لون).

قَالَ: لَا، وَاللَّهِ.

قَالَ: إِنَّهُ ضَرَبَ لَكَ مَثَلَ نَفْسِهِ، فَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ وَلَدٌ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَعِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ عَنْدهُمْ، فَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِمْ، فَهُوَ صَوَابٌ، وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ لِقَاطٌ^(١).

ويستفاد من هذه الرواية - وإن كانت ضعيفة السند - شدة اختصاصه بأئمة أهل البيت الذين عاصروهم، كما يدل عليه قول ابن شريح: فإنه منهم، وفي هذا مدح عظيم له، وثناء عليه.

٣١- يحيى بن أم الطويل:

عَدَّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَام)^(٢)، كما عَدَّه البرقي في رجاله من أصحابه أيضًا^(٣).

روى الكشي أنه من حوارى علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)^(٤). قال الفضل بن شاذان: «لم يكن في زمن علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) في أول أمره إلا خمسة أنفس، ذكر من جملتهم يحيى بن أم الطويل»^(٥).

وقد قتله الحجاج الثقفي لولائه لأمر المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام). أمره أن يسب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) فرفض، فأمر بقتله، ودفن بواسط.

روى الكشي عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر الأول (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: «أما يحيى بن أم الطويل فكان يظهر الفتوة، وكان إذا مشى في الطريق وضع الخلق على رأسه ويمضغ اللبان ويطول ذيله، فطلبه الحجاج، فقال: تلعن أبا تراب، وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله»^(٦).

١- الكافي: ج ١، ص ٤٠٠، ح ٦؛ الفقيه، ج ١، ص ١٥٢، ح ٤١٩؛ التهذيب، ج ١، ص ٢٩٢، ح ٨٥٣؛ و ص ٢٩٦، ح ٨٦٩؛ الوافي، ج ٣، ص ٦١٠، ح ١١٨٨؛ البحار، ج ٤٧، ص ٣٦٨، ح ٨٦.

٢- رجال الطوسي: ص ١٢٠، رقم ١٢٢٦.

٣- رجال البرقي: ص ٦٥، رقم ٨.

٤- رجال الكشي: ص ٧٠ - ٧١، رقم ٢٠.

٥- خلاصة الأقوال: العلامة الحلي: ج ٢، ص ٤٤٩، رقم ١٠٨٢.

٦- رجال الكشي: ص ٢٠٦، رقم ١٩٥.

ويكفي في بيان مكانته الرفيعة وسمو شأنه وصلابة إيمانه ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ارتدَّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا»^(١).

مسك الختام

يشكّل هؤلاء الأعلام الصفوة من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ورواته، الذين تتلمذوا على يديه، وأخذوا العلوم الدينية منه، وسمعوا منه مباشرة الحديث والكلام والتفسير والفقه والأدعية وغيرها من المعارف الإسلامية؛ وكان لهؤلاء الصفوة الفضل - فيما بعد - في تدوين تراث الإمام زين العابدين عليه السلام وحفظه ونشره بين أهل العلم والمعرفة والفكر والأدب. وكان فيهم بقايا الصحابة، وأعلام التابعين، وكبار الفقهاء والعلماء، والخلّص من أصحابه وثقاته ورواته، ممن نقلوا عنه عقائد أهل البيت وعلومهم إلى مختلف الآفاق القريبة والبعيدة.

واستطاع الإمام زين العابدين عليه السلام بما أُوتي من علم غزير، وبما بذله من جهود علمية كبيرة؛ عبر هؤلاء النخبة من الأصحاب والرواة والثققات أن ينشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأن يثبت نهجهم مع كل التحديات والعقبات التي واجهته بعد مأساة كربلاء الدامية؛ وكان لتراثه العلمي المميز كالصحيفة السجادية ورسالة الحقوق وغيرهما من الآثار العلمية أثر فاعل في إيصال رسالة أهل البيت العلمية إلى الناس، وكسب المزيد من الأنصار والأتباع والمحبين، وهو الأمر الذي ساهم في اتساع القاعدة الشعبية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

خلاصة الباب الثالث

كان عنوان الباب الثالث موسومًا بـ «السيرة العلمية والفكرية للإمام زين العابدين عليه السلام» ويقع هذا الباب في ستة فصول، هي:

١- الفصل الأول أسميته بعنوان «علم الإمام زين العابدين عليه السلام» وتركز البحث في المبحث الأول منه على المكانة العلمية للإمام عليه السلام، إذ عُرف عليه السلام بين الخاصة والعامة بغزارة العلم، وسعة المعرفة والفكر، وقوة الدليل والحجة؛ فهو معدن العلم، ووارث الحكمة، وينبوع المعرفة؛ فشاع صيته في الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر، ومقصد العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين. روى عنه فقهاء الإسلام من العلوم ما لا يحصى كثرة، ورووا عنه كثيرًا من المواعظ، والأدعية، ومسائل الحلال والحرام، وأجمع معاصروه على أنه كان أعلم وأفقه وأفضل أهل زمانه بلا منافس.

وفي المبحث الثاني تناولنا مجموعة من آثاره العلمية وذخائره النفيسة التي تفصح عن مكانته العلمية العالية، وغزارة معارفه، وسعة علومه، وقد حفظت لنا كتب الحديث والتاريخ والسيرة مجموعة من تلك الآثار العلمية المهمة، منها الصحيفة السجادية؛ والتي أصبحت من الكتب المشهورة والمتداولة بين المسلمين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وقاموا بدراساتها وشرحها، والاستفادة مما احتوته من معارف وعلوم وكنوز علمية ومعرفية مهمة.

وتعد الصحيفة السجادية من أبرز الآثار العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام التي تدل على عمقه العلمي، وتميزه بالفصاحة والبلاغة والبيان؛ فهي - بحق - جامعة للأدب العربي الفصيح، وتأتي بعد نهج البلاغة من حيث القيمة البلاغية لها. ومنها رسالة الحقوق؛ وهي سفر عظيم، ووثيقة علمية وحقوقية مهمة.

تناولت الحقوق والواجبات، وهي أول وثيقة مدونة في حقوق الإنسان قبل أن يتحدث العالم بمئات السنين عن وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م؛ ما يوضح لنا رؤية الإمام زين العابدين عليه السلام العميقة عن ثقافة حقوق الإنسان ومبادئها.

ومنها رسالة في الزهد. يبين فيها آراءه في مسألة الزهد، ومفهومه له، وما ينبغي أن يكون عليه الإنسان الزاهد؛ وكان عليه السلام إذا وعظ الناس عن الزهد بكى وأبكى الحاضرين، لأن كلامه كان يصدر من قلب إنسان صادق وهو في غاية الزهد والتقوى والورع عن محارم الله.

ومنها مناظراته واحتجاجاته العلمية؛ وقد نقلنا طائفة من تلك المناظرات والاحتجاجات العلمية مع أرباب الفرق والتيارات والمدارس والنحل والمذاهب والأديان المختلفة.

وامتاز أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام ومنهم الإمام زين العابدين عليه السلام بالتفوق في هذا الفن، وكانوا على أتم الاستعداد والجاهزية لمناظرة من أراد من أهل المذاهب والفرق والأديان المختلفة، وما ناظر إمام معصوم أحداً إلا أفحمه بالرد العلمي القوي.

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل تطرقنا إلى دور الإمام عليه السلام العلمي في الأمة، إذ قام بدور كبير ومؤثر في بسط العلم والمعرفة، وتعليم الناس علوم الإسلام ومعارفه، وكتابة الحديث وتدوينه، وتبيين تفسير القرآن وتأويله، وبيان فقه الشريعة وأحكامها؛ بهدف إعداد جيل من الفقهاء والعلماء والرواة، وبناء كفاءات علمية عالية، وإشاعة العلم في المجتمع.

وقد تفرغ الإمام عليه السلام بعد رجوعه إلى المدينة المنورة واستقراره فيها إلى نشر العلوم الدينية، وبناء شخصية الإنسان المؤمن، والسعي نحو القضاء على منابع الجهل والتخلف، وصناعة الوعي والبصيرة عند أصحابه وشيعته وطلابه ومريديه ومحبيه.

وأصبح الإمام عليه السلام في المدينة المنورة بعدما عاد إليها واستقر فيها مناراً للعلم، ومنهلاً للحكمة، وينبوعاً للعلوم والمعارف، ومقصداً لطلاب العلم والمعرفة، ومرجعاً للدين، وإماماً للمؤمنين، وسيداً للمتقين.

٢- في الفصل الثاني من هذا الباب والذي كان بعنوان «البناء العقائدي عند الإمام زين العابدين عليه السلام» تطرق المبحث الأول فيه إلى دور الإمام عليه السلام العقائدي عبر ترسيخ العقائد الصحيحة فيما يرتبط بمسائل التوحيد والنبوة والإمامة، وإرشاد الناس إلى طريق الحق والهدى، والتصدي لأصحاب العقائد الفاسدة، والرد على شبهاتهم واشتباهاهم العقائدية، وتصحيح ما يراه خاطئاً، وتفصيل ما يراه مجملاً، وتأصيل ما يحتاج إلى تأصيل في مفاهيم العقائد والكلام.

واهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً بالغاً ببيان العقائد الحقة، والرد على الشبهات والإشكاليات العقائدية والكلامية التي كان يثيرها الملاحدة والزنادقة والمبتدعة وغيرهم من أصحاب المقالات الفاسدة والآراء الباطلة للتأثير على الناس، وحرفهم عن العقائد الصحيحة.

وفي المبحث الثاني من الفصل الثاني تناولنا تصدي الإمام زين العابدين عليه السلام للتعصب الديني المذموم، إذ نهى الإسلام عن التعصب والعصية بجميع أشكالها وأقسامها وصورها وألوانها، سواء التعصب القبلي والعشائري، أم التعصب العرقي، أم التعصب الفكري، أم التعصب الديني؛ لما للتعصب والعصية من آثار ومفاعيل وتداعيات سلبية وسيئة في حياة ومسيرة المجتمعات الإنسانية.

وبعد أن أوضحنا مفهوم التعصب لغة واصطلاحاً، تناولنا ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام حول مفهوم التعصب والعصية، وهي التي تركز على تفضيل الرجل قومه على الأقوام الأخرى، أو الدفاع عنهم ولو كانوا على الباطل، أو إعانة جماعته في ظلم من يختلف معهم،

أو الدفاع عن المذهب الباطل والرأي الفاسد والانحياز له، وهذا هو التعصب المذموم والمنهي عنه. وأما حب الإنسان لأهله وقومه ومجتمعه وبلده فهو أمر فطري وطبيعي، ويعزز من هوية الإنسان وانتمائه دون الإساءة للآخرين أو انتهاك حقوقهم المشروعة.

وبعد ذلك تطرقنا في هذا المبحث إلى تصدي الإمام زين العابدين عليه السلام للتعصب الديني المنهي عنه، وكيف عالج دوافعه وأسبابه المتعددة نظرياً وعملياً، ومنها نقده للعنصرية العرقية والقومية، نقض المبتنيات الدينية المنحرفة، والمعتقدات الفاسدة؛ كالعقائد المبتنية على منطق الجبر والجبرية أو على منطق التفويض والمفوضة، أو التفسير الخاطئ لمفهوم القضاء والقدر مع تبين رأي الإمام زين العابدين عليه السلام حول مختلف الآراء المطروحة ونقضه لها. وواجه الإمام زين العابدين عليه السلام التعصب الديني بمفهومه السلبي نظرياً عبر أقواله وكلماته التي انتقد فيها كل ما يدعو إلى العصبية والتعصب تجاه الآخرين، وعملياً عبر سلوكياته وأفعاله كمجالسة العبيد والموالي، والتزوج بالإماء وغيرها من سبل المواجهة والتصدي للعصبية والتعصب الديني والعنصري.

ومارس الإمام زين العابدين عليه السلام عملياً محاورة ومناظرة الآخر بالدليل والبرهان والحجة؛ وكانت استدلالاته منتزعة من القرآن الكريم الذي يتفق كل المسلمين على قطعيته وحجيته، ما يؤكد على أهمية الحوار مع المخالف، ولأنه من الطرق الفضلى في القضاء على التعصب، وأما المتعصب الذي يرفض الحوار العلمي فإنما يعبر بذلك عن عجزه على التواصل مع الآخر، وعدم قدرته على الإقناع بالدليل والبرهان.

٣- الفصل الثالث من الباب الثالث جاء بعنوان «العناية بالقرآن الكريم عند الإمام زين العابدين عليه السلام». تناولنا فيه اهتمام الإمام عليه السلام الكبير بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً وتفسيراً وتأويلاً، وجهوده في نشر المعارف والثقافة القرآنية بين الخاصة والعامة.

وقد بدأنا الحديث في المبحث الأول منه عما ورد من آيات قرآنية وأحاديث شريفة عن وجوب اتباع المسلمين للقرآن الحكيم والعمل بما جاء فيه من أوامر وترك ما ورد فيه من زواجر؛ لأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، أنزله عن طريق الوحي على الرسول الأكرم ﷺ، وقد قرأه رسول الله ﷺ بلسانه الشريف، وبلغه للناس كما أمره الله عز وجل، وتلقاه المسلمون المعاصرون له، ثم الذين من بعدهم جيلاً بعد جيل، كما نزل عليه، وكما قرأه عليهم؛ والواجب هو العمل بما فيه.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل تطرقنا إلى تعظيم الإمام زين العابدين ع عليه السلام لكتاب الله المجيد، فقد كان ع عليه السلام يتعاهد القرآن ويحث على تعاهده، ويوصي أصحابه وتلامذته وشيعته بالعبادة به، وبقرائه وتلاوته والتدبر فيه، والعمل بما جاء فيه من أحكام فقهية ودينية، وتعاليم ووصايا وإرشادات قرآنية، ووجوب الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه وزواجره.

وفي المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى تجليات عناية الإمام زين العابدين ع عليه السلام بالقرآن الكريم، كان له ع عليه السلام مجموعة من الأعمال والتجليات البارزة التي تدل على اهتمامه ورعايته وعنايته بالقرآن الكريم، ومنها بيان عظمة وخصائص القرآن الكريم؛ وقد بين ذلك في دعائه الذي كان يقرؤه إذا ختم القرآن الكريم والمعروف بدعاء ختم القرآن المذكور في الصحيفة السجادية، وهو الدعاء الثاني والأربعون، الذي يؤكد فيه الإمام أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام، وأنه نور هداية، ومنهج حياة، ومصدر للتشريع، ومنبع فكر وعلم ومعرفة.

ومنها التدبر في القرآن الكريم؛ إذ كان الإمام ع عليه السلام يهتم بالتدبر بالقرآن الكريم تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ^(١). فالتدبر هو الطريق الطبيعي لفهم القرآن، والفهم هو نقطة الانطلاق نحو التطبيق العملي لمفاهيم القرآن وأحكامه. أما تلاوة القرآن بدون تدبر فيعني تحويل القرآن إلى حروف بدون معانٍ، وكلمات بدون مفاهيم، وألفاظ بدون رؤى!

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن يقرأ القرآن قراءة عابرة، أو تلاوة مجردة، وإنما كان يتدبر في آياته، ويتأمل ويفكر فيما احتوته من كنوز المعرفة والعلم والحكمة والتربية والأخلاق.

وكان الإمام عليه السلام عندما يتدبر في آية يتفاعل وجدانياً وعاطفياً إلى درجة أنه يتغير شكله، ويصفر لونه، وترتعد فرائضه؛ وذلك لتدبره العميق وفهمه الدقيق لمعاني هذه الآية الشريفة، فكان يتفاعل بكل كيانه ووجدانه مع ما ترمز إليه من دلالات وإشارات في يوم القيامة.

ومنها العناية بعلوم القرآن الكريم؛ إذ اعتنى الإمام عليه السلام بعلوم القرآن الكريم، وساهم في إثرائها وتوسعتها، فبالإضافة لعلم التفسير اهتم الإمام عليه السلام ببيان فضائل القرآن، وأسباب النزول، والقراءات القرآنية، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والقصص في القرآن الكريم. وفي المبحث الرابع من هذا الفصل تطرقنا إلى المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام؛ إذ للقرآن الكريم أسرار وغوامض، وآيات محكمات وآخر متشابهات، لا يعرف معناها ومقصدها إلا الله تعالى والراسخون في العلم كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ^(٢)، والمراد بقوله: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم أئمة أهل البيت الأطهار كما ورد في العديد من الأحاديث الشريفة.

١- محمد: ٢٤.

٢- آل عمران: ٧.

ونحن بحاجة للرجوع إليهم لمعرفة تفسير القرآن بصورة دقيقة وصحيحة، فالقرآن الكريم نزل في بيوتهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من تكلم في تفسير القرآن الكريم ومن بعده أئمة أهل البيت الأطهار، ومنهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي ورد عنه تفسيره لبعض الآيات القرآنية وتأويله لها.

وختمنا هذا الفصل بذكر نماذج وشواهد من تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام لعدد من الآيات الشريفة من أجل تعميم الفائدة، والاستفادة من المنهج التفسيري للإمام عليه السلام المبثوث في كتب التفسير والحديث.

١- الفصل الرابع كان موسومًا بـ: «جهود الإمام زين العابدين عليه السلام في نشر الحديث»، وتركز فيه البحث حول جهود الإمام في تدوين الحديث ونشره؛ إذ اعتنى عليه السلام بنشر الحديث وتدوينه عناية كبيرة؛ لما له من أهمية بالغة في الحفاظ على السنة الشريفة، ومعرفة معالم الدين وأبعاده، واستنباط الأحكام الشرعية، والإحاطة بتفاصيل الشريعة الإسلامية، وبيان العقائد الإسلامية... وغيرها من العلوم والمعارف الإسلامية.

ويعد الإمام زين العابدين عليه السلام من الأئمة الحفاظ للحديث الشريف، وكانت لأحاديثه ورواياته أهمية كبيرة عند علماء الحديث، وقد روى عنه رواة السنة والشيعية في كتبهم وموسوعاتهم الحديثية والتاريخية.

وعاش الإمام عليه السلام في زمن منعت فيه السلطات الحاكمة نشر الحديث أو تدوينه، وكانت تعاقب من يقوم بذلك أشد العقاب؛ لكن الإمام قاوم ذلك المنع، وقام بنشر الحديث الشريف بين أصحابه ورواته وتلامذته حتى يحفظ السنة النبوية الشريفة من الاندثار والضياع والنسيان.

ولا شك أن تصدي الإمام زين العابدين عليه السلام لرواية الحديث عن آبائه عن جده رسول الله ﷺ في زمن منع تدوين الحديث وكتابته كان تحديًا قويًا لسياسة المنع، وكسرًا لمحاصرة الحديث وطمسه، وبفضل هذا

التحدي استطاع الإمام وبمساعدة رواته وأصحابه أن ينشروا الحديث الشريف على نطاق واسع.

ثم عرجنا بالبحث عمن روى عنهم الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ روى عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وعن عمه الإمام الحسن عليه السلام، وعن جده أمير المؤمنين عليه السلام، وعنهم عن جده رسول الله ﷺ. كما روى عن بعض الصحابة كعبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري وغيرهم.

ثم ذكرنا من روى عنه من الرواة؛ إذ روى عنه خلق كثير من الرواة، ومنهم ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وابنه زيد الشهيد، وغيرهما من أبنائه وأحفاده، كما روى عنه طلابه وأصحابه ورواته.

والملاحظ أن رواته كانوا من مختلف المذاهب الإسلامية، وهذا يعني أنهم كانوا يجلسون إليه، ويحضرون بحوثه العلمية، ويسمعون ما ينقله ويقولونه من أحاديث وروايات شريفة، ثم ينقلونها لغيرهم من الرواة والمحدثين.

ثم تطرقنا في هذا الفصل إلى رواياته عن رسول الله ﷺ ونقلنا طائفة منها، إذ اشتملت موسوعات الحديث على مجموعة من الأحاديث والروايات الشريفة التي رواها الإمام زين العابدين عليه السلام مسندة عن آبائه الطاهرين عن رسول الله ﷺ، وأخرى مرسلة بمعنى أنه لم يذكر فيها رجال السند، فينسب الإمام الحديث مباشرة إلى جده رسول الله ﷺ، دون أن يذكر رجال السند إليه، وسواء كانت رواياته مسندة أم مرسلة فهي حجة إذا صحَّ طريق سندها إليه، وإلا فهي تخضع لضوابط الجرح والتعديل، وتعامل كبقية الأخبار التي فيها الصحيح والحسن والموثق والضعيف.

وختمنا هذا الفصل بما رواه الإمام زين العابدين عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام من روايات وأحاديث، ونقلنا طائفة منها؛ كما روى الإمام عليه السلام جمهرة من الأحاديث والروايات عن أبيه سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ونقلنا طائفة منها.

١- الفصل الخامس من الباب الثالث حمل عنوان «فقه الإمام زين العابدين عليه السلام»، فقد أولى الإمام زين العابدين عليه السلام علم الفقه عناية كبيرة؛ لما له من أهمية بالغة في تعريف الناس بأحكام الإسلام، وبيان مسائل الحلال والحرام، والإجابة عن تساؤلات المكلفين، وتبيين الرأي الشرعي لهم.

وقد اهتمَّ الإمام أيضًا بتخريج فقهاء وعلماء كي ينشروا الفقه الإسلامي وغيره من المعارف الإسلامية في أماكن تواجدهم في البلاد الإسلامية، فكان للإمام حلقة خاصة في مسجد رسول الله ﷺ يلقي فيها دروسه العلمية من فقه وتفسير وعقائد وحديث وغيرها من المعارف الإسلامية على تلامذته وطلابه ورواته وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة.

وتخرَّج من حلقاته العلمية التي كان يعقدها في المسجد النبوي وفي بيته، عدد من كبار العلماء وأفاحم الفقهاء الذين أثروا بدورهم -فيما بعد- علم الفقه وأبوابه المختلفة.

وبعد رجوع الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة المنورة بعد واقعة كربلاء، واستقراره فيها، أخذ في تعليم الفقه الإسلامي لفقهاء وعلماء المدينة ومن حولها، وتبين مسائل الحلال والحرام للناس، فانتشر علمه وفقهه بين الخاصة والعامة، ونقل عنه فقهاء الحجاز وغيرهم من علم الفقه وغيره من العلوم والمعارف الإسلامية طائفة من النصوص الفقهية والمسائل الشرعية وغيرها.

واعتمد الفقهاء والعلماء في استنباطهم لبعض الأحكام الشرعية على جملة من الأحاديث الفقهية المعتبرة المروية عنه، والتي شملت عدة أبواب من الفقه، مثل أحكام الأموات، المساجد، الصلاة، الصوم، الخمس، الحج، النكاح، الأطعمة والأشربة، اليمين، الوصية وغيرها.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام طائفة كبيرة من النصوص الفقهية المعنية بفروع الأحكام ومسائل الفقه مبثوثة في كتب الأحاديث الشريفة.

وختمنا هذا الفصل بذكر مجموعة من الأحكام الشرعية التي استنبطها الفقهاء اعتماداً على الروايات الفقهية المعتبرة المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

١- الفصل السادس من الباب الثالث كان موسوماً بـ «مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية»، وقد ركزنا في بداية هذا الفصل على اهتمام واعتناء الإمام زين العابدين عليه السلام ببناء صفوة علمية متميزة من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين وغيرهم، وتأهيل أصحابه وطلابه وتلامذته علمياً ومعرفياً وفكرياً وأخلاقياً، من أجل بناء كوادر وكفاءات علمية في مختلف حقول العلم والمعرفة قادرة على نشر ثقافة الإسلام وأحكامه.

وكان كبار العلماء والفقهاء والرواة، وطلاب العلم والمعرفة يحرصون أشد الحرص على حضور دروسه العلمية التي كان يلقيها في المسجد النبوي؛ إذ كان له مجلس علمي معروف، وكان يحضره بقايا الصحابة وأعلام التابعين وأكابر الفقهاء وأفاضل العلماء حتى ينهلوا من علومه الغزيرة، ومعارفه الواسعة.

وكان للإمام زين العابدين عليه السلام حلقة علمية خاصة به في مسجد رسول الله ﷺ للتعليم والتدريس من أجل بناء وإعداد الفقهاء والعلماء كي يخدموا الأمة دينياً وعلمياً، وكان يعلم أصحابه وتلامذته أحكام الدين ومعامله، فالتفَّ حوله كبار الفقهاء وأساطين العلماء ليأخذوا من علومه الثرية، وينهلوا من معارفه الدينية، ويستضيئوا من غرر حكمه الفصيحة، ومواعظه البليغة؛ إذ لا يمكن الحصول على العلم الصحيح إلا عن طريق أئمة أهل البيت الأطهار.

ولأن الإمام زين العابدين عليه السلام كان قطب الرchy في زمانه، وأعلم الناس في عصره، فقد التفَّ حوله العلماء، وتلمذوا على يديه، وكثر طلابه وأصحابه؛ فبلغوا المئات، وهم من مختلف المذاهب الإسلامية، ووجدوا في الإمام الغدير العذب للعلم والمعرفة، فتلمذوا في مدرسته، ونهلوا من علومه الغزيرة.

وهذا الأمر ما كان ليتحقق لولا جهود الإمام زين العابدين عليه السلام وعنايته

الكبيرة بأصحابه ورواته ورجاله الذي بذل من أجل تعليمهم وتربيتهم الشيء الكثير من أجل بناء كفاءات وطاقات علمية متميزة، ساهمت في نشر العلوم والمعارف في ذلك العصر على نطاق واسع.

وسجلت لنا كتب الرجال والرواة والفهرسة والطبقات ومعاجم الحديث والأعلام أسماء أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ورواته، الذين تتلمذوا على يديه وحضروا بحوثه العلمية ورووا عنه، وبرز منهم النخبة والصفوة الخيرة من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين والمفسرين وغيرهم من أصحاب التخصصات العلمية المختلفة، والآثار العلمية المتنوعة، وقد كان لهم - فيما بعد - دور فاعل ومهم في نشر تراث الإمام زين العابدين عليه السلام بين النخب والخواضر العلمية البارزة، وحفظ رواياته وأحاديثه من الضياع والاندثار، ونشر تراثه العلمي بين أهل العلم والمعرفة.

تخرج من المدرسة العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام كوكبة من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين وغيرهم، وكان كثير منهم من أهل المعرفة والفهم والوعي والبصيرة بأمور دينهم وزمانهم.

وقد قمنا بترجمة أشهر وأبرز أصحابه وتلامذته ورواته المبرزين، وذكرنا أهم ما تميزوا به من إيمان وتقوى، وعلم ومعرفة، مع الإشارة إلى درجة وثاقة بعضهم وعدالتهم، وطبقتهم في الحديث.

وكان فيهم كبار الفقهاء، وزبدة العلماء، وأعلام الرواة، وعيون المحدثين، وأبرز المفسرين وغيرهم، وحاز بعضهم على شرف صحبة الإمام عليه السلام وحضور مجالسه ودروسه العلمية، ومحاضراته التخصصية، والاستماع إلى بحوثه العقائدية والقرآنية والفقهية، والاستفادة من علومه ومعارفه الواسعة، وحفظ ونشر ما يرويه من أحاديث شريفة عن آبائه عليهم السلام عن جده رسول الله ﷺ، وتدوينها في الكتب والرسائل والمصنفات العلمية.

وبرز بعض أصحابه وتلامذته في علوم العقائد والكلام، وبعضهم في

علوم القرآن والتفسير، وبعضهم في علوم الفقه، وبعضهم في علوم الحديث، وبعضهم في العلوم العقلية؛ فكان منهم الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثون والمفسرون وغيرهم، وكان لبعضهم دور فاعل ومؤثر في نشر ما تعلموه وسمعوه مباشرة من الإمام زين العابدين عليه السلام، وحفظ تراثه العلمي وتدوينه، ونشره في الآفاق والحوضر العلمية الكبرى.

واستطاع الإمام زين العابدين عليه السلام بما أوتي من علم غزير، وبما بذله من جهود علمية كبيرة عبر هؤلاء النخبة من الأصحاب والرواة والثقات أن يساهم في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأن يثبت نهجهم رغم كل التحديات والعقبات التي واجهته بعد مأساة كربلاء الدامية، وكان لتراثه العلمي المميز كالصحيفة السجادية ورسالة الحقوق وغيرهما من الآثار العلمية الفريدة أثر فاعل ومؤثر في إيصال رسالة أهل البيت العلمية إلى الناس، وكسب المزيد من الأنصار والأتباع والمحبين، وهو الأمر الذي ساهم في اتساع القاعدة الشعبية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

فهرس المحتويات

الفهرس الإجمالي

الفهرس التفصيلي



الفهرس الاجمالي

المقدمة.....	٥
منهج الدراسة.....	١٣
أهمية الدراسة.....	١٣
أهداف الدراسة.....	١٤
تساؤلات الدراسة.....	١٦
الدراسات السابقة.....	١٩
الدراسات المشتركة والمختصرة.....	٢٧
مميزات هذه الدراسة.....	٢٨
هيكلية الدراسة.....	٣٠
البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام	٣٤
النصوص الخاصة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام	٦٦
صفات الإمام مفترض الطاعة.....	٧٣
الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات المؤرخين والعلماء.....	١٠٣
استنتاجات وملاحظات.....	١١٦
خلاصة الباب الأول.....	١١٨
عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام	١٢٣
حج الإمام زين العابدين عليه السلام	١٥٠
الدعاء في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام	١٦٢
حلم الإمام زين العابدين عليه السلام	٢٢٢
الصبر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام	٢٣٠
كرم الإمام زين العابدين عليه السلام	٢٤١

٢٥٣	رأفة الإمام زين العابدين عليه السلام بأعدائه
٢٥٩	الإمام زين العابدين عليه السلام والارتقاء بالعبود
٢٦٨	خلاصة الباب الثاني
٢٧٩	المبحث الأول
٢٧٩	مكانته العلمية
٢٨٣	المبحث الثاني
٢٨٣	آثاره العلمية
٣١٢	المبحث الثالث
٣١٢	دوره العلمي
٣٢٠	بناء وهدم
٣٣٥	البعد الثاني - هدم العقائد الفاسدة
٣٤٣	مدخل تمهيدي
٣٦٥	المبحث الأول
٣٦٥	الحث على اتباع القرآن والعمل بما فيه
٣٦٩	المبحث الثاني
٣٦٩	الإمام زين العابدين عليه السلام وتعظيم القرآن
٣٧٢	المبحث الثالث
٣٧٢	تجليات عناية الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرآن الكريم
٣٨٤	المبحث الرابع
٣٨٤	المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام
٣٨٤	مفتاح تمهيدي
٣٨٥	نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام

نتائج وملاحظات	٣٩٣
نشر الحديث في زمن المنع	٣٩٧
رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام	٤١٥
رواياته عن الإمام الحسين عليه السلام	٤٢٤
دوره في إثراء علم الفقه	٤٢٩
المختار من فقه الإمام زين العابدين عليه السلام	٤٣١
أهل الفتيا ممن أخذوا عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)	٤٦٩
صناعة الصفوة العلمية	٤٧٣
أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام وتلامذته	٤٧٨
خلاصة الباب الثالث	٥١٨

الفهرس التفصلي

المقدمة.....	٥
منهج الدراسة.....	١٣
أهمية الدراسة.....	١٣
أهداف الدراسة.....	١٤
تساؤلات الدراسة.....	١٦
الدراسات السابقة.....	١٩
١- الإمام زين العابدين ؑ.....	٢٠
٢- الإمام علي بن الحسين زين العابدين ؑ.....	٢١
٣- الإمام علي بن الحسين ؑ.....	٢٢
٤- حياة الإمام زين العابدين ؑ.....	٢٣
٥- جهاد الإمام السّجّاد ؑ.....	٢٤
٦- موسوعة الإمام زين العابدين ؑ.....	٢٥
٧- موارد الاعتبار في سيرة الإمام زين العابدين ؑ.....	٢٦
٨- الإمام زين العابدين: القائد، الداعية، الإنسان.....	٢٦
الدراسات المشتركة والمختصرة.....	٢٧
مميزات هذه الدراسة.....	٢٨
هيكلية الدراسة.....	٣٠
البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين ؑ.....	٣٤
نسبه الشريف.....	٣٤
ولادته المباركة.....	٣٤
أمه الطاهرة.....	٣٦

٤٠	حياته مع جده وعمه وأبيه.....
٤١	كنيته
٤١	ألقابه
٤٤	نقش خاتمه
٤٤	زوجاته
٤٥	أولاده
٤٨	شاعره
٤٨	بوابه
٤٨	مدة إمامته
٤٩	وفاته
٥٠	قبره الشريف
٦٦	ثانياً- النصوص الخاصة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام
٧٣	ثالثاً- صفات الإمام مفترض الطاعة
٧٣	١- العصمة:
٧٤	العصمة اصطلاحاً
٧٦	وجوب العصمة في الإمام
٧٩	عصمة الإمام زين العابدين عليه السلام
٨٥	٢- العلم:
٨٩	٣- الكمال:
٩١	٤- المعاجز والكرامات:
٩٧	١- الإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ):
٩٨	٢- الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨ هـ):

- ٣- الصحابي عبدالله بن العباس (ت ٦٨ هـ): ٩٨
- ٤- عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ): ٩٨
- ٥- أبو حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ): ٩٩
- ٦- ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ): ٩٩
- ٧- سعيد بن المسيّب (٩٤ هـ): ١٠٠
- ٨- زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ): ١٠٠
- ٩- أبو حازم الأعرج (ت ١٣٣ هـ) ١٠١
- ١٠- يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣ هـ) ١٠١
- ١١- حمّاد بن زيد (ت ١٧٩ هـ) ١٠١
- ١٢- مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ١٠٢
- ثانيًا- الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات المؤرخين والعلماء ١٠٣
- ١- سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ): ١٠٣
- ٢- محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): ١٠٣
- ٣- الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): ١٠٤
- ٤- ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ): ١٠٤
- ٥- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): ١٠٤
- ٦- العجلي (ت ٢٦١ هـ): ١٠٥
- ٧- المؤرخ اليعقوبي (المتوفى بعد ٢٩٢ هـ): ١٠٥
- ٨- الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ): ١٠٥
- ٩- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ): ١٠٥
- ١٠- ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ): ١٠٦
- ١١- ابن الأثير، أبو السعادات (ت ٦٠٦ هـ): ١٠٦

- ١٢- ابن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ): ١٠٦
- ١٣- سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ): ١٠٧
- ١٤- النووي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ): ١٠٧
- ١٥- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): ١٠٨
- ١٦- الشيخ الإريلي (ت ٦٩٣ هـ): ١٠٨
- ١٧- النووي (ت ٧٣٧ هـ): ١١٠
- ١٨- الذهبي (ت ٧٤٨ هـ): ١١٠
- ١٩- ابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ): ١١٠
- ٢٠- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): ١١١
- ٢١- ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ): ١١١
- ٢٢- السيد محمد كاظم اليماني: ١١١
- ٢٣- المناوي (ت ١٠٣١ هـ): ١١٢
- ٢٤- الشيخاني القادري (ت ١١١٩ هـ): ١١٢
- ٢٥- الشبراوي الشافعي (ت ١١٧١ هـ): ١١٢
- ٢٦- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ): ١١٣
- ٢٧- السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٩٥٢ م): ١١٣
- ٢٨- آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ): ١١٣
- ٢٩- الشيخ محمد أبو زهرة (ت ١٩٧٤ م): ١١٤
- ٣٠- خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦ م): ١١٤
- ٣١- الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ٢٠٠٦ م): ١١٤
- ٣٢- الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ): ١١٥
- استنتاجات وملاحظات ١١٦

١١٨.....	خلاصة الباب الأول.....
١٢٣.....	عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام
١٢٣.....	١ - خشيته من الله تعالى:.....
١٢٥.....	٢ - كثرة العبادة:.....
١٢٧.....	٣ - الاجتهاد في العبادة حتى أنقضته:.....
١٣٠.....	٤ - الانقطاع الكامل إلى الله:.....
١٣١.....	٥ - التَّزَيُّن والتَّطَيُّب للصلاة:.....
١٣٢.....	٦ - كثرة صومه:.....
١٣٣.....	٧ - أدعية خاصة في شهر رمضان:.....
١٤٨.....	والخلاصة.....
١٥٠.....	حج الإمام زين العابدين عليه السلام
١٥١.....	الحج في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام
١٥٢.....	١ - حجه ماشياً:.....
١٥٣.....	٢ - حجه راكباً:.....
١٥٤.....	٣ - يتغير حاله عند الإحرام:.....
١٥٤.....	٤ - يتزوّد بأطيب الزاد إلى الحج:.....
١٥٥.....	٥ - يجتهد في الصلاة عند الكعبة ويبيكي:.....
١٥٦.....	٦ - يناجي ربه في البيت الحرام بحرقة:.....
١٦٠.....	خلاصة الكلام.....
١٦٢.....	الدعاء في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام
١٦٢.....	مفتاح.....
١٦٤.....	من مسائل الدعاء.....

آثار الدعاء	١٦٤
شروط استجابة الدعاء	١٦٥
١ - معرفة الله سبحانه وتعالى:	١٦٥
٢ - العمل بما أمر الله به:	١٦٦
٣ - حضور القلب:	١٦٦
٤ - طيب المكسب:	١٦٧
٥ - مواصفات الدعاء:	١٦٧
٦ - ترصد الأوقات الشريفة:	١٦٨
موانع الاستجابة	١٦٩
١ - ارتكاب المحرمات والموبقات:	١٦٩
٢ - ظلم العباد:	١٦٩
٣ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	١٦٩
٤ - أكل الحرام:	١٧٠
٥ - مصلحة الإنسان:	١٧٠
من صور الدعاء المستجاب	١٧١
١ - دعاء الوالد لولده إذا برَّه ودعاؤه عليه إذا عَقَّه:	١٧١
٢ - دعاء المظلوم على من ظلمه:	١٧٥
٣ - دعاء المؤمن للمؤمن:	١٧٨
٤ - دعاء من يقرأ القرآن ويداوم على تلاوته:	١٧٨
الصحيفة السجادية	١٧٩
نماذج من جواهر أدعيته	١٨٠
١ - دعاؤه في تحميد الله عز وجل:	١٨٠

- ٢- دعاؤه في الصلاة على النبي ﷺ: ١٨٣
- ٣- دعاؤه في اللجوء إلى الله تعالى: ١٨٥
- ٤- دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال: ١٨٥
- ٥- دعاء عظيم الشأن: ١٩٠
- ٦- دعاؤه في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله جلّ جلاله: ١٩١
- قد أوقفت نفسي موقف الأذلاء المذنبين، موقف الأتقياء المتجرين عليك،
المستخفين بوعدك، سبحانك أي جرأة اجتأأت عليك، وأي تغرير غررت
بنفسي؟! ١٩٢
- ٨- دعاؤه في التضرع والاستكانة: ١٩٢
- ٩- دعاؤه في الإلحاح على الله تعالى: ١٩٤
- ١٠- دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى: ١٩٦
- ١١- دعاؤه إذا استقال من ذنوبه، أو تضرع في طلب العفو عن عيوبه: ١٩٧
- ١٢- دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها: ٢٠٠
- ١٣- دعاؤه إذا سأل الله العافية وشكرها: ٢٠٣
- ١٤- دعاؤه إذا مرض أو نزل به كرب أو بليّة: ٢٠٥
- ١٥- دعاؤه في جوف الليل: ٢٠٥
- ١٧- مناجاته في المناجاة المعروفة بمناجاة الشاكين: ٢٠٨
- ١٨- مناجاته في المناجاة المعروفة بمناجاة الخائفين: ٢٠٩
- ١٩- مناجاته في المناجاة المعروفة بمناجاة الرّاجين: ٢٠٩
- ٢٠- مناجاته في المناجاة المعروفة بمناجاة المحبين: ٢١٠
- الإمام الزاهد ٢١٥
- علامة الزاهد ٢١٦

٢١٧.....	مواعظه في الزهد
٢٢٠.....	درجات الزهد
٢٢٢.....	حلم الإمام زين العابدين عليه السلام
٢٢٣.....	تعريف الحلم
٢٢٤.....	صور مشرقة من حلم الإمام زين العابدين عليه السلام
٢٢٤.....	أولاً- وعنك أغضي:
٢٢٦.....	ثانياً- مَا سُرِّ عَنْكَ مِنْ أَمْرٍ نَا أَكْثَرُ:
٢٢٧.....	ثالثاً- ائْتَرَعَ رِذَاءَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ:
٢٢٧.....	رابعاً- لَا أَبَالِي بِمَا تَقُولُ:
٢٢٨.....	خامساً- اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ:
٢٢٩.....	سادساً- كَسَرَتْ قَصْعَةً فَأَعْتَقَهَا لِوَجْهِ اللَّهِ:
٢٣٠.....	الصبر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام
٢٣٣.....	معنى الصبر
٢٣٤.....	تجليات الصبر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام
٢٣٤.....	أولاً- صبره على المحن والخطوب:
٢٣٧.....	ثانياً- صبره أيام الأسر:
٢٤١.....	كرم الإمام زين العابدين عليه السلام
٢٤٢.....	صور من كرم الإمام زين العابدين وجوده
٢٤٣.....	١- التعامل الإنساني مع الفقراء:
٢٤٣.....	أ- الاحتراف بالفقراء:
٢٤٤.....	ب- عطفه على الفقراء:
٢٤٥.....	ج- نهيه عن رد السائل:

٢٤٥	٢- التصدق بما يحب:
٢٤٨	٣- قضاء الديون:
٢٤٩	٤- إطعام عام:
٢٤٩	٥- إعالة مئة بيت:
٢٤٩	٦- لم يعرفوه حتى قبض:
٢٥٣	رأفة الإمام زين العابدين عليه السلام بأعدائه
٢٥٣	قصص عن رأفته بأعدائه
٢٥٤	١- استمع له حتى أظهر ما في نفسه من العداوة:
٢٥٦	٢- أبوك الذي قتل المؤمنين!:
٢٥٩	الإمام زين العابدين عليه السلام والارتقاء بالعبيد
٢٥٩	الإمام والموالي
٢٦٢	التعامل الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد
٢٦٢	١- تعليم العبيد:
٢٦٢	٢- تزوج الإماء والإنجاب منهن:
٢٦٤	٣- التسامح مع العبيد:
٢٦٦	٤- عتق العبيد سنوياً:
٢٦٨	خلاصة الباب الثاني
٢٧٩	المبحث الأول
٢٧٩	مكانته العلمية
٢٨٣	المبحث الثاني
٢٨٣	آثاره العلمية
٢٨٣	١- الصحيفة السجادية الكاملة:

٢٨٩.....	محتويات الصحيفة السجادية
٢٩٣.....	٢- رسالة الحقوق:
٢٩٣.....	الإمام زين العابدين والتأسيس لحقوق الإنسان
٢٩٤.....	مميزات رسالة الحقوق
٢٩٥.....	أهم الحقوق
٢٩٥.....	١- حق الخالق وحق المخلوق (حق الله، وحق النفس)
٢٩٥.....	٢- حقوق الأعضاء
٢٩٦.....	٣- حقوق الأفعال
٢٩٦.....	٤- حقوق الأئمة
٢٩٦.....	٥- حقوق الرعية
٢٩٦.....	٦- حقوق الرحم
٢٩٦.....	٧- حقوق عامة الناس والأشياء
٢٩٧.....	رسالة الحقوق والعدالة الاجتماعية
٢٩٨.....	٣- رسالة في الزهد:
٣٠٣.....	٤- رسالة في الحج:
٣٠٣.....	٥- تفسيره للآيات القرآنية:
٣٠٦.....	ثانيًا- مع الحسن البصري وحقيقة مواعظه:
٣٠٨.....	ثالثًا- مع رجل من قريش حول زواج بني آدم
٣١٠.....	رابعًا- مع رجل من أهل البصرة عن حروب الإمام علي عليه السلام
٣١٢.....	المبحث الثالث
٣١٢.....	دوره العلمي
٣١٣.....	الأخذ بناصية العلم

آداب المعلم والمتعلم	٣١٥
إكرام العالم وملازمته	٣١٧
بناء وهدم	٣٢٠
البعد الأول - بناء العقائد الحقة	٣٢٠
البعد الثاني - هدم العقائد الفاسدة	٣٢٠
البعد الأول - بناء العقائد الحقة	٣٢٠
المطلب الأول - التوحيد	٣٢٠
٣- ليس كمثله شيء	٣٢٠
٤- لا يحويه مكان	٣٢١
٥- الله سبحانه لا يحد بحد	٣٢٣
٦- وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ	٣٢٤
٧- هو الأول والآخر	٣٢٥
٨- الخلق يدل على الخالق	٣٢٦
٩- عالم بكل شيء	٣٢٧
المطلب الثاني - النبوة	٣٢٨
١- النبي إمام الرّحمة وقائد الخير	٣٢٨
٢- مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَكْرَمُ الْأُمِّيِّينَ	٣٢٩
٣- بَلَّغِ الرِّسَالَةَ وَصَدِّعْ بِالْأَمْرِ	٣٣٠
٤- النبي مؤيّد بالنور المضيء	٣٣٠
المطلب الثالث - الإمامة	٣٣١
١- منزلة الأئمة	٣٣١
٢- وجوب الرجوع إلى الأئمة	٣٣٣

٣٣٣	٣- وجوب طاعة الإمام:
٣٣٥	البعد الثاني- هدم العقائد الفاسدة.....
٣٣٥	أولاً- نقض عقيدة التشبيه والتجسيم:.....
٣٣٦	ثانياً- موقفه من الصوفية والمتصوفة:
٣٤٣	مدخل تمهيدي.....
٣٤٤	مفهوم التعصب والعصبية
٣٤٧	تصدي الإمام زين العابدين للتعصب الديني
٣٤٧	١. نقد العنصرية العرقية والقومية:
٣٥٢	٢. نقض المبتنيات الدينية المنحرفة:
٣٥٣	أ- منطق الجبر:
٣٥٧	ب- مفهوم القضاء والقدر:
٣٦٠	٣. قوة الدليل العلمي والعقلي:.....
٣٦٢	الخاتمة
٣٦٥	المبحث الأول
٣٦٥	الحث على اتباع القرآن والعمل بما فيه
٣٦٩	المبحث الثاني
٣٦٩	الإمام زين العابدين عليه السلام وتعظيم القرآن
٣٧٢	المبحث الثالث
٣٧٢	تجليات عناية الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرآن الكريم
٣٧٧	ثانياً- التدبر في القرآن الكريم:
٣٧٩	ثالثاً- الاهتمام بالتفسير:
٣٧٩	رابعاً- العناية بعلوم القرآن الكريم:

٣٨٢.....	خامساً- كتابة المصحف الشريف بخطه:
٣٨٤.....	المبحث الرابع.....
٣٨٤.....	المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام
٣٨٤.....	مفتاح تمهيدي.....
٣٨٥.....	نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام
٣٩٣.....	نتائج وملاحظات.....
٣٩٧.....	نشر الحديث في زمن المنع.....
٤٠٠.....	من روى عنهم.....
٤٠١.....	من روى عنه.....
٤١٥.....	رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام
٤٢٤.....	رواياته عن الإمام الحسين عليه السلام
٤٢٩.....	دوره في إثراء علم الفقه.....
٤٣١.....	المختار من فقه الإمام زين العابدين عليه السلام
٤٣١.....	باب أحكام الأموات.....
٤٣١.....	-استحباب كتابة دعاء الجوشن الكبير على الكفن:
٤٣٢.....	باب أحكام المساجد.....
٤٣٢.....	١- استحباب التطيب عند التوجه إلى المسجد:
٤٣٣.....	٢- استحباب تفريق الصلاة في أماكن متعددة:
٤٣٣.....	باب الصلاة.....
٤٣٣.....	أولاً- أفعال الصلاة:
٤٣٣.....	١- من واجبات الصلاة:
٤٣٤.....	٢- بطلان الصلاة بالتكفير:

٤٣٥	ثانيًا- موجبات قبول الصلاة:
٤٣٥	١- إقبال القلب:
٤٣٥	٢- الخشوع والانقطاع إلى الله تعالى:
٤٣٦	٣- الاعتقاد بالولاية الحققة:
٤٣٧	ثالثًا- موانع قبول الصلاة:
٤٣٧	١- حب الدنيا:
٤٣٧	٢- العجب بالعبادة:
٤٣٧	رابعًا- من شروط الصلاة:
٤٣٧	١- اشتراط النية:
٤٣٧	٢- جواز الصلاة في الخبز:
٤٣٩	باب الصلوات الواجبة:
٤٣٩	أولًا- صلاة المسافر:
٤٣٩	١- علة بقاء صلاة الفجر على حالها في السفر والحضر:
٤٤٠	ثانيًا- صلاة الجماعة:
٤٤٠	١- اشتراط العدالة:
٤٤١	باب الصوم:
٤٤١	الأول- أقسام الصوم:
٤٤١	١- الصوم الواجب:
٤٤٣	٢- الصوم المحرم:
٤٤٣	٣- الصوم المندوب:
٤٤٤	٤- الصوم المكروه:
٤٤٤	الثاني- أحكام الصوم:

٤٤٤	١ - يوم الشك:
٤٤٥	٢ - تناول المفطر سهوًا لا يبطل الصوم:
٤٤٦	باب الخمس
٤٤٦	١ - قسمة الخمس:
٤٤٧	باب الحج
٤٤٧	١ - فضل الحج:
٤٤٨	٢ - استحباب تكرار الحج:
٤٤٩	٣ - علة أن الطواف سبعة أشواط:
٤٥٠	٤ - استحباب الاجتهاد يوم عرفة في الدعاء:
٤٥٠	٥ - تقسيم الهدى أثلاثًا:
٤٥٤	٦ - استحباب تولي الناسك الذبح بيده:
٤٥٤	٧ - توقير الحاج:
٤٥٥	باب النكاح
٤٥٥	أولاً - ما يستحب عند إرادة التزويج:
٤٥٥	ثانيًا - ما يستحب في النفقة:
٤٥٦	ثالثًا - ما يستحب ويكره في تسمية الأولاد:
٤٥٩	باب الأطعمة والأشربة
٤٥٩	باب الذبابة
٤٦٠	باب المكاسب المحرمة
٤٦٥	باب اليمين
٤٦٦	باب الوصية
٤٦٦	باب الحدود

أهل الفتيا ممَّن أخذوا عن الإمام زين العابدين (عليه السَّلام).....	٤٦٩
صناعة الصفوة العلمية.....	٤٧٣
أصحاب الإمام زين العابدين عَليهِ السَّلام وتلامذته.....	٤٧٨
قصيدته الميمية.....	٥٠٤
مسك الختام.....	٥١٧
خلاصة الباب الثالث.....	٥١٨